

أَسْفَلُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ

تَأليف

عَلِيٌّ مُحَمَّدٌ الْجَاوِي

مُحَمَّدٌ أَبُو الْفَضْلِ الْبِرَاهِمِي

دار الجيّد

بيروت - لبنان

بجميع الحقوق محفوظة

١٩٨٨ - ١٤٠٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

قدّمنا إلى قراء العربية كتابنا « أيام العرب في الجاهلية » ، ولم أشأت تلك الأيام ، ويؤلفُ بينها ؛ فاستقبله الأدباء والمؤرخون استقبالا كريما ، وعدّوه مرجعهم الأول في تلك الأيام .

وكنا قد وعدنا في مقدمته بكتاب « أيام العرب في الإسلام » ؛ واستنجزنا بعضُ القراء وعدّنا ، ورغبوا إلينا في إخراج هذا الكتاب ، حتى تم به تلك الحلقة التاريخية الأدبية التي بدأناها .

وها نحن أولاء نقدمه إليهم إنجازاً لوعدنا ، ووفاء لحقهم علينا ، وإتماماً لعمَلنا . وسيطالعون في هذا الكتاب أشهر أيام العرب في الإسلام ، وقد صيغت حواشيها صياغة قصصية أحكمت حلقاتها ، واتصلت أجزاءها ، ولمع أبطالها .

وفي ثناها نصوص أدبية في الذروة العليا من الأدب ، قد ضبطت كلماتها ، وشرحت ألفاظها ، وعرضت وسط حوادثها .

فهذا الكتاب تاريخ مجيد ، وقصص رائع ، وأدب رفيع .

وقد يكون من الخير للأمم العربية أن يظهر فيها هذا الكتاب في هذه الآونة التي توالى فيها عليهم أحداث ، وتتابعت محن ، وخاضوا غمار حروب ، فلم يهينوا ولم يضعفوا .

وسيجدون في الأيام تاريخهم المشرق الوضّاء ، وجنودهم الأجرّاء الشجعان ،
وقوّادهم الصناديد المحنّكين .

وسيرون كيف تغلّب هؤلاء على الصماب ، وكيف فتحوا الممالك والأمصار ،
وكيف شاعت فيهم روح التضحية ، فرقموا شأن أمتهم ، وثبّتوا دعائم نهضتهم ،
وأقاموا صرح ملكهم .

لعل في هذا كله هداية ، ولعل فيه قدوة ، ولعل فيه درسا .

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب ، تقدمها لقرائنا بعد أن هذبنا فيها ، وأصلحنا ما كان قد ندد في الطبعة الأولى .

وقد زدنا فيها أياماً للعرب كانت غرّة في أيامهم ، ومثلاً بارزاً في جهادهم ، وعلماً على عروبتهم ونصرهم ، لنصل الماضي بالحاضر ، ونعرّف بمواقف العروبة في أيامها الخالية والحاضرة .

فنحن اليوم نعيش في ماضيها التليد ، وعلينا أن نحبي من أجدادنا ماخلده التاريخ من مآثر ، وما سجله من مفاخر ، ولهذا أضفنا إلى الكتاب فصولاً ، شملت أيام العرب مع الصليبيين وغيرهم ، مما تم به سلسلة الأيام الخالدة في تاريخ العرب والعروبة .

والله نسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير أمتنا العربية .

المؤلف

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من كتابنا « أيام العرب في الإسلام » ، نقدمها للقراء بعد أن أعدنا النظر فيه ، وزدنا في ضبطه ، وأكثرنا من شرح الألفاظ الغريبة .
ثم زدنا في فهارس الكتاب ليسهل الانتفاع به والرجوع إليه .
والكتاب - كما عرفه القراء - مرجع لأيام العرب ووقائعها وفتوحاتها في الإسلام ؛ وهو مكمل لصنوه « أيام العرب في الجاهلية » .
والله نسأل أن ينفع به الشادين في الأدب ، والمتعلمين إلى الوقوف على مجد العرب القديم وتراثهم المجيد .

المؤلفان

ربيع الأول ١٣٨٨ هـ (يونيو ١٩٦٨ م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - يوم بدر*

قدم رسولُ الله من غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ^(١) ، ولم يمكث بالمدينة إلا أياماً قلائل ، حتى أغار كُرُزُ بن جابر الفِهْرِيُّ على سَرَحِ^(٢) المدينة ، فخرج رسولُ الله في طلبه ، حتى بلغ سَفْوَانَ^(٣) ، وفاته كُرُزُ فلم يُدْرِكْهُ^(٤) .

ثم بعث رسولُ الله عبدَ الله بن جَعَشِ^(٥) مع رَهْطٍ من المهاجرين ، وكتب له كتاباً ، وأمره ألا يفتحه حتى يسيرَ يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يَسْتَكْرِهَ أحداً من أصحابه .

فسار عبدُ الله يومين ، وفتح الكتاب ، فإذا فيه : « إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزلَ نَخْلَةَ - بين مكة والطائف - فترصد^(٦) بها قريشاً ، وتعلمَ لنا من أخبارِهِمْ » .

فلما نظر عبدُ الله بنُ جَعَشِ في الكتاب قال : سَمِعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسولُ الله أن أمضيَ إلى نَخْلَةَ أُرصدُ بها قريشاً حتى آتِيَهُ منهم بَحْبَرٌ ؛

* سيرة ابن هشام : ٢ - ٢٣٨ ، تاريخ الطبري : ٢٦٧/٢ . وكان ذلك اليوم في السنة

الثانية من الهجرة ، وبدر : ماء مشهور ، بين مكة والمدينة بينه وبين البحر ليلة .

(١) قبل هذا اليوم غزوة ودان (قرية جامعة بين مكة والمدينة) ، وتسمى أيضاً غزوة

الأبواء ، وقد خرج فيها النبي يريد قريشاً وبني ضمرة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، ثم رجع النبي إلى المدينة ولم يلق حرباً . ثم غزوة العشيرة (بطن ينبع) ، وقد خرج لغزو قريش ، ووادع فيها بني مدلب وحلفاءهم ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً . (٢) السرح : المال السائم .

(٣) سفوان : واد من ناحية الحجاز . (٤) هذه غزوة بدر الأولى . (٥) هذه سرية

عبد الله بن جعش . (٦) رصده : ترقبه .

وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليَنطَلِقْ ، ومن كره ذلك فليَرْجِعْ ، فأما أنا فاضٍ لأمرِ رسول الله .

فمضى معه أصحابه ، لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على طريق الحجاز ، حتى إذا كان بيمض الطريق أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوانَ بغيراً لهما كأننا يَعتَقِبَانِهِ (١) ، فتخلفنا في طلبه .

ومضى عبدُ الله بن جَحْشٍ وبقيةُ أصحابه حتى نزل نخلة ، فرَّت عليه عيرٌ (٢) لقريش فيها عمرو بن الحَضْرَمِيّ .

فلما رآهم القومُ قد نزلوا قريباً منهم هابوهم ؛ وتشاور أصحابُ النبيِّ في الأمر ، وقالوا : لئن ترَكْنَا القومَ هذه الليلةَ ليدخلنَّ الحَرَمَ ، ولیمتنعنَّ به منكم ؛ ولئن قتلناهم لنقتلنَّهم في الشهر الحرام . وترددوا وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجَّعوا أنفسهم ، وأجمعوا على قتلٍ من قَدَرُوا على قتلِهِ منهم ، وأخذ ما معهم . وقتلوا عمرو بن الحَضْرَمِيّ ، وأسروا أسيرين (٣) .

وأقبل عبدُ الله بن جَحْشٍ وأصحابه بالعبير وبالأسيرين حتى قدِموا على رسولِ الله بالمدينة ؛ فلما رآهم النبيُّ قال : ما أَمَرْتُكُمْ بِقتالٍ في الشهر الحرام .

فلما سمعوا مقالة النبي سَقَطَ في أيديهم ، وظنُّوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ؛ وقالت قُرَيْشٌ : قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال . وأكثَرَ الناسُ في ذلك ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ على رسوله : ﴿ (٤) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ

(١) يمتقبانه : يتماقبانه في الزكوب واحداً فواحداً . (٢) العير : الإبل والدواب

التي كانوا يركبونها في التجارة . (٣) ما عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان .

(٤) سورة البقرة : ٢١٧ .

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ (١) وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا .

فلما أنزل الله فيهم هذا القرآن ، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف قبض رسول الله المير والأسيرين .

وبعث إليه قريش في فداء أسيريهما ، فقال الرسول : لا نؤديكموها حتى يقدم صاحبانا (٢) ، فإننا نجشأكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبَيْكم . وقدم صاحباً الرسول ، فقبل رسول الله الفداء .

ثم إن رسول الله سمع بأبي سفيان بن حرب مُقبلاً من الشام في عيرٍ عظيمة لقريش ، فيها أموالٌ وتجارة ؛ فدب (٣) المسلمين إليها ، وقال : هذه عيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها . فانتدب الناس (٤) .

وكان أبو سفيان ، حين دنأ من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان ؛ تخوفاً على أموال قريش ، حتى أصاب خبراً من بعض الناس ؛ أن محمداً قد استنفر أصحابه له ولعيره (٥) ؛ فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ؛ وبثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض له في أصحابه . فخرج ضمضم مسرعاً إلى مكة .

هذا ما كان من أبي سفيان ، أما في مكة فقد كان حديث الناس فيها يتصل

(١) أى إن قتلتهم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام . وإخراجكم منه أكبر عند الله من قتل من قتلتكم . (٢) هما سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، وهما اللذان أضلابعيرهما . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه وحته ووجهه . (٤) انتدب الناس : أجاؤوا وأسرعوا . (٥) الاستنفار : الاستنصار ، أى طلب منهم الخروج لأبي سفيان وعيره .

بالمير بسبب آخر ؛ فقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب - قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال - رؤيا أفزعتهما ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخى ؛ إني رأيت الليلة رؤيا تخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فآتكم عنى ما أحذثك به . قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح^(١) ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا لمصارعكم في ثلاث ! فأرعى الناس اجتمعوا له . ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل^(٢) به بعيره على رأس أبي قبيس^(٣) . فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٤) ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقمة^(٥) .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فآكتُميها ، ولا تذكريها لأحد . ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة - وكان صديقاً له - فذكرها له ، واستكتمه إياها ، ولكن الوليد ذكرها لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ؛ وتحدثت به قريش في أنديةها .

وغداً العباس بن عبد المطلب يطوفُ بالبيت ؛ وأبو جهل بن هشام في رهطٍ من قريش قعود يتحدثون بروياً عاتكة ، فلما رآه أبو جهل قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا .

فلما فرغ أقبل حتى جلس معهم ، فقال : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قال العباس : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة . قال : وما رأيت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ؛ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! لقد زعمت عاتكة في رؤياها أن راكباً أقبل إلى مكة فقال : انفروا في

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، وأبطح مكة : مسيل واديها . (٢) مثله : قام منتصباً (٣) أبو قبيس : جبل بمكة . (٤) ارفضت : تفتتت . (٥) فلقمة : قطعة .

ثلاث! فسنتربصُ بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض
الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت
في العرب .

فلم يكن من العباس إليه شيء ، إلا أنه جحد ذلك ، وأنكر أن تكون قد رأت
شيئاً . ثم تفرقوا . وفي المساء لم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتت العباس ،
فقلن : أقررتن لهذا الفاسق الخبيث^(١) أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء
وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! فقال : قد فعلت ، وإيم الله
لأنمرضن له ، فإن عاد لأقتصن .

وغدا العباس في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وهو منضب ، ودخل المسجد
فرأى أبا جهل ، ومشى نحوه يتمرّضه ليمودّ لبمض ما قال فيقع به ، فإذا به يخرج
نحو باب المسجد يشتد^(٢) ، فقال في نفسه : أكل هذا فرقا^(٣) مني !

ولم يكن فرعا منه ، ولكنه كان قد سمع صوتاً لم يسمعه ، ذلك صوت ضمضم
الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد حول رجليه ، وشق قميصه ،
وهو يقول : يا معشر قريش ؛ اللطيمة اللطيمة^(٤) ! أموالكم مع أبي سفيان ، قد
عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوث الغوث !

وشغل الناس بما جاء به ضمضم الغفاري ، وتجهزوا سراً ، وقالوا : أيطن محمد
وأصحابه أنها غير ابن الحضرمي^(٥) كلا ! ليعلمن غير ذلك .

وكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت^(٦) قريش ،
فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام

(١) يردن أبا جهل . (٢) يشتد : يمدو ويسرع . (٣) فرقا : خوفاً .
(٤) اللطيمة : العير تحمل المسك . (٥) هي التي خرج إليها عبد الله بن جحش في سرته كما تقدم
في هامش صفحة ٧ . (٦) أوعب القوم : خرجوا كلهم للغزو .

ابن المفيرة ، وكان قد لاط^(١) له أربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يكون عنه في هذا البعث .

ولما فرغت قريش من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة من الحرب^(٢) ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ! وكاد ذلك يئذيهم ؛ فتبدى لهم سُرَاقَةُ بن مالك - من أشرف كنانة - فقال لهم : أنا لكم جارٌّ من أن تأتِيكم كِنَانَةُ من خلفكم بشيء تكرهونه ؛ فخرجوا سِرَاعاً .

وخرج رسولُ الله في أصحابه وأمامه رايتان : إحداهما مع عليٍّ في المهاجرين ، والأخرى مع سَمَدِ بن مُعَاذٍ في الأنصار .

وكانت الإبلُ سبعةً ، فاعتقبوها^(٣) ؛ وسار النبيُّ في طريقه إلى مكة ، حتى إذا

(١) لاط ، أى ألقى به أربعة آلاف .

(٢) كان سبب الحرب التي كانت بين قريش وبين بنى بكر أن ابنا لحفص بن الأخيف القرشي خرج يبتغي ضالة له بضجنان ، وهو غلام حدث في رأسه ذؤابة ، وعليه حلة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، ومر بعامر بن يزيد بن الملوح سيد بكر ، فرآه فأعجبه ، فقال له : من أنت يا غلام؟ قال : أنا ابن لحفص بن الأخيف القرشي . وولى الغلام . فقال عامر بن يزيد : يا بنى بكر ، أما لكم في قريش دم؟ قالوا : بلى ، والله إن لنا فيها لدماء . قال : ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه . فتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم كان له في قريش .

فسكمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يا معشر قريش ، قد كانت لنا فيكم دماء ، فإن شئتم فأدوا ما لنا قبلكم ونؤدى ما لكم قبانا . وإن شئتم فإنما هي الدماء رجل برجل ، فتجافوا عما لكم قبانا وتجانى عما لنا قبلكم . فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا : صدق! رجل برجل . ولهو عنه ولم يطلبوا به .

وبينما كان أخو هذا الغلام — وهو مكرز بن حفص — يسير يمر الظهران رأى عامر بن يزيد على جبل له ، فأقبل عليه حتى أناخ به ، وعامر متوشح بسيفه ، فعلاه مكرز بالسيف حتى قتله ، ثم ناض بطنه بسيفه ، وأتى بالسيف إلى مكة ، وعلقه في أستار الكعبة . فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر . فعرفوه ، وقالوا : إن هذا سيف عامر عدا عليه مكرز بن حفص فقتله .

وبينما هم في حربهم حجز الإسلام بين الناس فتشاغلوا به ، حتى إذا أجمعت قريش المسير إلى بدر ذكروا الذي بينهم وبين بنى بكر . . .

(٣) اعتقبوها ، أى ركبوها واحداً بعد الآخر .

كان قريباً من الصفراء بمث بسبس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء الجهنين إلى بدرٍ يتحسّسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعيره .

وسار حتى نزل وادي الذفران^(١) ، وهناك أتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمدوا عيرهم ؛ فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال وأحسن . ثم قام عمرُ بن الخطاب فقال وأحسن . ثم قام المقدادُ بن عمرو فقال : يا رسول الله ؛ أمض لما أراك الله فنحنُ معك ، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٢) . ولكن أذهب أنت وربك فقاتلَا إِنَّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٣) لجالدنا^(٤) معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسولُ الله خيراً ، ودعا له . ثم قال رسولُ الله : أشيروا عليّ أيها الناس - وإنما يريد الأنصار^(٥) .

فقال سمعدُ بن مُمّاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسولَ الله ! قال : أجل . قال : قد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهداً ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسولَ الله لما أردت ، فنحنُ معك ؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحرَ لخضناه معك ، ما تخلف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إِنَّا لصُبرٌ في الحرب ، صدقٌ في اللقاء ، ولعلَّ الله يريك منا ما تقرُّ به عينك ؛ فسر بنا على بركةِ الله .

(١) الذفران : واد قرب وادي الصفراء . (٢) سورة المائدة : ٢٣ . (٣) برك الغماد : مثثة الغنم ، أو هو أقصى ممبور الأرض . (٤) جالداً : جاهداً . (٥) وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسولَ الله ، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسولُ الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا من دمه بالدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم .

فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِ سَعْدٍ ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهُ لَسَكَّاتِي الْآنَ أَنْظِرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ .
ثم ارتحل رسولُ الله من ذَفْرَانَ حتى نزل قريبا من بَدْرٍ ، وركب هو ورجل من أصحابه ، وسار حتى وقف على شيخٍ من العرب ، فسأله عن قُرَيْشٍ وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تُخبراني ممن أنتم ؟ فقال رسولُ الله : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أُوذَاكَ بِذَاكَ ! قال : نعم . قال الشيخُ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسولُ الله - وإنه بلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي به قُرَيْشٍ . فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتم ؟ فقال رسولُ الله : نحنُ من ماء . ثم انصرف عنه .

ثم رجع رسولُ الله إلى أصحابه ، فلما أمسى بعثَ عليَّ بنَ أبي طالب ، والزُّبير بنَ العوام ، وسعد بنَ أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بَدْرٍ يلتمسون الخبرَ عليه ، فأصابوا رَاوِيَةً^(١) لقريش ، فيها أسلم - غلام بنى الحجاج - وعريض أبو يسار - غلام بنى العاص بن سعيد - فأتوا بهما ، وسألوهما ، ورسولُ الله قائمٌ يصلّي ، فقالا : نحن سقاةُ قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فسكره القومُ خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما^(٢) قالوا : نحن لأبي سفيان ؛ فتركوهما . وركع رسولُ الله وسجدَ سجدةً ، ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله ، إنهما لقريش ؛ أخبراني عن قريش ؛ قالوا : هم والله وراءَ هذا الكئيب الذي ترى بالمدوَّة القُصْوَى^(٣) .

(١) الراوية : البعير أو البغل أو الحمار يستق عليه . (٢) أذلقوهما : بالغواي ضربهما وأضنوهما . (٣) عدوة الوادي : شاطئه .

فقال لهما رسول الله : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتكم ؟ قالا : لا ندرى .
قال : كم يَنْجَرُونَ كلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . فقال رسول الله :
القومُ فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمنَ فيهم من أشرفِ قريش ؟
قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وعدداً كثيراً
من رجال قريش .

فأقبل رسول الله على الناس فقال : هذه مَكَّة قد أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ^(١)
كَبِيدَها .

ومضى بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء حتى نزلا بدرا ، فأنابا
إلى تلٍّ قريب من الماء ، ثم أخذوا شناً^(٢) لهما يستقيان فيه ، فسمعا جارتين من
جوارى الحاضر^(٣) ، وهما تتلازمان^(٤) ، والملزومة تقول لصاحبتهما : إنما تأتي العيرُ
غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذى لك .
فركبا بعيرهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ، فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان بن حرب يتقدم العيرَ حذراً ، حتى ورد الماء ، فرأى
رجلاً ، فقال له : هل أحسستَ أحداً ؟ فقال : ما رأيتُ أحداً أنكرهُ ، إلا أنى
قد رأيتُ راكبين قد أنابا إلى هذا التلِّ ، ثم استقيما في شنِّ لهما ، ثم انطلقا .
فأتى أبو سفيان منأخهما^(٥) فأخذ من أعمار بعيرهما ففتته ، فإذا فيه النوى ، فقال :
هذه علائف^(٦) يثرب^(٧) . ورجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجهه عيره عن الطريق ،

(١) الأفلاذ : جمع فلذة : القطعة . (٢) الشن : القرية الخلق الصغيرة .

(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء . (٤) تتلازمان : تتماصان .

(٥) مناخهما : المكان الذى أنابا فيه بعيرهما . (٦) يريد ما يملفه أهل المدينة ولا

يرسلونه للرعى ، فهو جم علوفة . (٧) يثرب : اسم من أسماء المدينة .

فَسَاحَلَ^(١) بِهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا ، وَانْطَلَقَ مُسْرِعًا .

وَأَقْبَلَتْ قَرَيْشٌ حَتَّى نَزَلُوا الْجَحْفَةَ^(٢) ؛ وَلا أَى أَبُو سَفِيَانَ أَنَّهُ قَدْ أُخْرِزَ عَيْرَهُ
أَرْسَلَ إِلَى قَرَيْشٍ : إِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لَتَمْتَعُوا بِعَيْرِكُمْ وَرِجَالِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ،
وَقد نَجَوْنَا بِهَا ، فَارْجِعُوا .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ : وَاللَّهِ لَا نَرُجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا^(٣) ، فَتَقِيمُ عَلَيْهِ
ثَلَاثًا ، فَتَنْخَرُ الْجُزُرَ ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَنَسْقِي الخَمْرَ ، وَتَمْرُفُ عَلَيْنَا القِيَانَ ، وَتَسْمَعُ بِنَا
العَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا بِمَدَاهَا ؛ فَامْضُوا .

فَقَالَ الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ^(٤) : يَا بَنِي زُهْرَةَ ، قَدْ نَجَّى اللهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ،
وَخَلَّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ - خَرْمَةَ بْنُ نَوْفَلٍ - وَإِنَّمَا نَفَرْتُمْ لَتَمْتَعُوا بِمَالِهِ ، فَاجْعَلُوا بِي
جُبْنَهَا ، وَارْجِعُوا ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِأَنْ تَخْرُجُوا فِي غَيْرِ ضَمِيمَةٍ^(٥) ، لَا مَا يَقُولُ
هَذَا - يَمْنَى أَبُو جَهْلٍ . فَارْجِعُوا ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيُّ وَاحِدًا .

وَمَضَتْ قَرَيْشٌ حَتَّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ^(٦) القُصْوَى مِنَ الوَادِي ، وَكَانَ الوَادِي
دَهْسًا^(٧) ؛ وَبِئْسَ اللهُ السَّمَاءَ ، فَأَصَابَ رَسولَ اللهِ وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَاءٌ لَبَدَّ الأَرْضَ ،
وَلَمْ يَنْعَمَهُمْ عَنِ المَسِيرِ ، وَأَصَابَ قَرَيْشًا مِنْهَا مَاءٌ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ .

وَخَرَجَ رَسولُ اللهِ يُبَادِرُهُمْ إِلَى المَاءِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَذُنِي مَاءٌ مِنْ بَدْرِ نَزَلَ بِهِ ،
فَقَالَ الحُبَابُ بْنُ المَنْذَرِ : يَا رَسولَ اللهِ ؛ أَرَأَيْتَ هَذَا المَنْزِلَ ؟ أَمِنْ لَآ أَنْزَلَكَ اللهُ

(١) ساحل ؛ أى أن بالبحر ساحل البحر . (٢) الجحفة : موضع بين مكة والمدينة .
(٣) كان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام . (٤) كان حليفاً لبني
زُهرة ، وكان فيهم مطاعاً . (٥) الضئمة : العاش والتجارة . (٦) العدوة : الشاطئ .
(٧) الدهس : الأرض السهلة يشغل فيها المشى .

ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر ، أم هو الرأى والحربُ والمكيدةُ ! قال : بل هو الرأى والحربُ والمكيدة . قال : يارسولَ الله ، فإنَّ هذا ليس بمنزل ، فانهضْ بالناس حتى تأتيَ أذنى ماء من القوم فننزله ، ثم نُعورْ ماوراءه من القلب^(١) ، ونبني عليه حوضاً فئملوه ماء ، ثم نقاتلُ القومَ فنشرب ولا يشربون .

فقال رسولُ الله : لقد أشرتَ بالرأى . ونهضَ مَنْ معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أذنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلبِ فعمورتُ ، وبني حوضاً على القايب الذى نزل عليه فملى ماء .

ثم قال سعدُ بن معاذ : يانبيَّ الله ؛ ألا نبني لك عريشاً^(٢) تكونُ فيه ، ونمدَّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلاحقت بمن وراءنا من قومنا ؛ فقد تخلف عنك أقوام - يانبيَّ الله - ما نحن بأشدَّ لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ؛ يمدعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأئسنى عليه النبيُّ ودعاه له بخير . ثم بنى لرسول الله عريشاً فكان فيه .

ولما اطمانت قريش في مقامها بعثوا غمير بن وهب وقالوا له : احزر^(٣) لنا أصحاب محمد . فجال^(٤) بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر : ألقوم كمين أو مدد؟ فضرب في الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم وقال : ما وجدت شيئاً ، ولكنى قد رأيتُ ، يامعشر قريش ، البلاء^(٥) تحملُ المنايا ، نواضح^(٦)

(١) نعورها ، أى ندفنها ونسد عنها التى ينبع منها الماء ، والقلب : جمع قلب ؛ وهو البئر .

(٢) العريش : الخيمة ، أو البيت الذى يستظل به . (٣) الحزر : التقدير . (٤) جال : طاف .

(٥) البلاء : جمع بلية ، وهى الناقة التى أبلأها السفر . (٦) النواضح : الإبل التى يستقى

عليها ، واحدها ناضح .

يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ^(١) ، قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَاجَأٌ إِلَّا سَيُوفَهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ ؛ فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَاءَهُمْ فَاخَيْرُ الْمَيْشِ بِمَدِّ ذَلِكَ ! فَرَوَا رَأْيَكُمْ .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ مَشَى فِي النَّاسِ حَتَّى أَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؛ إِنَّكَ كَبِيرٌ قَرِيشٍ وَسَيِّدُهَا وَالْمَطَاغُ فِيهَا ، فَهَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ تُذَكِّرُ بِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ ؟ قَالَ : نَرْجِعُ بِالنَّاسِ وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِكَ عَمْرُو بْنُ الْخَضْرَمِيِّ^(٢) . قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ . أَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، إِنَّمَا هُوَ حَلِيفِي فَعَلِيَ عَقَابُهُ^(٣) وَمَا أُصِيبَ مِنْ مَالِهِ . فَأَتَى أَبَا جَهْلٍ ، فَإِنِّي أَخَشَى عَلَى أَمْرِ النَّاسِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيبًا ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشِ ؛ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ تَلْقَوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ، وَاللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُمُوهُ لَأَيِّزَالِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ ، أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجِعُوا وَخُذُوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنِ أَصَابُوهُ فَذَلِكَ الَّذِي أُرِدْتُمْ ، وَإِنِ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُمْ قَدْ سَأَلْتُمُوهُ .

وَانطَلَقَ حَكِيمٌ يَوْمَ^(٤) أَبَا جَهْلٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ نَثَلَ^(٥) دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَاحِهَا فَهُوَ يَهَيْئُهَا ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْحَكَمِ ؛ إِنَّ عُتْبَةَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا فَقَالَ : انْتَفَعِ وَاللَّهِ سَخْرَاهُ^(٦) حَسِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ! كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَمَا بِعُتْبَةَ مَأْقَالٍ ، وَلَسَكُنَّه قَدْ رَأَى أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَاةُ جَزُورٍ^(٧) وَفِيهِمْ ابْنُهُ ، فَتَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ .

(١) موت دائم . (٢) هو الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش .

(٣) العقل : الدية . (٤) يوم : يقصد . (٥) نثل درعا : ألقاها عنه ، وأخرجها

(٦) السخر : الرنة وما حولها ، وهو كناية عن شدة الخوف وتمكن الفرع .

(٧) أى تددم بال .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت كما أرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك^(١) ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فصرخ : واعمرأه ! فحميت الحرب ، وحقب^(٢) أمرُ الناس ، واستوسقوا^(٣) على مام عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سحره - قال : سيمعلم من انتفخ سحره ، أنا أم هو !

ثم خرج الأسود بن عبد الأسد الخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمته ، أو لأموتنّ دونه .

ولما رآه المسلمون خرج إليه حمزة بن عبد المطاب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأتى^(٤) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٥) رجله دماً ؛ ثم جبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يبير^(٦) يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بدمه عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه ، وابنه الوليد ، حتى إذا فصل^(٧) من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قال : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناد : يا محمد ؛ أخرج إلينا أ كفاءنا من قومنا . فقال رسول الله : قم يا عبدة بن الحارث ، قم يا علي .

(١) خفرتك ، أي عهدك . (٢) حقب أمر الناس : اشتد . (٣) استوسقوا : اجتمعوا .

(٤) أطن قدمه : قطعها . (٥) تشخب : تسيل . (٦) أبر يمينه : أمضاها على الصدق .

(٧) فصل من الصف : خرج منه .

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قال عُبيدة : أنا عُبيدة . وقال حمزة :
أنا حَمْزَة . وقال عليّ : أنا عليّ . فقالوا : نعم ، أَكْفَأُ كِرَام .
وبارز عُبيدة - وكان أسنّ القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبَةَ بن ربيعة ،
وبارز عليّ الوليد بن عتبة .

فأما حمزة فلم يمهّل شيبَةَ أَنْ قتله ، وأما عليّ فلم يمهّل الوليد أَنْ قتله ، واختلف
عبيدة وعُتْبَة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت^(١) صاحبه . وكرّ حمزة وعليّ بأسيا فهما
على عُتْبَة ، فذَفَقَا^(٢) عايه ، واحتملا صاحبهما عُبيدة فجاءا به إلى أصحابه ، وقد
قُطِعَت رِجْلُهُ ، فرخها يسيل ، فلما أتوا به رسول الله قال : أَلَسْتُ شَهِيدًا يارسول الله ؟
قال : بلى .

ثم تراحف الناسُ ، ودنا بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله أصحابه ألا يحملوا
حتى يأمرهم ، وقال : إِنْ أَكْتَنَفَكُمُ^(٣) الْقَوْمُ فَأَنْضِحُوهُمْ^(٤) عَنْكُمْ بِالنَّبِيلِ^(٥) .
وخرج رسول الله يُعَدِّلُ صفوفَ أصحابه ، وفي يده قِدْحٌ^(٦) يُعَدِّلُ به القوم ،
فَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةٍ ، وهو مستنزل^(٧) من الصفِّ ، فطعن في بطنه بالقِدْحِ ، وقال :
اسْتَوِ يَسْوَادَ . فقال : يارسول الله ، أَوْجَعْتَنِي ، وقد بمثك الله بالحقِّ والمَدْلِ ،
فَأَقِدْنِي^(٨) . فنكشف رسول الله عن بطنه وقال : اسْتَقِدْ . فاعتنق سواد رسول الله
وقبّل بطنه . فقال النبيّ : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يارسول الله ،
حَضَرَ مَا تَرَى ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْمَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ . فدعا له
الرسولُ بخير .

(١) أثبت صاحبه : أى عرفه . (٢) ذفف على الجريح : أجهز عليه .
(٣) اكنفكم القوم : أحاطوا بكم . (٤) انضحوهم : ادفعوهم . (٥) النبيل : السهام .
(٦) القدح : العود . (٧) مستنزل : متقدم . (٨) أقدنى : اقتبس لى من نفسك .

ثم عدل رسول الله الصفوف ، ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ، وأخذ رسول الله يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد . وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بمض مناشدتك ربك ؛ فإن الله منجز لك ما وعدهك .

وخفق رسول الله خفقة^(١) ، وهو في العريش ، ثم انتبته فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله . هذا جبريل أخذ بعنان^(٢) فرس يقوده على ثنايا النقع^(٣) . ثم خرج رسول الله إلى الناس فخرّضهم وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

فقال عمير بن الحمام - وفي يده تمرات يأكلهن : بخ ، بخ^(٤) ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

ثم أخذ رسول الله خفنة^(٥) من الحصباء^(٥) فاستقبل بها قريشا ، وقال : شأهت^(٦) الوجوه ! ثم نفحهم^(٧) بها ؛ وأمر أصحابه أن يشدوا عليهم ، فكانت الهزيمة ، وقتل من قتل من صناديد^(٨) قريش ، وأسرى من أسرى من أشرفهم .

ووضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله في العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحا بالسيف في نفر من الأنصار يجرسونه ، ويخافون عليه ككرة العدو .

ورأى رسول الله الكراهة في وجه سعد بن معاذ لِمَا يَصْنَعُ الناس ، فقال له :

(١) خفق : حرك رأسه إذا نَس . (٢) عنان : زمام . (٣) النقع : الغبار .

(٤) بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء ، أو الفخر والمدح . (٥) الحصباء : الحصى

(٦) شأهت : قبحت . (٧) نفحهم : رماهم . (٨) الصناديد : السيد الشجاع .

والله لكأنك يا سعدُ تَكْبَرُهُ ما يَصْنَعُ القوم ! قال : أجلُ يا رسولَ الله !
كانت أولَ وقعةٍ أوقعها الله بأهل الشركِ ، فكان الإِثْنانُ^(١) في القتل أحبَّ إلى
من استبقاء الرجال .

ثم قال النبي لأصحابه : إني قد عرَفْتُ أن رجلا من بني هاشم وغيرهم قد
أخرجوا كرها لا حاجة لهم بِقِتالنا ، فن آقبي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ،
ومن آقبي أبا البَخْتري^(٢) بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب
فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مُسْتَكْرَها .

فقال أبو حذيفة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا وترك العباس !
والله لئن آقيتُه لأَحْمِنُه^(٣) السَّيْفَ . فبانت رسول الله مقاتله ، فقال لعمر بن
الخطاب : يا أبا حنيفة ؛ أَيضْرَبُ وجهُ عمِّ رسول الله بالسيف ! فقال عمر :
يا رسول الله ، دَعْنِي أضربُ عنق أبي حذيفة ، فوالله لقد نافق . فكان أبو حذيفة
يقول : ما أنا بأمنٍ من تلك الكلمة التي قُذتْ يومئذ ، ولا أزالُ منها خائفا إلا أن
تَكْهَرَّها عني الشهادة^(٤) .

ورأى أمية بن خلف عبد الرحمن بن عوف ، ومعه أدرعٌ له قد استلبها ،
فقال له : هل لك في أن تأبِرَني ؟ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدرع التي معك !
فطرح الأدرع من يده ، وأخذ بيده ويد ابنه ومشى بهما .

وسار عبدُ الرحمن بن عوف بين أمية وبين ابنه ، فقال له أمية : من منكم المُسلمُ

(١) اثنان في العدو : بالغ الجراحة فيهم ، وأثنان في الأرض قتلا : إذا أكثره .

(٢) إنما نهى الرسول عن قتل أبي البخري لأنه كان أكرم الناس عن رسول الله وهو
بني هاشم ، وكان لا يؤذيه ، ولا يباغ منه شيء يكرهه ، وكان ممن قام بنقض الصحيفة التي كتبت على

بني هاشم وبني المطلب . (٣) ألمحتك عرض فلان : إذا أمكنتك منه تشتمه . وألمته سبني :
مكنته منه . (٤) قتل يوم اليمامة شهيدا .

بريشة نعامة في صدره ؟ قال : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل !

ورآه بلال^(١) ، وهو يفودها ، فقال : رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجأ ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا بلال ؛ إنه أسيرى . قال بلال : لا نجوت إن نجأ . قال عبد الرحمن : أسمع يا ابن السوداء ! قال : لا نجوت إن نجأ . ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ؛ رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجأ ! فأحاطوا بهم ، حتى جعلوهم في مثل المسكة^(٢) ، وعبد الرحمن يذبُّ عنه .

فضرب رجلُ ابن أمية فخرَّ صريماً ، وصاح أمية صيحةً شديدة ، فقال له عبد الرحمن : انجُ بنفسك ولا نجأ ! فوالله ما أغنى عنك شيئاً ؛ فهبرُوها^(٣) بأسيا فهم حتى فرغوا منها^(٤) .

ولما فرغ رسولُ الله من عدوِّه أمر أن يلتمس أبو جهل في القتلى ، وقال : انظروا - إن خفيَ عليكم في القتلى - إلى أثر جرح في ركبته ، فأبى ازدحت يوماً أنا وهو على مأذبة لعبد الله بن جدعان ، ونحنُ غلامان ، وكنتُ أشف^(٥) منه يبسيرٍ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فججش^(٦) في إحداها جحشاً لم يزل أثره به .

ومرَّ عبد الله بن مسعود فوجده بأخر رمقٍ فعرفه ، فوضع رجله على عنقه ، وقال له : هل أخزأك الله يا عدوَّ الله ! قال : وبماذا أخزأني ؟ أعمد^(٧) من رجلٍ قتلتموه ! أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : لله ولرسوله . ثم قال له : لقد ارتقيت

(١) كان أمية يضرب بلالاً بمكة ليرك الإسلام .

(٢) المسكة : السوار والخال . (٣) هبروها : قطعوا لحمها . (٤) كان عبد الرحمن

يقول : يرحم الله بلالاً ، ذهبت أذراعي ، ولغمني بأسيرى .

(٥) أشف منه : أكبر منه . (٦) ججش : خدش . (٧) أعمد : أجبب .

مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْمِيَّ الْغَنَمِ ! ثُمَّ احْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَالَ : هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْقَتْلِ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلْبِ ، فَأُلْقُوا فِيهِ ، وَلَمَّا سُحِبَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ إِلَى الْقَلْبِ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ فِي وَجْهِ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ عَتْبَةَ فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَذِيفَةَ ؛ لِمَ لَمْ تَدْخُلْ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا شَكَّكَ فِي أَبِي وَلَا فِي مِصْرَعِهِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ أَحْزَنَنِي ذَلِكَ . فَدَعَا لَهُ الرَّسُولُ بِخَيْرٍ .

وَلَمَّا صَارَ الْقَتْلُ فِي الْقَلْبِ وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَعْطِيمُونَ أَنْ يُجِيبُونِي . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ؛ بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ! كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقْتُمُو النَّاسَ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَّانِي النَّاسَ ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرْتُمُو النَّاسَ .

ثُمَّ أَمَرَ الرَّسُولُ بِجَمْعِ مَا فِي الْعَسْكَرِ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ ، فَقَالَ مَنْ جَمَعُوهُ : هُوَ لَنَا . وَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يِقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ وَيَطْلُبُونَهُ : نَحْنُ شَغَلْنَا عَنْكُمْ الْعَدُوَّ حَتَّى أَصَبْتُمُوهُ . وَقَالَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ : وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقُّ بِهِ مِنَّا ، لَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَقْتَلَ الْعَدُوَّ إِذْ مَنَحَنَا اللَّهُ أَكْتَفَهُمْ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ

المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكننا خِفْنَا على رسولِ الله كَرَّةَ العَدُوِّ فقمْنَا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منا ! .

ولكنَّ رسولَ الله أمرَ الناسَ أن يَرُدُّوا ما بأيديهم من النَّفْلِ (١) ؛ ثم بعث من يبشِّرُ أهلَ المدينة بما فتح الله عليه وعلى المسلمين .

وسارَ قَافِلًا إلى المدينة ، ومعه الأسارى من المشركين ، والنَّفْلُ الذي جمعه حتى إذا كان ببعض الطريق (٢) قَسَمَ النَّفْلَ على المسلمين على السواء .

ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء (٣) لقيَه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه وعلى مَنْ معه من المسلمين ، فقال لهم سلامة بن سلامة : ما الذي تهنئونا به ! فوالله إن لقينا إلا عجائز صلماً كالبدن (٤) المقلَّة فنحزناها ، فتبسم رسول الله ، ثم قال : يا ابنَ أخي ، أولئك الملاء (٥) .

ثم مضى رسول الله حتى قدم المدينة قبل الأسرى بيوم .

ولما جئ بالأسرى فرَّقهم رسول الله بين أصحابه ، وقال : استَوْصُوا بالأسارى خيراً .

وجمع أصحابه ثم قال : ماتقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأن بهم (٦) ، لعلَّ الله أن يتوبَ عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ؛ كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم واضرب أعناقهم : وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ : يا رسول الله ؛ انظر وادياً كثيراً الحطاب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . فقال له العباس : قطعمتك رحمتك ! وسكت رسولُ الله فلم يُجبههم ، ثم دخل .

(١) النفل : الضيعة . (٢) نزل النبي بمضيق الصفراء على كتيب قسم فيه النفل .

(٣) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة . (٤) البدن : جمع بدنة ، والبدنة من الإبل والبقر ، كالأضيحة من النعم تهدي إلى مكة ، تطلق على الذكر والأنثى .

(٥) الملاء : الأشراف . (٦) استأنى به : انتظر وتربس ولم يعجل .

فقال ناس : يأخذُ بقولِ أبي بكر . وقال ناس : يأخذُ بقولِ عمر . وقال ناس : يأخذُ بقول عبد الله بن رَوَاحَةَ . ثم خرج عليهم رسول الله فقال : إن الله عزّ وجلّ ليلينُ قلوبَ رجالٍ فيه ، حتى تكونَ ألينَ من اللبن ، وإن الله ليشدّد قلوبَ رجالٍ فيه حتى تكونَ أشدّ من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثلُ إبراهيم قال : ﴿ فَعَن تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ومثلك مثلُ عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تَعَدَّ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . ومثلك يا عمر مثلُ نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرُنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(١) . ومثلك كمثله موسى ، قال : ربنا اطمس^(٢) على أموالهم ، واشدّد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . ثم قال : أنتم اليوم آالة^(٣) فلا يُفَلِّتَنَّ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ . فلما كان الغدُ غدا عمّر على النبيّ وهو قاعد مع أبي بكر ، وإذا هما يبكيان ، فقال : يا رسول الله ؛ أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيت ، وإن لم أجد تباكيتُ^(٤) لبكائك . فقال رسول الله : نبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء ، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ؛ وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُبْخِنَ^(٥) فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾^(٦) .

وكان أول من قدم مكة بعد بدر الحيسمّان الخزاعيّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ فلان وفلان ؛ وجعل يُعدّدُ أشرافَ قريش ، فقال صفوان بن أمية : والله ما يَمُتُّ قَلَّ هذا . قال : والله قد رأيتُ أباك وأخاك حين قُتِلَا .

(١) دياراً : أحداً . (٢) أهلكتما . (٣) عالة : تتكفل بكم . (٤) التباكي : تكلف البكاء . (٥) يبخن : حتى يبلغ في قتل أعدائه . (٦) سورة الأنفال ، آية ٦٧ .

ثم أقبل من بعده أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال له أبو لهب :
 هلمَّ إليّ ، فمعدك - لعمري - الخبر . فجلس إليه . والناسُ قيامٌ عاياه ، فقال له :
 يا ابن أخي ؛ أخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ
 فنحنهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا . وإني والله
 ما أمتُ الناس ، لقد لقينا رجلاً بيضاً على خيلٍ بلقٍ بين السماء والأرض ،
 والله ما تليقُ شيئاً^(١) ، ولا يقومُ لها شيء .

وناحت قريشٌ على قتلاها ، ثم قالوا : لاتفعلوا؛ فيبلغ محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم،
 ولا تبعثوا في أسراكم حتى لا يشتدوا في الفداء .

وكان الأسودُ بنُ المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده^(٢) ، وكان يحب أن يبكي
 على بنيهِ ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لئلامٍ له وقد ذهب
 بصره : انظر ، هل أحلَّ النحيبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلني أبكي ،
 فإن جوفى قد احترق ! فلما رجع إليه اللئامُ قال : إنما هي امرأةٌ تبكي على أمير لها
 أضلته ، فقال :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بِمِيرٌ	ويعنُّها من النوم السهودُ !
فلا تبكي على بكرٍ ولكن	على بدْرِ تقاصرت الجدود ^(٣)
على بدْرِ سِراةِ بنِي هُصَيْيص	ومخزومٍ ورهط أبي الوليد
وبكِّي إن بكيتِ على عقيل	وبكِّي حارثاً أسدَ الأسود
وبكِّيهم ولا تسمي جميعاً	وما لأبي حليمة من نديد ^(٤)
ألا قد ساد بهمهم رجال	ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا ^(٥)

(١) ما تليق شيئاً : ما تمسك أو ما تبق شيئاً . (٢) زمعة ، وعقيل ، والحارث بن زمعة .
 (٣) البكر : الفتى من الإبل . (٤) لا تسمى : لا تسمى والنديد : الشبيه والمثيل .
 (٥) في البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .

ثم بعثت قريش في فداء الأسرى ، فقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو ، وقاوا لهم فيه ، فلما انتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثَمَانٍ سَبَابًا فَتَى يَنَالُ الصَّمِيمَ غَرْمُهَا لَا الْمَوَالِيَا^(١)
رَهْنَتُ يَدِي ، وَالْمَالُ أُيْسَرُ مِنْ يَدِي عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْخَازِيَا
وَقَلْتُ : سَهِيلٌ خَيْرُنَا فَذَهَبُوا بِهِ لِأَبْنَانِنَا حَتَّى نُدِيرَ الْأَمَانِيَا

وبعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بن الربيع^(٢) بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين ينس علىها ، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوها لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وكان أبو عزة الجمحي رجلاً محتاجاً ، فقال : يا رسول الله ؛ لقد عرفت ما لي من مال ، وإني أذو حاجة وعيال ، فامنن علي ، فن عليه الرسول ، وأخذ عليه ألا يظهر^(٣) عليه أحداً .

وكان فداء الشركين يومئذ نحو أربعة آلاف درهم ، إلا من لا مال له ، فقد من عليهم النبي صلى الله عليه وسلم .

وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية ، وتذكرا قتلى بدر ، فقال صفوان : والله ما في العيش بدمهم خير . فقال له عمير : صدقت والله ! أما والله

(١) الأذواد : جمع ذود ، وهو من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر . الصميم : الخالص النسب .

(٢) كان زوجها ، وكانت خديجة خالته . (٣) لا يظهر : لا يمين عليه أحداً .

لولا دَيْنٌ عَلَى لَيْسَ عِنْدِي لَهُ قَضَاءٌ ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْمَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ ؛ فَإِنَّ لِي قَبْلَهُمْ عِلَّةٌ : ابْنِي أُسَيْرٌ فِي أَيْدِيهِمْ .

فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانٌ ، وَقَالَ لَهُ : عَلَى دَيْنِكَ ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ مَا بَقُوا . قَالَ عُمَيْرٌ : فَاكْتُمُوا شَأْنِي وَشَأْنَكَ . قَالَ : أَفْعَلُ .
ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشَجِدَ لَهُ وَسُمِّ ، وَانْطَلَقَ حَتَّى قَدَّمَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

فَبَيْنَمَا عُمَيْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَيَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، إِذْ نَظَرَ عُمَيْرٌ فَرَأَى عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ حِينَ أَنَاخَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مَتَوَشِّحًا السَّيْفَ ، فَقَالَ : هَذَا السُّكْبُ عَدُوُّ اللَّهِ ، مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؛ هَذَا عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَدْ جَاءَ مَتَوَشِّحًا سَيْفَهُ . قَالَ : فَأَدْخَلَهُ عَلَى . فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ^(١) سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ ، فَلَبَّاهُ^(٢) بِهَا ، وَقَالَ لِرَجَالٍ مِمَّنْ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ : ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ ، وَاحذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ .

وَدَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : أَرْسَلَهُ يَا عُمَيْرُ ، أَذْنُ يَا عُمَيْرُ ؛ فَدَنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَاحْسِنُوا فِيهِ . قَالَ : فَمَا بِالْسَيْفِ فِي عُنُقِكَ ؟ قَالَ : قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ ، وَهَلْ أَعْنَتُ عَنَّا شَيْئًا ؟ قَالَ : اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ ؟ قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ . قَالَ : بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحَجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ قُلْتَ : لَوْلَا دَيْنٌ عَلَى وَعِيَالٌ عِنْدِي لَجَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا ، فَتَحَمَّلَ لَكَ

(١) حمالة السيف : ما يعلق به .

(٢) لَبَّاهُ : جعلها في عنقه وجره بها .

صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ ذَلِكَ .

قال مُعَمَّرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ؛ قَدْ كُنَّا نَكْذِبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ
مِنْ خَيْبِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَخْضُرْهُ إِلَّا أَنَا
وَصَفْوَانُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ
وَسَاقَى هَذَا الْمَسَاقِ .

فقال رسول الله : فَتَمُّوا أَلْخَاكِمَ فِي دِينِهِ ، وَأَقْرَبُوا الْقُرْآنَ ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ .
ففعَلُوا ثُمَّ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ ، شَدِيدًا الْأَذَى
لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، وَالْآنَ أَحَبُّ أَنْ تَأْذِنَ لِي فَأَقْدِمَ إِلَى مَكَّةَ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ ، وَإِلَّا آذَيْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ
كَأَنَّكَ كُنْتَ أَوْزَى أَصْحَابِكَ فِي دِينِهِمْ . فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فَالْحَقَّ بِمَكَّةَ ، وَلَمَّا قَابَلَهُ
صَفْوَانُ حَلَفَ أَلَّا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا ، ثُمَّ أَقَامَ بِمَكَّةَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُؤْذِي
مَنْ خَالَفَهُ أَذَى شَدِيدًا ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ (١) .

(١) لما اتقضى أمر بدر أنزل الله سورة الأنفال بأسرها . وارجع إلى ابن هشام : ٢-٢٦٨

٢ - يوم أُحُد (*)

لما أُصِيبَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١) ، وَرَجِعَ فَلَهُمْ ^(٢) إِلَى مَكَّةَ ، وَعَادَ أَبُو سَفِيَانَ بِعَيْرِهِ ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَتُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَمُوا أَبَا سَفِيَانَ وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْعَيْرِ تِجَارَةٌ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَكُمْ ^(٣) ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، فَلَعَلَّنَا نُنْذِرُكُمْ مِنْهُ تَأْرَانَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا ، ففَعَلُوا ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ .

وَبَعَثَتْ قُرَيْشُ الشُّعْرَاءَ لِيُنْذِرُوا قَبَائِلَ الْعَرَبِ وَيَجْمَعُوهُمْ حَوْلَهُمْ ، وَأَغْرَوْهُمْ بِالْمَالِ مَرَّةً ، وَمَنَّوْهُمْ الْأَمَانِيَّ مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَهَذَا أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ كَانَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةً ، وَكَانَ فِي الْأَسَارِيِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٌ قَدْ عَرَفْتُهَا ، فَاْمُنْ عَلَيَّ . فَمَنَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ . هَذَا أَبُو عَزَّةَ يَقُولُ لَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : يَا أَبَا عَزَّةَ ، إِنَّكَ أَمْرٌ شَاعِرٌ فَاعْنِنَّا بِلِسَانِكَ ، وَأَخْرِجْ مَعْنَا ، فَقَالَ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَيَّ ، فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَظَاهِرَ ^(٤)

* سيرة ابن هشام : ٣ - ٣ ، تاريخ الطبري : ٣ - ٩ ، وكان هذا اليوم في السنة الثالثة من الهجرة . وأحد : جبل تلقاء المدينة .

(١) بعد غزوة بدر لم يقم رسول الله بالمدينة إلا سبع ليالٍ ، ثم غزا بني سليم ، فبلغ ماء من مياههم يقال له « الكدر » فأقام عليه ثلاثاً ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً . ثم كانت غزوة السويق - وكان أبو سفيان قد نذر حين رجع من مكة أن لا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً - فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه ، ولكنه لم يلتق بالمسلمين في حرب ، إذ خرج النبي في طلبهم فقاتلوه . (٢) فلهم : المنهزمون منهم . (٣) وتركهم : جعل لكم عنده تأراً . (٤) أظاهر : أعين وأساعد .

عليه . قال : فأعيناً بنفسك ، فلكَ علىَّ إن رجعتَ أن أعينَكَ ، وإن أُصِبتَ أن أجعلَ
بناتِكَ مع بناتي ، يُصِيبهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ ويُسرٍ . نخرج أبو عزة يسيراً في
تهامة ، ويدعو بني كِنانة ويقول :

أيا بني عبدِ مَناةَ^(١) الرِّزَامِ^(٢) أتمُّ حُمَاةً وأبوكمُ حَامٌ
لا تَعِدُونِي نَصْرَكمُ بمدِّ العمامِ لا تُسَلِّمُونِي لا يحِلُّ إسلام

وخرج مُسافع بن عبد مناف إلى بني مالك بن كِنانة يحرِّضهم ويدعوهم إلى حَرْبِ
رسولِ الله ، فقال نحو ما قاله أبو عزة ، ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلاماً له حبشياً ، يقال له
وَحْشِيٌّ يقذف بِحَرْبَةٍ له قَذْفَ الحبشة ، قَلَمًا يُخِطِي بها ، فقال له : اخرج مع
الناس ، فإن أنتَ قتلتَ حَمْرَةَ بعمى^(٣) فأنتَ عَتِيق .

وخرجت قُرَيْشٌ ، بأحَابِيشها^(٤) ، ومن تبعها من بني كِنانة وأهل تهامة ،
وخرجوا معهم بِالظَّنِّ^(٥) التماسَ الحفيظةِ ولثلا يفرُّوا .

وخرج أبو سفيان بن حَرْبٍ - وهو قائدُ الناس - بهند بنت عتبة ، وخرج
عِكْرِمَةُ بن أبي جهل بأمِّ حكيم بنت الحارث ، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت
- الوليد ، وكذلك غيرهم .

وأقبلوا جميعاً حتى نزلوا بعمينين^(٦) في جبل ببطن السبخة على شفير^(٧) الوادي
مما يلي المدينة .

فلما سمع بهم رسولُ الله المسلمون ، وعرفوا أنهم نزلوا حيث نزلوا قال النبيُّ
للمسلمين : إني رأيتُ والله خيراً ، رأيتُ بقرأً تُذْبِحُ ، ورأيتُ في ذُبابِ سفي

(١) في اللسان : بني عبد مناف . (٢) الرزام : جمع رازم : من رزم الرجل على قرنه إذا
برك عليه . (٣) كان عمه طعيمة قتل يوم بدر .
(٤) الأحابيش : هم القبائل الذين حالفوا قريشاً وهم تحت جبل يسمى حبشياً ، فسموا بذلك .
(٥) الظنن : جمع ظمينة وهي المرأة ما دامت في الهودج . (٦) عمينين - بكسر العين
وفتحها : جبل بأحد . (٧) شفير : ناحية .

ثَلَمَا^(١). وَرَأَيْتُ أَنِي أَدَخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ ؛ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ^(٢) ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاكُمْ فِيهَا .

فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا لَا يَرَوْنَ أَنَا جَبِينًا عَنْهُمْ وَضَعْفَنَا . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَرِمُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطًّا إِلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَدُوٌّ إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ . فَدَعَاهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْسِسٍ ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ ؛ وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا .

وَلَكِنْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ - مِمَّنْ أَحْبَبُوا لِقَاءَ قُرَيْشٍ - مَازَالُوا بِرَسُولِ اللَّهِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، فَلَيْسَ لِأُمَّتِهِ^(٣) ، ثُمَّ خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَدْ لَبَسَ السَّلَاحَ نَدَمُوا ، وَقَالُوا : بَيْتَسَ مَا صَنَعْتُمْ نَا ! اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا ، أَنْشِيرْ عَلَى النَّبِيِّ وَالْوَحْيُ يَا بَيْتِي !

وَقَامُوا فَاعْتَدَرُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا : اصْفَعْ مَا رَأَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتَلَ .

وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَخَرَجَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّوْطِ - بَيْنَ أَحُدٍ وَالْمَدِينَةِ - انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَثْثِ النَّاسِ وَقَالَ : أَطَاعَهُمْ نَخْرَجَ وَعَصَانِي ، وَاللَّهِ مَا نَدَّرِي عَسَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ !

(١) ذباب السيف : حده أو طرفه . ثلم السيف : كسر حرفه . (٢) حدث بعضهم أن رسول الله قال : فأما البقر فناس من أصحاب يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيني فهو رجل من أهل بيتي يقتل . (٣) الأمة : الدرع .

وَاتَّبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ: يَا قَوْمَ! أَذْكَرُكُمْ اللَّهَ! لَا تَتَّخِذُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيِّكُمْ! قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنْكُمْ تُقَاتِلُونَ مَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ، فَلَمَّا اسْتَمَعَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنصِرَافَ قَالَ لَهُمْ: أَبَعَدَ كَمْ اللَّهُ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! فَسَيُنْفِئِنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ.

وَلَمْ يَبْنِ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَارُوا نَحْوَهُ هَدَفَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ^(١)، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَنَفَذَ بِهِمْ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ^(٢) وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمَرْبَعِ بْنِ قَيْظَى - وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرًا - فَلَمَّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ يَحْشِي^(٣) التُّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخَلَ حَائِطِي^(٤)، ثُمَّ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا أَحَدًا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ؛ فَابْتَدَرَهُ^(٥) الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَفْعَلُوا؛ فَبَدَأَ الْأَعْمَى الْأَعْمَى الْقَلْبَ أَعْمَى الْبَصَرَ.

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبُ^(٦) مِنْ أُحُدٍ، فِي عُدْوَةِ^(٧) الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُدٍ، وَقَالَ: لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى تَأْمُرَهُ بِقِتَالٍ. وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ عَلَى الرَّمَّةِ، وَقَالَ لَهُ: انْضَحِ^(٨) الْحَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، وَإِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاتَّبَعْتُ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتِيَنَّ مِنْ

(١) كَثَبٌ: قَرْبٌ. (٢) الْحَرَّةُ: أَرْضُ ذَاتِ حِجَارَةٍ نَخْرَةٌ سَوْدٌ. (٣) حَشَى التُّرَابَ يَحْشُوهُ، وَيَحْشِيهِ: رَمَاهُ. (٤) الْحَائِطُ: الْبَسْتَانُ. (٥) ابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ: مَجَلُّوْا لَهُ وَأَسْرَعُوا. (٦) الشَّعْبُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ. (٧) عُدْوَةُ الْوَادِي: شَاطِئُهُ، وَهِيَ مِثْلَةُ الْعَيْنِ. (٨) انْضَحِ الْحَيْلَ بِالنَّبْلِ: رَمَاهَا لِيَدَامَهَا وَيَبْعِدَهَا.

قَبْلِكَ . وظاهر رسول الله بين درعين ، ودفع اللواء إلى مُصعب بن عمير .
 أما قريش فقد عَبَّأت^(١) ثلاثة آلاف رجل ، معهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها^(٢) ،
 وجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرة عكرمة بن أبي جهل .
 وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار ، يُحَرِّضُهُمْ على القتال :
 يا بني عبد الدار ؛ إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنما يؤتى
 الناس من قبل رأياتهم ، إذا زالت زأوا ، فإمّا أن تكفونا لواءنا ، وإمّا أن تخلوا
 بيننا وبينه . فهموا به وتواندوه ، وقالوا : نحن نُسَلِّمُ إليك لواءنا استعلم غداً إذا
 التقينا كيف نصنع !

والتقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ؛ فقامت هند بنت عتبة في النسوة
 اللاتي معها ، وأخذن الدُّفوفَ يضررن بها خلف الرجال يحرضنهم ، فقالت هند :
 وبها^(٣) بنى عبد الدارَ وبها حُماة الأذبار !
 * ضَرْباً بكلِّ بَتَّارٍ^(٤) *

إِنْ تُقْبَلُوا نِعَانِقُ وَنُقْرَشُ النَّمَارِقِ^(٥)
 أَوْ تُدْبِرُوا نِفَارِقُ فِرَاقٍ غَيْرِ وَامِقِ^(٦)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَأْخُذُ سَيْفِي هَذَا بِحَقِّهِ ؟ فقام إليه رجالٌ
 فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ^(٧) فقال : وما حَقُّهُ يا رسول الله ؟
 قال : أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْجِنِي . قال : أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ . فأعطاه إياه . فلما
 أخذه من يد رسول الله أخرج عصا بته الحمراء فعصّب بها رأسه ، وخرج وهو يقول :

(١) عبأ الجيش : جهزه وهياه ورتبه للحرب . (٢) جنبوا الخيل : سيروها بجانبهم حتى
 إذا فتر المركوب تحولوا إلى الجنوب . (٣) إغراء . (٤) البتار : السيف القاطع .
 (٥) النمارق : جمع نمرقة ، والنمرقة : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرجل .
 (٦) وامق : محب . (٧) هو سماك بن خرشة .

إِنِّي أَمْرٌ عَاهَدَنِي خَلِيلِي أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الكَيْوَلِ^(١)
أَضْرِبُ^(٢) بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ ضَرْبَ غُلَامٍ مَاجِدٍ مُبْهَلُولِ^(٣)

ثم جعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله حين رآه : إنها لمشيئة
يُبْنِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ . وجعل أبو دُجَانَةَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ،
حتى انتهى إلى نِسْوَةٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ، مَمَهِنٌ دُفُوفَ لَهْنٍ ، وَفِيهِنَّ امْرَأَةٌ تَقُولُ :
نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تَقْبَلُوا نَفَارِقُ

.....

فرفع السيفَ ليضربها ، ثم كفَّ عنها ؛ لأنه أكرم سيفَ رسول الله أن
يضربَ به امرأة .

وَنظَرَ وَخَشِيَ غُلَامَ جُبَيْرِ بْنِ مُطَّهِمٍ إِلَى حَمْرَةَ يَهْدِي النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُبْقَى عَلَى
شَيْءٍ ، فَهَزَّتْ حَرْبَتَهُ ، وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَّ صَرِيحًا .

وَقَاتَلَ مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ حَتَّى قُتِلَ ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ،
فَقَاتَلَ بِهِ ، وَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَصَدَقَهُمْ وَعَدَهُ ؛ فَهَزَمُوا
الْمَشْرِكِينَ ؛ وَحَسَّوْهُمْ^(٤) بِالسِّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ ، وَأَصَابُوا أَصْحَابَ
اللِّوَاءِ^(٥) .

ولما هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَرَأَى الَّذِينَ كَانُوا مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَبَلِ ، قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَلُمُّوا فَأَدْرِكُوا الْغَنِيمَةَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنَا إِلَيْهَا أَحَدٌ ! وَتَرَكَوْا أَمَا كُنْهُمْ ،
فَخَلَّوْا ظَهْرَ الْمُسْلِمِينَ لِلْخَيْلِ ،

(١) الكيول : مؤخر الصفوف . (٢) قال في اللسان : « سكنت الباء في أضرب لكثرة
المركبات » ، وارجع إلى الفائق ٢-٤٣٩ . (٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير .
(٤) حسوهم : قتلوهم قتلا ذريعا مستأصلا . (٥) لم يزل لواء المشركين صريحا حتى أخذته
عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعتهم اقريش فاجتمعوا حوله ، وفي ذلك قال حسان :
فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بين الجلائب

وَأَتَى الْمَسْلُومُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ ، فَانْكَشَفُوا وَأَصَابَ مِنْهُمْ الْمُشْرِكُونَ . وَصَرَخَ صَارِخٌ يَقُولُ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ؛ فَانْكَفَأَ الْمَسْلُومُونَ ، وَانْكَفَأَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ (١) ، وَخَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَدُثَّ (٢) بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشَقِّهِ ؛ فَأُصِيبَتْ رَبَاعِيَّتُهُ (٣) ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَكُلِمَتْ شَفَتُهُ (٤) ، وَجَمَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَصَارَ يَمَسُخُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ (٥) !

وَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنَ حَلَقِ الْمَغْفَرِ (٦) فِي وَجْدَتَيْهِ ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ ، وَغَشِيَهُ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي (٧) لِنَفْسِهِ ؟ فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفْرِ خَمْسَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ رَجُلًا رَجُلًا ، يُقْتَلُونَ دُونَهُ ، حَتَّى كَانَ آخِرَهُمْ زِيَادٌ ؛ فَقَاتَلَ دُونَهُ حَتَّى أُثْبِتَتْهُ الْجِرَاحَةُ (٨) ؛ ثُمَّ فَاءَتْ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ (٩) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَدْنُوهُ مِنِّي . فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَوَسَدَ قَدَمُهُ ، وَمَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ .

وَقَاتَلَتْ أُمُّ عِمْرَةَ نُسَيْبَةَ بِنْتَ كَعْبٍ ، وَقَدْ وَصَفَتْ مَا كَانَ مِنْهَا إِذْ ذَاكَ فَقَالَتْ : خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَأَنَا أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، وَمَعِيَ سِقَالٌ لِي فِيهِ مَاءٌ ، فَانْتَهَيْتُ

(١) انْكَفَأَ الْقَوْمُ : انْهَزَمُوا ، وَانْكَفَأَ عَلَيْهِ : مَالَ . (٢) دُثَّ بِالْحِجَارَةِ : رَمَى بِهَا .

(٣) الرَّبَاعِيَّةُ كَثَائِيَّةٌ : لِإِحْدَى الْأَسْنَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَلِي الثَّنَائِيَا بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالنَّابِ .

(٤) الْكَلِمُ : الْجَرْحُ ، وَالشُّجُّ : الشَّقُّ .

(٥) كَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عَثْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَقَالَ حَسَّانُ فِي ذَلِكَ :

فَأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عَتِيبَ بْنَ مَالِكٍ وَلَقَاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ لِإِحْدَى الصَّوَاعِقِ
بَسَطَتْ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعْمَدًا فَأَدْمَيْتَ فَاهَ قَطَعْتَ بِالْبَوَارِقِ
فَهَلَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِي نَصِيرٌ لِيهِ عِنْدَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ !

الْبَوَائِقُ : جَمْعُ بَائِقَةٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ لِأَنَّهَا تَهْلِكُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ .

(٦) الْمَغْفَرُ : شَبِيهُهُ بِالذَّرْعِ ، ذُو حَلْقٍ ، يَجْعَلُ عَلَى الرَّأْسِ فِي الْحَرْبِ .

(٧) يَشْرِي : يَبِيعُ . (٨) أُثْبِتَتْهُ : جَعَلَتْهُ ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ لَا يَفَارِقُهُ ، مِنْ شِدَّتِهَا .

(٩) فَاءَتْ : رَجَعَتْ ، وَأَجْهَضُوهُمْ : أزالوهم

إلى رسول الله ونحو أصحابه ، والدولة والريح^(١) للمسلمين ؛ فلما انهزم المسلمون انتحرت إلى رسول الله ، فقامت أبشيراً القتال ، وأذبت عنه بالسيف ، وأرجمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلى .

وترس^(٢) دون رسول الله أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره وهو مُنحَنٍ عليه ، حتى كثر فيه النبل . وكذلك فعل سعد بن أبي وقاص وغيره .

وساد الناس هرج ومرج^(٣) بعد الهزيمة وقول الناس : قتل محمد ! إلى أن عرفه كعب بن مالك ؛ إذ رأى عينيه تزهران^(٤) من تحت المغفر ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ؛ أبشروا ، هذا رسول الله ! فأشار إليه الرسول : أن أنصت .

فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ، فأخذ علي بن أبي طالب بيده ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ؛ ومص مالك بن سنان الدم عن وجهه ، ونزع أبو عبيدة إحدى الحلقة تين ، فسقطت ثنيته وهو يعالج إخراجها ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، ونهض معهم نحو الشعب ، يصاحبه أبو بكر وعمر ورهط من المسلمين .

ولما أسند^(٥) رسول الله في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله ؛ أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله : دعوه . فلما دنا منه تناول الحربة ، ثم استقبله فطمأنه في عنقه طمأنة تداد^(٦) منها عن فرسه مرابراً ، ورجع إلى قريش وقد خدش في عنقه خدشاً غير كبير ، فقال : قتلني والله محمد ! قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله ما بك من بأس ؟

(١) الغلبة والنصر . (٢) أذبت : أدافع . (٣) الترس التستر بالترس ، والمراد : وقف دونه بقيه بنرسه . (٤) هرج ومرج : اختلاط واضطراب . (٥) تزهران : تضيقان وتلهمان . (٦) أسند في الجبل : صعد فيه . (٧) تداد : مال .

قال : إنه كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ! ثم مات بسرف^(١) ، وهم قافلون به إلى مكة^(٢) .

وانتهى رسول الله إلى فم الشعب ، وبينما هو هناك ومعه نفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يملؤنا . فقاتل عمر ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وقتل من المسلمين عدد كبير^(٣) ، ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله : يجذعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدما^(٤) وقلائد ، وأعطت هند خدما وقلائدها وقرطها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت^(٥) عن كعب بن عمرو فلاكها^(٦) ؛ فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُمْرٍ^(٧)
 ما كانَ عن عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ ولا أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي^(٨)
 شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفِيتَ وَحَشِيَّ غَلِيلَ صَدْرِي
 فَشُكْرُ وَحَشِيٍّ عَلَى عَمْرِي حتى تَرَمَّ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي^(٩)

(١) سرف : موضع على ثلاثة أميال من مكة . (٢) قال حسان في ذلك :

لقد ورت الضلالة عن أبيه أبيُّ يوم بارزه الرسول

(٣) قال أبو سفيان بن حرب يذكر صبره في ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب شداد :

ولو شدت نجتني كمت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

فما زال مهري مزج الكلب منهم لدى غدوة حتى دنت لغروب

فأجابه حسان :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قناته بمصيب

أنعجب أن أقصدت حمزة منهم نجيباً وقد سميته بنجيب !

(٤) خدماً : جمع خدمة وهي الخائمال . (٥) بقرت : شقت . (٦) لآكتها : مضغتها .

(٧) السمر : العذاب . (٨) أبوها عتبة ، وأخوها الواليد ، وعمها : شيبه ، وبكرها :

ابنها حنظلة ، وأربعتهم قتلوا يوم بدر . (٩) ترم : تبلى .

فأجابتها هند بنت أوثاة بن عباد فقالت :

خَزِيْتِ فِي بَدْرٍ وَبِعَسَدِ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ^(١)
 صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِنْهَا شَمِيئِينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ^(٢)
 بِكُلِّ قَطَاعٍ حُسَامٍ يَهْرَى^(٣) حَمَزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي
 إِذْ رَامَ شَيْبٌ^(٤) وَأَبُوكَ غَدْرِي نَحْضَبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ^(٥)
 * وَنَذْرُكَ السَّوَاءِ فَشَرُّ نَذْرٍ *

ثم إن أبو سفيان بن حرب أشرف على الجبل ، وصرخ بأعلى صوته فقال :
 أفي القوم محمد ؟ ثلاثا . فنهاهم رسول الله أن يجيبوه . ثم قال : أفي القوم ابن
 أبي قحافة ؟ ثلاثا . فنهاهم رسول الله أن يجيبوه . ثم قال : أفي القوم ابن الخطاب ؟
 ثلاثا . فنهاهم رسول الله أن يجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما هؤلاء
 فقد قتلوا ؛ لو كانوا في الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه
 أن قال : كذبت يا عدو الله ! قد أبقي الله لك ما يخزيك . فقال : اعل هبل ،
 اعل هبل^(٦) . فقال رسول الله : أجيئوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله
 أعلى وأجل . قال أبو سفيان : ألا إن لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسول الله
 قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب
 سجال^(٧) ! إن موعدكم بدر للعام القابل ! فقال رسول الله لرجل من أصحابه :
 قل : نعم ؛ هو بيننا وبينك موعد^(٨) .

(١) وقاع : كثير الوقوع في الدنيا . (٢) ملهاشميين : من الهاشميين . الزهر : الكرام .

(٣) يهري : يقطع . (٤) شيب : شيبه . (٥) ضواحي النحر : ما ظهر من الصدر .

(٦) هبل : صنم . (٧) الحرب سجال : أي لجماعة مرة ، ولجماعة مرة أخرى .

(٨) خرج رسول الله في شعبان سنة أربع لبعاد أبي سفيان حتى نزل بدرا ، وأقام عليه ثمان

ليال ينتظر أبو سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، ثم بدا له الرجوع ، فانصرف رسول الله
 إلى المدينة ولم يلق حرباً ، وهذه هي غزوة بدر الآخرة .

ثم بعث رسول الله على بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون! فإن كانوا قد جنبوا^(١) الخيل، وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنأجزنهم. فخرج على في آثارهم ليرى ما يصنعون، فإذا هم قد جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، وتوجهوا إلى مكة.

وفرغ الناس لقتالهم، فقال رسول الله: من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع؛ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. فنظر فوجده جريحاً في القتلى، به رمق^(٢). فقال له: إن رسول الله قد أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات. فأبلغ رسول الله عنى السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُليص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم لم يبرح حتى مات؛ فجاء رسول الله فأخبره خبره^(٣).

وخرج رسول الله يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده يبطن الوادى قد بُقِر بطنه، ومثّل به، فجدع أنفه وأذناه، فقال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفة وتكون سنة من بعدى، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير. ولئن أظهرنى^(٤) الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم.

(١) جنبوا الخيل: جعلوها بجانبهم لم يركبوها، حتى إذا فتر المركوب تحولوا إلى المحبوب.

(٢) الرمق: بقية الحياة. (٣) دخل رجل على أبي بكر، وبنت لسعد بن الربيع جارية

صغيرة يقبلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير منى؟ هو سعد بن الربيع.

(٤) أظهرنى: نصرنى.

ولما رأى المسلمون حُزْنَ رسول الله وغيظه مما فعلَ بممّة قالوا : والله لئن أظفَرَنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمثّلها أحدٌ من العرب (١) .

ووقف رسولُ الله على حمزة ، وقال : لئن أصاب بمثلِكَ أبدا ، ما وقفتُ موقفاً قطُّ أغيظُ إلىّ من هذا ! ثم أمرَ به فسُجِّيَ (٢) بِرُذَاقِهِ ، ثم صلّى عليه ، ثم أتى بالقتلى يُوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم .

وأقبلت أخته صفية بنت عبد المطلب لتنظرَ إليه ، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأرجمها حتى لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يأمّ ؟ إن رسول الله يأمرُك أن ترحمى . قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مُثِّلَ بأخى ؛ وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان ! لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله !

فما جاء الزبير إلى رسول الله وأخبره بذلك قال : خلّ سبيلها . فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت (٣) واستغفرت له ، ثم أمر به رسولُ الله فدفنُ .

وأشرف رسولُ الله على القَتلى ، وقال : أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريحٍ يُجرَحُ في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللونُ لَوْنُ دَمِهِ ، والريحُ ريحُ مِسْكِ . انظروا أكثرَ هؤلاء جَمَعاً للقرآن فاجعلوه أمامَ أصحابه في القبر . ثم قال : انظروا إلى عمرو بن الجموح وعبدِ الله بن عمرو ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبرٍ واحد .

ثم انصرف راجعاً إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش ، فنعى لها أخاها عبد الله ابن جحش فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعَى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعَى لها مُصعبَ بنِ عُمَيْرٍ - زوجها - فصاحت

(١) عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فعفا رسول الله وصبر ، ونهى عن المثلثة . (٢) سجي : غطى .

(٣) قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وَوَلَّوْتِ . فقال رسول الله : إنَّ زوجَ المرأةِ منها بمكان .

ومرَّ رسولُ الله يَدَارِ من دُورِ الأنصار ، فسمع منهم البكاء والنواح على قتلاهم ، فذَرَفَتْ عَيْنَا رسولِ الله وبكى ، ثم قال : لكنَّ حمزة لا بَوَارِكِي له ! فذهب سَعْدُ بن معاذ وأَسِيد بن حُضَيْر إلى دُورِ الأنصار فأمر نساءهم أن يذَهَبْنَ فيبكين على عمِّ رسولِ الله . وسمع النبيُّ بكاءهنَّ على حمزة فخرج إليهنَّ ، وهُنَّ على باب المسجد وقال : رَحِمَ اللهُ الأنصار ! فإنَّ المُوَاسَاةَ منهم ما علمتُ لَقَدِيمَةً ، مَرُّهُنَّ فَلْيَتَصَرَّفْنَ .

ومرَّ في طريقه على امرأة من بنى دينار قد أُصِيبَ زوجها وأخوها وأبوها بأحد ، فلما نَمُّوا إليها قالت : فما فعل رسولُ الله ؟ قالوا : خيرا ، هو بحمد الله كما تُحِبُّين . قالت : أَرُونِيهِ حتى أنظرَ إليه ، فأشِير لها إليه حتى إذا رَأَتْهُ قالت : كلَّ مصيبةٍ بَمَدِّكَ جَلَلٌ (١) !

ولما انتهى رسولُ الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة وقال : اغسلي عن هذا دَمَهُ يا بِنْتِي ، فوالله لقد صدقني اليوم . وناولها عليُّ بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا أيضا فاعسلي عن دَمِهِ ، فوالله لقد صدقني اليوم .

ولمَّا كان الغدُ خرج رسولُ الله مُرْهَبًا للعدوِّ ، وَلِيَبَيِّنَهُمْ أَنَّهُ خرج في طلبهم فيظنُّوا به قُوَّةً ، وأن الذي أصابهم لم يُوهنهم عن عدوِّهم . وأذَّن مؤذنه ألا يخرجَنَّ معنا أحدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمة جابر بن عبد الله فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ أبي كان خلفني لِي أخواتٍ لي سَبْعَ وقال : يا بني ؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك

(١) جلال : يسيرة .

أن نترك هؤلاء النسوة لا رجلَ فيهنَّ ، ولستُ أُورثك بالجهاد مع رسول الله على
نفسى ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفن عليهنَّ . فأذن له بالخروج .

وخرج رسولُ الله حتى انتهى إلى حَمراء الأسد - وهي من المدينة على ثمانية
أميال - فرَّ به معبد الخزاعى ^(١) ، فقال : يا محمد ؛ والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في
أصحابك ، ولودِدنا أن الله عافك منهم . ثم سار معبد الخزاعى ، حتى لقيَ أبا سفيان
ابن حرب ومنَّ معه بالروحاء ^(٢) ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسولِ الله وأصحابه ،
وقالوا : أصبنا حَدَّ ^(٣) أصحابه وأشرفهم وقادتهم ، ثم زجع قبل أن نستأصلهم !
لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرُّنَّ عنهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً الخزاعى قال :
ما وراءك يا معبد ؟ قال : قد خرج محمدٌ في أصحابه يطلبُكم في جمعٍ لم أر مثله قطُّ ؛
يتحرقون عليكم تحرقاً ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وتديموا
على ماضيهم وفيهم من الحنقِ عليكم شئاً لم أر مثله قطُّ ! قال : ويحك ما تقول !
قال : والله أرى أنك لا ترحمل حتى ترى نواصي الخييل . قال : فوالله لقد جمعنا
الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملني
ما رأيتُ على أن قلتُ أبيانا من الشعر . قال : وما قلتُ ؟ قال : قلتُ :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتى إذ سألتِ الأرضُ بالجرودِ الأبايلِ ^(٤)
تردى بأسدِ كرامٍ لا تنابلة ^(٥) عند اللقاء ولا ميلٍ معازيلِ ^(٦)

(١) كانت خزاعة ، مسلمهم ومشرِكهم موضع سر رسول الله بتهامة ، لا يخفون عنه شيئاً
كان بها . (٢) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين ميلاً من المدينة . (٣) حد أصحابه :
بأسهم . (٤) تهد : تسقط من الإعياء لهول ما ترى . والجرود : الخيل الكريمة . والأبايل :
الجماعات . (٥) ردى الفرس : رجعت الأرض بحوافرها ، أو هو بين العدو والمضى . التنابلة :
القصار . (٦) الميل : الذين لا يثبتون على السرج . والمعازيل : الغزل من السلاح .

فَظَاتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولٍ
فَقَاتَ : وَيْلُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَنَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجَيْلِ (١)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبُسْلِ ضَاحِيَةٌ اِكْلَ ذِي إِرْبَةِ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ (٢)
مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدٌ لَا وَخْشٌ (٣) قَنَابِلُهُ وَبِئْسَ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَيْلِ

ومرّ بأبي سفينان ركب من غنبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : لم ؟ قالوا : نريد الميرة (٤) . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالته أرسلكم بها إليه ، وأحمّل لكم إياكم هذه غدا زبيبا بمكآظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فرّ الركب برسول الله ، وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفينان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل !

وأراد أبو سفينان السير إلى المدينة ليستأصل أصحاب رسول الله ، فقال صفوان بن أمية بن خاف : يا قوم ، لا تفعلوا ، فإنّ القوم قد حربوا (٥) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم - وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذي نفسى بيده ؛ لقد سوّمت (٦) لهم حجارة لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

(١) تَنَطَّمَت : اضطربت ، والجَيْل : الصنف من الناس . (٢) الْبُسْل : الحرام ، ويريد بأهل البسل مكة ، والإِرْبَةُ : العقول . (٣) الْوَخْش : صفار الناس وورذالهم . الْقَنَابِل : طوائف الناس والجَيْل . (٤) الْمِيرَةُ : جلب الطعام . (٥) حَرَبُوا : غضبوا وتغيظوا . (٦) سَوَّمْتُ : أرسلت .

وقدم رسول الله المدينة ، وكان عبد الله بن أبي بن سلؤل له مقام يقومه كل جمعة لا يُسكّر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان إذا جلس رسول الله يوم الجمعة ، وهو يخطب الناس قام فقال : آتيا الناس ؛ هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه^(١) واسمعوأله وأطيعوا ، ثم يجلس ؛ حتى إذا صنع يوم أحد^(٢) ما صنع ، ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعل ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس أي عدو الله ! لست لئلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت .

فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكانما قلتُ بُجراً^(٣) أن قمتُ أشدُّ أمره . فلقية رجل من الأنصار بباب المسجد . وقال له : مالك ويحك ! قال : قمتُ أشدُّ أمره ، فوثب علي رجال من أصحابه يجذونني^(٤) ويمنفونني لكانما قلتُ بُجراً أن قمتُ أشدُّ أمره ! قال : ويحك ! ارجع يستغفر لك رسول الله . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

وكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ومحق المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وكان يوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

ومما قيل من الشعر في هذا اليوم قول حسان بن ثابت يجيب هبيرة بن أبي وهب^(٥) :

(١) عزروه : عظموه . (٢) أي رجوعه بثلك الناس . (٣) البجر : الشر والأمر العظيم .

(٤) يجذونني : يجذبونني . (٥) ديوانه : ٤٢٤ .

سُقْتُمْ كِفَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ^(١) إلى الرَّسُولِ فَجُنِدُ اللَّهِ يُخْزِيهَا
أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً^(٢) فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لَاقِيهَا
جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلَا حَسَبٍ^(٣) أُمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَافِيهَا
أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِحَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ^(٤) أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا^(٥)
كَمْ مِنْ أُسِيرٍ فَكَفَّنَاهُ بِلَا تَمَنٍّ وَجَزٍّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيهَا^(٦)

(١) في الديوان: «من عداوتكم» . (٢) الضاحية: البارزة . (٣) في الديوان: «أنتم أحابيش جمع بلا نسب» . (٤) في الديوان: «هلا . . . إذ لقيت» . (٥) في الديوان: «ومن أرديته فيها» . القليب: البئر، ويريد بأهل القليب: من قتل في بدر من المشركين فطرح في القليب . (٦) مواليا: أهل النعمة والفضل عليها . يريد أنهم فكروا كثيراً من أسرى قريش يوم بدر بغير فداء فكانوا لذلك أصحاب النعمة .

٣ - يوم الرجيع (*)

قدم على رسول الله بعد أخذ رهط من عضل والقارة^(١) ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما وخيرا ، فابعت معنا نفرا من أصحابك يفتقوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله معهم ستة من أصحابه ، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، فخرج مرثد مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا^(٢) بهم ، واستصرخوا عليهم هذيانا .

ولم يلبث أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رأوا الرجال في أيديهم السيوف ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلهم ، فقالوا لهم : إنا لا نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم العهد والميثاق ألا نقتلكم . فقال مرثد ابن أبي مرثد ورجلان معه^(٣) : لا نقبل من مشرك عهدا ولا ميثاقا ، وقاتلوا حتى قتلوا جميعا .

وأما الثلاثة الآخرون^(٤) فرغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسرهم ، وخرجوا بهم إلى مكة ليبيئوهم هناك .

* سيرة ابن هشام : ٣ - ١٦٠ ، تاريخ الطبري : ٣ - ٢٩ ، معجم البلدان ٤ - ٢٢٨ ، وكان هذا اليوم في السنة الرابعة من الهجرة . والرجيع : ماء لهذيل .

(١) عضل والقارة : قبيلتان من كنانة . (٢) قال حسان يهجو هذيانا :

هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت
رسول رسول الله غدرا ولم تكن
أمانتهم ذا عفة ومكارم
هذيل توفى منكرات المحارم

(٣) ما خالد بن الكبير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . (٤) هم زيد بن الدثنة ،

وعبد الله بن طارق ، وخبيب بن عدي .

أما أحدُهم ، وهو عبدُ اللهِ بنُ طارق فقد انتزع يده من القِران^(١) حينما وصل إلى الظَّهران وأراد الفرار ، فقتلوه .

وأما ثانيهم ، وهو خُبَيْب بنِ عَدِيّ ، فقد ابتاعه بمضُ أهلِ مَكَّة ليقتله بأبيه ، وخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : ذَرُونِي أَصَلُّ رَكْمَتَيْنِ ؛ فَصَلَّى سَجْدَتَيْنِ ، ثم قال : لولا أن يقولوا : جَزَعَ من الموت لَزِدْتُ ، وما أبالي على أيِّ شَيْءٍ كانِ اللهُ مَصْرَعِي !

ثم رفعوه على حَشَبَةٍ ، فلَمَّا أَوْقَوْهُ ؛ قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالةَ رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصْنَعُ بنا . اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، واقتلهمُ بَدَدًا ، ولا تُغَادِرْ منهمُ أحدًا ثم قتلوه .

وأما الثالث ، وهو زَيْدُ بنِ الدَّيْنَةِ ، فقد ابتاعه بمكَّة صفوانُ بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف .

وبعث به صفوان مع مَوَالِي له إلى التَّنَمِيمِ^(٢) ليقتله ، واجتمع إليه رهطٌ من قُرَيْشٍ ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدَّم ليقتل : أنشدك اللهُ يا زيد ، أتحبُّ أن محمداً عندنا الآن مكانك نضربُ عنقه ، وأنت في أهلك ! قال : والله ما أحبُّ أن محمداً تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال أبو سفيان : ما رأيتُ في الناسِ أحدًا يحبه أصحابه كما يحبُّ هؤلاء محمداً .

ولما قتل الدين وجههم النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة ، وبلغه خبرهم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجلٍ من الأنصار ، وأمرها بقتل أبي سفيان ابن حرب — قال عمرو :

(١) القِران : الحبل . (٢) التَّنَمِيم : موضع على ثلاثة أميال من مكة .

بمثنى رسول الله بعد قتل أصحابه الذين بعثهم إلى عضل والقارة ، وبمثنى معي رجلا ، وقال : اثنتيا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه . فخرجتُ أنا وصاحبي ، ومعى بغيري لي ، وليس مع صاحبي بغير ، وبرجله عانة ، فكنت أحمله على بعمري ، حتى جئنا بطنَ يَأْجِجَ (١) ؛ فعمقنا بغيرنا في فناء شيب بالجبل ، وأسندنا (٢) فيه ، فقات لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ، فإني محاولٌ قتله ، فانظر فإن كانت مجأولة ، أو خشيت شيئا فالحق ببعيرك فاركه ، واثت رسول الله بالمدينة فأخبره الخبر ، وحلّ عني فإني رجلٌ عالم بالبلد ، جرى عليه .

ودخلنا مكة ، ومعى مثلُ خافية النسر (٣) ، قد أعدته إن عاقني إنسانٌ قتلته به .

فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوفَ بالبيت ونصلّي ركعتين ! فقلت له : أنا أعلمُ بأهل مكة منك ، إذا أظلموا رشّوا أفئيتهم ثم جلسوا فيها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

فلم يزلُ بي حتى أتينا البيت فطفنا به ، وصلينا ركعتين ، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفني رجلٌ منهم فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أمية ! فتبادر أهل مكة ، وقالوا : ما جاء عمرو بخير ! وقاموا في طلبي وطاب صاحبي ، فقلت له : النجاء ! هذا والله ما كنتُ أحذر ، فانجُ بنفسك !

وخرجنا نشد (٤) حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا غارا فيتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم فرجموا ، وقد استترتُ دونهم بأحجار حين دخلتُ الغار ، وقلت لصاحبي : أمهاني حتى يسكن الطالبُ عنا ، فإنهم والله سيطلبوننا ليلتهم هذه ، أو يومهم هذا حتى يمسوا .

(١) يأجج : موضع بمكة . (٢) يقال أسند في الجبل : إذا صد فيه . (٣) يريد خنجره -

(٤) نشد : نعدو .

وإني لفي هذا الغار إذ أقبل عثمان بن مالك يَخْتَلِ (١) بفرسٍ له ، فلم يزل يدنو حتى قام علينا بباب الغار ، فقلت لصاحبي : هذا والله ابنُ مالك ، لئن رآنا كيَمَلَمَنَّ بنا أهلَ مكة .

فخرجتُ إليه فَوَجَّأته (٢) بالخنجر تحت الثدى ، فصاح صيحةً أسمع أهلَ مكة ، فأقبلوا إليه ورجعتُ إلى مكاني فدخلتُ فيه ، وقلتُ لصاحبي : مكانك ! واتبع أهلُ مكة الصوت يشتدون ، فوجدود وبه رمق ، فقالوا : وبلك ! من ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية ؛ ثم مات ، ولم يخبرهم بمكاننا .

فقالوا : والله لقد علمنا أنه لم يأتِ بخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ؛ ومكثنا في الغار يومين حتى سكنَ عنا الطلب .

ثم خرجنا إلى التثعيم ، فإذا خشبة خبيث بن عدى ، فقال لي صاحبي : هل لك في خبيث تُنزلُه عن خشبته ؟ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلني وتنع عني . قال : ولكنَّ حوله حرّاً ساءً يحرسونه ! قلت : إن خشيتُ بأساً فخذ الطريقَ إلى جَمَلِك فاركبه ، والحق برسول الله فأخبره الخبر .

فاشددتُ إلى خشبته فاحتللتُه ، واحتملته على ظهري ، فوالله ما مشيتُ إلا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا (٣) بي ، فطرحته ، فأنسى وجبته (٤) حين سقط ، واشتدوا في أثرِي ، فأخذتُ طريقِي إلى أن أعميوا ورجعوا .

وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ، ثم أتى الرسولَ فأخبره أمرنا ، وأقبلتُ أمشي حتى إذا أشرفتُ على غارِ بضجنان (٥) دخلتُ فيه ، ومعى قوسى وأسهمى . فبينما أنا فيه إذ دخلَ عليَّ رجلٌ من بني الدليل بن بكر ، أعورٌ طويلٌ ،

(١) يختل به، أى يداوره ويطلبه من حيث لا يشعر. (٢) وجأته : ضربته . (٣) نذر بالأمر : علمه مخذره . (٤) الوجبة : السطة مع الهدية . (٥) ضجنان : جبل قرب مكة .

يسوق غنم له ، فقال : مَنْ الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ! قال : وأنا من
بني بكر ، ثم اضطلع معي فيه ، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَنْغَنِي ، ويقول :
ولست بمسلم ما دمت حيًّا ولست أدِينُ دِينَ الْمَسْلَمِينَ
فقلت : سوف تَعَمَّ . ولم يابث الأعرابي أن نام وغطَّ فعمتُ إليه ، فقتلته أسوأ
قِتْلَةٍ ، ثم ماتُ إليه فجمعتُ سِيَّةَ^(١) قَوْسِي فِي عَيْنِهِ الصَّحِيحَةَ ، وَتَحَامَلْتُ عَلَيْهَا حَتَّى
أَخْرَجْتُهَا مِنْ قَفَاهُ .

وأخذت الحجَّة^(٢) كَأَنِّي نَسْرُ ، وكان النجاء ؛ حتى إذا كنتُ بِالْبَيْعِ^(٣) ،
رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ قَدْ بَمَشْتُهُمَا قَرِيضَ يَنْحَسَّسَانِ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ ، فمرفقتهما ، وقلتُ لهما :
اسْتَأْسِرَا^(٤) . فقال : أَنَحْنُ اسْتَأْسِرُكَ ! فزمتُ أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فقتلته ، ثم قلتُ للآخر :
اسْتَأْسِرْ ؛ وَأَوْثَقْتُهُ ، وَقَدِمْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

ولما قدمتُ المدينةَ مررتُ بِجَاعَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فقالوا : هَذَا وَاللَّهِ عَمْرُؤُ بْنُ أُمَيَّةَ ؛
وَسَمِعَ الصَّبِيَّانُ قَوْلَهُمْ ، فَاسْتَنْدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُخْبِرُونَهُ .
وذهبتُ إِلَى النَّبِيِّ ، وَقَدْ شَدَدْتُ إِيَّاهُمْ أُسَيْرِي بَوْتَرِ قَوْسِي ، فَنظَرَ إِلَيَّ وَضَحِكَ
حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ، فَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها . (٢) الحججة : المقصد والطريق . (٣) البقية :
مخبرة بالمدينة . (٤) استأسرا كونا أسيرين .

٤ — يوم بئر معونة*

قدم أبو براء عامرُ بن مالكٍ مُلأبُ الأَسِنَّةِ^(١) على رسول الله في المدينة ، وأهدى إليه هَدِيَّةً ، فأبى رسولُ الله أن يقبلَهَا ، وقال : يا أبا براء ؛ لا أقبلُ هذه الهديةَ ، فأَسْلِمُ إن أردتَ أن أقبلَ هَدِيَّتَكَ . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما وعدَ اللهُ المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن ، فلم يُسَلِّم ولم يَبْعُد من الإسلام . وقال : يا محمد ؛ إنَّ أمركَ هذا الذي تدعو إليه حسنٌ جميلٌ ؛ فلو بعثتَ رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدَعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك !

فقال رسولُ الله : إني أخشى عليهم أهل نجد ؛ فقال أبو براء : أنا لهم جار ؛ فابعثهم فليدْعُوا النَّاسَ إلى أمرك .

فبعث رسولُ الله المنذرَ بن عمرو^(٢) في أربعين رجلاً من أصحابه ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فقال بعضهم لبعض : أيُّكم يُبَلِّغُ رسالةَ رسولِ الله أهلَ هذا الماءِ ؟ فقال حَرَامُ بن مَلْحَانَ : أنا أبَلِّغُ رسالةَ رسولِ الله . وخرَجَ حتى أتى حِوَاءَ^(٣) منهم ، فاحتسبى أمامَ البيوتِ ؛ ثم قال : يا أهل بئر معونة ! إني رسولُ محمدٍ إليكم ، إني أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ؛ وأنَّ محمداً عبْدُ ورسولُهُ ، فأَمِنُوا بالله ورسوله . فخرج إليه عامر بن الظَّفَيْل من كِسْرِ البيتِ^(٤) برُمُحٍ ؛ فضرب به في جَنْبِهِ حتى خرج من الشَّقِّ الآخرِ ؛ فقال : اللهُ أكبر ! فزُتْ وربُّ الكعبةِ^(٥) !

* سيرة ابن هشام : ٣-١٨٤ ، تاريخ الطبري : ٣-٣٣ . كان في السنة الرابعة من الهجرة .
وبئر معونة بين أرض بني عامر وحررة بني سليم . (١) سيد بن عامر بن صعصعة . (٢) قيل :
سبعين رجلاً . (٣) العرب تقول تجتمع بيوت الحمى : محتوى ومحوى وحواء . (٤) كسر
البيت : جانبه . (٥) يريد أنه فاز بالشهادة ، فله الجنة .

وَاتَّبَعُوا أَثْرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ ، وَاسْتَمَانُوا عَلَيْهِمْ بِقِبَائِلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَخَرَجُوا جَمِيعًا حَتَّى غَشَوْا (١) الْقَوْمَ ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ .

وَمَا رَأَى الْمَسْلُومُونَ أَخْذُوا السِّيُوفَ ، ثُمَّ قَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ؛ إِلَّا كَعَبُ بْنُ زَيْدٍ ، فَإِنَّهُمْ تَرَكَوهُ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَارْتَثَ (٢) مِنْ بَيْنِ الْقَتْلِ ، وَعَاشَ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ .

وَكَانَ فِي سَرْحٍ (٣) الْقَوْمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (٤) ، فَلَمْ يُنَبِّئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تَحْمُومٌ عَلَى الْمَسْكَرِ ؛ فَقَالَا : وَاللَّهِ إِنْ لَهَذِهِ الطَّيْرُ شَأْنًا . فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ ، وَإِذَا الْخَيْلُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِقَةٌ ؛ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِعَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ نَلْحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ فَنُخْبِرَهُ الْخَبْرَ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : لَكِنِّي لَا أُرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذَرُ بْنُ عَمْرُو ! ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأُخِذَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ أُسِيرًا .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ ؛ فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ؛ حَتَّى نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلِّهِ هُوَ فِيهِ . وَكَانَ مَعَ الْعَامِرِيِّينَ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَجَوَارٌ لَمْ يَعْلَمُوا بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ . فَسَأَلَهُمَا حِينَ نَزَلَا بِهِ : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ قَالَا : مِنْ بَنِي عَامِرٍ . فَأَمَلَهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَا عَدَا عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ أَصَابَ بِهِمَا ثَأْرَهُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بِمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ .

وَقَدِيمَ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ قَتَلْتَهُ

(١) غشيه : جاءه (٢) يقال للرجل إذا ضرب في الحرب فأئخذ وحمل وبه رمق : ارتث .

(٣) السرح : شجر كبير عظام يستظل فيه . (٤) أحد بني عمرو بن عوف

قتيلين لَأَدِينَهُمَا^(١) . ثم قال رسول الله : هذا عملُ أبي براء ! قد كنتُ لهذا كارهاً
متخوفاً .

وشقَّ على أبي براء ما أصاب أصحابَ الرسول بسببه وجواره ، وقال حسان
يحرِّضه على عامر بن الطفيل^(٢) :

بني أمِّ البنين ألمَ يرْعَمُكُمْ^(٣) وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ^(٣)
تَهَكِّمُكُمْ^(٤) عامرِ بابي براء^(٤) ليخْفِرَه ، وما خطأ كعمدِ^(٥)
ألا أبلغُ ربيعةَ ذا المساعي^(٦) فما أحدثتَ في الحدَثانِ بَعْدِي !
أبوك أبو الحروبِ أبو براء^(٧) وخالك ماجدُ حَكَمِ بِنِ سَعْدِ

فإنما بلغَ أبا براء قولُ حسانِ حملَ على عامر بن الطفيل ، فطمئنه ، فأخطأ مقتلهُ
ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عملُ أبي براء ؛ إن أمتُ فدى أعمى فلا يُتبعنَّ به ،
وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلي .

(١) أدينهما : أدفع ديتهما . (٢) ديوانه : ١٠٧ . (٣) هم أبو براء ولخوته ،
ويريد بالدوائب رؤساءهم . (٤) «تهكم» فاعل «يرعكم» في البيت قبله . (٥) ليخفره : ليقيم عهده .
(٦) المساعي : المكرمات . وفي الديوان : ألا من مبلغ عني رسعا .
(٧) في الديوان : أبو الفعال .

٥ — يوم بني النضير*

لَمَّا قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةِ الضَّمْرِيُّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ^(١) — وَقَدْ كَانَ لِهَٰمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ جَوَازٌ وَعَهْدٌ — كَتَبَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطَّفَيْلِ الْعَامِرِيُّ يَقُولُ : إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لِهَٰمَا مِنْكَ جَوَازٌ وَعَهْدٌ ، فَأَبَعْتَ بِدَيْتَيْهِمَا .

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَارِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ ، وَسَأَلَهُمُ الْمَعُونَةَ قَالُوا : نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، نَعْمِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ . ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ — وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بِيوتِهِمْ — فَأَيَّكُمْ يَعْلُو هَذَا الْبَيْتَ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَقْتُلُهُ بِهَا فَيُرِيحُنَا مِنْهُ !

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَبَّاشٍ : أَنَا لِذَلِكَ ! فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ . فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَرَكَ أَصْحَابَهُ فِي مَجْلِسِهِمْ .

وَلَمَّا اسْتَبْطَأَ رَسُولَ اللَّهِ أَصْحَابَهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ : رَأَيْتَهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ .

فَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ تَرِيدُ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ ، ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . فَأَتَى ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى يَهُودَ ،

* سيرة ابن هشام : ٣-١٩١ ، الطبري : ٣-٣٦ . وقد كان في السنة الرابعة من الهجرة وبنو النضير حرمي من اليهود سكن المدينة .

(١) انظر يوم « بئر معونة » صفحة ٥٢ من هذا الكتاب .

فقل لهم : اخرجوا من بلادِي فلا تسأكنوني ، وقد هممتُ بما هممتُ به من الغدرِ .

فجاءهم محمدُ بن مسلمة فقال لهم : إن رسولَ الله يأمركم أن تظعنوا^(١) . فقالوا : يا محمد ؛ ما كنا نظنُّ أن يجيئنا بهذا رجلٌ من الأوس ! فقال : تغيَّرت القلوبُ ومعا الإسلامِ العهودَ ! فقالوا : نتحمَّل^(٢) !

ولكن عبد الله بن أبيّ أرسلَ إليهم يقول : لا تخرجوا فإن معي من العربِ وممن أنصوى إليّ من قومي ألقيين ؛ فأقيموا فهُمُ يدخلون معكم ، وقُرَيْظَةُ كذلك تدخل معكم .

فبلغ كعبَ بنَ أسيدِ القرظيِّ ذلك ، فقال : لا ينقض العهدَ رجلٌ من قُرَيْظَةَ وأنا حيٌّ .

فقال رجلٌ منهم لكبيرهم ابنُ أخطب : يا حُيَيِّ ؛ اقبَلْ هذا الذي قاله محمدٌ قبل أن تقبلَ ما هو شرٌّ منه . قال حُيَيِّ : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموالِ وسبِّي الذريةِ ، وقتل المقاتلةِ ؛ فأبى حُيَيِّ ، وأرسل جُدَيَّ بنَ أخطب^(٣) إلى رسولِ الله يقول : إنا لا نريم^(٤) دارنا ، فاصنع ما بدا لك .

فكبرَ رسولُ الله وكبرَ المسلمون معه ، وقال : حاربتُ يهودَ ! وانطلق جُدَيَّ بنُ أخطبِ إلى عبد الله بنِ أبيّ يستمدّه فلم يستجبْ له ، فرجع وأخبر حُيَيَّ بذلك ؛ فقال : هذه مَكِيدَةٌ !

وزحف إليهم رسولُ الله ، وحاصرهم ستَّ ليالٍ فتحصَّنوا منه في الحصونِ ،

(١) أن تظعنوا : أن ترحلوا . (٢) نتحمل : نرحل . (٣) أخوه .

(٤) لا نريم : لا نبرح .

فَأَمَرَ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا ، فَنَادَوْهُ : يَا مُحَمَّدُ ؛ قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ ،
وَتَعْمِيهِ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا !
وَلَمَّا يَتَسَوَّأ مِنَ الْمَوْتَةِ ، وَطَالَ بِهِمُ الْحِصَارُ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُجِيلِيَهُمْ وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ ، عَلَى أَنْ لَّهُمْ مَا تَحَمَّلَتِ الْإِبِلُ
مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَى الْحَلْقَةِ^(١) ، فَفَعَلَ .
فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتِ الْإِبِلُ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدُمُ بَيْتَهُ ،
فِيضِمُّهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ . فَيَنْطَلِقُ بِهِ ، نَافِرًا بِمَعْزُمِهِمْ إِلَى خَيْبَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ
إِلَى الشَّامِ^(٢) .

(١) الحلقة : اسم لجملة السلاح والدروع وما أشبهها . (٣) نزل في بني النضير سورة
الحشر بأسرها .

٦ - يوم الخندق*

خرج نفرٌ من اليهود^(١) حتى قدموا على قريش في مكة ، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله ، وقالوا لهم : إنا سنكونُ معكم حتى نستأصله ؛ فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهلُ الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبَحْنَا نختلفُ فيه نحن ومحمد ، فديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينه ! وأنتم أولى بالحقِّ منه ! فسَرَ قريشاً ما قالوا ، ونَشِطُوا لما دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله ، واجتمعوا لذلك واتَّعدوا له . ثم خرج أولئك النفرُ من اليهود حتى جاءوا غطفان ، فدعَوْهم إلى حرب المسلمين ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليهم ، وأن قريشاً قد تابَعُوهم على ذلك ؛ فأجابوهم .

وخرجت قريشٌ ، وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف في بني مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخَيْلة فيمن تابَعه من أشجع .

ولما سمع رسولُ الله بما أَجمَعُوا له من الأَمْرِ ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه بنفسه ، وعمل معه المسلمون حتى أحكموه .

ولما فرغوا منه خرج رسولُ الله في ثلاثة آلاف من المسلمين جعلوا ظهورهم إلى سَلَم^(٢) ، وضربوا عسكرهم هناك . وأمر بالذَّرَارِيِّ والنساء فجُعلوا في الآطام^(٣) .

* سوة ابن هشام : ٣-٢٢٩ ، تاريخ الطبري : ٣-٤٣ . كان في السنة الخامسة من الهجرة

(١) منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحي بن أخطب ، وكنانة بن الربيع ، وهودبة بن قيس ، وأبو عمار الرائل في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله . (٢) سلم موضع بقرب المدينة . (٣) الآطام : جم أطم ، وهو حصن مبني بالحجارة .

وأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال في عشرة آلاف من أحبيشهم ومن تيمهم من بني ركنانة وتهمامة . وأقبلت غطفان ومن تيمهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بدئب نغمي ، إلى جانب أحد .

وخرج حُيَيِّ بن أخطب (١) حتى أتى كعب بن أسد (٢) ، فلما سمع كعب به أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيُّ : يا كعب ؛ افتح لي ، قال : ويحك يا حُيَيُّ ! إنك رجل مشثوم ، وإني قد عاهدتُ محمداً ، فلستُ بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : افتح لي أكرمك . قال : ما أنا بفاعل ، قال : ما أغلقت الحصن دوني إلا لتخوفك على جشيشتك (٣) أن آكل منها منك ! فأحفظ (٤) الرجل . ففتح ، فقال له : ويحك يا كعب ! جئتُك بمرزٍ الدهر ، وبيدر طأم (٥) . جئتُك بقريش : قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ، وجئتُك بغطفان : قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بدئب نغمي ، قد عاهدوني وعاهدوني على ألا يترجوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

قال كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبجهامٍ قد هراق (٦) ماءه ، فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء ، ويحك يا حُيَيُّ ! دعني وما أنا عليه ، فإن لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً . ولكن حُيَيُّ لم يزل بكعبٍ يفتل منه في الذروة والغارب (٧) ، حتى أعطاه عهداً وميثاقاً : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يُصيبوا محمداً دخلت

(١) كبير بني النضر كما تقدم . (٢) صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان وادخ النبي على قومه وعاهده على ذلك وعاقده . (٣) الجشيشة : واحدة الجشيش ، وهو أن تطحن المنزلة طحناً جليلاً ثم تصب بها القدر ، ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ . (٤) أحفظ الرجل : أغضبه . (٥) أراد تشبيه القوم في كثرتهم بالبحر الزاخر . (٦) الجهام : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه ، وهراق : صب . (٧) أصل الغارب مقدم السنام ، والذروة أعلاه ؛ أراد أنه ما زال ينادعه ويتلطفه حتى أجابه ، وأصله أن الرجل إذا أراد أن يؤلف البعير الصعب لينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه ويفتل وبره حتى يستأنس ، ويضم فيه الزمام .

مَعَكَ فِي حِصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ . وَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ ، وَبَرَزَ ،
مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الرَّسُولِ الْخَبِيرُ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ^(١) وَسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ^(٢) ،
وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ^(٣) ، وَخَوَاتَ بْنَ جُبَيْرٍ^(٤) ، وَقَالَ لَهُمْ : انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا :
أَحَقُّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ! فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لِحَنَّا^(٥) أَعْرِفَهُ ،
وَلَا تَفْتَحُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ .
فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْهُمْ ، نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ،
وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ! لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَقْدَ ! فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ
وَشَاتَمُوهُ ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ . فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : دَعَّ عَنْكَ مُشَاتَمَتَهُمْ ،
فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى^(٦) مِنَ الْمَشَاتِمَةِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَمَنْ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ،
وَقَالُوا : عَضَّلَ وَالْقَارَةَ^(٧) ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ !

وَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ أَسْفَلِ مَنْهُمْ ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنَّ ، وَنَجَّمَ^(٨) نَمَاقَ الْمُنَافِقِينَ ، حَتَّى قَالَ
قَائِلُهُمْ^(٩) : كَانَ مُحَمَّدٌ يَمِدُّنَا أَنْ نَأْكُلَ كَنْوَرَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحْدُنَا الْيَوْمَ
لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ !

(١) سَيْدِ الْأَوْسِ . (٢) سَيْدِ الْخَزْرَجِ . (٣) أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ .

(٤) أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ . (٥) أَشِيرُوا إِلَى وَلَا تَفْصَحُوا ، وَعَرَضُوا بِمَا رَأَيْتُمْ .

(٦) أَرْبَى : أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ . (٧) أَيْ كَفَعَرَ عَضَّلَ وَالْقَارَةَ ؛ حِينَمَا اعْتَدُوا عَلَى خَيْبِ وَأَصْحَابِهِ

يَوْمَ الرَّجِيعِ . (٨) نَجَّمَ ظَهَرَ . (٩) هُوَ مَعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ .

وأقام الرسولُ على الخندق ، وأقام عايه المشركون بضعا وعشرين ليلةً ، لم يكن بينهم حربٌ إلا الرمي بالنبل والحصار . فلما اشتدَّ البلاءُ على الناس بعث رسولُ الله إلى غِيَيْنَةَ بنِ حِصْن ، وإلى الحارث بن عَوْف - وهما قائدا غَطَفَان - فعرض عليهما أن يُعطيَهما ثلثِ ثَمَارِ المدينة على أن يَرِجَمَا بِمَنْ مَعَهُمَا ، وجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتابَ ، ولكن لم تقع الشهادة ، ولا عزيمة الصلح إلا المِراوِضَةَ^(١) في ذلك .

ثم استشار رسولُ الله في ذلك سعد بن مُعَاذ وسعد بن عُبَادَةَ ، فقالا له : يا رسولَ الله ؛ أمرٌ تجبُّه فنصنعه ، أم شيء أمرَكَ اللهُ به لا بدَّ لنا من العمل به ، أم شيء تصنعه لنا ! قال : بل شيء أصنعه لكم ؛ والله ما أصنعُ ذلك إلا لأنني رأيتُ العربَ قد رَمَتْكُمْ عن قَوْسٍ واحدةٍ وكالْبُوكُم^(٢) من كلِّ جانب ، فأردتُ أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم . فقال سعد بن مُعَاذ : يا رسولَ الله ؛ قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على شِرْكَ باللهِ وعبادةِ الأوثان ، لانهبُ اللهُ ولا نعرفُهُ ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قَرَى^(٣) أو بِيَعًا ، فَحِينَ أَكْرَمَنَا اللهُ بالإسلام ، وهدانا له وأعزَّنَا بك وبه نُعطيهم أموالنا ! والله ما لنا بهذا حاجة ، والله لا نُعطيهم إلا السيفَ حتى يَحْكُمَ اللهُ بيننا وبينهم . قال رسولُ الله : فأنت وذاك ! وتناول سعدُ بن مُعَاذ الصحيفةَ فحما ما فيها من الكتاب^(٤) ، ثم قال : لِيُجْهِدُوا^(٥) علينا .

وأقام رسولُ الله والمسلمون ، والعدوُّ يحاصِرُهُم ، ولم يكن بينهم قتالٌ ، إلا أن فَوَارِسَ^(٦) من قريشٍ قد تهيَّئُوا للقتال ، ثم خرجوا على حَيْلِهِمْ حتى مرُّوا بمنازلِ بني كِنَانَةَ ، فقالوا : تهيَّئُوا يا بني كِنَانَةَ للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم !

(١) المِراوِضَةُ : المجاذبة والمفاوضة . (٢) كالْبُوكُم : اشتدوا عليكم ، وكثر شرهم .
(٣) القَرَى : ما يقدم للضيف . (٤) الكتاب : الكتابة . (٥) أجهدوا علينا العداوة : جدوا فيها . (٦) منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب ، وضرار بن الخطاب .

وأقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العربُ تسكدها (١) ! ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيولهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة - بين الخندق وسُلع - وخرج علي بن أبي طالب في نفرٍ من المسلمين حتى أخذوا عليهم الشُّعْرَةَ التي أُقْحِمُوا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ (٢) نحوهم ؛ فوقف عمرو بن عبدود (٣) ، وقال من يُبَارِزُ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، وقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال له : أجل ! قال علي : فإني أدعوك إلى النزال . قال : ولم يابن أخى ؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ! قال له علي : ولكي والله أحبُّ أن أقتلك ! فحَمِي (٤) عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه ، وعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلاً وتجاؤلاً ، فقتله علي ، وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربة . ومرَّ يومئذ سَمْدُ بن معاذ بِحِصْنِ بنى حارثة - وهو من أحرز حصون المدينة - وعليه دِرْعٌ قصيرة ، قد خرجت منها ذِرَاعُهُ كُلُّهَا ، وفي يده حربته يرقدُ بها (٥) ويقول :

لَبْتُ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ (٦)

فقال له أمه - وكانت في الحِصْنِ هي وعائشة : الحقُّ يا بني ، فقد والله أخرت ، فقالت لها عائشة : يا أمَّ سعد ؛ والله لو دِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أُسْبَغَ مِمَّا هِيَ (٧) ! ثم رُمِيَ سعد بن معاذ بِسَهْمٍ ، فَفَقَّعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ (٨) .

(١) يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله . (٢) العنق : ضرب من السير السريع . (٣) من الفرسان الذين اقتحموا الخندق . (٤) حمى : غضب . (٥) يرقد : يسرع بها . (٦) لبث : انتظر ، والهيجا : الحرب ، وحمل : اسم رجل ، وحن : درب . (٧) كان ذلك قبل أن يضرب الهجاب . (٨) الأكل : عرق في الذراع .

وكانت صفيّة بنت عبد المطلب في فأرع - حصن حسان بن ثابت - وكان حسان فيه مع النساء والصبيان ، فرّ رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، ولما رآته صفيّة قالت : إن بني قريظة قد قطعت ما بينها وبين رسول الله من عهد ؛ وليس بيننا أحدٌ يدفعُ عنا ، ورسولُ الله والمسلمون في نُحُورِ^(١) عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . ثم قالت لحسان : إن هذا اليهوديّ - كما ترى - يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا من وراءه من يهود ، وقد سُئِلَ عنا رسولُ الله وأصحابه ، فأزِلْ إليه فاقتله . فقال حسان : يغفرُ الله لك يا بنّة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحبٍ هذا . فلما قال لها ذلك ولم ترَ عند شيئاً احتجرت^(٢) ، ثم أخذت عموداً ، ونزلت من الحصن ، وضربت به بالعمود حتى قتلتَه .

ولما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقالت : يا حسان ؛ أنزل إليهِ فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال حسان : مالي بسلبه من حاجة يا بنّة عبد المطلب ! وأقام رسولُ الله وأصحابه في خوفٍ وشدة ، لَتَظَاهُرَ عدوهم عليهم ، وإتيانهم إيّاهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسولَ الله فقال : يا رسولَ الله ، إني قد أسلمتُ ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمُرّني بما شئت ، فقال رسولُ الله : إنما أنت فينا رجل واحدٌ ، فخذلْ^(٣) عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال : يا بني قريظة ؛ قد عرفتم وُدِّي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ،

(١) أصل النحور الصدور ، وهو يريد أنهم مشتبهون ب عدوهم . (٢) أي شدت وسطها بما يقويه . (٣) أي ادخل بينهم حتى يخذل بعضهم بعضاً .

لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا مثلكم . البلدُ بلدُكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لاتقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم^(١) عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونسأؤهم بنسيره ، فليسوا مثلكم ، فإن رأوا نهزة^(٢) أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخالوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خالا بكم ؛ فلا تقابلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم نقة لكم ، على أن تقاتبوا معهم محمداً حتى تنأجزوه . فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ؛ فقال لأبي سفيان ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم ، وِفْرَاقِي محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيتُ علىَّ حقاً أن أُبلنكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عني . قالوا : نفعل . قال : تعلموا^(٣) أن مَعْشَرَ يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إننا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجلاً من أشرافهم ، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود تلتمس منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفوا إليهم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ؛ إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إلي ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ! قال : فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، فما وراءك ؟ فقال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم كما حذرهم .

(١) ظاهرتموهم : عاونتموهم . (٢) نهزة : فرصة . (٣) تعلموا : اعلوا .
(٥ - أيام الغزب في الإسلام)

فلما كانت ليلة السبت من شوال أرسل أبو سفيان بن حرب وروس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفرٍ من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدارٍ مُقامٍ ، وقد هلك الخفُّ والحافر^(١) . فاعدوا للقتال حتى نناجزَ محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إنَّ اليومَ يومُ السبتِ ، وهو يومُ لانعمَلُ فيه شيئاً ، وقد كان أحدثَ فيه بمضنا حدثاً فأصابه ما لم يخفَ عليكم ، ولَسْنَا مع ذلك بالذين نقاتلُ معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجزَ محمداً ؛ فإنَّا نخشى إن ضرسستكم^(٢) الحرب ، واشتدَّ عليكم القتال أن تنشمرُوا^(٣) إلى بلادكم وتتركونا ، والرجلُ في بلدنا ولا طاقةً لنا به .

فلما رجعت إليهم الرسلُ بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : إن الذي حدَّثكم به نعيم بن مسعود كَلَقٌ . وأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لاندفعُ إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتالَ فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسلُ بهذا : إن الذي ذكرَ نعيم بن مسعود كَلَقٌ . ما يريدُ القومُ إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصةً انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، واخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم .

فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لانقاتلُ معكم محمداً حتى تعطوا رهنًا . فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبث عليهم الريحَ في ليالٍ شائبةٍ باردةٍ ، فجعلتْ تكفأ^(٤) قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

فلما انتهى إلى رسولِ الله ماختلف من أمرهم ، وما فرَّق من جاعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظرَ ما فعلَ القومُ ليلاً .

(١) يريد الإبل والحيل . (٢) ضرسستكم : نالت منكم . (٣) تنشمروا : تسرعوا إلى الرجوع . (٤) تكفأ قدورهم : تقلبها .

قال حذيفة : لقد رأيتنا مع رسول الله بالخندق ، وقد صَلَّى هَوِيًّا (١) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رجلٌ يقومُ فينظرُ لنا ما فعل القومُ ثم يرجع ؟ فقام رجلٌ من القومِ مِنْ شِدَّةِ الخوفِ ، وشِدَّةِ الجوعِ ، وشِدَّةِ البرْدِ . فلما لم يَقُمْ أَحَدٌ دعاني رسولُ الله ، فلم يكن بُدًّا من القيامِ حينَ دعاني ، فقال : يا حذيفةُ ؛ اذهبْ فادخلْ في القومِ فانظرْ ماذا يصنعون ، ولا تحدثْ شيئاً حتى تأتينا .

فذهبتُ فدخلتُ في القومِ ، والريحُ وجنودُ اللهُ تفعلُ بهم ما تفعلُ ، لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناءً . فقام أبو سفيان فقال : يا معشرَ قريشِ ! لينظرِ امرؤُ مَنْ جليسهُ !

فأخذتُ بيدَ الرجلِ الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشرَ قريشِ ؛ إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مقامِ ، لقد هلك الكراعُ (٢) والخفُّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شِدَّةِ الريحِ ما تروونَ ، لا تطمئنُّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقومُ لنا نارُ ، ولا يستمسكُ لنا بناءٌ ، فارتحلوا فإني مُرتحلٌ . ثم قام إلى جملةِ وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثبَ به على ثلاثِ ، فو الله ما أطلقَ عقاله إلا وهو قائمٌ ، ولولا عهدُ رسولِ الله إلى ، إذ قال لي : « لا تحدثْ شيئاً حتى تأتيني » لقتلتهُ بسهمٍ .

فرجعتُ إلى رسولِ الله ، وهو قائمٌ يُصَلِّي ، فلما سلَّم أخبرتهُ الخبرُ . وسَمِعَتُ غَطْفَانَ بما فعلت قريشُ ، فانشمروا راجعين إلى المدينة .

(١) هويًا من الليل : جزء منه . (٣) الكراع . الخيل .

٧ — يوم بنى قرَيْظَةَ*

أصبح النبيُّ منصرفاً عن الخندق ، راجعاً إلى المدينة ، ووضع المسلمون السلاح ،
ولما كان الظهرُ أمر رسولُ الله مؤذناً فأذن في الناس : مَنْ كان سميعاً مطيعاً ، فلا
يُصلِّينَ العصرَ إلا في بنى قرَيْظَةَ .

وقدّم رسولُ الله على بن أبي طالب برايته إلى بنى قرَيْظَةَ ، وابتدورها الناس^(١) ،
وسار على حتى إذا دنا من حصونِ بنى قرَيْظَةَ سمع منها مقالةً قبيحةً عن رسولِ الله ،
فرجع حتى لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ؛
لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث^(٢) . قال : ولِمَ ؟ أظنك سمعت لي منهم أذى !
قال : نعم ، قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً .

ولما أتى رسولُ الله بنى قرَيْظَةَ نزل على بئر من آبارها يقال لها : بئر أتي ،
وتلاحق به الناسُ ، وحاصروهم رسولُ الله خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصارُ ،
وقذف الله في قلوبهم الرُّعبَ .

فلما أيقنوا أن رسولَ الله غيرُ منصرفٍ عنهم حتى يَنَاجِزَهُمْ ، قال كعب بن أسدٍ
لهم : يا معشرَ يهود ؛ قد نزل بكم من الأمر ما تروون ، وإني عارضٌ عليكم خلافاً
ثلاثاً ، فخذوا أيها شيتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونُصدِّقه ،
فو الله لقد تبين لكم أنه نبيٌّ مرُسلٌ ، وأنه الذي تَجِدُونَهُ في كتابكم ، فتأمنون على

* سيرة ابن هشام : ٣ : ٢٥٢ ، تاريخ الطبري : ٣ : ٥٢ . وكان هذا اليوم في ذى القعدة
وصدر ذى الحجة من السنة الخامسة .

(١) ابتدر القوم أمراً : بادر بعضهم بعضاً لايه ، أيهم بسبق له فيجاب عليه .

(٢) الأخابث : جمع الأخبث ، وهو ضد الأظيب من الولد والناس .

دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوْرَةِ أَبَدًا ، ولا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ . قال : فإذا أُبِيْتُمْ عَلَى هَذِهِ ، فَهَلِّمُوا فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ مُصْلِحِينَ^(١) سَيُوفِنَا ، وَنَحْنُ لَمْ نَتْرِكْ وَرَاءَنَا نَقْلًا^(٢) ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ؛ فَإِنْ تَهَلَّكَ نَهْلِكَ وَلَمْ تَتْرِكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَحْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ تَظْهَرْ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ . قالوا : نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ؛ فَمَا خَيْرُ الْمَيْتَشِ بِعَدَمِهِمْ ! قال : فَإِنْ أُبِيْتُمْ عَلَى هَذِهِ فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُوا فِيهَا ، فَانْزِلُوا لِمَلْنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً . قالوا : نَفْسِدُ عَلَيْنَا سَبْتِنَا ، وَنُحَدِّثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْهُ مِنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا أَصَابَهُ الْمَسْخُ . قال : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا !

ثم إنهم أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ^(٣) بِنَ عَبْدِ الْمَنْذَرِ لِنَسْتَشِيرَهُ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ ، وَبَهَّشَ^(٤) إِلَيْهِ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ، أُنْزِلَ عَلَيَّ حُكْمُ مُحَمَّدٍ ؟ قال : نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ^(٥) .

ثم نزلت بنو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَتَوَاتَبَتِ الْأَوْسُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْهُمْ كَانُوا مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتِ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدِ عَلِمْتَ^(٦) .

(١) أصلت سيفه : جرده من عمده . (٢) كل شيء يحرق عليه ، فهو نقل .
 (٣) أخو بني عمرو بن عوف ، وكانوا خلفاء الأوس . (٤) بهش إليه : ارتاح وخفف إليه . (٥) قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده . وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت ، وبقي كذلك حتى تاب الله عليه ، وأطاعه رسول الله .
 (٦) قد كان رسول الله حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فزولوا على حكمه ، فسأله إليهم عبد الله بن أبي سائل فوجههم له .

فلما سمع رسول الله مقالة الأوس قال : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى : قال : فذاك إلى سعد بن معاذ .
وقد كان سعد في خيمة امرأة من المسالين كانت تداوى الجرحي ؛ فلما حكمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم ؛ وأقبلوا به على رسول الله وهم يتولون : يا أبا عمرو ؛ أحسن في مواليك ؛ فإن محمدا إنما ولأك لتحسين فيهم . فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد إلا تأخذ في الله لومة لائم .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله قال لهم : قوموا إلى سيديكم . فقاموا إليه ، ثم قالوا : يا أبا عمرو ؛ إن رسول الله قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت ؟ قالوا : نعم . وقال رسول الله : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسّم الأموال وتُسبى الذراري والنساء . فقال رسول الله لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله . فصاح على : يا كتيبة الإيمان ! وتقدم هو والزيبر بن العوام ، وقال : والله لأذوقن مذاق حمزة ، أو لأفتحن حصنهم . فقالوا : يا محمد ، نزل على حكم سعد بن معاذ .

ثم استنزلوا . وحبسهم رسول الله بالمدينة ، وخرج إلى سوق المدينة فخذق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم^(١) في الخنادق .
وكانوا يساقون أرسالا^(٢) ، وفيهم حبي بن أخطب^(٣) ، وكعب بن أسد ؛

(١) كانوا نحو سبعمائة . (٢) أفواجاً : فرقا متقطعة ، بعضهم يتلو بعضاً . (٣) قد كان حبي بن أخطب دخل بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغلطان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

فقالوا الكعب ، وهم يسيرون إلى رسول الله : يا كعبُ ؛ ما تراه يصنعُ بنا ؟ قال :
أفي كل موطنٍ لا تعقلون ! ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهبٍ به منكم
لا يرجع ! هو والله القتل .

وأتى بجبي بن أخطب مجموعةً يدها إلى عنقه بجبل ، وعليه حلةٌ فقأحية^(١)
قد شققها عليه من كل ناحية قدرَ أنملة لثلاث يسكبها . فلما نظر إلى رسول الله قال :
أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل . ثم أقبل
على الناس فقال : أيها الناس ؛ إنه لا بأسَ بأمرِ الله ، كتابٌ وقدرٌ ، ومأجمةٌ
كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه^(٢) .

ثم إن رسول الله قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ؛
ولما انقضتْ شأنُ بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فات منه^(٣) .

(١) تشبه لون الورد حين ابتداء تفتحته . (٢) قال جبل بن جوال الثعلبي :

امرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل بني العز كل مقلقل

(٣) قال رجل من الأنصار يريثيه :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمنا به إلا لسعد أبي عمرو
وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه :

ويل أم سعد سمدا صرامة وحدا
وسوددا ومجدا معدا

* سدّ به مسدا *

٨ - يَوْمُ ذِي قَرْدٍ*

قال سَلَمَةُ بن الأَكْوَع : أُقْبِلَ رسولُ اللهِ عائداً إلى المدينةِ ، وَبَعَثَ بِظَهْرِهِ^(١) مَعَ رَبَّاحٍ غلامه ؛ وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ لِبَطْلِحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ ، فَلَمَّا أَصَبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ عُيَيْنَةَ قد أغارَ على ظَهْرِ رسولِ اللهِ فاستاقه أَجْمَعُ ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ .

قَالَتْ لِرَبَّاحٍ : خُذْ هَذَا الْفَرَسَ وَأَبْلِغْهُ بَطْلِحَةَ ، وَأَخْبِرْ رسولَ اللهِ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قد أَغارُوا على سَرْحِهِ^(٢) .

ثُمَّ قَتَلَ على أَكْمَةِ^(٣) ، فَاسْتَقَبَتْهُ المدينةُ ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ : وَاصْبَاحَاهُ^(٤) ! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أُرْمِيهِمُ بِالنَّبْلِ .

وَمَا زِلْتُ أُرْمِيهِمُ وَأَعْقُرُهُمْ^(٥) ، فَإِذَا رَجَعُ إِلَى فَارَسٍ مِنْهُمْ أَتَيْتُ شَجْرَةً وَقَدِمْتُ فِي أَصْلِهَا ، فَرَمَيْتُهُ فَمَقَرَّتْ بِهِ ؛ وَإِذَا تَضَائِقُ الْجَبَلِ وَدَخَلُوا فِي مُتَضَائِقِ عَلَوَاتِ الْجَبَلِ ، ثُمَّ رَدَيْتُهُمْ^(٦) بِالْحِجَارَةِ ؛ وَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا تَرَكْتُ بِمِيراً مِنْ ظَهْرِ رسولِ اللهِ إِلَّا جَعَلْتُهُ وِراءَ ظَهْرِي ، وَحَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُمْحاً وَثَلَاثِينَ بُرْدَةً يَسْتَنْخَفُونَ بِهَا ، لَا يُلْقُونَ شَيْئاً إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَاماً^(٧) حَتَّى يَعْرِفَهُ رسولُ اللهِ وَأَصْحَابُهُ .

* سيرة ابن هشام : ٣ : ٣٢٣ ، الطبرى : ٣ : ٦٠ . كان في ذى الحجة من السنة السادسة وذكور قد : موضع قرب المدينة . (١) الظهر : الإبل التي يحمل عليها ويركب . (٢) السرح : المشية تسرح في الرعى . (٣) الأكمة : التل أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . (٤) (٤) العرب تقول عند الغارة عليهم في الصباح : يا صباحاه ! يندرون الحى أجمع بالنداء العالى . (٥) أى أقتل مراكبهم . (٦) رديتهم : رميتهم . (٧) الآرام : الأعلام .

ثم انهبوا إلى متضايق من ثايية^(١) ، وإذا هم قد أتاهم عيينة بن حصن ممدًا ،
فعمدوا ينضحون^(٢) ، وقعدت على قرن^(٣) فوقهم ؛ فنظر عيينة فقال : ما الذي أرى ؟
قالوا : لقينا من هذا البرح^(٤) . والله ما فارقنا هذا منذ غاس يرمينا حتى استنفد
كل شيء في أيدينا . قال : فليقيم إليه منكم أربعة .

فعمد إلى أربعة منهم ؛ فلما أمكنوني من الكلام قلت : أنعرفوني ؟ قالوا :
من أنت ؟ قلت : سامة بن الأكوع ؛ والذي كرتم وجه محمد ، لا أطلب أحدا
منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني أحد فيدركني . قال أحدهم : إني أظن . ورجعوا ،
فما برحت مكاني ذلك حتى رأيت فوارس رسول الله يتخللون الشجر ؛ أولهم الأخرم
الأسدي ، وعلى أثره أبو قتادة الأنصاري ، يتبعه المقداد بن الأسود الكندي .

فأخذت بمنان فرس الأخرم ، فقات : يا أخرم ؛ إن القوم غير قاييل فاحذرهم
حتى يباحق بنا رسول الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ؛ إن كنت تؤمن بالله
واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق ، والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة .
فخليت .

فالتقي هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، وطمنه
عبد الرحمن فقتله ؛ ولكن أبا قتادة لحق عبد الرحمن ، فطمنه طمنة قاتلة .

وتبعهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورأى من أصحاب محمد ولا غبارهم شيئا ،
وعدلوا^(٥) قبل غروب الشمس إلى شعب^(٦) فيه ماء يقال له ذو قرد ، يشربون منه
وهم عطاش ، فنظروا إلى أعدو في آثارهم ، فخلاتهم^(٧) عن الماء ، فما ذاقوا منه
قطرة .

(١) الثنية: الطريق في الجبل . (٢) ينضحون: يرمون بالنبل . (٣) القرن : أعلى الجبل

(٤) البرح : الثمر والعذاب . (٥) عدلوا : مالوا . (٦) الشعب : ما انفرج بين الجبلين

(٧) حلاه عن الماء : طرده ومنعه .

وعطف على واحد منهم ، فرميته بسهم فأصابه في كتفه . ثم جئتُ إلى رسول الله وهو على الماء الذي حَلَّاهم عنه ، فإذا هو قد أخذَ تلك الإبل التي استنقذت من العَدُوِّ ، وكلَّ رُمح وكلَّ بُرْدَةٍ ، وإذا بلالٌ قد نُحِرَ ناقةً من تلك الإبل ، وهو يتشوى لرسول الله من كَيْدِهَا وسَنَامِهَا . فقلتُ : يا رسول الله ؛ خَلِّني أنتَخب من القوم مائة رجل ، فأَتبع بهم هؤلاء الفارين ، حتى لا يبقَى منهم أحد !

فضحك رسول الله وقال : أكنتَ فاعلا ! فقلت : نعم ، والذي أكرمك . ولما أصبحنا أردفني رسول الله على المَضْبَاءِ (١) . ورجعنا قافلين إلى المدينة .

(١) أصل المَضْبَاءِ : الناقة المشقوقة الأذن، وهي هنا لقب لناقة رسول الله، ولم تكن عضباء.

٩ - يوم بنى المصطلق*

بلغ رسول الله أن بنى المصطلق يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، فخرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له المريسيع^(١) ، وتراخف الناس واقتتلوا ، فهزم المسلمون بنى المصطلق ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا .

ورجع الناس إلى الماء ، وأقبل عمر بن الخطاب على فرس يقوده جهجاه بن مسعود ، وازدحم هذا مع سنان بن وبرة الجهني - حليف بنى عوف بن الخزرج - على الماء ، واقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! ولما سمع عبد الله بن أبي غضب وقال : أوقد فملوها ! قد نافرؤنا وكأثرؤنا في بلادنا . أما والله لئن رجمتا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

ثم أقبل على من حضر من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتهموهم بلادكم ، وقاسمتهموهم أموالكم . أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم .

وسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر . وكان عمر بن الخطاب عند رسول الله حينذاك وسمع الحديث ، فقال : مر بقتله يا رسول الله ؛ فقال : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل .

* سيرة ابن هشام : ٣ : ٣٣٣ ، الطبري ٣ : ٦٣ . كان في السنة السادسة من الهجرة .
وبنو المصطلق : جماعة من خزاعة .

(١) المريسيع : بئر لخزاعة ، وقد تضاف إليه غزوة بنى المصطلق ، فيقال : غزوة المريسيع .

فارتحل الناس وعلم عبد الله بن أبي بن ماجة رسول الله ، فشى إليه وحلف أنه ما تسكلم بذلك الكلام ، فقال بعض من حضر من الأنصار : يا رسول الله ؛ عسى أن يكون الغلام قد أوهم^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل !

وسار رسول الله ؛ فلقى أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة ، وسأله عاياه ، ثم قال : يا نبي الله ؛ لقد رحت^(٢) في ساعة منسكرة ما كنت ترؤخ في مثلها . فقال رسول الله : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ! قال : وأى صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبي . قال : وماذا قال ؟ قال : زعم أنه إن رجعت إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل . قال : يا رسول الله ؛ فأنت الذي تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! يا رسول الله ، ارفق به ، فقد جاءنا الله بك ، وإن قومته لينظّمون له الخرز ليتموجوه ، وإنه ليرى أنك قد استلبته الملك .

ثم مشى رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس . ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً . وإنما فعل ذلك رسول الله ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه ، فقال يا رسول الله ؛ إني قد سمعت أنك تريد قتل أبي لما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني أحمل إليك رأسه ، والله ما علم الناس رجلاً أبرّ بوالده مني ، ولكنني أخشى أن تأمر غيري بقتله ثم لا تستريح نفسي حتى أقتل ذلك الذي أمرته بقتله ، فأكون قد قتلت رجلاً مؤمناً بكافراً فأدخل النار . فقال رسول الله : بل ترفق به ونحسب صُحبتَه ما بقي معنا .

(١) أوهم : غلط ولم يتحقق . (٢) رحت : رجعت .

وقسم رسول الله سبأيا بنى المصطلق ، فوَقَمَتُ جُوَيْرِيَةَ بنتُ الحارث لثابت ابن قيس فكَاتَبْتُهُ (١) على نفسها ، فَأَتَتْ رسولَ الله تَسْتَعِينُهُ في أمرها ، وقالت : يا رسول الله ؛ وقمتُ في نصيبِ ثابت بن قيس فكَاتَبْتُهُ على نفسي ، وجئتُك أستمينُك على ذلك . فقال : وَهَلْ لَكَ في خَيْرٍ من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أَقْضَى عنكَ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ . قالت : نعم ، يا رسول الله ، قال : قد فَعَلْتُ .

وذاع الخبرُ بين الناس ، فأرسلوا ما بأيديهم ، وأَعْتَقُوا نحو مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، وقالوا : أصهار رسول الله .
ودفع رسولُ الله جُوَيْرِيَةَ إلى رجل من الأنصار وديمةً حتى قدم المدينة ، وهناك أقبل أبوها - الحارث بن أبي ضرار - بِفِدَاءِ ابنته ، وقال : يا محمد ؛ أَسْرَمْتُ ابنتي ، وهذا فِدَاؤُهَا .

ودَفَعَ الفِدَاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ ابنته ، وأسلم الحارثُ وابنته ، فخطبها رسول الله إلى أبيها ، ثم تزوجها (٢) .

(١) المكاتبة : أن يتفق السيد مع مولاة على مبلغ من المال ، فإذا أداه عتق .
(٢) في هذه النزوة كان حديث الإفك ، وهو مبسوط في كتابنا : « قصص القرآن » .

١٠ - يوم الحديبية*

خرج رسول الله قاصداً مكة لزيارة البيت ، لا يبني حرباً ولا قتالاً ، ولكنه استنفر^(١) المسلمين ومن حوله من الأعراب أن يخرجوا معه ، خشية أن تعرض له قريش بحرب ، أو يصدّوه عن البيت ، فنشأ قل الأعراب ، وقالوا : أنذهب إلى قوم قد غزوا محمداً في عُقر داره بالمدينة ، وقتلوا أصحابه ، فنقاتلهم معه ! واعتلوا بشغلهم بأموالهم وأهلهم^(٢) .

وخرج رسول الله بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ليس معهم من السلاح إلا السيوف في القرب^(٣) ، وساق معه الهدى^(٤) ، وأخرم بالعمرة^(٥) ليأمن الناس حربته ، وليعلموا أنه جاء زائراً للبيت ، معظماً له .

ولما كان بعسفان^(٦) لقيه بشر بن سفيان فقال : يا رسول الله ؛ هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٧) ، وقد لبسوا جلود الثور ، ونزلوا بذى طوى^(٨) ، وعاهدوا أنفسهم ألا تدخلها عليهم أبداً ؛ وهذا خالد بن الوليد في خيلهم بكراع الغميم^(٩) .

* الطبري : ٣ - ٧١ ، سيرة ابي هشام : ٣ - ٣٥٥ ، السيرة الحلبية : ٣ - ١٠ ، سيرة دحلان : ٢ - ١٩٢ . كان في السنة السادسة من الهجرة . والحديبية : موضع بينه وبين مكة . مرحلة واحدة ، وفي يائها الثانية التشديد والتخفيف . (١) استنفر المساهين : استنجدهم واستنصرهم . (٢) وذلك قوله تعالى : (سيقول لك المخلفون من الأعراب شفقتنا أموالنا وأهلونا) . (٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف . (٤) الهدى : ما أهدى إلى مكة من النعم . (٥) العمرة : الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة فقط ، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تجوز للائسان في السنة كلها ، والحج في وقت معروف من السنة ، مع زيادة بعض الأعمال . (٦) بعسفان : موضع بين مكة والمدينة . (٧) العوذ : جمع عائد ، وهي الناقة الحديبية النتاج . والمطافيل : التي لها أطفال . (٨) ذو طوى : واد بمكة (٩) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

فقال رسول الله : يا وَيْحَ قريش ! قد أَكَلْتَهُمُ الحَرْبُ ، ماذا عليهم لو خَلَّوْا بيني وبينَ سائر العرب ؛ فإن أصابوني كان ذلك الذي أَرَادُوا ، وإن أَظْهَرَني الله عليهم دَخَلُوا في الإسلامِ وَأَفْرِينِ ، وإن لم يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وبهم قوَّةٌ ، فما تظنُّ قريش ! فو الله لا أزالُ أَجَاهِدُهُم على الذي بعثني الله به حتى يُظْهَرَهُ اللهُ أو تنفردَ هذه السالفة^(١) ! ثم قال : مَنْ رجلٌ يَخْرُجُ بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسولَ الله . ثم سلك بهم طريقاً وَغَرَا ، وخرجوا منه بعد أن شقَّ عليهم ذلك ، فأمرهم الرسول : أن اسلكوا ذات اليمين . ولما سار الجيش رأيت خيلاً قريش قَتَرَةً^(٢) الجيش ، وأن رسول الله قد خالفهم عن طريقهم ، فركضوا راجعين إلى مكة .

وسار رسول الله حتى إذا سلك في ثنية المَرَارِ^(٣) بركت ناقتهُ ، فقال الناس : خَلَّتْ الناقةُ^(٤) ! فقال : ما خَلَّتْ وما هو لها بِخَلْقٍ ، ولكن حَبَسَهَا حابسُ الفيلِ عن مكة ، لا تَدْعُونِي قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صِلَةَ الرِّحْمِ إلا أعطيتهم إياها .

ونزل رسول الله بأفصى الحديبية . ولما اطمانَ به المقام جاء بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ الخِرَاعِي في نفرٍ من قومه^(٥) - وكانوا عَمِيَّةَ^(٦) نُضْحِ رسول الله من أهل تهامة . فقال : إني تركتُ كَعْبَ بن لؤيٍّ وعامر بن لؤيٍّ قد نزلوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحديبية^(٧) ، معهم أسلحتهم ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله : إنا لم نأتِ لقتالِ أحدٍ ، ولكننا جئنا مُعْتَمِرِينَ ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحَرْبُ ، وأضرَّتْ بهم ،

(١) السالفة : سفجة العنق ، وكفى بانفرادها عن الموت . (٢) قتره الجيش : الغبار الذي يثور عند سيره . (٣) عند الحديبية . (٤) خَلَّتْ : حيرت ولم تسر . (٥) قومه : خزاعة (٦) نسبة الرجل : موضع سيره . (٧) العمد - بالكسر - : الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء النهر ، وجمعه أَعْدَادُ .

فإن شاءوا ماددناهم مُدَّة ، ويخُلُّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخُلُوا فيما دخل فيه الناس فَمَأُوا ، وإلا فقد جَمُّوا^(١) ، وإن أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمرى حتى تنهردَ سالفتى ، أو لينفذنَّ الله أمره . فقال بُدَيْل : سبِّلنَّهم ما تقول .

وانطلق حتى أتى قريشا ، فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فَمَأْنَا . فقال سُهَيْلٌ : لا حاجة لنا أن نتحدَّثوا عنه بشيء . وقال ذوو الرأى منهم : هاتِ ما سمعته . فقصَّ عليهم ما سمع من الرسول ، فقالوا : وإن كان لا يريد قتالاً فلنَّ يدخلها علينا عنوةً أبداً ، ولا نتحدَّثُ العربُ عنَّا بذلك .

ثم بعثت قريش إلى الرسول مكرز بن حفص ، فلما رآه مُقْبِلًا قال : هذا رجل غادرٌ . فلما انتهى إليه كَلَمَهُ نحواً مما قال لبُدَيْل وأصحابه ، فرجع إلى قريش ، فأخبرهم بما قال الرسول .

ثم بعثوا إليه الجُلَيْس بن علقمة - وكان يومئذ سيد الأحياء^(٢) - فلما رآه الرسول قال : إنَّ هذا من قوم يتألهون^(٣) ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض^(٤) انوادي في قِلائده^(٥) - وقد أكل أوبارهُ من طول الجبس - عن محلّه^(٦) رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله إعظاماً لما رأى ، وأخبر قريشا بما رأى ، فقالوا له : اجلس ؛ فإنما أنت أعرابي لا علم لك ، فقال :

(١) جوا استراحوا وكثرُوا . (٢) الأحياء : أحياء من القارة انضموا إلى بني لبيث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ، سموا بذلك لاسودادهم . (٣) التأله : التبعد . (٤) العرض : الجانب والناحية . (٥) القلائد : ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى . (٦) محله : موضعه الذي ينحرف فيه من الحرم .

يامعشر قريش؛ والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، ائصد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذى نفس الحليس بيده لتخفن بين محمد وبين ما جاء له ، أولاً نفرن بالأحابيش نقره رجل واحد . قالوا : مه ! كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله عروة بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : يامعشر قريش ؛ إني قد رأيت ما يلقى منكم من بئسوا به إلى محمد - إذا جاءكم - من التّعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنى والد وأنى ولد^(١) ، وقد سمعت بالذى نأبكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيبتكم بنفسى^(٢) . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ؛ أجمعت أوشاب^(٣) الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك تفضها^(٤) ! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٥) قد لبسوا جلود النمر ، يماهدون أنفسهم ألا تدخلها عليهم عبوة أبدا ، وإيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا^(٦) عنك غدا . فقال أبو بكر : أنحن نكشيف عنه ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يدك كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بتلك . ثم جعل يتناول لحية الرسول وهو يكلمه ، فجعل المغيرة بن شعبه يقرع يده إذا تناول لحية الرسول ويقول : اكف يدك . فقال عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! فتبسم رسول الله

(١) أى كالوالد لهم فى حب الخير لهم ، وأنه كالولد لهم ، لأن أمه سبيعة بنت عبد شمس .

(٢) آسيبتكم : جمع تسمى فى مال أسوة بنفسى . (٣) أوشاب : أخلاط . (٤) بيضتك :

أصلك وعشيرتك . وتفضها : تسكرها . (٥) العوذ : النياق المدببات النتاج . والمطفل : التى

لها طفل ، وجمعها مطافيل . (٦) انكشفوا عنك : انهزموا وتركوك وحدك أمام عدوك .

(٦ - أيام العرب فى الإسلام)

فقال عروة : مَنْ هَذَا يا محمد ؟ قال هذا : ابنُ أخيك المغيرة بن شعبة . قال :
أى غُدْر ! وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس^(١) ! ثم إن عروة جعل يَرْمُق أصحابَ
النبيِّ بعينه ، فرآهم إذا أمرهم ابْتَدَرُوا أمره^(٢) ، وإذا تَوْضَّأ كادوا يقتتلون على
وَضُوئِهِ^(٣) ، وإذا تَسَكَّمُوا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يُحَدِّثُونَ النظر إليه
تعظيماً له .

ثم رَجَعَ إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئتُ كِسْرَى في ماسك ،
وقَيْصَرَ في ملسك ، والنجاشيَّ في ملسك ، وإني مارأيت في قويم قطّ مثل محمدٍ في
أصحابه ، ولتد رأيتُ قوما لا يُسألونه لشيء أبداً ، فرَوَّأ رأيكم !

ثم دعا رسولُ الله عمرَ بن الخطاب ليبيعه إلى مكة ، فبيَّع عنه أشراف قريش
ما جاء له . فقال : يا رسولَ الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكةَ من بني
عديٍّ^(٤) أحدٌ ينمعي ، وقد عرفتُ قريشَ عَدَاوَتِي إياها ، وغِظَتِي عليهما ، ولكنني
أدلك على رجلٍ هو أعزُّ بها مني ، هو عثمان بن عفان .

فدعا رسولُ عثمان ، وبمّته إلى أشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأتِ لحرب ،
وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة . فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلقيةَ أبان بن سعيد ،
فنزل عن دابّته ، وأجاره ، حتى بَلَغ رسالة رسول الله .

وانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعطاء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله ما أرسله
به . فقالوا لعثمان ، حين فرغ من رسالته : إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فطُفَ به .
قال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوفَ به رسولُ الله . فاحتبَّسَتْه قريش عندها .

(١) كان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، فودي عروة المقتولين ، وأصلح
الأمر بذلك . (٢) ابْتَدَرُوا أمره : بادر بعضهم بعضاً إليه ، أيهم يسبق إليه فيغلب .

(٣) الوضوء — بفتح الواو : الماء الذي يتوضأ به . (٤) قوم عمر .

فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قُتِل . فقال الرسول : لا نبرحُ حتى نناجز^(١) القوم ، ودعا الناس إلى البيعة ، ونادى المنادى : أيها الناس ، البيعة البيعة ! فثاروا إلى رسول الله ، وهو تحت شجرة فبايعوه . ثم أتى رسول الله أن الذي وصل من أمر عثمان باطل .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ، وقالوا له : إيت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدثُ العربُ أنه دخلها علينا عنوةً أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه الرسول قال : قد أراد القومُ الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله تكلم فأطال الكلام ، وتراجما ، ثم جرى بينهما الصلحُ .

فلما ألتأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب^(٢) وثبَّ عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ؛ أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسناً بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ، قال : بلى ، قال : فملاَمَ نُعْطِي الدَّيْنَةَ^(٣) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزَه^(٤) ؛ فإنني أشهدُ أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهدُ أنه رسول الله .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسناً بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟

(١) نناجز : نقاتل . (٢) الكتاب : الكتابة والتدوين . (٣) الدنية : الذل والصغار والمهوان . (٤) الغرز : بمنزلة الركاب للسرّج في الأصل ، أي لا تمد عن طريقه ، ولا تختار لنفسك إلا ما يختاره .

قال : بلى . قال : فَمَلَّامَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَلَنْ يُضَيِّمَنِي (١) .

ثم دعا رسولُ الله عليَّ بنَ أبي طالب ، فقال : اكتبُ : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . فقال سُهَيْلٌ : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . فقال رسولُ الله : اكتبُ باسمك اللهم . فكتبها ، ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح به محمد رسول الله سُهَيْلُ ابنِ عمر ... » قال سُهَيْلٌ : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك . فقال رسولُ الله : اكتب : « هذا ما صالحَ عليه محمد ابن عبد الله سُهَيْلُ بن عمرو ، واصطاحا على وَضْعِ الحربِ عن الناسِ عَشْرَ سنين ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ ، وَيَكْفُ بِمَضْمَنِهِمْ عَنْ بَعْضِ ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَيْتَهُ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مَعَهُمْ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ (٢) مَكْفُوفَةٌ ، وَأَنْهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ (٣) ، وَأَنْهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ » .

فَتَوَاتَبَتْ خُرَاعَةٌ فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرِ وَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ .

ثم اتفقوا أن يعودَ المسلمون هذا العامَ فلا يدخلوا مكة ، وأنه إذا كان عامٌ قابلٌ يدخلها الرسولُ بأصحابه ؛ ومعهم سلاحُ الرأكب ، السيوفُ في القُرْب ، و يقيمون بها ثلاثاً (٤)

(١) كان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من هذا الذي صنعتُه يومئذٍ مخافة كلامي الذي تسكمت به . (٢) العيبة : ما يعمل فيه الثياب ، والمكفوفة : المسرجة ، ومعناه : إن بيننا وبينهم في هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما في الكتاب . (٣) الإسلال : السرقة الخفية والإغلال : الخيانة . (٤) قد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها الرسول . فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم .

وبينما رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو؛ إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انقلت إلى رسول الله .

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتأنيبه^(١)، ثم قال : يا محمد ، قد لجت^(٢) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يئنثه^(٣) بتأنيبه ، ويجرّه ليزده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ؛ أأردُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال الرسول : يا أبا جندل ؛ اصبر واحتسب ؛ فإن الله جاعل لك ولعمرك ممك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إننا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله . وإنا لا نغدر بهم .

فلما فرغ من الكتاب شهد على الصبح رجال من المسلمين ورجال من المشركين ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهم أحد . فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له : اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر وتدعو حاجتك ! فقام فخرج ، فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى نحر بدنته ، وحنق رأسه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا .

وقفل الرسول إلى المدينة ، لم يدخل مكة ، ولم يلق حرباً .

ولما قدم المدينة أتاه أبو بصير - عتبة بن أسيد - لاجئاً ، فكاتب في رده أزهراً

(١) أخذ فلان بتأنيب فلان ؛ إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابس عند صدره وقبض عليه يجره .

(٢) لجت القضية : انقدت ، وانتهى أمرها . (٣) الترت : الجذب .

ابن عبد عوف ، والأخنس بن شريق كتابا ، وبمنا به رجلا من بني عامر ، ومعه مولى يَهْدِيهِ الطريق ؛ فَقَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِالْكِتَابِ ، فَقَرَأَهُ أَبُو بَنِي كَعْبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِذَا فِيهِ : قَدْ عَرَفْتَ مَا شَارَطْنَاكَ عَلَيْهِ مِنْ رَدِّ مَنْ قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْ أَصْحَابِنَا ، فَأَبَعْتُ إِلَيْنَا بِصَاحِبِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : يَا أَبَا بَصِيرٍ ؛ إِنْ أَدَّيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا عَلِمْتَ مِنْ عَهْدٍ ، وَلَا يَصْلِحُ فِي دِينِنَا الْغَدْرُ ، وَإِنْ اللَّهُ جَاعِلٌ لَكَ وَلِنَ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَمِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، فَانْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَرَدْتَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتَنُونَنِي فِي دِينِي ! قَالَ : يَا أَبَا بَصِيرٍ ؛ انْطَلِقْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَمِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

فانطلق أبو بصير معهما حتى إذا كان بندي الحليفة^(١) جلس إلى جدارٍ ومعه صاحبه ، فقال أبو بصير لأحد صاحبيه - ومعه سيفه : أَسَارِمُ سَيْفِكَ هَذَا يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ؛ انْظُرْ إِلَيْهِ إِنْ شِئْتَ ، فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ ثُمَّ عَلَّاهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ . وَخَرَجَ الْمَوْلَى سَرِيحًا حَتَّى آتَى الرَّسُولَ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ لَهُ : قَتَلَ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِي .

وما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، ووقف على رسول الله ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَقَتٌ ذِمَّتُكَ ، وَأَدَى اللَّهُ عَنْكَ ، أَسَلَّمْتَنِي بِيَدِ الْقَوْمِ ، وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أَفْتَنَ فِيهِ أَوْ يُمَبَّتَ بِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَيْلَى أُمَّهِ مِحْشٍ^(٢) حَرَبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ !

وقال لأبي بصير : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ ، نَفْرَجُ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى

(١) موضع في تهامة .

(٢) فلان محش حرب : موقد نارها .

ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام بالتجارة ، واجتمع إليه كثير من المسلمين^(١) كانوا احتسبوا بمكة ، ورصدوا لكل قرشي يذهب ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا أخذوها ، حتى ضجت قريش وكتبت إلى رسول الله تسأله بأرحامها إلا آوى هؤلاء ، فلا حاجة لهم بهم . فأواهم رسول الله ثم استقدمهم إلى المدينة .

(١) كان منهم أبو جندل بن سهيل .

١١ — يوم مؤتة*

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى^(١) من قبل الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني ، فقال له : إلى أين تريد ؟ فقال : الشام . فقال : املك من رسل محمد ! قال : نعم . فأمر به فأوثق ، ثم قدّمه فضرب عنقه .

ولما علم رسول الله بذلك بعث بعثه إلى مؤتة ، واستعمل عليه زيد بن حارثة ، وندب^(٢) القوم . وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَةَ على الناس . وأمرهم أن يأتوا مقاتل الحارث ابن عمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا إلا فليستعِينوا عليهم بالله ويُقاتلوهم .

فتجهز الناس وتهيئوا للخروج ، وكانوا ثلاثة آلاف ، ولما حان موعدُ خروجهم ودّع الناسُ أمراء النبي وسلموا عليهم ، فلما ودّع عبد الله بن رَوَاحَةَ مع مَنْ ودّع بكى . فقالوا : ما يبكيك يا بن رَوَاحَةَ ؟ فقال : أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صَبَابَةٌ^(٣) بكم ، ولكني سمعتُ رسول الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٤) . فإست أدري كيف لي

* سيرة ابن هشام : ٣-٤٣٧ ، الطبري : ٣-١٠٧ ، السيرة الحلبية : ٣-٧٦ ، سيرة دحلان : ٢-٢٣٩ . وكان هذا اليوم في السنة الثامنة من الهجرة . ومؤتة : موضع بالشام على مرحلتين من بيت المقدس .

(١) بصرى : بلد بالشام . (٢) ندب القوم : دعاهم إلى الخروج . (٣) الصبابة : الشوق ،

أو رفته وحرارته . (٤) سورة مريم ٧١ .

بالصدر^(١) بمد الورود ! فقال المسلمون : صَحَبَكُمُ اللهُ ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين . ثم قال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْدِفُ الرَّبْدَا^(٢)
أَوْ طَمَنَةً بِيَدَيْ حَرَآنٍ مُجْهَرَةٍ^(٣) بِحَرْبَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيْدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّي^(٤) أُرْشِدَهُ اللهُ مَنْ غَازٍ وَقَدْ رَشِدَا

ثم خرج القومُ وخرج الرسولُ يشيئهم ، وَلَمَّا وَدَّعَهُمْ قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِمَنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، اغزوا باسمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، لَا تَفْسِدُوا^(٥) ، وَلَا تَمْلُوا^(٦) ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا ، وَلَا مَشْمَزًا لَا بَصُومَةً ، وَلَا تَقْرَبُوا نَخْلًا ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجْرًا ، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا .

ثم مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرَاقْلَ قَدْ نَزَلَ مَسَابَ - مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ - فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ لَحْمٌ وَجُدَامٌ وَبَهْرَاءٌ وَبِلَى . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يَفْكُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَنُخْبِرُهُ بِمَدَدِ عَدُونَا ، فِيمَا أَنْ يَمْدَنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَامًا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ لَهُ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا قَوْمَ ، إِنْ التَّي تَسْكُرْهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ مِنَ الشَّهَادَةِ . وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بِمَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ ، وَلَا نَقَاتُلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَأَعْمَاهِي إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ : إِمَّا ظَهْرًا وَإِمَّا شَهَادَةً .

(١) الصدر : الرجوع . (٢) ذات فرغ : واسعة يسيل دمها . (٣) مجهرة : سريعة القتل . (٤) الجدث : القبر . (٥) الغدر : تقص العهد . (٦) غل وأغل : خان .

فقالُ الناسُ : قد صدقُ اللهُ ابنُ رَواحةِ .

ثم مضى الناسُ حتى إذا كانوا بِتُخُومِ^(١) البَلقاءِ لِقِيَّتِهِمْ جوعٌ هِرَقُلٌ من الرومِ والفرسِ عندَ مَشَارِفِ من قرى الشامِ . ولما دنا العدوُّ أنحاز المسلمون إلى مؤاتةٍ ، ثم تمجَّثوا لهم ، وجعلوا على ميمنتهم قُطْبَةَ بنِ قتادةٍ من بني عُدْرَةَ ، وعلى ميسرتهم عَبَّأيةُ ابنِ مالكٍ من الأنصارِ ، وحمل الرايةَ زيدُ بنُ حارثةِ .

ثم التقى الجمعانُ ، وقاتل زيدُ بنُ حارثةٍ حتى شاط^(٢) في رِمَاحِ القومِ . فأخذ الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ وارتجز :

يا حَبِذاً الجَنَّةُ واقترابها طَيِّبَةٌ وبارداً شَرَّابها
والرومُ رُومٌ قد دَنَا عذابها كافرةٌ بميدةٌ أنسابها
* علىَّ إذ لا قِيَّتَها ضِرَّابها *

ثم لم يلبث أن قُتِلَ .

وأخذ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةِ الرِّايةَ وتقدَّم بها على فرسه ، وارتجز :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه لتنزلنَّ أو لتُكرَهِنَّه
إن أجلب^(٤) الناسُ وشدوا الرِّنةَ^(٥) مالى أراكِ تَكرَهينَ الجَنَّةَ !
قد طالما كفتِ مُطمئِنَّةٌ هل أنتِ إلا نُطفَةٌ في شَنَّةٍ^(٦)

يا نَفِيسِ إِلا تُقَتِّلِي تموتى هذا حِمَامُ الموتِ قد صَلَّيتِ

(١) التُّخُومُ : ما يفصل بين الأرضين من المعالم والحدود . (٢) شاط : إذا سال دمه وهلك .

(٣) الضراب : المحالدة والقتال . (٤) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . (٥) الرنة :

الصبيحة المزينة . (٦) النطفة : الماء القليل ، والشنة : القرعة الخلق .

وما تَمَدَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيْتِ إِنْ تَفَعَّلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ^(١)
وأخذ سيفه وقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وحيثُذ اختلط المسلمون والمشركون ، وأراد بعضُ المسلمين الانهزامَ فجعل
مُعَقَّبَةُ بن عامر يقول : يا قوم ، يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ مَقْبَلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ مَدْبِرًا .
ثم أخذ الراية ثابتُ بن أرقم ، وقال : يا معشر المسلمين ، اصطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ
مِنْكُمْ . قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطَلِحِ النَّاسَ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،
فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ وَخَاشَى^(٢) بِهِمْ ، ثُمَّ انْحَازَ كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ الْآخِرِ
مِنْ غَيْرِ هَزِيمَةٍ عَلَى أَحَدِهِمَا ، وَانصَرَفَ النَّاسُ ، فَفَعَّلَ^(٣) بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ .
وتلقَّاهم الرسولُ ، ولقيهم الصَّبِيَّانِ يَشْتَدُّونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّتِهِ ،
فَقَالَ : خَذُوا الصَّبِيَّانِ فَاحْمِلُوهُمُ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ ، فَأَتَى بِعَبْدِ اللَّهِ ، فَأَخَذَهُ
وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَمْحُثُونَ عَلَى الْجَيْشِ التُّرَابَ ، وَيَقُولُونَ : يَا فُرَّارَ ،
فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! فَيَقُولُ الرَّسُولُ : لَيْسُوا فُرَّارًا ، وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارَ .

(١) يريد صاحبيه : زيدا وجعفرًا .

(٢) خاشى بهم : أبقى عليهم وحذر فأنحاز (اللسان - خشى) . (٣) ففعل : رجع .

١٢ - يوم الفتح*

خرج مالك بن عباد^(١) - حليف بني بكر - تاجراً ، وكان ذلك قبل الإسلام . فلما توسّط أرض خُزاعة عدّوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدّت بنو بكر على رجلٍ من خُزاعة فقتلوه ، ثم عدّت خُزاعة على بني الأسود بن رزق - وهم أشراف بني بكر - فقتلوا منهم بمرّفة عند أنصاب^(٢) الحرم .

وبيناً بنو بكر وخُزاعة على ذلك حجّز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناسُ به . ولما كان صلح الحديبية بين رسول الله وبين قريش كان فيما شرّطوا على رسول الله ، وشرّط لهم أنه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر في عهد قريش ، ودخلت خُزاعة في عهد رسول الله .

فلما كانت تلك الهدنة اغتتمتها بنو بكر ، وأرادوا أن يُصيبوا من خُزاعة بأولئك النفر الذي أصابوا منهم ، فخرج نوفل بن معاوية - من بني بكر - حتى بيّت^(٣) خُزاعة ، وهم على ماء لهم يقال له الوتير^(٤) ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتجاوزوا^(٥) واقتتلوا ، ورفدت^(٦) قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً ، حتى حازوا خُزاعة إلى الحرم .

* سيرة ابن هشام : ٤ - ٣ ، الطبرى : ٣ - ١١٠ ، وكان هذا اليوم في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

(١) من بني الحضرمي ، وكان حلف بني الحضرمي إلى الأسود بن رزق الدبلي ، وهم أشراف بني بكر . (٢) أراد بالأنصاب الحجارة التي وضعت لتسكون علامات وحدودا بين الحل والحرم . (٣) بيّتهم : أوقع بهم ليلاً . (٤) الوتير : ماء بين عرفة إلى أدام . (٥) تجاوز الغريقان : انحاز كل واحد عن الآخر . (٦) رفدت : أعانهم .

فلما تظاهرت قريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقَضُوا ما كان بينهم وبين رسول الله من العهد والميثاق بما استحلَّوا من خُزاعة ، خرج عمرو بن سالم الخُزاعي ، حتى قدم على رسول الله بالمدينة ، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهري الناس فقال :

لا هُمَّ إني ناشدُ حَمَّدا	حَافَ أَيْبِنَا وَأَيْبِهِ الْأَتْنَدَا ^(١)
فوالدَا كُنَّا وَكُنْتَ وَلدَا	ثُمَّتَ أَسْمَنًا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فانصُرْ هَذَا كَاللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا ^(٢)	وَادِعُ عِبَادِ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا	أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَتَمَى صُعْدَا
إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تُرَبَّدَا ^(٣)	فِي فَيْلَقِ ^(٤) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا	وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا
وَجَعَلُوا لِي فِي كِدَاءِ ^(٥) رُصْدَا	وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا	هُمُ بَيْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا ^(٦)

* فقتلونا رُكَمًا وَسُجْدَا *

فقال رسول الله - حين سمع ذلك : قد نصرت يا عمرو ! وجاء بُدَيْل بن وَرْقَاء في نفرٍ من خُزاعة ، حتى قدموا على رسول الله فأخبروه بمن أصيب منهم ، وبمظاهرة^(٧) قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة .
وقال رسول الله للناس : كائني بأبي سُفْيَانَ قد جاء لَيْشُدَّ الْعَقْدِ ، ويزيد في المدة .

(١) ناشد . طالب . الأتلد : القديم . (٢) أعتدا : حاضرأ .

(٣) الخسف : الذل ، وسيم الخساف : كلفه ، وتربد : تغير .

(٤) الفيلق : العسكر الكثير . (٥) كداء : موضع بمكة . (٦) الوتير : اسم ماء .

(٧) المظاهرة : المعاونة .

ومضى بُدَيْلٌ وأصحابُه ، فلقوا أبا سفيان بُسْفَانَ^(١) قد بعثته قريش إلى النبيّ
ليشدّ العقد ، ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا .

فقال أبو سفيان : من أين أقبلت يا بُدَيْل ؟ قال : سرتُ في خزاعة في هذا
الساحل ، وفي بطن هذا الوادي . قال : أجيئت محمداً ؟ قال : لا .

فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان : إن كان بُدَيْل قد ذهب إلى المدينة فقد
أكلت راحلته النوى ، ثم حمِد إلى مَبْرَكٍ ناقته فأخذ من بَعْرِها ففتته ، فرأى فيه
النوى ، فقال : أخلِفْ لقد جاء بُدَيْل محمداً !

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حَبِيبَةَ - زوج رسول
الله - فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوّتهُ عنه ، فقال : يا بُنَيَّةُ ؛
والله ما أدري ، أرغبتِ بي عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ؟ قالت : بل هو
فراش رسول الله ، وأنتَ رجلٌ مُشْرِكٌ ، فلم أحب أن تجلسَ على فراش رسول الله !
قال : لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بمدى شرّاً !

ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ، فكلمه فلم يرُدّ عليه شيئاً . ثم ذهب إلى أبي بكر
فكلمه أن يكلم رسولَ الله . فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ،
فقال : أنا أشفعُ إلى رسول الله ، فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ^(٢) لجاهدتكم به .
ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب ، وعنده فاطمةٌ ومعهما الحسن بين يديها ،
فقال : يا عليّ ؛ إنك أمسُّ القومِ بي رحماً ، وأقربهم مني قرابةً ، وقد جئتُ في حاجةٍ
فلا أرجمن - كما جئتُ - خائباً . اشفعْ لنا إلى محمد ، قال : وَيْحَكَ يا أبا سفيان !

(١) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . (٢) الذر : صغار النمل .

والله لقد عزم رسول الله على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال :
يا بنتَ محمد ؛ هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا فيجبرَ (١) بين الناس ، فيكون سيّدَ
العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بُنيّ ذلك أن يُجبرَ بين الناس ، وما يُجبرُ
على رسول الله أحد ، قال : يا أبا الحسن ؛ إنى أرى الأمورَ قد اشتدّت علىّ فالصّحنى .
فقال : والله ما أعلمُ شيئاً يُمنى عنك شيئاً . ولكنك سيّدُ بنى كِنانة ، فقم فأجبرُ
بين الناس ، فالحق بأرضيك . قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ! قال : لا ، والله
ما أظنّ ، ولكن لا أجدُ لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ، إنى قد أجزتُ بين الناس . ثم
ركب بميره فانطلق .

فلما قدّم على قریش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلّمته ، فوالله ما ردّ
علىّ شيئاً . ثم جئتُ ابنَ أبي قُحافة فلم أجدُ عنده خيراً ، ثم جئتُ ابنَ الخطّاب
فوجدته أعدى القوم ، ثم جئتُ علىّ بنَ أبي طالب فوجدته ألين القوم ، وقد أشار
علىّ بشيء صنمته ، فوالله ما أدرى هل يُغنينى شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبماذا أمرك ؟
قال : أمرنى أن أجبر بين الناس ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ؛
قالوا : ويملك ! والله إن زاد على أن آمب بك ، فما يُغنى عنا ما قلت ، قال : الله
ما وجدتُ غير ذلك .

وأمر رسول الله بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهّزوه ، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة
وهي تمرك جهاز النبيّ ، فقال : أى بنىّة ، أمركم رسولُ الله أن تجهّزوه ؟ قالت :

(١) يجبر بين الناس : أى يفضل بينهم ويمنهم من البنى والمدوان .

نعم فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : والله ما أدري ! ثم إن رسول الله أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدِّ والتهيؤ ، وقال : اللهم خذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتى نبغتها^(١) في بلادها . فتجهز الناس .

ولمَّا أجمع رسولُ الله المسيرَ إلى مكة كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسولُ الله من السيرِ إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جملا^(٢) على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في رأسها ثم فتلَّت عليه قرونها ، وخرجت به .

وأتى رسولُ الله الخبرُ من الوحي ، فبعث علىَّ بن أبي طالب والزيير بن العوام ، وقال لهما : أدركا امرأة قد كتبت معها حاطبُ بكتابٍ إلى قريش يحذرون ما قد أجمعنا له في أمرهم .

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة^(٣) ، فاستنزلاها ، والتمسا الكتابَ في رحلها فلم يجدا شيئا . فقال لها علىَّ : إني أخلف ما كذب رسولُ الله ، ولا كذبتنا ، ولنُخرجنَّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنَّك ! فلما رأته الجدة منه قالت : أعرضنا عنى ، فأعرضنا عنها ، فتلَّت قرونَ رأسها واستخرجت الكتابَ منه ، فدفعته إليهما فجاءا به إلى النبي .

ودعا رسولُ الله حاطبا ، فقال : يا حاطبُ ؟ ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ؟ أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ؛ ما غيرتُ ولا بدلتُ ، ولكني كنتُ امرأةً ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد ، فصا نمتهم عليهم . فقال : عمر : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنقه ؛ فإنَّ الرجلَ قد نافق .

(١) نبغتها : فاجتها . (٢) جملا : ما يجعل مقابل عمل . (٣) الخليقة : ماء بين مكة واليامة .

فقال رسولُ الله : وما يدريك يا عمر ! لعلَّ الله قد اطَّلَعَ على أصحابِ بَدْرِ يومِ بَدْرِ ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم ^(١) .

ثم بَرِحَ رسولُ الله المدينةَ ، واستخلفَ عليها أبا رُهم كاثوم بن حُصَيْن .

ومضى النبيّ لسَفَرِهِ ، حتى نزلَ مَرَّ الظَّهْران ^(٢) في عشرة آلاف من المسامِين ، وكانت قد عُصِّيت الأَخْبَارُ عن قريش فلم يأتهم خبرٌ عن رسولِ الله ، ولم يَدْرُوا ماهو فاعل . وخرج في بعض تلك الليالي أبو سفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن وَرْقَاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خَبْرًا أو يسمعون به !

قال العباس بن عبد المطلب : ولما نزل رسولُ الله مَرَّ الظَّهْران قلتُ : يا صباح قريش ! والله لَأَنْ بِنْتَهَا ^(٣) رسولُ الله في بلادها فدخل مكة عَنَوَةً ، إنه لهلاكُ قريش آخرَ الدهر . وجلس على بغلة رسولِ الله البيضاء ، وقال : أخرجُ إلى الأَرَاك لعلِّي أَرَى حَطَّابًا ^(٤) ، أو صاحب لبٍ ، أو داخلا يدخلُ مكة فيخبرهم بمكان رسولِ الله فيأتونه فيستأمنونه .

فخرجتُ ؛ فوالله إنِّي لأطوفُ في الأَرَاكِ أَلْتَمِسُ ما خرجتُ له ، إذ سمعتُ صوتَ أبي سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسَّسون الخبر عن رسولِ الله ، فسمعتُ أبا سفيان يقول : والله مارأيتُ كاليوم قطُّ نيرانا . فقال بُدَيْل : هذه والله خَزَاعَةٌ قد حَمَشَتْهَا ^(٥) الحرب . فقال أبو سفيان : خَزَاعَةٌ أذلُّ وأقلُّ من أن تكونَ هذه نيرانها ! فعرفتُ صوته ، فقلت : يا أبا حَنْظَلَةَ ،

(١) أنزل الله تعالى في حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة . . . » سورة المتحنة . (٢) مر الظهران : واد قرب مكة . (٣) بنتها : فاجأها . (٤) الحطاب : ما أعد من الشجر وقوداً ، وحطبه : جمعه . (٥) حمشتها الحرب : أغضبها .

فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل! قلت: نعم، فقال: لبيك فذاك أبي وأمي! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله قد دلف^(١) إليكم بما لا قبل لكم به، قال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي! قلت: تر كَبُّ عَجُز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله؛ فوالله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك. فردقني^(٢)، فخرجت به أركضُ بغلة النبي نحو المسلمين، فكلما مررت بناري من نيران المسلمين ونظروا إلي قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد! ثم اشتد^(٣) نحو النبي، وركضت البغلة وقد أردفتُ أبا سفيان حتى اقتحمت على باب القبة، وسبقتُ عمر بما تسبقُ به الدابة البطيئة الرجل البطيء، فدخل عمر على رسول الله فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه.

فقلت: يا رسول الله، إني قد أجزته، ثم جلستُ إلى النبي فأخذتُ برأسه فقلت: والله لا يناجيه اليوم أحدٌ دوني، فلما أكثرُ عمر في شأنه قلتُ: مهلاً يا عمر؛ فوالله لو كان من رجال بني عدي^(٤) بن كعب ما قلتُ هذا، ولكنك عرفتُ أنه من رجال بني عبد مناف. فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إلي رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله: اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحتَ فأتني به.

فذهبتُ به إلى رَحْلِي، فباتَ عندي. فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله، فلما رآه قال: وَيْحَكَ يا أبا سفيان! ألم يَأْنِ^(٥) لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله! قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننتُ أن لو

(١) دلف: تقدم. (٢) تبعني. (٣) اشتد: عدا وأسرع. (٤) قوم عمر.

(٥) لم يَأْنِ لك: ألم يحن لك الوقت الذي تعلم فيه...

كان مع الله إلهٌ غيرُهُ لقد أغنى عني شيئاً ، قال : وَيَحْكُ يَا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلمَ أني رسولُ الله ! فقال : : بأبي أنت وأمي ! ما أوصلك وأحملك وأكرمك ! أمّا هذه ففي النَّفْسِ منها شيء . فقال العباس : وَيَيْلُكَ ! أَسْلِمَ ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسولُ الله قبل أن تُضْرَبَ عنقُكَ ، فشهد شهادةَ الحقِّ . فقال رسولُ الله للعباس حين تشهد أبو سفيان : انصُرِفْ يا عباس فاحسبْه عند خَطْمِ^(١) الجَبَلِ بِمَضِيقِ الوادِي حتى تمرَّ عليه جُنُودُ الله ، فقلت : يارسولَ الله ، إنَّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخرَ ، فاجعلْ له شيئاً يكون له في قومه . فقال : نعم ، مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المسجدَ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ عليه بابه فهو آمِنٌ .

نُفِرَتْ فحسبته عند خَطْمِ الجبلِ بِمَضِيقِ الوادِي ، فمرَّت القبائلُ على راياتها ، وكلّما مرت قبيلة ، قال : يا عباس ؟ مَنْ هذه ؟ فأقول : سُلَيْمٌ ، فيقول : مالي ولسلِيم ! ثم تمرُّ القبيلةُ فيقول : يا عباس ؟ مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : مَرْزِينَةٌ ، فيقول : مالي ولمَرْزِينَةٍ ! حتى نفدت القبائلُ ، ما تمرُّ قبيلةٌ إلا يسألني عنها ، حتى مرَّ رسولُ الله في كتيبته الخَضْرَاءُ^(٢) ، فيها المهاجرون والأنصار لا يرَى منهم إلا الحَدَقُ^(٣) من كثرة الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ! مَنْ هؤلاء ؟ قلت : هذا رسولُ الله في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابنِ أخيكَ عظيماً ، قلت : يا أبا سفيان ؛ إنها النبوةُ ، قال : فنعَمْ إِذَنْ ، قلت : الحقُّ بقومك الآن فحذّرهم .

(١) خطم الجبل : مقدمه . (٢) إنما قيل لها خضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

(٣) جمع حدقة ، وهي سواد العين .

فخرج أبو سفيان سريماً حتى أتى مكة ، فصرخ في المسجد : يامعشر فريش ؛ هذا محمد قد جاءكم بما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة فقالت : اقتلوا هذا الحيت الدسيم الأحمش^(١) . فبُح من طليمة قوم ! قال : ويلكم ! لا تفرنكم هذه من أنفسكم ؛ فإن محمداً قد جاءكم بما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قلوا : قاتلك الله ! وما تمنى عنا دارك ! قال : ومن أغتاق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففترق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

ولما انتهى رسول الله إلى ذي طوى^(٢) وقف على راحلته مُمتجراً بشقة برود حبرة حمراء^(٣) ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عشونته^(٤) ليكاد يمس واسطة الرخل .

وينا رسول الله يدي طوى ، وقف أبو قحافة وقال لابنة له : أي بُنية ، اظهري بي علي أبي قبيس^(٥) . فأشرفت به عليه - وقد كُفَّ بصره - فقال : أي بُنية ؛ ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمماً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسمي بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً . قال : أي بنية ؟ ذلك الوازع^(٦) . ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، وكان في عنق الجارية طوقاً

(١) أصل الحيت : زق السمن ، وهي تعني أبا سفيان استغظاما لقوله . الدسيم : الدني من الرجال ، ورجل حش الخلق : دقيق الحلقة ، قالته في معرض الدم . (٢) ذو طوى : مثل الطاء : موضع قرب مكة . (٣) معتجراً : مقبلاً ، والشقة : النصف ، والحبرة : ضرب من ثياب اليمن . (٤) عشون : حية . (٥) أبو قبيس : جبل بمكة . (٦) الوازع في الحرب : الموكل بالصقوف يتقدم الصف فيصلحه ، ويتقدم ويؤخر .

من وَرِقٍ^(١) ، فتلقاها رجل فقطعه من عنقها^(٢) .

وكان رسولُ الله قد فرَّق جيشه من ذى طُوًى ، فأمر الزبير بن العوام أن يدخلَ في بعض الناس من كُدَيْ^(٣) ، وأمر سعد بن عبادة^(٤) أن يدخلَ في بعض الناس من كَدَاء^(٥) ، وأمر خالد بن الوليد فدخل من اللَّيْطِ^(٦) أسفل مكة في بعض الناس ، وأبو عُبَيْدة بن الجراح بالصفِّ من المسلمين يتصبَّب^(٧) لِمَكَّة بين يدي رسول الله . ودخل النبي من أذخر^(٨) حتى نزل بِمَكَّة ، وضربت له هناك قُبَّتُهُ .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وسُهَيْل بن عمرو قد جمعوا ناسا بِالْحَنْدَمَةِ^(٩) ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس يُعِدُّ سِلَاحًا قَبْلَ دخول رسول الله ويُصلِحُ منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدُّ ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أرى أنه يقومُ لحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم .

ثم شهيد الحَنْدَمَةَ مع صفوان وسُهَيْل وعكرمة . فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوَسُوهم شيئاً من قتال فانهزموا . وخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى على بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

(١) ورق : فضة . (٢) ولا وصل رسول الله إلى مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه بقوده فلما رآه رسول الله قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ! قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يعشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره وقال : أسلم ، فأسلم . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد فقال : أى أختية ، احتسى طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

(٣) كدى : جبل أسفل مكة على طريق اليمن . (٤) زعم بعض أهل العلم أن سعداً - حين وجه داخلا - قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحُرمة . فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن تكون له في قریش صولة ، فقال : رسول الله اعلى بن أبى طالب ؛ أدركتة نخذ الراية منه ، فسكن أنت الذى يدخل بها . (٥) كداء : جبل بأعلى مكة . (٦) الليط : موضع أسفل مكة . (٧) يتصبب : ينحدر . (٨) أذخر : موضع قرب مكة . (٩) الحندمة : جبل .

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
 وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمَوْتِمَةِ وَاسْتَقْبَلْتَهُمْ بِالسِّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ (١)
 يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجْمَةٍ ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةٌ
 لَهُمْ نَهْيَةٌ (٢) خَلْفَنَا وَهَمْمَةٌ لَمْ تَنْطِقِي فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وكان رسول الله قد عهد إلى أمرائه من المسلمين - حين أمرهم أن يدخلوا مكة -
 ألا يقتلوا أحداً غير من قاتلهم إلا نفرأ تنمائم ، أمر بقتلهم ، وإن وجدوا تحت
 تحت أستار الكعبة (٣) .

ولما نزل رسول الله مكة ، واطمأن الناسُ خرج حتى جاء البيت فطاف به سبماً
 على راحلته يستلم الرُّكنَ بِمِخْجَنٍ فِي يَدِهِ (٤) . فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ،
 فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها : ثم وقف على باب الكعبة ، وقد
 استسكف (٥) له الناسُ في المسجد ، فقام رسول الله على باب الكعبة فقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وَعْدَهُ ، ونصر عبده وهزم الأحزاب
 وحده ، ألا كلُّ مأثرة أو دمٍ أو مالٍ يَدْعَى فهو تحت قَدَمِي هَاتينِ إلا سِدَانَةٌ
 البيتِ وسِقَايَةُ الْحَاجِّ . ألا وقتيلُ الخطأِ شَبِيهُهُ لِمَعْمَدٍ بِالسُّوْطِ وَالْمِصَا فِيهِ الدِّيَةُ مَغْلُظَةٌ
 مائة من الإبل ، وأربعمون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد
 أذهبَ عنكم نخوةَ الجاهليةِ وتمظُّمها بالآباءِ ، الناسُ من آدم ، وآدمُ من تراب .
 ثم تلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
 لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعلُ بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم
 وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلُقَاءُ .

(١) المؤتمة : التي قتل زوجها . المسلمون . (٢) النهيت : الزئير . (٣) منهم
 عبد الله بن سعد أخو عامر بن لؤي ، وعبد الله بن خطل ، والحويرث بن نقيذه . (٤) المحجن :
 عود موج الطرف يسكه الراكب للبعير في يده . (٥) استسكف له : اجتمعوا له .

ثم جلس رسولُ الله في المسجد ، فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومفتاحُ الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ؛ اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السقاية ، فقال النبي : أين عثمانُ ابن طلحة ؟ فدُعِيَ له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليومُ يومُ برٍّ ووفاء . ثم قال لعليّ : إنما أعطيتكم ما تُرزءون لا ما تُرزءون^(١) .

ثم اجتمع الناسُ بمسكةٍ لبِيعَةِ رسولِ الله على الإسلام ، فجالس لهم على الصَّفَا ، ولما فرغ النبيّ من بيعة الرجال بايَعَ النساء ، واجتمع إليه نساءٌ من قريش ، فيهنَّ هند بنت عُتبة متنفقةً متنكِّرةً لحدّثها وما كان من صنيعها بحمزة ، فلما دنونَ منه ليبايعته ، قال رسولُ الله : تبايعنني على ألا تُشركنَ بالله شيئاً ؟ فقالت هند : والله إنك لتأخذُ علينا أمراً ما تأخذُه على الرجال ، وسنؤتيك ، قال : ولا تسرقنَ ، قالت : والله إن كنتُ لأُصيبُ من مالِ أبي سفيانِ الهنةَ والهنةَ^(٢) ، وما أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؛ فقال أبو سفيانٍ - وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبتُ فيما مضى فأنتِ منه في حلٍّ ، فقال رسولُ الله : وإنك لهند بنتُ عتبة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عما سلف ، عفا الله عنك . قال : ولا تزنيين ، قالت : وهل تزني الحرة ! قال : ولا تقتلنَ أولادكنَّ ، قالت : قد ريبتنَّهنَّ صغاراً وقتلتنَّهنَّ يوم بدرٍ كباراً ، فأنتِ وهم أعلم ، فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب^(٣) . قال : ولا تأتينَ بهتانهنَّ^(٤) تفترينه بين أيديكنَّ وأرجلكنَّ ، قالت : إن إتيانِ بهتانٍ لقبيحٌ ، ولبعضُ التجاوز أمثل . قال : ولا تمصينني في معروف ، قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريدُ أن نمصيك في معروف . فقال رسولُ الله لعمر : بايعنَّ ، واستغفرنَّ لهنَّ ، فبايعنَّ عمر .

(١) رزأه : أصاب منه خيراً . (٢) الهنة : الشيء القليل .

(٣) استغرب في ضحكته : بالغ فيه . (٤) أي لا يأتين بولد من غير أزواجهن فينسبهن إلى

الزوج فإن ذلك بهتان وغيرة . ويقال : كانت المرأة تلتقطه فكتبتاه .

١٣ - يوم حُنين*

سمعت هوازِنُ بخروج^(١) رسولِ الله من المدينة ، وظنُّوا أنه يريدُهم ، فاجتمعوا له ، فلما أتاهم أنه قد اتَّجَّه إلى مكة ، وأنه قد فتَح اللهُ عليه بها ، خافوا أن يسيرَ إليهم ويُغزُوهم ، ومشت أشرافُ هوازِنٍ وثَقِيفٍ بعضها إلى بعض ، وقالوا : إن محمداً قد فرغ لنا ، ولا مانعَ له دوننا ؛ فالرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا ، وأجمَعُوا أمرهم على ذلك^(٢) .

وكان جِماعُ الناس حينئذٍ إلى مالك بن عوف النَّصْرِيِّ ، فلما أجمع مالكُ المسيرَ لقتالِ المسلمين حَطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم .

ونزل بأوطاس^(٣) فاجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ^(٤) - وكان شيخاً كبيراً ليس فيه شيء إلا التَّيْمَنُ برأيه ومعرفةً بالحرب - في شِجَارِ^(٥) له يُقَادُ به بَعِيرُهُ ، فقال دُرَيْدُ : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجالُ الخيل ! لا حَزَنٌ ضَرَسَ ، ولا لَبَنٌ دَهَسَ^(٦) . مالى أسمعُ رُغَاءَ البعيرِ ونهاقَ الحميرِ ويُمارَ^(٧) الشَّاءَ ، وبسكاءِ الصَّعِيرِ ؟ قالوا : ساقِ مالكِ بن عوفٍ مع الناس أموالهم وأبناءهم

* سيرة ابن هشام : ٤ - ٦٥ ، السيرة الحلبية : ٣ - ١٢١ ، سيرة دحلان : ٢ - ٣١٣ ، الطبري ٣ - ١٢٥ . وكان هذا اليوم في اليوم في السنة الثامنة من الهجرة . وحنين : واد إلى جنب ذى الحجاز ، ويسمى غزوة أوطاس ، وهوازن .
(١) كان قد خرج لفتح مكة . (٢) لم يتخلف من هوازن إلا كعب وكلاب . (٣) أوطاس : واد في ديار هوازن ، وفيه عسكرواهم وثقيف . (٤) كان رئيس بني جشم وسيدهم وأوسطهم ، ولكن السن أدركته حتى ضعف ضعفاً شديداً . (٥) الشجار : الهودج الصغير الذي يكنى واحداً نُسب . (٦) الضرس : ما خشن من الآكام ، والدهس : السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملاً وليس هو بتراب ولا طين . (٧) يمار : صوت .

ونساءهم . فقال : وأين مالك ؟ فدُعِيَ له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإن هذا يومٌ له ما بعده من الأيام ؛ مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ البعيرِ وَنُهَاقَ الحميرِ وَيُعَارَ الشاءِ وَبُكَاءَ الصغيرِ ! قال : سَقْتُ مع الناسِ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خَلْفَ كلِّ رجلٍ أهله وماله ليقاتلَ عنهم . فَأَنْقَضَ به^(١) ، ثم قال : راعى ضأنٌ والله ! هل يردُّ النهزمَ شيءٌ ! إنها إن كانت لك لم ينفمك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك . ما فعلت كعبٌ وكلاب^(٢) ؟ قال : لم يشهد منهم أحدٌ ، قال : غاب الحدُّ والجدُّ^(٣) ، ولو كان يوم علاءٍ ورفعة لم تغب كعبٌ ولا كلابٌ ، ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلوا ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجدعان^(٤) من بنى عامر لا ينفعان ولا يضران . يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٥) — بيضة هوازن — إلى نُجُورِ الخليلِ شيئاً ؛ ارفعهم إلى مُتَمَنِّعِ بلادهم وعُلياً قومهم ، ثم القَ الصِّبَاءَ^(٦) على مُتُونِ الخليلِ ، فإن كانت لك لِحِقَ بك من وراءك ، وإن كانت عليك أَلْفَاكُ ذلك وقد أحرزتِ أهلك ومالك ، قال : والله لأفعل ؛ إنك قد كبرتِ وكبرتِ علمك لتطيمُنِي يامعشرَ هوازن أو لأتكننَ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . قال دُرَيْدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ، ولم يفتني :

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ^(٧) أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ^(٨)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الرَّمَعِ^(٩) كَأَنَّهَا شَاةٌ^(١٠) صَدَعٌ^(١١)

(١) أنقض به : نقر باسائه في فيه كما يزجر الخمار ؛ فعل ذلك استجهالاً له . (٢) كعب وكلاب : قبيلتان في هوازن . (٣) اخذ : البأس ، والجد : الحفظ .
(٤) الجدعان : مثنى جدع ، بالفتح وهو صغير السن . (٥) البيضة : أصل القوم ومجتمعهم . (٦) جمع صابٍ ، وكانوا يسمون المسلمين صباءً ، لأنهم خرجوا من دين قريش إلى الإسلام . (٧) الجدع يريد : شاباً . (٨) الحبب والإيضاع : ضربان من السير . (٩) الرمعه : هنة زائدة وراء الظلف ، وجمعه زمع . — والوضف : أصابه كثرة شعر الحاجبين والعينين ، يريد فرساً هذه صفتها . (١٠) الشاة : يريد الوعل . (١١) الصدع : الفنى الشاب القوي .

وبعث مالكُ بنُ عوفٍ عُيوناً من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبرِ الناسِ .
فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : وَيَلَكُم ! ماشاً نكم ؟ قالوا : رأينا رجلاً
بيضاً على خَيْلٍ مُبَلَقٍ ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ماترى ، فلم يَنْهَهُ ذلك عن
وَجْهِهِ ، ومضى على ما يريد !

ولما سمع بهم رسولُ الله بعث إليهم عَبْدَ اللهِ بنُ أَبِي حَدْرَدٍ ، وأمره أن يدخلَ
في الناس ، فيقيمَ فيهم حتى يَأْتِيَهُ بِخَبْرٍ مِنْهُمْ ، ويعلمَ عِلْمَهُمْ ؛ فانطلق فدخل فيهم ،
فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له مِنْ حَرْبِ الرَّسُولِ ، وعلمَ أمرَ مالِكٍ وهوازن
وما هم عليه .

ثم أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبرَهُ خبرَهُمْ ، فقال : انتهيتُ إلى خِيَاءِ
مالكِ بنِ عوفٍ ، وعنده رؤساءُ هَوَازِنَ ، فسمعتُهُ يقول : إن محمداً لم يُقاتلْ قوماً
قطَّ قبل هذه المرة ، وإنما كان يلقى قوماً أَغْمَاراً^(١) لا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فيظهر عليهم ،
فإذا كان السَّحَرُ فَصُفُّوا مواشِيَكُمْ ونساءكم وأبناءكم مِنْ ورائكم ، ثم تكونُ الحَمَلَةُ
منكم ، واكسروا أَغْمَادَ سيوفكم فتلقونهُ بمشرين ألف سيف ، واحلوا حَمَلَةَ
رجلٍ واحدٍ ، واعلموا أن الغلبةَ لمن حَمَلَ أَوْلَا .

فدعا رسولُ الله عمرَ بنَ الخطابِ ، فأخبره خبرَ ابنِ أَبِي حَدْرَدٍ ، فقال عمر :
كذب ، فقال ابنُ أَبِي حَدْرَدٍ : إن تكذبتني فطالما كذبتَ بالحقِّ يا عمر ، فقال عمر :
ألا تسمع يا رسولَ الله إلى ما يقول ! فقال : قد كفتَ ضالاً فهداك اللهُ يا عُمَرُ .

ولما أجمع النبيُّ السيرَ إلى هَوَازِنَ لِيَلْتَقَاَهُمْ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ عِنْدَ صَهْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ
أدراعاً وسلاحاً - وهو يومئذ مُشْرِكٌ - فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أُمَيَّةَ ، أعرنا سلاحك

(١) الأغمار : جمع غمر ، بضم أوله ، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور ، ويطلق على
كل من لا غناء عنده ولا رأى .

هذا نلقى فيه عدونا غداً . فقال صفوان : أغضباً يا محمد ! قال : بل عارية مضمونة حتى نؤدّيها إليك . قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح .

ثم خرج النبيُّ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسولُ الله عتاب بن أسيد^(١) على مكة أميراً على الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازين . ولما استقبل المسلمون وادي حنين انحدروا في وادي من أودية تهامة ، وكان القوم قد سبقوهم إلى هذا الوادي ، فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه^(٢) ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فمراهم إلا الكتائب^(٣) قد شددت عليهم شدة رجل واحد ، واستقبلوهم بالنبيل كأنهم جرّادٌ منتشر .

وانهزم الناس أجمعون ، فانشمروا^(٤) لا يلوئى أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز^(٥) الرسولُ ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إليّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد ابنُ عبد الله ! وانطلق الناس ، إلا أنه قد بقيَ مع رسول الله نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

ولما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله من جفأة مكة الهزيمة تكلم رجالٌ بما في أنفسهم ، فقال أبو سفيان : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وقال كلدة ابن الحنبل : ألا بطل السحرُ اليوم ! وقال شيبة بن عثمان^(٦) : اليوم أدرك ثأري .

(١) عتاب بن أسيد : استعمله النبي على مكة عام الفتح ، ثم أقره أبو بكر فاستمر فيها إلى أن مات يوم مات أبو بكر . (٢) الشعاب : جمع شعب ، وهو الطريق في الجبل . (٣) الكتيبة : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المائة إلى الألف . (٤) انشمر الرجل ، إذا مرجاداً ومضى . (٥) انحاز : عدل . (٦) كان أبوه قتل يوم أحد .

سأقتل محمداً . ورأى رسولُ الله الناسَ لا يَلوونَ على شيءٍ ؛ فقال : يا عباسُ ؛
اصرخ : يا معشرَ الأنصار ، يا أصحابَ السَّمرةِ (١) ! فنادى العباسُ : يا معشرَ الأنصار!
يا معشرَ أصحابِ السَّمرةِ ! فأجابوا : لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ !

وكان الرجلُ منهم يذهب لِيَتُنَبِّئَ بِمِيرِهِ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَهُ فيقذفها
في عنقه ، ويأخذ سيفه وترُسَه ، ثم يترك بميره ويخْلِ سبيله في الناس ، ثم يَوْمُ
الصوت حتى ينتهيَ إلى رسولِ الله ، حتى إذا اجتمع إليه مائةُ رجلٍ منهم استقبلوا
الناسَ فاقتتلوا ، وأشرفَ رسولُ الله فنظرَ إلى مُجْتَلِدِ القومِ (٢) ، فقال : الآنَ سَمِيَ
الوطيسُ (٣) .

ورأى الناسُ رجلاً من هوازنٍ على جَمَلٍ أَحْمَرٍ ، بيده رايةٌ سوداءُ ، في رأسِ
رُمَحٍ طويلٍ يتقدم هوازنٍ ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناسُ رفع رُمحه لَمَن
وراءه فاتبعوه ، فهو (٤) له عليُّ بنُ أبي طالبٍ ورجلٌ من الأنصار يُريدَانِهِ ، فأتاه
عليٌّ من خلفه ، فضرب عُرقوبِي الجملِ فوقَ عليٍّ عَجْزُهُ ، ووثب الأنصاريُّ عليه فضربه
ضربةً أظنَّ (٥) قدمه يَنصِفُ ساقه ، فأنجف (٦) عن رَحْلِهِ .

واجتلد الناسُ ، فارجعت راجعةُ الناسِ مِنْ هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى
عند رسولِ الله .

والتفت رسولُ الله إلى جانبه فرأى أبا سفيان بن الحارث ، وهو آخذٌ بِثَقَرٍ (٧)
بَنَاتِهِ ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : أنا ابنُ أمِّك يا رسولَ الله !

(١) السمره : الشجرة التي كانت تحتمها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٢) مجتلد القوم : موضع الجلاذ ، وهو الضرب بالسيف في القتال . (٣) الوطيس : شيء
يتخذ مثل التنور يختبئ فيه ، وهذا كناية عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق . وقيل الوطيس :
حجارة مدورة فإذا سميت لم يمكن أحداً الوطء عليها ، وهذا يضرب مثلاً للأمر إذا اشتد .

(٤) هوى له : أسرع . (٥) الإطنان : سرعة القطع . (٦) أنجف : انقلب .

(٧) الثفر : السير الذي في مؤخر السرج .

والتفت فرأى أمَّ سُليْمٍ معَ زَوْجِهَا ، وَهِيَ حَازِمَةٌ وَسَطَهَا بَرْدٌ لَهَا ، وَمَعَهَا جَمَلٌ
زَوْجِهَا ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَمُرَّهَا ^(١) الْجَلُّ ، فَأَذْنَتُ رَأْسَهُ مِنْهَا ، وَأَدْخَلْتُ يَدَهَا فِي
خِرَامَتِهِ ^(٢) مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ : أُمُّ سُلَيْمٍ ، قَالَتْ : نَعَمْ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَزُمُونَ عَنْكَ ؛ كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكَ ؛ فَإِنَّهُمْ
لِذَلِكَ أَهْلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَوْ يَكْفِيكَ اللَّهُ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ! وَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ
زَوْجِهَا : مَا هَذَا الْخِنْجَرُ الَّذِي مَعَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟ قَالَتْ : خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ ، إِنْ دَنَا
مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَمَجَّتِهِ بِهِ ^(٣) ، قَالَ : أَلَا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ
أُمُّ سُلَيْمٍ الرَّمِيصَاءُ ^(٤) !

وَانهزمت هوازنُ ، فاستحجرت ^(٥) القتلُ من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم
كثير ؛ وكانت رأيتهم مع ذى الخمار ^(٦) ، فلما قُتِلَ أَخَذَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَاتَلَ
بِهَا حَتَّى قَتَلَ ؛ وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ قَتْلَهُ قَالَ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قَرِيشًا .

وكانت رايةُ الأَحْلَافِ ^(٧) مَعَ قَارِبِ بْنِ الْأَسْوَدِ ^(٨) ، فَلَمَّا هَزِمَ النَّاسُ أَسْنَدَ
رَايَتَهُ إِلَى شَجَرَةٍ ، وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ مِنَ الْأَحْلَافِ ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ
إِلَّا رَجُلَانِ .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم

(١) يبرزها : يعلبها . (٢) المزاماة : حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد فيها
الزمام . (٣) بمجته به : شققت به بطنه . (٤) الرميضاء ، من الرمس ، وهو قذى
تتلفظه العين . (٥) استحجرت : اشتد . (٦) قال عباس بن مرداس فيه :

وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاتِبُ أَوْ نَكِيرٌ

(٧) الأَحْلَافِ : قوم من ثقيف ، وكانت ثقيف فرقتين : بنو مالك والأحلاف .

(٨) يقول فيه عباس بن مرداس :

أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جِدْوَةٌ وَأَحْلَامٌ إِلَى عِزِّ تَصِيرُ

بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبعته خيلُ رسولِ الله من سلك في نخلة ، فأدرك ربيعة بن رُفيع دُرَيْدَ بن الصَّمَّة فأخذ جماله ، وهو يظنُّ أنه امرأة ، وذلك أنه في شجَّارٍ له فإذا برجل ؛ فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبير ، وإذا هو دُرَيْدُ بن الصَّمَّة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريدُ بي ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفيع ، ثم ضربه بسيفه فلم يُغنِ فيه شيئاً ، فقال : بئس ما سلَّحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرِّحْل - وكان في الشَّجَّار - ثم أضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ؛ فإنك كذلك كنتُ أضربُ الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّة ؛ فربَّ يوم قد منعتُ فيه نساءك ، فضربه فوق ، فتكشَّف (١) ؛ فإذا عجَّانه (٢) ويطون فيخذيته مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء (٣) . ثم مات .

وبعث رسولُ الله في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فتناوش (٤) القوم في القتال ، فرمى سلمة بن دُرَيْدُ أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله ، فقال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهُ (٥)
* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

وولى الناس أبا موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله على يديه وهزمهم .
وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه على ثنية (٦)
من الطريق ، وقال لأصحابه : ففوا حتى تمضي ضعفاؤكم ويلحق أخراكم ، فوقف

(١) تكشف ، الكشف : رمك الشيء عما يواريه وينطيه .

(٢) المجان : الاست . (٣) أى من غير سروج ، ويقال إن ربيعة لما رجع إلى أمه أخبرها

بقتله دريداً . فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

(٤) تناوش القوم في القتال ، إذا تناول بعضهم بعضاً بالرماح ولم يتناولوا كل التناوش .

(٥) سمادير : أمه . (٦) الثنية : الطريقة في الجبل كالنقب .

هناك حتى مضى مَنْ كان لحق بهم من مُهزِمةِ الناس . فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذن خيلهم ، طويلةً بوادهم^(١) ، فقال : هؤلاء بنو سليم ؛ ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالا^(٢) على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم . ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويل الباد ، واضعاً رُمحَه على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاءة حمراء . فقال : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات ليخالطكم^(٣) ! فابتئوا . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمدهم ، فلم يزل يُطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

ثم مُجعت إلى رسول الله سبايا حُنين وأموالها ، وأمر رسول الله بالسبايا والأموال إلى الجمرانة^(٤) ، فحُيِّست بها^(٥) .

وقدم فلٌ ثقيف الطائف ، وأغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنموا الصنائع للقتال ؛ فسار رسولُ الله حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، وقتل ناسٌ من أصحابه بالثبيل ، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم الذي أغلقوه دونهم . فلما أصيب أولئك النفر بالثبيل ، وضع النبي صلى الله عليه وسلم عسكره عند مسجده الذي بالطائف ، وحاصرهم بضماً وعشرين ليلة . ثم رماهم بالمنجنيق^(٦) ،

(١) بوادهم جمع باد ، وهو أصل الفخذ . (٢) أغفال : جمع غفل ، وهو مالا علامة له .
(٣) يخالطكم ، خالطه : مزجه . (٤) الجمرانة : موضع قريب من مكة ، وأهل الحديث يكسرون عينه ، ويشددون راءه . (٥) مرّ رسول الله يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مجتمعون عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد . فقال لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن عمداً ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً .
(٦) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة في الحرب .

ودخل نفرًا من أصحاب رسول الله تحت دَبَابَةٍ (١) ، ثم زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيُخْرِجُوهُ ؛ فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفَ سِكَكِ الْحَدِيدِ مَحْمَاةً بِالنَّارِ فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا رِجَالًا مِنْهُمْ ؛ فَأَمَرَ النَّبِيُّ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ .

وتقدّم أبو سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ؛ فناديا ثَقِيفًا : أَنْ أُمَّتُونَا حَتَّى نَكَلِّمَكُم ، فَنَأْمَنُوهَا . فدَعَا نِسَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ لِيُخْرِجُنَّ إِلَيْهِمَا ، وهما يخافان عليهنَّ السِّبَاءَ (٢) فَأَبَيْنَ ، فقال لها ابنُ الأسود بن مسعود : يَا أَبَا سُفْيَانَ ، يَا مَغِيرَةَ ؛ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمَا لَهُ ؛ إِنْ مَالَ بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ قَدِ عَامَتُمَا ؛ إِنَّهُ لَيْسَ بِالطَّائِفِ مَالٌ أَبْعَدُ رِشَاءً (٣) وَلَا أَشَدُّ مَثْوَنَةً ، وَلَا أَبْعَدُ عِمَارَةً مِنْ مَالِ بَنِي الْأَسْوَدِ ، وَإِنْ مُحَمَّدًا إِنْ قَطَعَهُ لَمْ يَعْمُرْ أَبَدًا . فكلَّمَاهُ فليأخذه أو ليدعنه لله والرحيم ؛ فَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا لَا يَجْهَلُ . فكلَّمَا الرَّسُولَ فِيهِ ، فتركهم .

ثمَّ إِنَّ خُوَيْلَةَ (٤) ابنةَ حَكِيمٍ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَعْطِنِي - إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ - حُلِيًّا بِأَدْيَةِ ابْنَةِ غَيْلَانَ ، أَوْ حُلِيًّا الْفَارِعَةَ بِنْتِ عَقِيلٍ - وَكَانَتْ مِنْ أَحْلَى (٥) نِسَاءِ ثَقِيفٍ - فَقَالَ لَهَا الرَّسُولُ : وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَنْ لِي فِي ثَقِيفٍ يَا خُوَيْلَةَ ، فَخَرَجْتُ خُوَيْلَةَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : مَا حَدِيثُ حَدَّثْتَنِيهِ خُوَيْلَةَ زَعَمَتْ أَنَّكَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : قَدْ قَاتَلْتُهُ ، قَالَ : أَوْ مَا أُذِنَ لَكَ فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَلَا أُؤْذَنُ بِالرَّحِيلِ ؟ قَالَ : بَلَى . فَأُذِنَ عَمْرٌ بِالرَّحِيلِ .

(١) الدبابة : آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .
(٢) السبأ : الأسر . (٣) الرشاء : الحبل . (٤) خويلدة : امرأة عثمان بن مظعون .
(٥) أحلى أي أكثرهن حلياً .

وانصرف الناس عن الطائف بعد القتال والحِصَار ، وسار الرسولُ بمن معه من المسلمين حتى نزل الجِمرانة ، وكان سببُ هوازن قد قدم إليها .

وأتى رسولَ الله وفدُ هوازن وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله ؛ إنا أصلُ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ؛ فامتنُ علينا من الله عليك . وقام رجلٌ من هوازن - أحد بني سعد^(١) ؛ فقال : يا رسولَ الله ؛ إنا في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك^(٢) اللاتي كنَّ يكفلنك ، ولو أننا ملحننا^(٣) للحارث ابن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائده^(٤) ، وأنت خيرُ الكفولين ، ثم قال :

امتنُ علينا رسولَ الله في كرمٍ فإنك المرء نرجوه ومنتظرُ
امتنُ على بيضة^(٥) قد عاقها قدرٌ ممزقٌ شملها ، في دهرها غير^(٦)

فقال رسولُ الله : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا :
يا رسولَ الله ، خيرٌ لنا بين أحسابنا وأموالنا ؛ بل تردُّ علينا نساءنا وأبناءنا ؛ فهم أحبُّ
إلينا ، فقال : أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صليتُ الظهرَ
بالناس فقولوا : إنا نستشفعُ برسولِ الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسولِ الله ، في
أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيك عند ذلك وأسألُ لكم .

فلما صلى رسولُ الله بالناس الظهرَ قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال
رسولُ الله : أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، فقال المهاجرون : وما كان
لنا فهو لرسولِ الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسولِ الله ، وقال الأقرع بن

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً في بني سعد . (٢) حواضن : جمع حاضنة ، وهي
المرية . (٣) ملحننا ، أي أرضعنا لها . (٤) عائده ، أي فضله . (٥) البيضة هنا : الأصل
والعشيرة . (٦) غير الدهر : أحداه .

حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيَيْنَةُ بن حِصْن : أمّا أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرْدَاس : أمّا أنا وبنو سُليْم فلا ؛ فقالت بنو سُليْم : ما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال العباسُ لقومه : وهَنَّتْ موني^(١) ! فقال الرسول : أمّا مَنْ تَمَسَّك منهم بحمقه من هذا السَّبِي فَلَهُ بِكُلِّ إنسان ستُّ فرائض^(٢) من أول شيء نُصِيْبُهُ ؛ فرَدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

ثم قال الرسول لو قد هوازن : ما فعل مالك بن عوف ؟ قالوا : هو بالطائف مع ثَقِيف ، فقال : أخبروا مالكا أنه إن أتى مسلما ردّدتُ عليه أهله وماله ، وأعطيته مائةً من الإبل .

ولما عرف مالك ذلك خرج من الطائف مستخفياً ، فأمر براحلته فهَيَّئَتْ له ؛ وأمر بفرس فأعدَّ له ، وخرج ليلا على فرسه يركضه حتى أتى راحلته - حيث أمر بها أن تُحْبَسَ له - فركبها ، ولحق برسول الله ، فأدركه بالجمرانة ؛ فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ؛ وأسلم فحَسُنَ إسلامه ، واستعمله رسولُ الله على قومه ومن أسلم من تلك القبائل حول الطائف .

ولما فرغ رسولُ الله من ردِّ سبايا حُنَيْنٍ إلى أهلها ركب واتبعه الناسُ يقولون : يا رسول الله ؛ اقيم علينا فيئنا^(٣) من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاخترت الشجرة عنه رداءه ، فقال : ردُّوا عليّ ردائي أيها الناس ؛ فوالله لو كان لكم بعدد شجرتها مائة نعماً^(٤) لتسمته عليكم ، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً . ثم قام إلى جنب بدير ، فأخذ وبرّة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ، ثم رفعها وقال : أيها الناس ؛ إنه والله ليس لي من فيئكم ولا هذه البرّة إلا الخمس^(٥) ، والخمس مردود إليكم ؛

(١) وهتتموني : أضعفتوني بمخالفتكم رأيي . (٢) جمع فريضة ، وهي البعير المؤخوذ في الزكاة .

(٣) النية : الفريضة . (٤) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل . (٥) كان الأمير في

الجاهلية يأخذ الربع من الفريضة ، وجاء الإسلام فجعله الخمس ، وجعل له مصارف .

فأدّوا الخياط والمخيط^(١) ، فإن الغلول^(٢) يكون على أهله عاراً وناراً وسناراً^(٣) يوم القيامة .

فجاءه رجل من الأنصار بكبة^(٤) من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ؛ أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة^(٥) بغيري لي دبر^(٥) ، قال : أمّا نصيب منها فلَكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجة لي بها . ثم طرحها من يده .

وزع الرسول الغنائم ، وأعطى ما أعطى في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ؛ فوجد^(٦) هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، وكثرت منهم القالة ؛ حتى قائلهم : لقي رسول الله قرمه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفء الذي أصبت ؛ فقد قسمته في قومك ، وأعطيت عطايا عظيماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ؛ قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ؛ ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ؛ فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار .

فأتاهم رسول الله ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ ما قاله بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها علي في أنفسكم ! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة^(٧) فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! بلى ، والله ورسوله أمن وأفضل . ثم قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ! قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل ! قال : أما والله لو شئتم لقتلتم فصدقتهم

(١) الخياط والمخيط : الخيط والإبرة . (٢) الغلول : الخيانة . (٣) النار : أتبج العيب والعار . (٤) الكبة من كل شيء : ما اجتمع منه . (٥) البرذعة : المجلس يلقى تحت الرجل . والذبرة : فرحة الدابة ، والبعير دبر . (٦) وجد : غضب . (٧) العالة : الفقراء .

وَلَصُدُّقْتُمْ : أْتَيْتَنَا مَكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَخَذُوا لَنَا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ ،
 وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَّاكَ^(١) ، أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُغَاةٍ^(٢) مِنَ الدُّنْيَا ،
 تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا يُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُمْكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ! أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ
 أَنَّ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبِيعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ! فَوَالَّذِي
 نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَسَكَنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا^(٣)
 وَسَلَّكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَّكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ
 وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ !

فَبَكَى الْقَوْمَ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمُ^(٤) ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا^(٥) وَحِطًّا ،
 ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَفَرَّقُوا^(٦) .

وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مُنْصَرَفِهِ عَنِ الطَّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بْنُ زَهِيرٍ إِلَى أَخِيهِ
 كَعْبِ^(٧) يَخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَأَنَّ مِنْ بَقِيَّةِ
 مِنْ شَعْرَاءِ قَرِيشٍ قَدِ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فِطْرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَنْجِ إِلَى نَجَاتِكَ^(٨) مِنَ الْأَرْضِ .
 فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبُ الْكِتَابَ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَرْجَفَ بِهِ^(٩)

(١) آسَيْنَاكَ : جَعَلْنَاكَ كَأَحَدِنَا . (٢) لُغَاةٌ بَقِيَّةُ يَسِيرَةٍ . (٣) الشَّعْبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ
 الْجِبَلَيْنِ ، (٤) أَخْضَلُوا لِحَاهِمُ : بَلَّوْهَا بِالْذَمْعِ . (٥) الْقِسْمُ : النَّصِيبُ . (٦) قَالَ حَسَنُ
 ابْنِ ثَابِتٍ بِعَاتِبِ النَّبِيِّ فِي حِرْمَانِهِ الْأَنْصَارِ :

وَأَتَى الرَّسُولَ فَقَبِلُ يَا خَيْرَ مُؤْمِنٍ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
 عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَارِ حَةٍ
 قَدَامَ قَوْمٍ هُمُ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
 تَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمْ
 دِينَ الْهُدَى وَعَوَانَ الْحَرْبِ تَسْتَمِرُّ
 الْعَوَانُ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا الْمَرَّةُ بَعْدَ الْمَرَّةِ .

(٧) كَانَ كَعْبٌ قَدِ قَالَ شِعْرًا لَمْ يَرْضَهُ النَّبِيُّ . وَانظُرْ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ٣-١٥٠ .

(٨) النِّجَاءُ : الْخَلَّاسُ وَالنِّجَاةُ . (٩) أَرْجَفَ بِهِ : خَاسَ فِيهِ .

مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَقَالُوا : هُوَ مَقْتُولٌ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ بُدًّا قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ ؛ فَنَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، وَأَشَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا هُوَ ، فَقَمَّ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمَنَهُ (١) .

فَقَامَ إِلَيْهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ - وَكَانَ النَّبِيُّ لَا يَعْرِفُهُ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا ، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ !
فَوُثِبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ دَعْنِي وَعَدُوَّ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ؛ فَقَالَ : دَعْنِي عَنْكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَارِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ .
فَقَالَ قَصِيدَتَهُ :

بَانَتْ سَمَادُ فِقْلِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتَّيِّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفَدَّ مَكْبُولُ (٢)
وَمَا سَعَادُ غِدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ (٣)
هَيْفَاءُ مَقْبَلَةٌ ، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ (٤) ، لَا يَشْتَكِي قِصْرَ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مَنَهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ (٥)
شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيئَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ (٦)

(١) استأمنه : اطالب منه أن يؤمنك . (٢) بانَتْ : فارقت . متبول : مصاب ، بالثبل ، وهو الذحل والعداوة ، ويقال : قلب متبول ؛ إذا غلبه الحب وهيمه . مكبول : مقيد .
(٣) الأذن من الفزلان وغيرها : الذي في صوته غنة . غضيض الطرف : مسترخى الأجفان .
(٤) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . عجزاء : عظيمة العجيزة .
(٥) تجلو : تكشف . عوارض : ثنايا . الظلم : ماء الأسنان وبريقها . النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب بعد الشرب تباعاً .
(٦) شجيت : مزجت . الشبم ؛ يروى بكسر الباء وفتحها على الاسم والمصدر : البارد .
الحنية من الوادي : منعرجه حيث ينعطف . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . مشمول : هبت عليه ريع الشمال ، وهي باردة .

تَنَسَفِي الرِّيحُ الْفَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ^(١) من صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٍ يُعَالِيلُ^(٢)
 فِيهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ^(٣) بَوَعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ^(٤)
 لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا^(٥) فَجَجَ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ^(٦)
 فَمَا تَدُوْمُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا^(٧) كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغَوْلُ
 وَمَا تُمَسِّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ^(٨) إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
 فَلَا يَفِرُّنَّكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ^(٩) إِنْ الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ تَضْلِيلُ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عَرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا^(١٠) وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(١١)

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتِهَا^(١٢) وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلٌ^(١٣)
 أَمَسْتُ سَعَادُ بَارِضٍ لَا يَبْلُغُهَا^(١٤) إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيْبَاتُ الْمَرَايِلُ^(١٥)
 وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلَّا عُدَاْفَرَةٌ^(١٦) لَهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلٌ^(١٧)
 مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذَّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ^(١٨) عَرَضَتْهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولٌ^(١٩)
 تَرْمِي الْغَيْوَبَ بَعِيْنِي مُفْرَدٍ لَهْقَى^(٢٠) إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحِزَانُ وَالْمَيْسِلُ^(٢١)

- (١) الفدى : ما في الماء من أجسام غريبة . وأفراطه : مجل لإليه وملاؤه . غادية : سحابة
 تمطر بالغداة . يعاليل : حباب الماء ، وهو رغوة الماء .
 (٢) الخلة : الصداقة .
 (٣) سيط : خلط . جج : نجمة . الولع : الكذب .
 (٤) عرقوب : اسم رجل يضرب به المثل في خلف الوعد .
 (٥) إخال : أظن . تنويل : نوال .
 (٦) المراسيل : جمع مراسل ، وهي السريعة السير .
 (٧) العدافرة : الناقة الشديدة . الأين : الإعياء . الإرقال : ضرب من العدو فوق الخبب .
 التبغيل : مشى فيه سعة ، كأنه شبه سيرها بسير البغل لشدته .
 (٨) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . عرضتها : همتها .
 (٩) المفرد : الثور الوحشى ، شبهها به . واللهق : الأبيض ، والحزان : جمع حزيز ، وهو
 المكان الغليظ الصلب .

ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا ، فَعَمٌّ مُقَيَّدُهَا
 غَلْبَاءٌ وَجَنَاءٌ عُلُكُومٌ مُذَكَّرَةٌ
 وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ لَا يُؤَيِّسُهُ
 حَرْفٌ ، أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ
 يَمِشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزَلِّقُهُ
 عَيْرَانَةٌ قُدْفَتْ بِالنَّجِصِ عَنْ عُرْضِ
 كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبُجَهَا
 تَمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
 قَنَوَاءٌ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا

فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلٌ^(١)
 فِي دَفِّهَا سَمَةٌ ، قُدَامِهَا مِيلٌ^(٢)
 طَلَحَ بِضَاحِيَةِ التَّنَيْنِ مَهْرُؤُلٌ^(٣)
 وَعَمَّهَا خَالُهَا ، قَوْدَاءُ شِمْلِيلٍ^(٤)
 مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلٌ^(٥)
 مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولٌ^(٦)
 مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بَرِطِيلٌ^(٧)
 فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنَهُ الْأَحَالِيلُ^(٨)
 عَتَقُ مَبِينٌ وَفِي الْخَدَيْنِ تَسْمِيلٌ^(٩)

(١) المقلد: العنق . مقيد : موضع القيد في رجلها . والفعم : المتلئ .

(٢) غلباء : غليظة الرقبة . وجنء : تامة الخلق ، عظيمة لحم الوجنة ، صلبة شديدة .
 العلكوم : القوية الصلبة . ناقة مذكرة : متشبهة بالجل في الخلق . الدف : الجنب . قدامها ميل :
 طويلة العنق . والميل مد البصر .

(٣) الأطوم : السلحفاة البرية أو الزرافة ، يصف جلدها بالقوة والملاسة . لا يؤيسه :
 لا يؤثر فيه . الطلح : القراد . الضاحي : البارز . التنان . الجانبان .

(٤) تشبه الناقة بالحرف من حروف المعجم إذا كانت ضامرة ، وبحرف الجبل إذا كانت غليظة
 مهجنة : كريمة . قوداء : طويلة العنق والظهر . شمليل : خفيفة سريعة . وأبوها أخوها ، وعمها
 خالها يريد أنها مداخلة النسب في الكرم ، فلم يدخل في نسبها أجنبي .

(٥) اللبان : الصدر . الأقراب : الخواصر . زهاليل : ملساء ناعمة ، جمع زهلول .

(٦) عيرانة : صلبة ، تشبيهاً لها بعير الوحش ، والألف والنون زائدتان . النجص : اللحم .
 وقذفت باللحم ، يريد أنها ممتلئة الجسم . عن عرض : تعترض في مرآتها . الزور : الصدر ، وبناته :
 ما حواليه من الأضلاع وغيرها .

(٧) فات : تقدم . مذبح : مكان الذبح . الخطم : الأنف . اللحي : الحنك . البرطيل : حجر
 مستطيل عظيم ، شبه به رأس الناقة ، كأن الذي تقدم عينيها ومذبحها من الخطم والحنك حجر
 عظيم . (٨) العسيب : جريد النخل . خصل : جمع خصلة ، وهو اللقافة من الشعر . غارز :
 ضرع . تخونه : تنقصه . الأحاليل جمع إحليل ، وهو مخرج اللبن من الضرع . يعني أنه قد نشف
 لبها ، فهي سمينة لم تضف بمخروج اللبن منها .

(٩) القنواء : المحدوبة الأنف . حرتيها : أذنيها . سهل الخدين : غير مرتفع الوجنتين .

تَخْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ^(١) ذَوَابِلُ مَسْمُونِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ^(١)
سَمْرُ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكُنَ الْحَصَى زَيْمًا^(٢) لَمْ يَقْمِهِنَّ رُءُوسَ الْأَكْمِ تَنْمِيلُ^(٢)
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ^(٣) وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَائِقِلُ^(٣)
يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا^(٤) كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ تَمْمُولُ^(٤)
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَمَلَتْ^(٥) وَرُقُ الْجِنَادِبِ يَرْكَبُنَ الْحَصَى : قِيلُوا^(٥)
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطَلٌ نَصَفَ^(٦) قَامَتْ فِجَاوِيهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ^(٦)
نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا^(٧) لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَمْقُولُ^(٧)
تَفْرَى الْأَبَانَ بِكَفِّيَّهَا ، وَمِدْرَعُهَا^(٨) مَشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَائِلُ^(٨)

يَسْمَى النُّوَاةُ جِنَابِيَّهَا ، وَقَوْلُهُمْ : إِنَّكَ يَا بَنَ أَبِي سُلَيْمَى لِمَقْتُولٍ

- (١) تخدي: تسرع . يسرات البعير : قوائمه . اللاحقة الضامرة . ذوابل : يابسة . مسهين الأرض تحليل ، أي تمس الأرض مساً خفيفاً سريعاً كما ينحاف على شيء ، أن يفعله فيفعل منه اليسير يحال به يمينه . (٢) سمر : ليست برخوة . العجايات : أعصاب قوائم الإبل والحيل ، واحده نجاية زيمًا : متفرقاً . الأكمة : ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد . التميل : أن يوضع للحدفر طبق من حديد يقيه الحجارة .
- (٣) أوب : رجوع . القور : جمع قارة ، وهي الأصابع من الجبال . العساقيل : جمع عسقول . السراب . قال ابن سيده : أراد : وقد تلفع القور بالعساقيل ، فقلب .
- (٤) الحرباء : حيوان برى له سنام كسنام الجمل ، يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ، ويتلون ألوانا . مصطخدا : منتصبا مصطليا بحر الشمس . ضاحيه : ما برز منه للشمس وظهر . ممول : محروق ، أي كأن ما ظهر منه للشمس مشوى بالملحة من شدة حره .
- (٥) الحادي : الذي يسوق الإبل . ورق : جمع أورق ، وهو الأخضر يضرب إلى السواد . الجنادب : جمع جند ، وهو صغار الجراد . قيلوا : فعل أمر من « قال » ، إذا استراح وقت القيولة .
- (٦) شد النهار : وقت ارتفاعه وعلوه . العيطل : الناقة الطويلة . النصف : بين الشابة والكهلة . النكد : جمع ناكد ، وهي التي لا يعيش لها ولد . مثاكيل : جمع مثكال ، وهي التي فقدت ولدها .
- (٧) النواحة : النائمة التي تبكي ولدها . الضبعين ، مثنى الضبع وسط العضد . المقول : العقل .
- (٨) تفرى : تقطع . الابان : الصدر . المدرع : القميص . التراقق : جمع ترقوة ، وهي أعلى الصدر . رعائيل : قطع .

وقال كلُّ صديقٍ كنتُ أمَلُهُ
فقلتُ : خَلُّوا سبيلِي لا أبا لَكُمْ
كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامته
نُبِّئتُ أن رسولَ الله أوعدنى
مَهْلًا هَدَاكَ الذى أعطاك نَافِلَةً (٤) أَلْ
لا تَأْخُذَنِّى بأقوالِ الوُشَاةِ وَلَمْ
لقد أقومُ مَقَامًا لو يقومُ بِهِ
لظَلَّ يُرْعَدُ إلا أن يكونَ له
ما زلتُ أَقْتَطِعُ البَيْدَاءَ مُدْرِعًا
حتى وضعتُ يميني ما أنازعُها
فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّمَهُ
من ضَيْفَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ (٧)
يَعْدُو فَيَلْحِمُ ضِرْفَامَيْنِ ، عَيْشُهُمَا (٩)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لا يَحْمِلُ لَهُ
منه تَظَلُّ سَبَاعُ الجَوِّ نَافِرَةٌ
ولا يزالُ بواديه أَخُو ثِقَةٍ

لا أَلْهِمَنَّكَ إني عنك مشغول (١)
فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مفعولُ
يومًا على آلهِ حَدْبَاءَ محمولُ (٢)
والعفوُّ عند رسولِ الله مأمولُ (٣)
قُرْآنٍ فيها مواعِظٌ وتفصيلُ
أُذِيبُ ولو كثرتُ في الأَقْوَابِ
بِرَى ويسمَعُ ما قد أسمعُ الفيلُ
من الرسولِ بإذنِ الله تنويلُ (٥)
جُنْحَ الظلامِ وثوبُ الليلِ مَسْدُولُ (٦)
في كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ القَيْلُ
وقيلُ إنك منسوبٌ ومَسْتُولُ
في بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دونه غَيْلٌ (٨)
لَحْمٌ من الناسِ مغفورٌ خَرَادِيلُ (١٠)
أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلا وهو مَغْلُولُ (١١)
ولا تَمَشِّي بواديه الأَرَاجِيلُ (١٢)
مضَرَّجَ البزِّ والدَّرْسَانِ ما كَوَّلُ (١٣)

(١) لا ألهينك : لأشغلك عما أنت مهتم به . (٢) الآلة الحدباء : النعش الذى يحمل عليه الموتى . (٣) أوعدنى : تهددنى . (٤) النافلة : العطية . (٥) التنويل : العطاء ، وهو يقصد العفو . (٦) البداء : الصحراء (٧) الضيفم : الأسد ، ضراء الأرض : ماوارك من الشجر . مخدره : غابته وأجته . (٨) عثر : موضع تنسب إليه الأسود النجيل : الأجمة . (٩) يلحم : يطعم اللحم . (١٠) مغفور : معفر ، والخراديل : القطع . (١١) يساور : يواكب . (١٢) الأراجيل : الجماعات من الرجال . (١٣) البز : السلاح . الدرسان : جمع درس ، وهو الثوب الخلق البالى .

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيْوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُؤُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ^(١)
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبَّسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(٢)
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفَمَاءِ مَجْدُولُ^(٣)
لَيْسُوا مَفَارِيخَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا ، وَلَيْسُوا مَجَازِيمًا إِذَا نِيلُوا^(٤)
يَعْمُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبُهُ إِذَا عَرَّدَ الشُّودُ التَّنَائِيلُ^(٥)
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوَرِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنِ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٦)

(١) أنكاس : جمع نكس - بالكسر : الرجل الضعيف . الكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترس معه في الحرب . الميل : جمع أميل وهو الذي لا سيف معه . والمعازيل : جمع معزال ، وهو من لا سلاح معه . (٢) السرابيل : الدروع . (٣) شككت : نسجت . القفماء : شجر ينسبط على وجه الأرض ، يشبه حلق الدروع . مجدول : محكم الصنعة . (٤) مفاريخ : جمع مفراج . ومجازيم : جمع مجزاع . (٥) عررد : هرب ، والتنايل ، جمع تنبال ، وهو القصير . (٦) تهليل : فرار .

١٤ - يوم تبوك*

علم النبي صلى الله عليه وسلم أن نصارى العرب قد اجتمعوا مع جُند الروم لمحاربتهم، ووصلت مقدمتهم إلى البلقاء^(١)؛ فأمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، وذلك في زمن عُسرة من الناس، وبشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها.

وكان رسول الله قلمًا يخرج في غزوة إلا كنى^(٢) عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصد إليه، إلا غزوة تبوك فإنه بيئها للناس؛ لبعد الشقة، وشدّة الزمان، وكثرة العدو الذي يصيد^(٣) له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة.

أمر الرسول الناس بالجهاز^(٤)، وأخبرهم أنه يريد غزو الروم؛ فتجهز الناس، على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه، لما عرفوا من كثرة الروم وقوتهم، واثاقل بمض المنافقين، وعرف الرسول أمرهم بفراسته حيناً، وبوحي الله أحياناً.

وفي ذات يوم - وهو في جهازه ذلك - قال للجدد بن قيس^(٥): يا جدد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر^(٦)؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن ولا تفتني!

* الطبرى: ٣ - ١٤٢، ابن هشام: ٤ - ١٦٩، السيرة الحلبية ٣ - ١٤٧، سيرة ديجلان ٢ - ٣٦٧. كان في رجب سنة تسع من الهجرة. وتبوك: موضع من أدنى أرض الشام، وسميت أيضاً غزوة العسرة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، وتعرف بالفاضة لانفضاح المنافقين فيها.

(١) البلقاء: أرض بالشام. (٢) كنى: تكلم بكلام وأراد غيره. (٣) صمده وصد إليه: قصده. (٤) جهاز المسافر (بالفتح والكسر): ما يحتاج إليه. (٥) فيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِرْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٦) بنو الأصفر هم الروم.

فوالله لقد عَرَفَ قومي أَنَّهُ ما مِنْ رَجُلٍ بأَشَدَّ عُجْباً بالنساءِ مِنِّي ، وإني أَخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفرِ ألا أصبرُ ! فَأعرضُ عنه الرسولُ ، وقال : قد أَذنتُ لك .

وقال قومٌ من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحرِّ ؛ زهادةً في الجهاد ، وشكاً في الحق ، وإرجافاً بالرسول ، ففضح الله ما بينتوا ، وأنزل على نبيِّه فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وبلغ رسول الله أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُويلم اليهودي ، يُبْطِطون الناسَ عن الخروج للغزو ؛ فأراد أن يَقْضِيَ على الفتنة في مَهْدِهَا ، ويَطْفِئَ جذوةَ الشرِّ قبل أن تستفحل نارها ، فبعث إليهم طائفةَ بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرقَ عليهم البيت ، فخرَّب طلحةُ عُشَّ النفاق ، وحرَّقَ وَكْرَ المنافقين .

وجد رسول الله في التَّهَيُّؤِ للسَّفرِ ، وأمر الناسَ بالجَهازِ والانكماشِ (٢) ، وحضَّ أهلَ الغنَى على النفقة والحُمْلانِ (٣) في سبيل الله ، ورغَّبهم في ذلك ، فحمل رجالٌ من أهلِ الغنَى واحتسبوا (٤) ، وأنفق عثمان في ذلك نفقةً عظيمةً لم يُنفقْ أحدٌ مثلها .

وتسابقَ المسلمون إلى إعدادِ المُدَّةِ للغزوِ والجهادِ ، وعجزَ البكَّاءون — وهم سبعة نفرٍ من الأنصار وغيرهم (٥) — فاستحملوا رسولَ الله ، وكانوا أهلَ حاجةٍ ، فقال : لا أُجدُ

(١) سورة التوبة ٨٢ . (٢) الانكماش : الإسراع . (٣) الحملان ، مصدر كالحمل ، والحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة . (٤) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ، ينوي به وجه الله . (٥) هم : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد ، وعبد الرحمن بن كعب ، وعمرو بن حماد بن الجوح ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وهرمي بن عبد الله ، وعرباض بن سارية القرظي .

ما أحلكم عليه ، فتولّوا ، وأعينهم تفيضُ من الدمعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا ما يَنْفِقُونَ .
ورأى واحدًا من المؤمنين اثنين منهم ، وهما يسكيان ، فقال : ما يكيكما ؟ قال :
جئنا رسولَ الله ليحماننا ، فلم نجد عنده ما يحماننا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على
الخروج معه ؛ فأعطاها ناضحاً له^(١) ، وزودها شيئاً من تمر ، فخرجا مع الرسول .
وأجمع الرسولُ السيرَ ، وضرب عَسْكَرَهُ على نَيْبَةِ الوداع ، وتخلّف عنه نفرٌ من
المسلمين من غير شكٍّ وارتيابٍ ؛ فقد كانوا رجالَ صدقٍ لا يُتَمَهَمُونَ في إسلامهم^(٢) .
وسار معه عبد الله بن أبيّ ، وضرب عَسْكَرَهُ قريباً منه ، ولكنه لم يلبث أن
تخلّف فيمن تخلّف من المنافقين وأهلِ الرِّيبِ .

واستعمل رسولُ الله على المدينة - حين خرج إلى تبوك - سيّاح بن عرْفُطَةَ ،
وتخلّف علىّ بن أبي طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف^(٣) بذلك المنافقون
وقالوا : ما خلفه إلا استئقالاته وتخفّفاً منه ، وسمع ذلك علىّ ، فأخذ سلاحه وخرج
حتى أتى رسولَ الله ، وهو نازلٌ بالجرف^(٤) ، فقال : يا نبيّ الله ؛ زعم المنافقون أنك
استثقلتني وتخفّفت مني ! فقال : كذبوا ؛ ولكني خلفتُك لِمَا تَرَكْتُ ورأى ، فارجع
فأخلفني في أهلي وأهلك ؛ أفلا ترضى أن تكونَ مِنِّي بمنزلة هارونَ مِن موسى إلا
أنه لا نبيّ بعدى ! فرجع علىّ إلى المدينة ، ومضى الرسول على سفره .

ومرّ النبيّ في طريقه بالحِجْر^(٥) ، فسجّى ثوبه على وجهه ، واستحثّ الناس ،
ثم قال : لا تدخلوا بيوتَ الَّذِينَ ظلموا إلا وأنتم باكُونَ ؛ خوفاً أن يصيبكم مثل
ما أصابهم .

ثم نزل بالحِجْر ، واستقى الناسُ من بئرِها ، فلما راحوا قال لهم رسول الله :

(١) الناضح : الجمل الذي يستقى عليه الماء . (٢) منهم كعب بن مالك ، ومرارة بن
الريبع ، وهلال بن أمية . (٣) أرجف في الشيء وبه : خاض فيه . (٤) الجرف : موضع
قرب المدينة . (٥) الحجر : بلادُ ثمود .

لا تشربوا من ماءها شيئاً ، ولا تتوضَّئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين مجتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له .

وأصبح النَّاسُ ولا ماء معهم ، فشكَّوا ذلك إلى الرسول ، فدعا الله فأرسل سحابةً أمطرت حتى ارتوى النَّاسُ : واحتملوا حاجتهم من الماء . وتابع المسلمون السَّيْرَ ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ضلَّتْ ناقَةُ الرسولِ ، فخرج أصحابه في طلبها ، فقال أحدُ المنافقين^(١) : أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ ، ويخبركم خبر السماء ! فكيف لا يدري أينَ ناقته !

فقال رسولُ الله لأصحابه : إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبيٌّ ، ويزعمُ أنه يخبركم بأمرِ السماء ، وهو لا يدري أينَ ناقته ! وإني والله ما أعلمُ إلا ما علمني اللهُ ، وقد دلَّني اللهُ عليها ، وهي في الوادي في شِعب^(٢) كذا ، قد حبَّستُها شجرةٌ بزمامها ، فانطلقوا حتى تَأْتُونِي بها . فذهبوا فجاءوا بها .

ثم مضى رسولُ الله سائراً ، فجعل يتخلفُ عنه الرجل ، فيقول : يا رسولَ الله ، تخلف فلان ، فيقول : دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فسيُليحِثُهُ اللهُ بكم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم اللهُ منه ، حتى قيل : يا رسولَ الله ؛ قد تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بغيره ، فقال : دَعُوهُ فَإِنَّ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فسيُليحِثُهُ اللهُ بكم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم اللهُ منه .

وتلوّم^(٣) أبو ذرٍّ على بغيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحملة على ظهره ، ثم

(١) هو زيد بن اللصيت . (٢) الشعب : ما انفرج بين جبلين . (٣) التلوّم : التابث والانتظار .

خرج يتبع أثر الرسول ماشياً ، ونزل الرسول في بعض منازلها ، فنظر ناظرٌ من المسلمين . فقال : يا رسول الله ؛ إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، قال الرسول : كن أبا ذرّاً ! فلما تأمله القوم قالوا : هو والله أبو ذرّاً ! فقال الرسول : رحم الله أبا ذرّاً ! يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

ولما انتهى رسول الله إلى تبوك لم يلق حرباً ، وصالح أهلها وقفل راجعاً .

وفي عودته أتاه يُحنّهُ بن رُوْبَة ، صاحب أَيْلَة ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرْبَاءِ وَأَذْرَحِ^(١) فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله لهم كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحنّهُ بن رُوْبَة وأهل أَيْلَة ، سُفْنَمِ وَسَيَّارَتِهِمْ في البرِّ والبحر ، لهم ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحولُ ماله دون نفسه ، وإنه طيبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلُّ أن يمنموا ماء يردونه ، ولا طريقاً يُريدونه من برٍّ أو بحر .

ودعا رسول الله بخالد بن الوليد ، فبعثه إلى أ كَيْدِرِ دَوْمَة - وكان رجلاً من كِنْدَة ، قد مُلِّكَ عليها ، وهو نصراني ، وقال له : إنك ستجده يصيد البقر ؛ فائتمرَّ خالدٌ بأمر النبي ، وسار إليه في جُنْدٍ من المسلمين .

وفي ليلة مقمرة صائفة ، كان أ كَيْدِرُ دَوْمَة على سَطْحٍ له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد ، ونزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له حَسَّان ، فركب وخرجوا معه

(١) جرباء وأذرح : بالشام .

بِمَطَارِ دِم (١) ، فلما خرجوا تَلَقَّفْتَهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ فَأَخَذْتَهُمْ ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قبَاء من ديباجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ ، فاستلبه خالد ، وبعث به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه . ولما رآه المسلمون جعلوا يلمسونه بأيديهم ويتمجّبون منه ، فقال رسول الله : أتمجّبون من هذا ! فوالذي نفس محمد بيده ، لَمَنَادِيلَ سَمْعِدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا !

ثم قدم خالد بأَكِيدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فحَقَّنَ لَهُ دَمَهُ ، وصالحه على الجزية ، ثم خَلَّى سَبِيلَهُ ؛ فرجع إلى قريته ، وأقام رسول الله بتبوك بضعة عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف فإفلاً إلى المدينة .

وأقبل حتى نزل بذي أوان (٢) ، وكان أصحاب مسجد الضَّرَارِ قد أتوه ، وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد بنينا مسجداً لذي العيلة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سنر وحال شغل ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه .

ولما عاد أتاه خبر المسجد وما يراد به من الكيد والأذى ؛ فدعا مالك بن الدخشم وممن بن عدى ، وقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاها .

فخرجا حتى أتيا رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . ودخل إلى أهله ، فأخذ سمفاً من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاها وهدماه وتفرّقا عنه (٣) .

(١) المطرد : رمح قصير تظعن به الوحش . (٢) ذواوان : موضع بينه وبين المدينة ساعة

من نهار .

(٣) نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وقدم رسولُ الله المدينةَ ، وكان قد تخلف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلف كذلك من المسلمين - من غير شكٍ ولا نفاق - كعب بن مالك ومُرارَةُ بن الربيع وهلال بن أمية ؛ فقال رسولُ الله لأصحابه : لانسكلمنَ أحدا من هؤلاء الثلاثة . فاعتزل المسلمون كلامَ أولئك النَّفَر .

قال كعب بن مالك : ما تخلفت عن رسول الله غزوةً عزاها قط ، غير أني كنتُ قد تخلفتُ عنه في غزوة بدرٍ ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحسدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله إنما خرج يُريدُ عيرَ قريش حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدتُ مع رسول الله العقبَةَ^(١) حتى تواتقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهدَ بدرٍ ؛ وإن كانت غزوة بدر أذكرك في الناس منها .

وتخلفت عن رسول الله في غزوة تبوك ، وقد كنتُ قويا ميسورا^(٢) ، وكان النبي قلما يريد غزوةً يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك ، فغزاها في حرٍّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وقصد غزوةً وعدٍ كبير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبتة ، وأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون حينئذ كثيرٌ ، لا يحممهم ديوانٌ مكتوب .

وغزا رسولُ الله تلك الغزوة حين طابت الثمار ، وأحبت الظلال ، وتجهز ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أعدوا لتجهز معهم ، فأرجع ولم أفض حاجةً ، فأقول في نفسي : أنا قادرٌ على ذلك إن أردت . فلم يزل ذلك يهادي بي حتى شمر بالناس الجسد ،

(١) العقبه : مكان بين مكة ومي ، وفيه بايع الرسول الأنصار قبل الهجرة .

(٢) قال كعب : ما اجتمعت لي راحتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة .

(٩ - أيام العرب في الإسلام)

وأصبح رسول الله غارياً والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازِ شَيْئاً . فقلت : أتجهزُ بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فغدوت بمد أن فصلوا^(١) لأتجهزَ ، فرجعت ولم أقضِ شَيْئاً ، ثم غدوتُ فرجعت ولم أقضِ شَيْئاً ؛ فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى أسرعوا وتفرط^(٢) الغزوُ ، فهمت أن أرتحل فأدرِكهم ؛ وليتني فعلت ! ولكني لم أفعل ؛ وجعلتُ إذا خرجت في الناس بعد خروج النبيّ يحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٣) عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضُّعفاء ، ولم يذكروا رسول الله حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس مع القوم هناك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يارسول الله ؛ حبسه بُرداه والنظر في عطفه . فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يارسول الله ما علمنا منه إلا خيراً . فسكت رسول الله .

فلما بلغني أن النبيّ توجه قافلاً من تبوك حَضَرَني بشي ، فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله غدا ! وأستمع على ذلك بكلّ ذي رأيٍ من أهلي ؛ فلما قيل : إن رسول الله قد أظلّ قادماً ، عرفت أني لا أنجمونه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبّح الرسولُ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاء المخلفون فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضمةٍ وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم الرسولُ علائبتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكيل سرائرهم إلى الله ؛ حتى جئتُ فسلمتُ عليه ، فتبسّم تبسّم الغضب ، ثم قال لي : تعاله ! فجعلتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ! ألم تكن ابتعثت ظهرك ؟ قلت : إني يارسول الله لو جلستُ عند

(١) فصل من البلد : خرج . (٢) نفرط الغزو ونفارت : فات وقته . (٣) هو مغموص

عليه : مطعون في دينه .

غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سَخِطِهِ بِمُذْرٍ، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلًا ، ولكن والله لقد علمتُ لئن حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثًا كَذِبًا لَتَرْضِيَنَّ عَنِّي ، وليوشكَنَّ -
الله أن يَسْخَطَ عَلَيَّ . ولئن حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا صَدَقًا تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو عُقْبَايَ مِنْ
الله فِيهِ . ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنتُ قطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتَ
عَنكَ ! فقال رسولُ الله : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ ، فمُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ .

فَقَمْتُ وَثَارَ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ فَاتَّبَعُونِي ، فَسَالُوا لِي : وَالله ما علمناك
كفْتَ أذُنْتَ ذُنْبًا قَبْلَ هَذَا ، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلَّا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ بِمَا اعْتَذَرَ
بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ ؛ قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبُكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ لَكَ . فوالله ما زالوا بي
حتى أردتُ أن أَرْجِعَ إِلَى النَّبِيِّ فَأَكْذَبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيتُ هَذَا أَحَدًا
غَيْرِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ رِجْلَانِ قَالَا مِثْلَ مَقَالَتِكَ ، وَقِيلَ لهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ . قُلْتُ : مَنْ
هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بِنْتُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ . فذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحِينَ فِيهِمَا
أُسْوَةٌ ، فَصَمْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .

وَنَهَى رَسُولُ اللهِ عَن كَلَامِنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ
وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَسَّكَرَتْ لِي نَفْسِي وَالْأَرْضُ فَأَهِى بِالْأَرْضِ الَّتِي كُنْتُ أُحْرَفُ ،
فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَسَكَّانَا وَقَمَدَا فِي بَيْوتِهِمَا ، وَأَمَّا أَنَا
فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرَجُ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ
بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولَ اللهِ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ
فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدُ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ أَصَلَّى
قَرِيبًا مِنْهُ ، فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّمْتُ نُحُوهُ
أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ
حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فوالله

ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة؛ أنشدك الله هل تعلم أني أحبُّ الله ورسوله! فسكت ، فمدت فناشدته فسكت عني ، فمدت فناشدته فسكت عني ، فمدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففأخت عيني ووثبت ، فتسورت الحائط .

ثم غدوت إلى السوق ، فبينما أنا أمشي إذا نبطي يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام بيئمه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك؟ فجعل الناس يشيرون له إلى حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان ، في سرقة^(١) من حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد باننا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ؛ ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك . قلت - حين قرأته : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك ! ثم عمدت به إلى تنور فسجرت^(٢) به .

فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسول الله يأتيني فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعزلي امرأتك ! قلت : أطلقتها أم ماذا؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقر بها ، وأرسل إلى صاحبك بمثل ذلك . فقلت لامرأتي : ألحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا ما هو قاضٍ .

وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ، فقالت له : يا رسول الله ؛ إن هلال ابن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفسكره أن أخدمه؟ قال : لا ، ولكن لا يقر بذك ، قالت : والله يا رسول الله ؛ ما به حركة إلى ؛ والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره .

فقال بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة

(١) السرق ، محرمة : شق الحريير الأبيض أو الحريير عامة ، والواحدة بهاذ .

(٢) سجرته : أو قدته .

هلال بن أمية أن تخدمه ! قلت : والله لا أستأذنه فيها ، فما أدري ما يقول لي في ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجلٌ شابٌّ !

فلبثنا على ذلك عشر ليالٍ ، فكمّل لنا خمسون ليلةً ، ثم صلّيتُ الصبحُ : صبح خمسين ليلةً ؛ على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر اللهُ منا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رحبتُ وضاقت على نفسي ، وقد كنتُ ابتنيتُ خيمةً في ظهر سَلْع (١) ، فذهبتُ إليها . وبينما أنا فيها سمعتُ صوتَ صارخٍ أَوْقَى على ظهر سَلْع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛ أْبَشِرْ ! نخررتُ ساجداً ، وعرفتُ أن قد جاء الفرج .

وآذَنَ رسولُ اللهُ للناسِ بِتَوْبَةِ اللهِ علينا حين صلّى الفجر ، فذهب الناسُ يبشروننا ، وذهب نحوَ صاحبي مَبَشِّرُونَ ، وركض رجلٌ إلى فرسًا ، وسمى ساعٍ من أسلم ، حتى أَوْقَى على الجبل ، فكان الصوتُ أُسْرِعَ من الفرس .

فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشّرني نزعْتُ ثوبيّ فكسوتهما إياه بِشارة ، ووالله ما أمْلِكُ يومئذٍ غيرها ! واستعرتُ ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقتُ أتَيْمَمَ الرسولَ . وتلقّاني الناسُ يبشرونني بالتوبة ، ويقولون : بَتَهْنِئِكَ توبةُ اللهِ عليك ! حتى دخلتُ المسجدَ ورسولُ اللهُ جالسٌ وحوله الناسُ ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، كَحَيَّانِي وهَنَّانِي ، ووالله ما قام إلى رجلٍ من المهاجرين غيره .

فلما سلّمتُ على رسول الله قال لي - ووجههُ يبرق من السرور : أْبَشِرْ بخير يومٍ مرّ عليك منذُ ولدتك أمك ! قلت : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله !

فلما جلستُ بين يديه قلت : يا رسول الله ، إنَّ من توبتي إلى الله عزّ وجلّ أن أنخِصَ من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . فقال : أَمْسِكْ عليك بعضَ مالك ،

(١) سلع : جبل بالمدينة .

فهو خيرٌ لك . قلتُ : إني ممسكٌ سَهْمِي الذي بخير . ثم قلتُ : يا رسول الله إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدثَ إلا صدقاً ما حَيَّيتُ . والله ما أعلم أحداً من الناس أبلأه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله أفضلَ مما أبلاني ، والله ما تعمدت من كذبةٍ منذ ذكرت ذلك للنبي إلى يوم هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

فوالله ما أنعم الله على نعمة قط ، بعد أن هداني للإسلام ، كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ، ومجاфاتي الكذب عليه ، فنجاني الله من الهلاك ، كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد : ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيَتَمَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا نَنَّهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

١٥ - يوم السقيفة*

لما سمع عمرُ بن الخطَّابُ بموتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ رجلاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسولَ الله مات ، وإنه خارج إلى مَنْ أَرْجَفَ بذلك (١) . ثم جاء أبو بكرٍ فصعد المذبر ، وقال لعمر : أنصت . ثم تسكَّم فقال : مَنْ كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، ومَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ (٢) .

فكانَ النَّاسَ ما عرفوا أنَّ هذه الآية نزلت على رسول الله ، حتى تلاها أبو بكر . قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكرٍ يتلوها ، فهُمَّ قَرَّتْ (٣) حتى وقعتُ على الأرض ما تحمِلُنِي رجلاي ، وعرفتُ أنَّ رسولَ الله قد مات .

واجتمع الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نولِّي هذا الأمرَ بعد محمدَ سعدَ ابنِ عُبادة ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه : إني لأقدرُ لشكواي أن أسمعَ القومَ كلهم كلامي ، ولكن تاقَ مني قولي فأسممهمُوه ، فكانَ يتسكَّم ويحفظُ قوله فيرفعُ صوته ويُسمِعُ أصحابه . قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشرَ الأنصار ، لكم سابقةٌ في الدين ، وفضيلةٌ في الإسلام ليست

* الطبري : ٣ - ١٩٩ ، سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٣٥ . والسقيفة : شبه الجهو الواسع له سقف ، فعيلة بمعنى مفعولة .

(١) أَرْجَفَ بالشيء : خاض فيه . (٢) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(٣) عقرت : دهشت ، من العقر ، وهو أن تسلم الرجل قوائمك إلى الخوف فلا يقدر أن يمشي

من الفرق والدهش .

لقبيلة من العرب . إن محمداً عليه السلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وحنّ الأنداد والأوثان ، فما آمنَ به من قومه إلا رجالٌ قليل ؛ وما كانوا يقدرّون على أن ينعّموا رسولَ الله ، ولا أن يُعزُّوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً^(١) عُمُّوا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمانَ به وبرسوله ، والمنعَ له ولأصحابه ، والإعزازَ لدينه ، والجهادَ لأعدائه ؛ فكنتم أشدَّ الناس على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العربُ لأمرِ الله طوعاً أو كرهاً ، وأعطى البعيدُ المقادة صاغراً^(٢) داخراً^(٣) ، حتى أثنى^(٤) الله عزَّ وجلَّ لرسوله بكم الأرض ، ودانتُ بأسيافكم له العربُ ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قيرُ عين . استبدُّوا بهذا الأمرِ دون الناس ، فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وُفِّت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نمدِّقَ مارأيتَ ، نوليك هذا الأمرَ فإنك فينا مقننٌ ، ولصالح المؤمنين رضى .

ثم ترادوا^(٤) في الكلام بينهم فقالوا : فإن أبتْ مهاجرةُ قريش فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه ، فملاَمَ تنازِعُوننا هذا الأمرَ بعده ! فقالت طائفةٌ منهم : فإننا نقول : إذن منا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، ولن نرضى بدون هذا الأمرِ أبداً .

فقال سعد بن عبادة ، حين سمعها : هذا أولُ الوهن !

وأتى عمرَ الخبِرُ فأقبل إلى منزل النبي ، وأرسل إلى أبي بكر وهو في الدار ، وعلى بن أبي طالب دائبٌ في جهاز رسول الله ؛ أن اخرج إليّ ، فأرسل إليه :

(١) الضيم . الظلم . (٢) داخراً : ذليلاً . (٣) أثنى فلان : أوهن ، والمراد أخضع

(٤) راده الشيء : رده عليه .

إني مشتغلٌ، فقال : إنه قد حدثَ أمرٌ لا بدَّ لك من حضوره ، فنخرج إليه ، فقال له : أما علمتَ أنَّ الأنصارَ قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولّوا هذا الأمرَ سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالةً من يقولُ : منّا أميرٌ ومن قريش أمير .

ومضياً مسرعين نحوهم ، فلقياً أبا عبيدة بن الجراح فمشوا إليهم ثلاثهم ، فجاءوا وهم مجتمعون في السقيفة ، وإذا بين الأنصار رجلٌ مزملٌ فقالوا : من هذا ؟ قيل : سعد بن عبادة ، قالوا : ما شأنه ؟ قيل : ورجع^(١) . وقام رجلٌ من الأنصار فحمد الله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر قريش رهطٌ نبينا ، وقد دفت إلينا من قومكم دافّة^(٢) . . .

قال عمر : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا^(٣) من أصلنا ويفصبون الأمر — وقد كنتَ زويت^(٤) كلاماً أردت أن أقوم به فيهم ، فلما ذهبتُ لأبتدئ المنطق قال لي أبو بكر : رويداً حتى أتكلم ، ثم انطق بما أحببت . فنطق فاشيء كنت أريد أن أقوله إلا وقد أتى به أو بأحسن منه .

فبدأ ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي من حَجَرٍ منحوتٍ وخشبٍ منجور^(٥) ، ثم قرأ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا

(١) وجع : مريض . (٢) يقال : دفت دافّة ، إذا أتى قوم من أهل البادية وأفحموا .

(٣) أن يختزلونا : يريدون أن يقطعونا وينهبوا بنا منفردين . (٤) زويت : جمعت ،

والمراد أعددت . (٥) النجر : النحت .

ليقرُّ بونا إلى الله زُلْفَى ﴿١﴾ ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصَّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والموَاساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ، وكلُّ الناس مخالفٌ لهم زارٍ (١) عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا (٢) لقلَّةِ عددهم ، وشَنَفِ (٣) الناس لهم ، وإجماع قومهم عليها ، فهم أولُ مَنْ عبدَ الله في الأرض ، وآمنَ بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا يَنازِعُهُمْ في ذلك إلا ظالم . وأنتم يا معشرَ الأنصار ، مَنْ لا يُنكَرُ فَضْلُهُمْ في الدِّينِ ولا سابقَتَهُم العظيمةُ في الإسلام ، رضِيَكم اللهُ أنصاراً لدينِهِ ورسولِهِ ، وجعل إليكم هِجْرَتَهُ ، وفيكم جِئَّةَ أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، ففحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفْتَأُون (٤) بمشورة ، ولا تُقْضَى دُونَكُمْ الأُمور .

ثم قام الحُبَّاب بن المنذر ، فقال :

يا معشرَ الأنصار ؛ أمدِّكوا عليكم أمرَكم ؛ فإنَّ الناسَ في فيئِكُمْ وفي ظِلِّكُمْ ، ولن يجترئَ مُجترئٌ على خِلافِكُمْ ، ولن يصدُرَ الناسُ إلَّا عن رأيِكُمْ ، أنتم أهلُ العزِّ والثروة ، وأولو العَدَدِ والمنِّمةِ والتجربةِ ، وذوؤ البأسِ والتَّجْدَةِ ، وإنما ينظُرُ الناسُ إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسدَ عليكم رأيِكُمْ ، وينتقضَ عليكم أمرُكم ؛ فإنَّ أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فننا أمير ومنكم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع اثنان في قرْنٍ (٥) ، والله لا ترضى لكم العربُ أن يؤمروكم ، ونبيها من غيركم ، ولكنَّ العربَ لا تمتنعُ أن تولِّيَ أمرها مَنْ كانت النبوةَ فيهم ، وتولِّيَ أمورهم منهم ، ولنا بذلك على مَنْ أبى الحجَّةُ الواضحةُ الظاهرةُ

(١) زار : عائب . (٢) استوحش : وجد الوحشة . (٣) شنف : كره وبغض .

(٤) هذا الأمر لا يفتات : لا يفت . وكل من أحدث دونك شيئاً فقد فانك به وافئات عليك

فيه . (٥) قرن : حبل .

والسلطان المين ، مَنْ ذَا يُنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَإِمَارَتَهُ ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ إِلَّا مُدْلِلٌ بِيَاظِلٍ ، أَوْ مُتَّجَانِفٌ^(١) لِإِيْمٍ ، أَوْ مُتَوَرِّطٌ فِي هَلَكَةٍ !
فَقَامَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فَقَالَ :

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ أَمَلِكُوا عَلَى أَيْدِيكُمْ ، وَلَا تَسْمَعُوا مَقَالََةَ هَذَا وَأَصْحَابِهِ ،
فَيَذْهَبُوا بِنَصِيحَتِكُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَإِنْ أَبَوْا مَا سَأَلْتُمُوهُ فَأَجْلُوهُمْ عَنْ هَذِهِ الْبِلَادِ ،
وَتَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمُورَ ؛ فَانْتُمْ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ بِأَسْيَافِكُمْ دَانَ
لهَذَا الدِّينِ مَنْ دَانَ ، مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ يَدَيْنِ . أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ^(٢) ، وَعُذَيْقُهَا
الْمَرْجَبُ^(٣) ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتُمْ لَنُصَيِّدَنَّهَا جَذَعَةً^(٤) .

فَقَالَ عُمَرُ : إِذَنْ يَقْتُلَكَ اللَّهُ ، قَالَ : بَلْ إِيَّاكَ يَقْتُلُ ! فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا مَعْشَرَ
الْأَنْصَارِ ؛ إِنَّكُمْ أَوْلَى مِنْ نَصْرِ وَأَزَرَ ، فَلَا تَكُونُوا أَوْلَى مِنْ بَدَلٍ وَغَيْرِ .

ثُمَّ قَامَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ إِنَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنَّا أَوْلَى فُضِيلَةٍ فِي
جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَابِقَةٍ فِي هَذَا الدِّينِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا رِضَا رَبَّنَا ، وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا ، وَالكَدْحَ
لِأَنْفُسِنَا ؛ فَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ عَلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، وَلَا نَبْتَغِي بِهِ مِنَ الدُّنْيَا عَرَضًا ،
فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمِئْتَةِ^(٥) عَلَيْنَا بِذَلِكَ . أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَقَوْمُهُ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنْ أُنَازِلَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَلَا تَخَالَفُوهُمْ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذَا عُمَرُ ، وَهَذَا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَأَيُّهُمَا شِئْتُمْ فَبَايَعُوا ، فَقَالَ : لَا ،
وَاللَّهِ لَا تَتَوَلَّوْا هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ،

(١) متجانف : مائل . (٢) الجذيل : تصغير الجذيل ، وهو أصل الشجرة ، وهو عود ينصب
للإبل الجربي لتحتك به . والمحكك : الذي تتحكك به . (٣) العذيق : تصغير العذيق ، وهو
النخلة . والمرجب : الذي جعل له رجة ، وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، والمراد أنه رجل
يستشفى برأيه وعقله : (٤) الجذعة : الشابة الفتية ؛ يريد الحروب والغارات . (٥) المنة : النعمة .

وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ ذَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَكَ أَوْ يَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ! ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعَكَ .

فلما ذهبوا لبيبايعة سبقتها إليه بشير بن سعد فبايعه ، فناداه الخُبَّابُ بْنُ الْمُنْذِرِ :
بِإِشِيرِ ؛ عَقَّقْتَ (١) عَقَاقِي ! مَا أَحْوجُكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ؟ أَنْفِسْتَ (٢) عَلَى ابْنِ عَمِّكَ
الْإِمَارَةَ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَنْزِعَ قَوْمًا حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ .
وَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ مَا صَنَعَ بِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَمَا تَدَعَوْا إِلَيْهِ قَرِيشَ ، وَمَا تَطَلَّبَ
الْخَزْرَجُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ - وَفِيهِمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَكَانَ
أَحَدَ النَّقَبَاءِ : وَاللَّهِ لَأَنْ وَلِيَّتْهَا الْخَزْرَجُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً لَأَزَالَتْ لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْفَضِيلَةَ ،
وَلَا جَمَلُوا لَكُمْ مَعَهُمْ نَصِيبًا أَبَدًا . فَقومُوا فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ ، فَقامُوا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ .
فَانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم ،
وأقبلت أسلم بجماعتها حتى ضاقت بهم السكك (٣) : وَتَمَّتْ الْبَيْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ ،
وَأُخْمِدَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ .

(١) عَقَّقْتَ : من العقوق ، وهو ضد البر . وعقاق : اسم العقوق .
(٢) أَنْفَسْتَ عَلَيْهِ الشَّيْءَ : حسده ، ولم يره أهلاله . (٣) كَانَ عَمْرٌ يَقُولُ : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ
رَأَيْتَ أَسْلَمَ فَأَيْقَنْتَ بِالنَّصْرِ .

١٦ - يوم ذى القصة *

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعت أسد وغطفان وطبي على طليحة ابن خويلد الأسدي^(١) ، إلا ما كان من بعض خواصهم ، واجتمعت أسد بسميراء^(٢) وغطفان بجنوب طيبة^(٣) ، وطبي على حدود أرضهم ، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الربدة ، وتأشب^(٤) إليهم ناس من كفاة ، فلم تحملهم البلاد ، فافتروا فرقتين : أقامت فرقة منهم بأبرق الربدة^(٥) ، وسارت الأخرى إلى ذى القصة ، وأمدتهم طليحة بجيال بن سلمة بن خويلد^(٦) وجمله أميراً عليهم .

وهناك أرسلوا وفداً منهم إلى المدينة ، ونزلوا على وجوه الناس ، ثم تحمّلوا^(٧) بهم على أبي بكر ، على أن يُقيموا الصلاة ، وعلى ألا يؤثروا الزكاة .
فقال أبو بكر : والله لو منموني عقلاً^(٨) لجاهدتهم عليه .

* لأبي بكر على عبس وذيان . كان في سنة ١١ . وذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً في طريق نجد ، وبهذا اليوم عز الإسلام وذل المشركون ؛ وكان نصر المسلمين يشبه نصرهم يوم بدر . الطبري ٣-٢٢٢ ، ابن خلدون ٢-٦٥ .

(١) طليحة بن خويلد الأسدي : كان واحداً من وفد بني تميم الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أسلم هو وأخوه سلمة ، ثم ادعى النبوة ، حتى كانت هزيمته على يد خالد بن الوليد ، فهرب إلى الشام ، ثم أحرم بالحج بعد أن عاد للإسلام ، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين ، ثم استشهد فيها سنة ٤١ هـ . (٢) سميراء : موضع في طريق مكة . (٣) من أسماء المدينة .

(٤) التأشب : التجمع من هنا وهنا . (٥) أبرق الربدة : موضع من منازل ذيان ، قرب

المدينة . (٦) هو ابن أخي طليحة بن خويلد . (٧) تحمّلوا بهم : ذهبوا بهم . (٨) العقال : صدقة عام يقال : أخذ منهم عقال هذا العام ، إذا أخذت منهم صدقته . وقال بعضهم : أراد أبو بكر : بالعقال لبل الذي كان يعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة .

فرجع الوفد إلى أقوامهم بذي القصة ، وأخبروهم برأى أبي بكر وقالته فيمن
يمنع الزكاة ، وحدّثوهم عن قلة المسلمين بالمدينة ، وأطمعوهم فيهم .

أما أبو بكر فإنه توجّس شراً منهم فأعدّ العدة لقتلهم ، وجعل على أنقاب^(١)
المدينة نفراً ، منهم عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ،
وعبد الله بن مسعود . وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد . وقال لهم : إن القوم قد
رأوا منكم قلة ، وإنكم لا تدرّون : أليلاً توتون أم نهارة ، وأدناهم منكم على
بريد^(٢) ، وقد كانوا يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم ، وقد آيينا عليهم ، ونبذنا
إليهم عهدهم ، فاستمعدوا وأعدوا .

ولم يكن إلا ثلاث ليال من عود الوفد حتى طرق القوم المدينة مع الليل
وخلفوا بمضهم بذي حساً^(٣) ليكونوا لهم رداء^(٤) ، وكان الذين على الأنقاب
قد بثوا عيونهم حتى لا يؤخذوا على غرة ، فلما عرف هؤلاء خبر القوم نبهوا من
على الأنقاب ، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر . فأرسل إليهم أبو بكر : أن الزموا
أما كنكم . ففعلوا .

وخرج في أهل المسجد على النواضح^(٥) ، فتنهقر المدو ، فاتبعهم المسلمون على
إبلهم ، حتى بلغوا ذا حساً فخرج عليهم الرداء بأنحاء^(٦) قد نفخوها ، وجملوا فيها
الجبال ، ثم دهدهوها^(٧) بأرجلهم في وجوه الإبل ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها
ولا تنفّر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء ، فهاجت^(٨) بهم ، ما يملكونها .

(١) الأنقاب : جم نقب ، وهو الطريق . (٢) البريد : فرسخان ، أو اثنا عشر ميلا ،
أو ما بين المنزلين . القاموس . (٣) ذو حساً : موضع بنجد ، من ديار عيس وغطفان . (٤) الرداء :
العون والمدد . (٥) النواضح من الإبل : ما يستقى عليها ، واحدها ناضح . (٦) الأنحاء :
جم نحى (بكسر النون وسكون الحاء) وهو الرق . (٧) دهدهوها : دحرجوها .
(٨) هاجت : رجعت .

حتى دخلت بهم المدينة ؛ من غير أن يُصابَ أحدٌ من المسلمين أو يُصرَع ، ولكن هؤلاء المرتدَّة ظنوا الوهنَ بالمسلمين ؛ حتى قال شاعرهم :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَا لَعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ !
أَيُورِثُنَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بِمَدَنِهِ ! وَتِلْكَ لِعَمْرٍؤُ اللَّهُ قَاصِمَةُ الظُّهْرِ !
فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَفَدَدْنَا بِزَمَانِهِ وَهَلَّا خَشِيتُمْ حِسَّ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ !
وَإِنَّ الَّتِي سَأَلُوكُمْ فَسَنَعْتُمْ لَكَالْتَمِرِ أَوْ أَحَلَّى إِلَى مِنَ التَّمْرِ
ثم أرسلوا لأقوامهم بالقصة بالخبر ، فقدموا عليهم .

أما أبو بكر ، فإنه بات ليلته يتهياً ، فعسبى الناس ، ثم خرج وعلى ميمنته النعمان ابن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة^(١) سويد بن مقرن ، فاطلع الفجرُ إلا وهم والعدوُّ في صعيد واحد ، فاقتتلوا ، وما ذر^(٢) قرنُ الشمس حتى ولَّى العدوُّ الأدبار ، وقتل حبال بن سلمة . وتبرمهم أبو بكر حتى نزل بنى القصة ، فتركوها وولوا منهزمين ، ورجع أبو بكر إلى المدينة ، فكان أولَ الفتح وفاتحةَ الجهاد مع المرتدين .

ولم يكد أبو بكر يذهب إلى المدينة حتى وثب المرتدون من عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين ، فقتلهم . ولما علم أبو بكر بفعلتهم حلف ليعتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة .

وكان لوقعة ذى القصة أثرها ، إذ هرع بعدها فريق من المسلمين يؤدُّون الزكاة وطرقوا المدينة بانصدقات ، وكان فيمن قدم صفوان - وهو ابن أمية - والبرقان من رؤساء بني تميم ، وعدى بن حاتم عن طي .

(١) ساقية الجيش : مؤخره . (٢) ذر . ظهر وبرز .

١٧ - يوم بُزَاخَةَ*

لما قدم أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ^(١) من غزوته استخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له ولجنده : أَرِيحُوا^(٢) ، وَأَرِيحُوا ظَهْرَكُمْ^(٣) . ثم خرج إلى ذِي الْقَصَّةِ ؛ فقال له المسلمون : نَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تُعْرِضَ نَفْسَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ تُصَبَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نِظَامٌ ، وَمُقَامُكَ أَشَدُّ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَايْمُتْ رَجُلًا ، فَإِنْ أُصِيبَ أَمْرَتْ آخِرٌ . فقال : لا والله لأفعل ، ولأؤاسينكم بنفسى . ومضى حتى انتهى إلى الرَبَذَةِ^(٤) ، فلقى بنى عَبَسَ وَذُبْيَانَ وجماعة من بنى عبد مناة بن كنانة ، فقاتلهم وهزمهم ، وأجلاهم عن مواقعهم ، ثم رجع إلى المدينة .

ولكن هؤلاء المنهزمين لم يثوبوا إلى رُشدِهم ، ولم يَرْجِعُوا للإيمانهم ؛ بل انحازوا إلى طَلِيحَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ الْمُتَنَبِّئِيِّ في بنى أَسَدَ ، وقد اعتصم بِبُزَاخَةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ . ولما اطمأنَّ أبو بكر إلى أَنَّ أُسَامَةَ وَجنده استراحوا وأراحوا ظَهْرَهُمْ خرج بهم إلى ذِي الْقَصَّةِ ، ووزعَ الجُنْدَ ، وجعل على كلِّ لواء أميراً .

فمقد لخالد بن الوليد اللواء الأول ، وأمره بطَلِيحَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح^(٥) إن أقام له . وعقدَ لِمَكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، وأمره

* لخالد بن الوليد على أسد وغلطان . كان في سنة ١١ وبزاخة : ماء ابني أسد .

الطبرى : ٢٢٥/٣ . ابن الأثير ١٦٦/٣ . ابن خلدون ٧٠/٢ . معجم البلدان ١٦١/٢ .

(١) كان ذلك بعد شهرين من خروجه لغزو الروم ؛ حيث بلغ البلقاء ، وبث خيوله في قبائل

قضاة ، وعاد ظافراً . (٢) يقال : أراح الرجل : إذا استراح ورجعت إليه نفسه .

(٣) الظهر : الدابة . (٤) الربذة : موضع قرب المدينة .

(٥) البطاح ، بالضم : ماء في ديار بني أسد .

بِئْسَ لِمَا . بِالْيَمَامَةِ . وللمهاجر بن أبي أمية ، وأمره بقتال العنسي بصنعاء اليمن ، وأن يمضى إلى كندة بحضرموت ، وخلال بن سعيد ووجهه إلى مشارف الشام ، ولعمرو ابن العاص ووجهه إلى قضاة ؛ ولخديفة بن محسن الغلفاني ؛ وأمره بالتوجه إلى أهل دبابا بعمان . ولعرفجة بن هرثمة ووجهه إلى أهل مهرة . لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين . وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل ، وقال له : إذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاة وأنت على خيالك . وعقد لطرفة بن حازم ووجهه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن .

ثم كتب لكل منهم عهداً ؛ هذا نصه : هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلان حين بعثه فيمن بعثه ، لقتال من رجع عن الإسلام ؛ وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله ، سره وعلايته . وأمره بالجد في أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يُعذّر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن^(١) غارته عليهم حتى يُقرّوا له ، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم ، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم ، لا ينظروهم^(٢) ، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل ، وأقرّ له قبل ذلك منه ، وأعانه عليه بالمعروف ؛ وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل ، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر^(٣) به . ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان ، وحيث بلغ مرأغمه^(٤) ، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه ، وأقرّ قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فإن أظهره الله قتل

(١) شن الغارة : صبها من كل وجه . (٧) لا ينظروهم : لا يؤخروهم .

(٤) استسر : استتر . (٤) المراغم : المهاجر (اسم مكان) .

منهم كلٌّ قَتَلَةٌ بالسلاح والنَّيران ، ثم قَسَمَ ما أفاء الله عليه . إلا الخمس فإنه يُبَلِّغُنَاهُ ؛
وَأَنْ يَمْنَعَ أَصْحَابَهُ العَجَلَةَ والفساد ، وألَّا يُدْخَلَ فِيهِمْ حَشَوًّا حتى يعرفهم وَيَعْلَمَ ما هم ،
لئلا يكونوا عيوننا ، ولئلا يُؤْتَى المساهون من قِبَلِهِمْ ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ بالمسالمين ويرْفُقَ
بِهِمْ فِي السَّيْرِ وَالْمَنْزِلِ ، وَيَتَفَقَّدَهُمْ وَلَا يُعْجَلُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَيَسْتَوْصِيَ بالمسالمين
فِي حَسَنِ الصَّحَّةِ وَرِيبِ الْقَوْلِ .

* * *

ثم كتب للمرتدين كتاباً عاماً جاء فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم .

من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ
عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ أَوْ رَجَعَ عَنْهُ .

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَمْ يَرْجِعْ بَعْدَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى ، فَإِنِّي
أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، نُقِرُّ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَنُكْفَرُ مِنْ أَبِي ، وَنُجَاهِدُهُ .

أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمدًا بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ،
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحِقَّ الْحَقَّ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
فَهَدَى اللَّهُ بِالْحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِذْنِهِ مِنْ
أَذْبَرٍ عَنْهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا .

وقد تَوَفَّى اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ نَفَّذَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ،
وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ ذَلِكَ ، وَلِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ
فَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ

أَلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿١﴾ . وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾ .

فمن كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له ، فإن الله له بالمرصاد ، حتى قيوم^(١) لا يموت ، لا تأخذه سنة^(٢) ولا نوم ، حافظ لأمره ، مُنتقم من عدوه يجزيه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصييكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتمصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضالاً ، وكل من لم يُعافه مُبتلياً ، وكل من لم يمينه مخدول ، فمن هداه الله كان مهتدياً ، ومن أضله كان ضالاً ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿٣﴾ ، ولم يُقبل منه في الدنيا عمل ، حتى يُقرَّ به ، ولم يُقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل^(٣) .

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه ، بعد أن أقرَّ بالإسلام وعمل به ، اغتراراً بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٤﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّمِيرِ ﴿٥﴾ ؛ وإنى بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، وأمرته ألا يقا تل أحداً ولا يقتله ، حتى يدعوه إلى دأعية الله ؛ فمن استجاب له وأقرَّ ، وكفَّ وعمل صالحاً قبل منه ، وأعانهُ عليه ، ومن أبى أمرتُ

(١) قيوم : الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه . (٢) السنة : فتور يتقدم النوم .

(٣) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية .

أَنْ يَفَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ لَا يُبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحَرِّقَهُمْ بِالنَّارِ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَأَنْ يَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ، وَالِدَاعِيَةِ الْأَذَانِ ، فَإِنْ أَدَّيْنِ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا كَفَّوْا عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُؤَدِّئُوا عَاجَلُوهُمْ ، وَإِنْ أَدَّنُوا سَأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجَلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَبُوا قَبِلْ مِنْهُمْ وَحَمَلِهِمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ .

ثم تقدمت الرسل بالكتب أمام الجنود ، وخرجت الأمراء ومعهم اليهود .

وكان طليحة الأسدي هذا قد ارتد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وادعى النبوة ، فوجه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور^(١) إلى عماله على بني أسد يأمرهم بالقيام على كل مرتدة ، فخرج هؤلاء المسلمون مع ضرار ، ونزلوا بواردات^(٢) ، ونزل طليحة ومن معه بسميراء^(٣) ، فما زال المسلمون في نماء ، والمشركون في نقصان ، وضعف أمر طليحة ، حتى لم يبق إلا أخذه ، فضربه ضرار بالسيف فلم يصنع فيه شيئاً ، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه ، وأكثر جمعه .

ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فكان طليحة يقول . إن جبريل يأتيني ، وأخذ يسجع بالأكاذيب ، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول : إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وتقبيح أذباركم شيئاً ، اذكروا الله واعبدوه قياماً . فتبعه من العرب كثير ، بعضهم عن غفلة ، وبعضهم عن عصبية ،

(١) كانت له صحبة ، واستشهد فيها بعد بالبيعة .

(٢) واردات : موضع قرب مكة . (٣) سميراء : موضع بطريق مكة .

ولذلك كثُرُ أتباعه من أسد ، وأحلافهم من طيء و غطفان ، وقام عُيَيْنَةُ بن
حِصْنِ الْغَزَارِيِّ يقول : لَأَنْ تَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنْ الْحَلِيفَيْنِ : أَسَدٌ وَطِيءٌ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
أَنْ تَتَّبِعَ نَبِيًّا مِنْ قَرِيْشٍ (١) ؛

فلما كان يوم القَصَّة ، وهُزِمَتِ غَطَفَانُ ، وكانوا قَتَلُوا الْمَسْلَمِينَ غَدْرًا ، خافوا على
أنفسهم ، فذهبوا إلى الْبُرْأَخَةِ ، حيث انضموا مع إخوانهم إلى طَلِيحَةَ .
فلما أحسنَ طَلِيحَةُ بِمَقْدَمِ خَالِدِ أُرْسِلَ إِلَى جَسَدِيْلَةَ وَالْعَوْثِ مِنْ طِيءٍ بِأَمْرِهِمْ
بِالْحِقَاقِ بِهِ ، فتمعجل إليه بعضهم ، وأمروا قومهم بِاللِّحَاقِ بِهِمْ .

وكان أبو بكر قد بعث عدى بن حاتم الطائى قبل مسير خالد إلى قومه ، وقال له :
أَذْرِكْهُمْ وَخَذْهُمْ عَنْ طَلِيحَةَ . فذهب إلى العوث وأخذ يفتلهم في الذروة
والغارب (٢) ، ويدعوهم إلى الجماعة ، فقالوا : لا نبايع أبا الفصيل (٣) أبداً ، فقال : لقد
أنا كم قوم ليبيحن حريمكم ، ولتكنننه بالفحل الأكبر ، فشأنكم به . فقالوا
له : فاستقبل الجيش فنهته عنا حتى نستخرج من لحق بالبرأخة منا ، فإننا إن
خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتبهم .

فاستقبل عدى خالداً وهو بالسُّنْحِ (٤) ، فقال : يا خالد ؛ أُمْسِكِ عَنِّي ثَلَاثًا يَجْتَمِعُ لَكَ
خَمْسَاةٌ مَقَاتِلُ تَضْرِبُ بِهِمْ عَدُوَّكَ ؛ وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعْجِلَهُمْ إِلَى النَّارِ ، وَتَتَشَاغَلُ
بِهِمْ . ففعل .

(١) روى الطبرى أنه كان بين أسد و غطفان و طيء حلف في الجاهلية ، فلما كان بعث النبي
صلى الله عليه وسلم اجتمعت غطفان و أسد على طيء فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غوثها
بوجوديتها ، ثم عادوا بعد ذلك إلى حلفهم .

(٢) يفتلهم في الذروة والغارب : أى يخذلهم . (٣) يريدون أبا بكر .

(٤) السنح : موضع قرب المدينة ، كان به منزل أبي بكر .

فعاد عديّ إليهم ، وقد أرسلوا إخوانهم إليهم ، فأتوهم من بزاخة كلدّد لهم ،
وعاد عديّ بإسلامهم إلى خالد .

وأعدّ خالد نفسه ليرتحلّ إلى جدية بالأُنسر^(١) . فقال له عدي : إن طيئاً
كالطائر ، وإن جدية أحد جناحي طييء ؛ فأجّلني أياماً ، لعلّ الله أن ينتقد
جدية كما انتقد الغوث ، ففعل . فأتاهم عديّ ، فلم يزل بهم حتى بايعوه ، ودعوا قومهم
من البزاخة ، وجاء عديّ إلى خالد بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين ألف راكب . فكان
عديّ خير مولود وُلِدَ في أرض طييء ، وأعظمه عليهم بركة .

وسار خالد بالناس ، حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن ، وثابت بن
أقرم طليعة ، فلقياً جبلاً أبا طليحة ، فقتلاه . فلما بلغ مقتله طليحة خرج مع أخيه
الآخر ينظران ويسألان ، فأتا سلمة فلم يمهل ثابتاً حين رآه أن قتله ، وثبت عكاشة
لطليحة . فلما رأى طليحة أنّ أخاه فرغ من ثابت ، استعان به على عكاشة
فقتلاه ثم رجعا .

وأقبل خالد بالناس حتى مرّوا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفتنوا له حتى وطئته
المطيّ بأخفافها ، فكبّر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعمكاشة بن محصن
صريعاً ، فجزع لذلك المسلمون وقالوا : سيّدان من سادات المسلمين ، وفارسان من
فرسانهم .

ورأى خالد ما بأصحابه من الجزع ، فأثرّ ألا يواجه بهم عدوهم حتى تطمئنّ
نفوسهم ، فسأل عديّ : ما الرأي ؟ فقال : الرأي أن تسير إلى فتقيم عندي أياماً في
طييء ، حتى أبعث إلى كلّ قبائلها ، فأجمع لك منهم أكثر مما معك ، ثم أصحبك إلى

(١) الأُنسر : ماء اطييء قرب الجبلين .

عدوك . ففعل وانصرف معه حتى أقام بطييء أياماً ، ثم خرج إلى قتال طليحة وقومه من بني أسد وأحلافه من غطفان .

قال له رجال من طييء : نحن نكفيمك غطفان ، فإن أسداً من أحلافنا ، فقال خالد : والله ما غطفان بأوهن الشوكتين ، اصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتن ، فقال عدى : لو ترك هذا الدين أسرتي ، الأذى فالأذى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لِحِلْفِهِمْ ! لا ، لَعَمْرُ اللهِ ، لا أفعل . فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد ، لا تخالف رأي أصحابك ، امض إلى أحد الفريقين ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط .

واقنتل الناس ، وكان عيينة بن حصن هو الذي يقودُ المعركة في جيش طليحة ، في سبعمائة من بني فزارة ، على حين أن طليحة يقيم مُتَلَفِّفًا في كساء له بفناء بيت من شعر ، يتنبأ لهم والناس يقتتلون ، فلما هزّت عيينة الحرب ، وضرّسه القتال كرّ على طليحة فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا ، فرجع فقاتل حتى ضرّسه القتال ، وهزّته الحرب ، ثم كرّ عليه فقال : لا أبالك ، أما جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا والله ، قال عيينة : حتى متى قد والله يبلغ منا ! ثم رجع إلى وطيّس الحرب فرأى خيل خالد تكاد تحيط به وبأصحابه ، فرجع إلى طليحة فرجعاً يكرر عليه : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : نعم . قال : فإذا قال لك ؟ قال : إن لك رحى كرخاه ، وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة : أظن أن قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه ! انصرفوا يا بني فزارة ، فهذا والله كذاب ! فانصرفوا وانهمز الناس وغشوا طليحة يقولون : ماذا تأمرنا ؟ فوثب على فرسه ، وحمل امرأته النوار ، وقال : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت ، وينجو بأهله فليفعل :

ثم لحق بالشام^(١) بعد أن ارفضَّ جَمْعُهُ ؛ وأقام في بني كلب هناك ، ثم عاد إلى الإسلام حين بلغه أن القبائل التي بايعتهُ قد عادت إلى الدين القويم ، وخرج بعد ذلك مُعْتَمِراً في خلافة أبي بكر ، فرَّ بِجَنَبَاتِ المدينة ، فذكر بعضُ المسلمين لأبي بكر مكانه ، فقال : ما أصنع به ! خَلُّوا عنه ، فقد هداه اللهُ للإسلام .

(١) روى ياقوت : أن عيينة بن حصن أسر و قدم به على المدينة ، فخن أبو بكر دمه ، و خلى سبيله . وقال بعضهم : لأنه دخل جباً فاغسل ، و خرج فركب فرسه و أهل بمرّة ، و مضى إلى مكة ، و أتى مسلماً .

٨١ - يوم البطح *

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر على بطون تميم أمراء ، فرقمهم فيهم ؛ فكان الزبيرُ قان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء ، وقيس بن عاصم على مُقاعس والبطون ، وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ، على بن عمرو ، ووكيع بن مالك ومالك بن النويرة ، على بنى حَنْظَلَةَ^(١) .

فلما مات النبيُّ صلى الله عليه وسلم ووُلِّي أبو بكر اختلف هؤلاء : أَيُوذُونَ الزكاةَ لأبي بكر أم يُقسَّمونها في الناس ؟ وكان فيمن أدى الزكاةَ صفوان بن صفوان ، وفيمن منمها مالكُ بن نويرة^(٢) في قومه بنى يربوع ؛ وهم بطن في بنى حنظلة من تميم .

وبينما القومُ في اختلافهم فجأَّتهم سَجَّاح بنت الحارث ؛ قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت سَجَّاح تميميةً من بنى يربوع ، وأخوالها من تغلب بالمراق ، وقد تزوجت فيهم ، وأقامت بينهم ، ثم تنصَّرت فيمن تنصَّر منهم ؛ وكانت تدعى الكهانة ، وتعرف كيف تقودُ الرجال ؛ فلما تراعى إليها وفاةُ محمد عليه السلام أدعت النبوة ، وقدمت إلى قومها من تميم ، تريد أن تغزو المدينة ، وأن تقاتل أبا بكر .

* لخالد بن الوليد على بنى تميم . كان سنة ١١ . والبطح : ماء في ديار بنى أسد .
الطبرى ٢٤١/٣ . ابن الأثير ١٧٣/٣ . ابن خلدون ٧٣/٢ . معجم البلدان ٢١٥/٢ :
تاريخ ابن كثير ٣٢٢/٦ . الأغاني ٦٣/٤ . الإصابة ٤٠/٦ .

(١) الرباب وعوف والأبناء ومقاعس والبطون وبنو عمرو وحنظلة : بطون في تميم .
(٢) مالك بن نويرة : كان رجلاً سورياً نبيلاً يردف الملوك ، وكان فارساً شجاعاً شريفاً مطاعاً في قومه من بنى يربوع ، وكان فيه خيلاء وتقدم ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم ولاه الصدقات على بنى يربوع ، ثم كان ما كان من رده ومنعه الزكاة حتى قتله ضرار بن الأزور ، وقال فيه أخوه متمم المراني المشهورة .

فلما رأى بنو تميم - وهم على اختلافهم - عزّمتها على قتال أبي بكر ، ازدادوا بين الردّة والإسلام اضطراباً؛ ووقفت سجاج في جُنْدِها على حدود بني يربوع ، وأرسلت إلى زعيمهم مالك بن نويرة تطلب المِوَادعة ، وأنبأته بعزمها على غزو المدينة ؛ فأجابها مالك إلى المِوَادعة . ولكنه صرّفها عن غزوة المدينة ، وحرّضها على قتال من اختلف معه من أحياء بني تميم ؛ واقتنمت سجاج برأيه وقالت : نعم ؛ فشأنك بمن رأيت ؛ فإني إنما أنا امرأةٌ من بني يربوع ، وإن كان مُلكُ فالملك مُلكُكم . ثم أرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى المِوَادعة ، فأبوا ، ثم أرسلت إلى وكيع بن مالك ، فأجاب إلى ما أجب به مالك بن نويرة .

واجتمع مالك ووكيع وسجاج ، فسجّعت لهم سجاج وقالت : أعدّوا الركب ، واستمدّوا للنّهب ، ثم أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب . فاستمرّت نارُ الحرب بين بني تميم ، واقتتل القوم ، ومات من الجانبين خلقٌ كثير . ثم إنهم تصالحوا وعاد السلام إلى بني تميم . ولما رأت أن أمرها لم يتمّ في بني تميم ، قالت لجندها من ربيعة وإياد وسواهم : عليكم باليامة ودّفوا دَيف^(١) الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا تلحقكم فيها ملامة . ثم نهّدت^(٢) بمنّ مغها إلى بني حنيفة ؛ حيث لقيت مسيلة وتزوجته .

ولما رأى مالك بن نويرة ما صنعت سجاج نديم وتخيّر في أمره ، وعرف وكيع وغيره من رؤساء بني تميم قُبْح ما صنعوا ، فرجموا رجوعاً حسناً ، وأخرجوا الصدقات ، واستقبلوا بها خالداً ، ولم يبق في بني تميم إلا مالك بن نويرة ؛ فقد اعتصم بالبطاح .

وعلم خالد بأمره ، فزَم على السير إليه فتردّت الأنصار ، وتخلّفت عنه وقالوا : ما هذا بمهد الخليفة إلينا ، إن الخليفة عهد إلينا ؛ إن نحن فرغنا من البزاحة واستبرأنا بلاد

(١) الديف من الطائر : أن يحرك جناحيه ورجليه في الأرض .

(٢) نهد الرجل لعدوه : نهض .

القوم ، أن نقيم حتى يكتبَ إلينا . فأجابهم خالد : إن يكن عهد إليكم هذا ؛ فقد عهدَ إلى أن أمضى وأنا الأمير ، وإلى تنهى الأخبار ، ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصةً فكنتُ إن أعلمته فأتنتني لم أعلمه حتى أنهزها ، وكذلك لو ابتلينا بأمر لم يعهد لنا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرننا ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرةٌ بجيأ لنا ، وأنا أقصد إليه ، ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ، ولستُ أكرهكم .

ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وقالوا : إن أصاب القوم خيرٌ إنه لخيرٌ حُرِّمْتُموه ، وإن أصابتم مصيبةً ليجتنبنكم الناس ، فأجمعوا اللحاق بخالد ، وجرّدوا إليه رسولاً ، فأقام ، حتى لحقوا به .

ثم سار مع جيشه حتى قدم البطح ، فلم يجدوا بها أحداً ، ووجدوا مالكا قد فرّقهم في أموالهم ، ونهاهم عن الاجتماع حين اضطرب عليه أمره ، وقال : يا بني يربوع ؛ إننا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح ؛ وإنني قد نظرتُ في هذا الأمر ، فوجدت الأمر يتأتى للقوم بغير سياسة . وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإياكم ومناواة قوم قد صنع لهم ، ففرّقوا في دياركم ، وأدخلوا في هذا الأمر . ونصح لهم بالرجوع إلى الإسلام ، والتفرق في الديار . ورجع هو إلى منزله . وبث خالد السرايا بالبطح ، وأمرهم بداعية الإسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يُجيب ، وأن يقتلوه إن امتنع . وكان مما أوصى به أبو بكر : إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ؛ وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم ؛ وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة !

ولم يلبث أن جاءت الخيـلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ من قومه بني يربوع .

واختلف رؤساء الجند الذين جاءوا بمالك ومن معه فيما بينهم . أقرّ مالك ومن معه بالإسلام وأجابوا داعية الأذان ، أم أنكروا وتنكروا ؟ وكان من رؤساء الجند أبو قتادة^(١) ؛ ولما سُئِلَ قال : إنهم لما غَشُوا القوم راعوهم تَحْتَ اللَّيْلِ ، فأخذ القومُ السلاح . فقلنا : إنا المُسْلِمُونَ ؛ فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بالُ السِّلَاحِ معكم ؟ قالوا لنا : فما بالُ السلاحِ معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . فوضعوه ، ثم صلينا ووصلوا . وقال غيره : إنهم ما زالوا على رِدَّتِهِمْ .

ولما رأى خالدُ اختلافَ القوم في شأنِ مالك وأصحابه أمرَ بِمُجَبِّسِهِمْ ، حتى ينظر في أمرهم ، وكان ذلك في ليلة باردة . ثم أمر خالدٌ منادياً فنادى : دافئوا^(٢) أسراكم . وهي في لغة كِنَانَةَ — معناها القتل ، وكان الحرَّاسُ من بني كِنَانَةَ ، فوقعوا فيهم قتلاً ، وقتل ضرار بن الأزور مالكا .

وسمع خالد الواعية^(٣) ، ففرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . ولما عَلِمَ أبو قتادة بمقتل مالك قال لخالد : هذا عمَلُكَ ! فزَجَرَهُ خالدٌ ، فغضب وعاهد الله ألا يشهد حرباً بعدها مع خالد ، ومضى حتى أتى أبا بكر ، فقصَّ عليه أمر خالد وقتله مالكا ، وأقسم ألا يكون أبداً في لواء عليه خالد ، فغضب منه أبو بكر ، لأنه كان معجباً بخالد وانتصاراته ؛ وكله فيه عمر فلم يَرْضَ إلا أن يرجع إلى خالد ، فرجع إليه وبقي معه حتى قدم معه المدينة .

ثم تزوج خالد أمّ تميم ، ابنة المنهال زوج مالك ، وكانت العرب تكره النساء في الحروب .

(١) هو أبو قتادة الأنصاري ، واسمه الحارث بن ربي .

(٢) أراد الإدفاء ، من الدفء .

(٣) الواعية : الصراخ .

ولما علم عمرُ بِمَقْتَلِ مالِكِ ؛ وما حَامَ حَوْلَهُ مِنَ الرَّيْبِ ، وَبِخَاصَّةِ حِينِمَا سَمِعَ بَرَاةَ خَالِدٍ مِنْ أُمَّ تَمِيمٍ عَمِدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ : إِنْ فِي سَيْفِ خَالِدٍ رَهَقًا (١) ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا حَقًّا حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ تَقِيدَهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَأَكْثَرَ وَقَالَ : عَدُوُّ اللَّهِ عَدَا عَلَى أَمْرِيءَ مُسْلِمٍ فَقْتَلَهُ ، ثُمَّ نَزَا عَلَى أَمْرَاتِهِ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يُقِيدُ (٢) مِنْ عَمَلِهِ وَلَا وَزَعَتِهِ - فَقَالَ : هَيْه يَا عَمْرُ ؛ تَأَوَّلَ فَأَخْطَأَ ، فَارْفَعَ لِسَانَكَ عَنْ خَالِدٍ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَشِيمٍ (٣) سَيْفًا سَأَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَوَدَى (٤) مَالِكًا ، وَكُتِبَ إِلَى خَالِدٍ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ .

وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ عَلَيْهِ صَدَأُ الْحَدِيدِ ، مُعْتَجِرًا (٥) بِهَامَةٍ ، قَدْ غَرَزَ فِيهِمَا أَسْهَمًا . فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَانْتَزَعَ الْأَسْهَمَ مِنْ رَأْسِهِ فَحَطَّمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَرِئَاءَ ! قَتَلْتَ أَمْرًا مُسْلِمًا ، ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَى أَمْرَاتِهِ ؛ وَاللَّهِ لَأَرْجَمَنَّكَ بِأَحْجَارِكَ ! فَلَمْ يَرِدْ خَالِدًا بِكَلِمَةٍ ، وَظَنَّ أَنَّ رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِثْلِ رَأْيِ عُمَرَ فِيهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَعَذَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَجَاوَزَ عَمَّا كَانَ فِي حَرِّهِ بِهِ تِلْكَ .

وَلَمْ تَمُضْ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى قَدِمَ مُتَمِّمٌ بْنُ نُورَةَ (٦) ، أَخُو مَالِكٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

(١) الرهق السفه والحفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

(٢) يقال : أقاد الأمير القاتل ، قتله به قوداً . (٣) أشيم : أحمد .

(٤) وداه : أعطاه دينه ، والدية : حق القتل . (٥) الاعتجار : لف العمامة .

(٦) متمم بن نورة : أخو مالك ، وله أبلغ المرائي فيه . روى الأصمعي : قدم متمم بن نورة

العراق ، فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عليه ؛ فقيل له : يموت أخوك بالمالا ، وتبكي أنت على قبر بالعراق ! فقال :

رَفِيقِي لَتَذَرَأِي الدُّمُوعَ السَّوَافِكِ
لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللُّوَى وَالذَّكَادِكِ
فَدَعَيْتَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ !
وَتَأْوِي إِلَيْهِ مَرْمَلَاتُ الضَّرَائِكِ !

لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
أَلَمْ تَرَهُ فِينَا يُقَسِّمُ مَالَهُ

الضرائك : الفقراء السبئو الحال .

نعم القليلُ إذا الرياحَ تَنَاوَحَتْ تحت الإزار قَتَلْتَ يَا بْنَ الْأَزْوَِرِ
أَدْعَوْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ لو هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَنْقُدِرِ

فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته . ثم قال :

لا يَضْمُرُ الْفَحْشَاءُ تَحْتَ رِدَائِهِ حُلُوهُ شِمَائِلُهُ عَفِيفُ الْمِزْرِ
ولنعم حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ وَحَاسِرًا ولنعم مَأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ

ثم بكى حتى سالت عَيْنُهُ ، ثم وقع مغشيًا عليه ؛ وطلب دِيَةَ أَخِيهِ فَوَدَّاهُ ،
وتحدَّثَ إِلَيْهِ فِي رَدِّ سَبِي قَوْمِهِ ، فَكَتَبَ بَرْدٌ سَبِيهِمْ ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ ؛ لَا تَرَاهُ قَالَهُ
دَمْعَةً عَلَى أَخِيهِ مَالِك .

* * *

وكان عُمرُ بن الخطابِ يَصَلِّي الصَّبِيحَ يَوْمًا ؛ فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذْ هُوَ بِرَجُلٍ
قَصِيرٍ أَعْوَرٍ ، يَتَسَكَّبُ قَوْسًا ، وَيَبِيدُهُ هِرَاوَةَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مُتَمَّمٌ بْنُ نُورِيَّةٍ
فَاسْتَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِي أَخِيهِ ، فَأَنْشَدَهُ :

لَعْمَرِي وَمَا دَهْرِي بَتَا بَيْنَ مَالِكِ وَلَا جَزِعَ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَمًا (١)

لَقَدْ كَفَنَ الْمِنْهَالَ تَحْتَ ثِيَابِهِ فَتَى غَيْرِ مَبْطَانَ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا (٢)

ومضى في إنشاده حتى بلغ إلى قوله :

وَكُنَّا كَقَدَمَاتِي جَذِيمَةَ حِقْبَةَ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعًا (٣)

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَتَى وَمَالِكًا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

فقال عمر : هذا والله التأيين ! ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخى زيداً (٤)

بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته .

فقال عمر : ما عزاني أحد عن أخى بمثل ما عزاني به متمم !

(١) مادهرى : ما عادتى ، والتأيين : مدح الميت بعد موته .

(٢) المنهال : هو ابن عصمة الرياحي ؛ كفن مالكا في ثوبيه . غير مبطن العشيات : لا يعجل

بالعشاء انتظاراً للضيغان . والأروع : الذى إذا رأيت راعك بحسنه .

(٣) الندمان : النديم ، وقد كان مالك وعقيل بن فارج نديمين لجذيمة الأبرش دهرًا طويلًا ،

ثم قتلتهما ، في حديث مشهور . (٤) مات زيد بن الخطاب في غزوة اليمامة .

١٩ - يوم اليمامة*

في سنة عشر قدم وفدُ بني حنيفة^(١) من أهل اليمامةِ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مُسلمين، وتركوا مُسَيْلِمَةَ بن حَبِيبٍ في رِحَالِهِمْ، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسولَ الله؛ إنا قد خَلَفْنَا صاحباً لنا في رِحَالِنَا وفي رِكَابِنَا، يحفظُهَا لنا. فأمرَ لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِ ما أمرَ به للقوم، وقال: أما إنه ليس بِشِرِّكُمْ مَكَاناً. ثم انصرفوا. وجاءوا مُسَيْلِمَةَ بما أعطاه رسولُ الله، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ وتنبَّأ لهم، وقال: إني قد أشركتُ في الأمرِ معه، وقال لمن كان معه في وفدِ بني حنيفة: ألم يقل لكم حين ذكرتُموني له! أما إنه ليس بِشِرِّكُمْ مَكَاناً وما ذاك إلا لأنه كان يعلمُ أني قد أشركتُ في الأمرِ معه. ثم جعل يسَّجَع لهم الأسأجيع.

وكتب إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: من مُسَيْلِمَةَ رسولِ الله إلى محمدٍ رسولِ الله، سلامٌ عليك؛ أما بعدُ فإني قد أشركتُ في الأمرِ معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقريش نصفَ الأرض، ولكنَّ قريشاً قومٌ يعتدُّون.

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم رسولان بهذا الكتاب، فقال لهما النبي حين قرأ كتاب مُسَيْلِمَةَ: فما تقولان أنتم؟ قالا: نقولُ مثلَ ما قال، فقال: أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتل لضربتُ أعناقكما.

* لخالد بن الوليد على بني حنيفة، كان سنة ١١. واليمامة معدودة في نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيام، وتعد هذه الواقعة من المواقع الفاصلة في حروب الردة.

الطبري ١٦٢/٣، ابن الأثير ١٧٤/٢، ابن خلدون ٧٥/٢، ابن كثير ٣٢٣/٦، ابن هشام ٢٤٤/٤، ٢٧٢.

(١) حنيفة: بطل في ربيعة.

ثم كتب إلى مُسَيْلِمَةَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمد رسول الله إلى
مسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ : سلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى ، أما بعد ، فإنَّ الأرضَ لله يورثها
مَنْ يشاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

فلما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث أبو بكر السَّرايا^(١) إلى المرتدِّين
أرسل عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ فِي عَسْكَرٍ إِلَى مُسَيْلِمَةَ ، وَأَتْبَعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ،
وكان مُسَيْلِمَةُ قد اشتدَّ أمره ، والتفت حوله أربعمون ألف مقاتل من بني حَنِيْفَةَ
باليَمَامة .

فسار عِكْرِمَةُ إلى اليَمَامة ، ولم يرَ أَنَّ يَنْتَظِرَ شُرَحْبِيلُ ، لِيَكُونَ لَهُ نَفْسَارُ
النَّصْرِ . وكان عِكْرِمَةُ بطلاً مجرَّباً ، وفارساً مغواراً ، وقد اجتمع في لِيوائِهِ أَبطالٌ لهم
في الحروب بَلَاءً ، وَلِكنَّهُ لم يَدْبُتْ لِقُوَّتِهِمْ ، وَنَكَبَهُ بَنُو حَنِيْفَةَ ، وَعَلِمَ شُرَحْبِيلُ
بِهَزِيمَتِهِمْ فَأَقَامَ بالطريق .

وكتب عِكْرِمَةُ لأبي بكر بالَّذِي أَصابَهُ وَأَصَابَ جُنْدَهُ ، فغَضِبَ أبو بكر ، وكتب
إليه : يَا بَنَ أُمَّ عِكْرِمَةَ : لا تَرَجِعَنَّ فِتْوَهِنَ النَّاسِ ؛ امضِ إلى حُدَيْفَةَ وَعَرَفَجَةَ ،
فقاتِلِ أَهلَ عُمَمانَ وَمَهْرَةَ ، ثم تسير أنتَ وجندك حتى تَلْقَى المُهاجرِ بنَ أبي أُمَيَّةَ
باليَمينِ وَحَضَرَ مَوْتَ .

وكتب إلى شُرَحْبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ بِأَمْرِهِ بِالْمَقَامِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ .
ولما قدم خالدٌ على أبي بكرٍ مِنَ البُطَاحِ ، ورضى عنه وقبل عُذْرَهُ وَصَدَّقَهُ ،
أرسله إلى مُسَيْلِمَةَ ، وَأَوْعَبَ^(٢) معه النَّاسَ ، وجعل على الأَنْصارِ ثابِتَ بْنَ قَيْسٍ
والبراء بن عازب ؛ وعلى المُهاجرين أبا حُدَيْفَةَ ، وزَيْدَ بْنَ الخَطَّابِ ، وعلى كُلِّ
قَبِيلَةٍ رَجُلًا

(١) جمع سرية : وهي جماعة من الجنود من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة .

(٢) أوعب الناس : خرجوا سلكهم للغزو .

وقبل أن يقوم خالد بجيشه كتب أبو بكر إلى شُرْحَبِيل بن حَسَنَةَ كتاباً آخر جاء فيه : إذا قدم عليك خالد ، ثم فرغتم إن شاء الله ؛ فالحقُّ بقُضَاعَةَ ، حتى تكون أنتَ وعمرو بن العاص على مَنْ أباي منهم وخالف .

وخرج خالدٌ في جُنْدِهِ حتى أتى اليمامةَ ؛ حيث كان بنو حَنِيفَةَ مستعدِّين هناك في جَمْعِهِم الكَثِيف .

وكان مُسَيِّمَةَ يُصَانِعُ كُلَّ أَحَدٍ وَيَتَأَلَّفُهُ ، ولا يبالي أن يَطَّلِعَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى قَبِيحٍ ، وكان معه نَهَارُ الرَّجَالِ ، وكان نَهَارٌ هَذَا قَدْ هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقرأ القرآنَ ، وفاقَهُ فِي الدِّينِ ، وعرف أصول الإسلام ؛ فبِعَثَهُ الرَّسُولُ مَعْلَمًا لِأَهْلِ اليمامةِ يَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، ويشدُّ من عزائم المساميين ، ويشغِبُ مَعَهُمْ عَلَى مُسَيِّمَةَ الْمُتَنَبِّئِ الكاذبِ ؛ فكان أعظمَ فتنَةً عَلَى بنى حَنِيفَةَ مِنْ مُسَيِّمَةَ نَفْسِهِ ؛ شهد له أنه سمع محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إنه قد أشركَ معه ، فصدقه القومُ واستجابوا له .

وجاء طُليحَةُ النَّمَرِيِّ اليمامةَ ، فقال : أين مُسَيِّمَةَ ؟ قالوا : مه ! رسول الله ! قال : لا حتى أراه ؛ فلما جاء قال له : مَنْ يَأْتِيكَ ؟ قال : رَحْمَان . قال : أفي نورٍ أم في ظلمة ؟ قال مُسَيِّمَةَ : في ظلمة . فقال طُليحَةُ : أشهدُ أَنَّكَ كَذَّابٌ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ ، لَكِنَّ كَذَّابَ رَبِيبَةٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقِ مُضَرِّ . واتَّبَعَ مُسَيِّمَةَ ، وانخرط في جيشه .

ولما بلغ مُسَيِّمَةَ دُنُوَّ خَالِدٍ ضَرَبَ عَسْكَرَهُ بِمَقْرَبَاءِ^(١) ، واستنفر الناسَ ،

(١) عقرباء : منزل من منازل اليمامة .

فجملوا يخرجون إليه .

وبينما كانت جيوشُ خالد تتلاحقُ إلى أرض اليمن ، وتبلغُ أباؤها مُسَيِّمةً خرج مُجَاعَةُ بْنُ مَرَارَةَ في جماعةٍ من بني حَنِيفَةَ ؛ يطلبون ثأراً له في بني عامر وبني تميم^(١) وقد خاف أن يفوته إذا شُغِلَ بِلِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِهِمْ ، وَأَدْرَكَ مُجَاعَةُ ثَأْرَهُ وَعَادَ فِي أَصْحَابِهِ . وَلَمَّا بَلَغُوا ثَنِيَّةَ الْيَمَامَةِ كَانَ التَّمَبُّ قَدْ أَخَذَ مِنْهُمْ ، فَنَامُوا .

وأدرَكهم جنودُ خالد ، فوجدوهم نياماً ، وَأَرْسَانُ^(٢) خيولهم بأيديهم تحت خُدودهم ؛ وهم لا يشعرون بِقُرْبِ الْجَيْشِ مِنْهُمْ ، فَأَنْبَهُوهُمْ وَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : هَذَا مُجَاعَةُ ، وَهَذِهِ حَنِيفَةُ ، قَالُوا : وَأَنْتُمْ ! فَلَاحِيَاكُمْ اللَّهُ ! فَأَوْتَقُوهُمْ وَأَقَامُوا إِلَى أَنْ جَاءَهُمُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَتَوْهُ بِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَتَى سَمِعْتُمْ بِنَا ؟ قَالُوا : مَا شَعَرْنَا بِكَ ؛ إِنَّمَا خَرَجْنَا لِثَأْرِ لَنَا فِيمَنْ حَوْلَنَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَتَمِيمٍ . فَأَمَرَ بِهِمْ^(٣) أَنْ يُقْتَلُوا ، فَجَادُوا كُلَّهُمْ بِأَنفُسِهِمْ دُونَ مُجَاعَةَ بْنِ مَرَارَةَ ؛ وَقَالُوا : إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِأَهْلِ الْيَمَامَةِ غَدَاً خَيْراً أَوْشَرًا فَاسْتَبْقِ هَذَا وَلَا تَقْتُلْهُ . فَقَتَلَهُمْ خَالِدٌ ، وَحَبَسَ مُجَاعَةَ عِنْدَهُ كَالرَّهِينَةِ ، وَأَوْثَقَهُ فِي الْحَدِيدِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ تَمِيمٍ امْرَأَتِهِ ، وَقَالَ : اسْتَوْصِي بِهِ خَيْراً ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ الْيَمَامَةَ .

وتقدّم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كَثِيبٍ يُشْرِفُ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَضْرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَرَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَرَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ، وَالْعَرَبُ عَلَى رَايَاتِهَا ؛ وَمُجَاعَةُ بْنُ مَرَارَةَ مُقَيَّدٌ فِي الْخِيْمَةِ مَعَ أُمِّ تَمِيمٍ .

(١) كان ثأرهم في بني عامر، أن امرأة من بني حنيفة اسمها خولة بنت جعفر، منعه قومها منها، وأما ثأرهم في بني تميم فنعم أخذوها منهم .

(٢) أرسان : جمع رسن : الحبل وما كان من زمام على أنف .

(٣) وفي بعض الروايات أن خالداً سألهم فقال : ماتقولون ؟ قالوا : نقول منا نبى ومنكم نبى !

فعرضهم على السيف .

والتقى الناسُ واقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى انهزم المسلمون ، وخلصَ بنو حنيفة إلى مُجَاعَةَ وإلى خالد ؛ فزال خالد عن فُسْطَاطِهِ ، ودخل أناس الفُسْطَاطِ ، وفيه مُجَاعَةُ ، تَحْرُسُهُ أمّ تميم زوج خالد ، فحمل عليها رجلٌ بالسيف ، فقال مُجَاعَةُ : مَهْ ، أنا لها جَارَا فَنِمَمَتِ الحُرَّةُ ! عَلَيْكُمْ بِالرَّجَالِ ؛ فَرَعَبُوا^(١) الفُسْطَاطِ بالسيف .

ولما حَلَّتِ الهزيمةُ بالمسلمين عادوا فَتَدَّأَمَرُوا^(٢) ، فقال ثابت بن قيس : بئسما عودتُمْ أَنْفُسَكُمْ يامعشرَ المسلمين ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُرَاكَ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هَوْلَاءُ - يعني أهل اليمامة - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَوْلَاءُ - يعني المسلمين - ثم أخذ يجالِدُ بسيفه . وجعل الصحابةُ يتواصونَ بينهم ، ويقولون : يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرَةِ ، بَطَلِ السَّحَرِ اليوم ! وحفرَ ثابت بن قيس لِقَدَمَيْهِ فِي الأَرْضِ ؛ وهو حامل اللواء ، بعدما تحنَّط وتكفَّن ؛ ولم يزل ثابتاً حتى قُتِل . وقال أبو حذيفة : يَا أَهْلَ القُرْآنِ ؛ زَيَّنُوا القُرْآنَ بِالفِعَالِ ؛ وحل فيهم حتى أبعدهم .

وقال زيد بن الخطاب : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ عَضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ ؛ وَاضْرِبُوا عَدُوَّكُمْ ، وَامضُوا قُدُماً . وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ حَتَّى يَهْزِمَهُمُ اللَّهُ ؛ أَوْ أَلْتِي اللَّهَ فَأَكَلَّمَهُ بِحُجَّتِي . ثم خرج للقتال ، فلَقِيَ أَوَّلَ مَالِقِ الرَّجَالِ ؛ فَاجْتَلَدَا مَعاً ؛ وَلَمْ يَلْبَثِ الرَّجَالُ إِلا قَلِيلاً حَتَّى قَتَلَهُ^(٣) زَيْدٌ ؛ ثُمَّ قَاتَلَ زَيْدٌ حَتَّى اسْتَشْهَدَ^(٤) .

(١) رعبوا الفسطاط : مزقوه .

(٢) تذاَمَرُوا : بض بعضهم بعضاً على الجِدِّ فِي القِتَالِ .

(٣) عن أبي هريرة قال : كنت يومئذ عند النبي صلى الله عليه وسلم في رهط ، ومعنا الرجال بن عتفوة ، فقال : إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، وكنت متخوفاً ، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . ابن كثير ٣٢٣/٦ .

(٤) في بعض الروايات : قال عمر لعبدالله بن عمر حين رجم من غزو اليمامة : أَلَا هَلَكْتَ قَبْلَ زَيْدٍ ؛ هَلَكَ زَيْدٌ وَأَنْتَ حَيٌّ ! فقال : قد حرصت على ذلك أن يكون ، ولكن نفسي تأخرت ، فأكرمه الله بالمهادة . الطبري ٢٤٩/٣ .

ثم نَشِبَ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمَسَامِينِ ؛ فَلْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ جَبَّتُوا أَهْلَ الْبُؤَادِي ؛ وَأَهْلُ الْبُؤَادِي جَبَّتُوا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ . وَقَالَ أَهْلُ الْقُرَى : نَحْنُ أَعْلَمُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْقُرَى ؛ يَامَعِشَرَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْكُمْ . وَقَالَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ : إِنْ أَهْلُ الْقُرَى لَا يُحْسِنُونَ الْقِتَالَ ؛ وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحَرْبُ ؛ فَسَتَرُونَ إِذَا امْتَرَزْنَا^(١) مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الْخَلَلُ !

فَمَا رَأَى يَوْمَ كَانَ أَحَدٌ وَلَا أَعْظَمَ نِكَايَةَ مِمَّا رَأَى يَوْمَئِذٍ ؛ وَلَمْ يُدْرَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ أَشَدَّ فِيهِمْ نِكَايَةَ ؛ إِلَّا أَنَّ الْمَصِيبَةَ كَانَتْ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

وظَلَّتْ الْحَرْبُ سِجَالًا ؛ مَرَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَرَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ ؛ فَقَالَ خَالِدٌ : امْتَارُوا لِنَعْمِ بَلَاءِ كُلِّ حَيٍّ ؛ وَلِنَعْلَمِ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى ! فَامْتَارَ أَهْلُ الْقُرَى وَالْبُؤَادِي ، وَامْتَارَتِ الْقِبَائِلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَهْلِ الْحَاضِرَةِ ؛ وَوَقَفَ بَنُو كُؤَلِّ أَبِي عَلِيٍّ رَأَيْتِهِمْ ؛ فَقَاتَلُوا جَمِيعًا ، وَقَالَ أَهْلُ الْبُؤَادِي يَوْمَئِذٍ : الْآنَ يَسْتَحِرُّ^(٢) الْقَتْلُ فِي الْأَجْدَعِ^(٣) .

فَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي أَهْلِ الْقُرَى ؛ وَثَبَتَ مَسْئِلَةَ ؛ فَمَرَفَ خَالِدٌ أَنَّهَا لَا تَرَى كُؤَلًا إِلَّا بِقَتْلِ مَسْئِلَةَ ؛ فَبَرَزَ حَتَّى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وَاتَّمَى ؛ وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ ؛ وَنَادَى بِشَعَارِهِمْ يَوْمَئِذٍ : يَا مُحَمَّدَاهُ ! فَجَعَلَ لَا يَبْرُزُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ ، وَدَارَتْ رَحَى الْمُسْلِمِينَ وَطَحْنَتْ .

وَأَقْبَلَ الْمَهِيطُونَ بِمَسْئِلَةَ يَخْرُجُونَ إِلَى لِقَاءِ خَالِدٍ ، فَيَلْقَاهُمُ الْمَوْتُ مِنْ سَيْفِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوهُ ؛ وَكَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ ، وَشَعَرَ مَسْئِلَةَ بِالْحَزْنِ يَرْكَبُهُ ؛ فَسَاوَرَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَخْرُجَ

(١) امتار القوم : تميز بعضهم من بعض .

(٢) استحرق القتل ، إذا اشتد . (٣) الأجدع : الضعيف أيضا .

كما خرجوا ؛ لكنه أُيقِنَ أنه مقتول إن خرج ، فتردّد واضطرب ؛ وإنه لَفِي اضطرارٍ به وتردّده إذ شدّ خالدٌ برجاله عليه وعلى مَنْ حوله ، يُعْمَلُونَ فِيهِمُ السِّلَاحَ .

ورأى محمّد بن الطّفَيْلِ فرارَ القومِ ، ورأى المسلمون يتعقّبونهم فصاح بهم : يا بني حنيفة ! الحديقة ! وكانت على مقرّبةٍ منهم ، وكانت لمسيمة ، وتدعى حديقة الرّحمن ، وكانت فسيحة الأرجاء ، منيعة الجدران ، كأنها الحصن ، وقد فرّوا إليها وتمحصّنوا بها من هزيمتهم ، بعد أن خرّ الألوْفُ منهم صرعى ، ووقف المحمّد برجاله يَحْمِي ظهورهم أثناء فرارهم ، وإنّه لكذلك يحاول صدّ المسلمين ، ويحرّضُ رجاله على دفعهم ، ويقاتلُ وإياهم أشدّ قتالاً ؛ إذ رماه عبدُ الرّحمن بن أبي بكر بسهم وقع في نحره فقتله .

وأحاط المسلمون بالحديقه ، ليجدوا فيها ثغرة ، فصرخ البراء بن مالك ، وقال : يامعشر المسلمين ؛ احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ، ففعلوا ، حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرعد ، فنادى : أنزلوني ؛ ثم قال : احملوني ؛ ففعل ذلك مراراً ؛ ثم قال : احملوني ؛ فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ؛ فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين ، فدخلوا منه زمراً تلمع في أيديهم السيوف ، ويطلُّ الموتُ من حدق عيونهم ، وأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالفتاح من وراء الجدار ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأبيدَ مَنْ في الحديقة منهم .

وذهب فريقٌ إلى مسيمة يقولون : أين ما كنتَ تعدينا ؟ قال : قاتلوا عن أحسابكم ، ولم يلبث الصارخ أن صرخ : إن مسيمة قد قُتِلَ ؛ إن العبد الأسود قتل مسيمة^(١) !

(١) جاء في ابن كثير أن المسلمين حين دخلوا الحديقة من حيطانها خلصوا إلى مسيمة ، وإذا هو واقف في ثلمة جدار ، كأنه جل أورك ، وهو لا يعقل من الغيظ ، فتقدم إليه وحشي بن حرب ، مولى جبير بن مطعم فأصابه ، وسارع أبو دجانة ، فضربه بالسيف فسقط ، فنادت امرأة من القصر وأمهير الوضاعة ، قتله العبد الأسود !

وَبمَوْتِ مُسَيْلَمَةَ انْتَهتِ المَعْرَكَةُ ؛ وَخَرَجَ خَالِدٌ بِمُجَاعَةَ يَرْسُفُ فِي الحَدِيدِ ، لِئُرِيَهُ
مُسَيْلَمَةَ وَأَعْلَامَ جُنْدِهِ . فَأَتَى عَلَى الرَّجَّالِ فَقَالَ : هَذَا الرَّجَّالُ ! وَجَمَلٌ يَكْشِفُ لَهُ
القَتْلَى حَتَّى مَرَّ بِمَحْكَمِ بنِ الطَّفِيلِ - وَكَانَ رَجُلًا جَسِيًّا وَسِيًّا - فَلَمَّا رَأَاهُ خَالِدٌ ، قَالَ :
هَذَا صَاحِبِكُمْ ؟ فَقَالَ : لَا ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَكْرَمُ ، هَذَا مُحَكَّمُ الِيمَامَةِ . ثُمَّ مَضَى
خَالِدٌ يَكْشِفُ لَهُ القَتْلَى حَتَّى دَخَلَ الحَدِيقَةَ ، فَقَلَّبَ لَهُ القَتْلَى ؛ فَإِذَا رُوَيْجِيلٌ أَصْفِيرُ
أُخَيْنِيسَ (١) ، فَقَالَ مُجَاعَةُ : هَذَا صَاحِبُكُمْ قَدْ فَرَّغْتُمْ مِنْهُ : فَقَالَ خَالِدٌ لِمُجَاعَةَ :
هَذَا صَاحِبِكُمْ الَّذِي فَعَلَ بِكُمْ مَا فَعَلَ ! قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا خَالِدُ .

وَلَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنْ مُسَيْلَمَةَ وَالْجُنْدِ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنِ عَمْرِو وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي
بَكْرٍ : ارْتَحِلْ بِنَا وَبِالنَّاسِ ، فَانْزِلْ عَلَى الحِصُونِ ، فَقَالَ : دَعَانِي أَبُتُّ الخِيُولَ فَأَلْقَطُ
مَنْ لَيْسَ فِي الحِصُونِ ، ثُمَّ أَرَى رَأْيِي . فَبِتُّ الخِيُولَ ، فحَوَّوْا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ
وَنِسَاءٍ وَصَبِيَّانِ ، فَضَمُّوا هُنَا كَلَّهُ إِلَى المَعْسَكِ ، وَنَادَى بِالرَّحِيلِ لِيَنْزَلَ عَلَى
الحِصُونِ .

فَقَالَ لَهُ مُجَاعَةُ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا جَاءَكَ إِلَّا سَرْعَانُ (٢) النَّاسِ ، وَإِنَّ الحِصُونَ
لَمَلُوءَةٌ رِجَالًا ، فَهَلُمَّ إِلَى الصَّلْحِ عَلَى مَا وَرَأَى . فَصَالِحُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ دُونَ النَّفُوسِ ،
ثُمَّ قَالَ : أَنْطَلِقُ إِلَيْهِمْ فَأَشَاوَرُهُمْ ، وَنَنْظُرُ فِي هَذَا الأَمْرِ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَيْكَ .

فَدَخَلَ مُجَاعَةُ الحِصُونَ ، وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ ، وَمَشِيخَةٌ فَانِيَةٌ ، وَرِجَالٌ
ضَعْفَى . فَظَاهَرَ الحَدِيدَ عَلَى النِّسَاءِ ، وَأَمْرَهُنَّ أَنْ يَنْشُرْنَ شِعُورَهُنَّ ، وَأَنْ يُشْرِفْنَ
عَلَى رِءُوسِ الحِصُونِ .

(١) الخنيس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، وهو أخنس ، ومصغره أخينيس

(٢) سرعان الناس ، بسكون الراء وفتحها : أوائلهم .

ثم رجع فأتى خالدًا ؛ فقال : قد أبوا أن يُجيزُوا ما صنعت ، وقد أشرف لك بمضهم نقضاً على ، وهم يمسي براء .

فنظر خالدٌ إلى رءوس الحصون وقد اسودت ، وقد نهكت المسلمين الحربُ ، وأحبوا أن يرجموا بالظفر والنصر ، وراؤا أنه قد قُتل من المهاجرين والأنصار خلقٌ كثير .

فراى خالدٌ من الخير أن يصالحَ مُجاعةً ، فقال له : هلم لأصالحك على الصَّفراء والبيضاء والحلقة ونصف السَّبِي . فقال مُجاعةً : الآن آتى قومي فأعرض عليهم ما قد صنعت . قال خالد : فأنطلق إليهم ، فذهب وعاد فقال : أبوا ما صالحتُك ، ولكن إن شئتَ صنعتُ شيئاً . قال : ما هو ؟ قال : تأخذُ منى ربع السَّبِي وتدع رُبماً ، قال خالد : قد فعلتُ ؛ قال مُجاعةً : قد صالحتُك .

فلما فرغاً فتحت الحصون ؛ فإذا فيها النساء والصبيان ومشيجةٌ فانيةٌ ، ورجال ضِمافٌ ، فقال خالد لمُجاعة : وَيَحَكْ ! خَدَعْتَنِي ، قال : قومي ؛ ولم أستطيع إلا ما صنعتُ . فأجاز خالد الصالح .

وحسبَ بنو حنيفة للبيعة والبراءة مما كانوا عليه ، ورجى بهم إلى خالد ، فبايعوا وأعلنوا رجوعهم إلى الإسلام ، وبراءتهم من الردة .

ثم بعث خالد وفدًا من بنى حنيفة إلى أبي بكر ، فقدموا عليه ، فقال لهم أبو بكر : وَيَحَكُمُ ! ما هذا الذى كان منكم ؟ قالوا : يا خليفة رسول الله ، قد كان الذى بلغك مما أصابنا ، وقد كان امرأ لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه .

٢٠ - يوم جُؤَانِي * —————

كان يقيم في البَحْرَيْنِ (١) قبائلٌ مِنْ رَبِيعَةَ من بكر وتغيب ، وكانوا قد وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأمر عليهم المنذر بن ساوى (٢) .

ثم حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكياً في شهر واحد ، ومات الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ثم مات المنذر بعده بقايل ؛ فارتد أهل البحرين جميعاً عن الإسلام كما ارتدَّ غيرهم من سائر أنحاء شبه الجزيرة ، فأما بكر فإنها ثبتت على رِدَّتِهَا ، وأما عبدُ قيس فإنهم رزقوا الجارود بن المعلّى ، فثناهم عن رِدَّتِهِمْ .

وكان الجارود قديم على النبي صلى الله عليه وسلم مرّةً تاداً ، فقال له : أسبم يا جارود ؛ فقال : إن لي ديناً ، فقال له الرسول : إن دينك يا جارود ليس بشيء ، وليس بدِينٍ . فقال له الجارود : فإن أنا أسلمتُ ، فما كان من تبعَةِ الإسلام فعايمك ؟ قال : نعم ، فأسلم ، ومكث بالمدينة حتى فقهه ، ثم عاد إلى قومه من عبد قيس ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا كلهم ، ثم لم يلبث أن مات رسول الله ، فقالت عبد قيس : لو كان محمد نبياً لما مات ؛ وارتدَّ .

* للعلاء بن الحضرمي على ربيعة ، سنة ١١ . وجؤاني : حصن عبد القيس .

الطبري ٣/٣٥٤ . ابن الأثير ٢/١٧٨ . فتوح البلدان ٨٩ .

(١) بلاد البحرين : شقة ضيقة من الأرض على خليج فارس ، وتصل باليمامة في جزئها الأعلى .
(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه العلاء الحضرمي إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيخت ، مرزبان هجر ، يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية ، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم ، وأما أهل الأرض من الجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء ، وكتبوا بينه وبينهم كتاباً .

فبعث إليهم الجارود، ثم قام فخطبهم؟ فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر، فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا. قالوا: سل عما بدالك. قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا، بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً صلى الله عليه وسلم مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنت سيدنا وأفضلنا. وثبتوا على إسلامهم.

وأما بقية قبائل ربيعة فإنهم ثبتوا على ردتهم، واجتمع رأيهم على أن يلتقوا بمقاليد الملك إلى المنذر بن الثمان بن المنذر، الملقب بالغرور.

عند ذلك خرج الحطيم^(١) بن ضبيعة، فيمن أتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب^(٢) إليه من غير المرتدين؛ ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر، ثم حاصر ومن معه من المسلمين في جوائى، واشتد عليهم الحصار، حتى كاد يهلكهم الجوع، وفي ذلك قول شاعرهم:

ألا أبلغ أبا بكرٍ رسولاً وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قومٍ كرامٍ فعمود في جوائى مُحصرينا
كأنّ دماءهم في كلّ فجٍّ شعاع الشمس يُنشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنّنا وجدنا الصبر للمتوكلينا

(١) قال البلاذري: إنما سمي الحطيم لقوله:

* قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمٌ *

(٢) تأشب: اجتمع.

وكان خالد بن الوليد قد قضى على مُسيّلة باليمامة وأتباعه حين عقد أبو بكر للعلاء ابن الحضرمي اللواء ، وأرسله لمحاربة المرتدين من أهل البَحْرَيْنِ . فلَمَّا كان بِحِيَالِ اليمامة أسرع مَنْ عاد إلى الإسلام من بني حَنِيْفَةَ يَنْضَمُونَ إلى العلاء حين مرَّ باليمامة ، فلحق به ثُمَامَةُ بن أَذَالِ الحَنْفِيّ في المسلمين من بني حَنِيْفَةَ ، ثم قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ثم انضمَّ إليه عمرو بن حَنْظَلَةَ وسعد بن تميم والرَّبَّاب وغيرُهم .

قال منجباب بن راشد : فسلك بنا العلاء الدّهْنَاءَ ، حتى إذا كنّا في بُحْبُوحِهَا ، وأراد الله عزّ وجلّ أَنْ يُرِيَنَا آيَاتِهِ نَزَلَ ، وأمر الناسَ بالثَّرُولِ ، فنَفَرَتِ الإِبِلُ في جَوْفِ اللَّيْلِ ، فإِ بَقِيَ عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلَا زَادَ ، فإِ عَلِمْتُ جَمْعًا هَجَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَمَمِ مِثْلَ مَا هَجَمَ عَلَيْنَا ، وَأَوْصَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ، وَنَادَى مَنَادَى الْعَلَاءِ : اجْتَمِعُوا ، فَاجْتَمَعْنَا ؛ فقال : ما هذا الذي ظَهَرَ فِيكُمْ وَغَلَبَ عَلَيْكُمْ ؟ فقال الناسُ : وكيف نُنَلِّمُ وَنُحْنُ إِنْ بَلَغْنَا غَدًا لَمْ تَحْمِ شَمْسُهُ حَتَّى نَصِيرَ حَدِيثًا ! فقال : أيها الناسُ ، لَا تَرَاغُوا ! أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ ! أَلَسْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللَّهِ ! قالوا : بَلَى ! قال : فَأَبْشُرُوا ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْذُلُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكُمْ .

ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلع الفجر ، فصلى بنا ، ومنا المتيّم ، ومنا من لم يزل على طهوره . فلما قضى صلاته جثا لرُكْبَتَيْهِ ، وجثا الناسُ . فنصب (١) في الدُّعَاءَ ؛ وَنَصَبُوا مَعَهُ ، فامع لهم سرابُ الشمس ، فالتفت إلى الصّف فقال : رائدٌ ينظر ؛ ما هذا ، ففعل ثم رجع ، فقال : سَرَابٌ ، فأقبل على الدُّعَاءِ ، ثم لمع لهم آخرٌ وآخر إلى أن وجدوا الماء ، فقام الناسُ .

قال منجباب : فمشينا إليه حتى نزلنا عليه ، فشرِبْنَا وَاغْتَسَلْنَا ، وما تعالَى النهارُ

(١) نصب : جد .

حتى أقبلت الإبل تَكَرُّدًا^(١) من كلِّ وجه ، فأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظمِّره فأخذه ، ثم أرويناها وأسقينها العَلَل بعد النَّهْل^(٢) ، وتروينا ثم تروخنا .

وسار العلاء بقومه حتى نزلوا بهَجْر ، وأرسل إلى الجارودِ يأمره أن ينزل بعبد قيس على الحُطَم مما يليه ، وسار هو فيمَنُّ معه حتى نزل عليه مما يلي هَجْر . واجتمع المشركون كلُّهم إلى الحُطَم ، وخنَّدق المسلمون على أنفسهم وكذلك المشركون ؛ فكانوا يترآوون القتال ، ويرجعون إلى خندقهم ، وظلُّوا كذلك شهرًا .

وبينا الناس ليلةً إذ سمِعَ المسلمون في عسكر المشركين ضَوْضاءً شديدةً ، كأنها هزيمةٌ أو قتال ، فقال العلاء : مَنْ يأتينا بخبرِ القوم ؟ فقال عبدالله بن خَدَف : أنا آتيكم بخبرِ القوم ، ثم ذهب وعاد ، فأخبرهم أنَّ القوم سُكاري ، لا يملك أحدٌهم دَفْعاً عن نفسه ، فخرج المسلمون مِنْ خندقهم حتى اقتحموا عليهم عَسْكَرهم ، ووضعوا السيُوفَ فيهم حيث شاءوا ، وفرَّ المرتدُّون هُرَّابًا ، فإذا هم بين متردِّ في الخندق ودَهْشٍ مقتول أو مأسور ، أو ناجٍ لا يعرف لنفسه مستقرًّا ؛ واستولى المسلمون على ما في العسكر ، لم يُفِلتْ رجلٌ إلا بما عليه .

وأما الحُطَم فإنه قد طارَ فُوْأذه ، وقام إلى فرسه - والمسلمون خلالهم - ليركبَه ، فلما وضع رجلَه في الرِّكَب انقطع به ، فرَّ به عَفيف بن المنذر فسَمِعَه يستغيث ويقول : أَلَا رجلٌ من بني قَيْس بن ثعلبة يَمْلِكُنِي ! فعرف صوته ، فقال له : نعم ، أعطني رِجْلَكَ أعْقِلْكَ ، فأعطاها رجلَه فَأَطْنَهَا^(٣) من الفخذ وتركه . فقال : أجهز عليّ . فقال : إني أحبُّ ألا تموت حتى أَمِضَّكَ^(٤) - وكان مع عفيف عدَّة من ولد أبيه

(١) الكرد : الدفع والطرْد .

(٢) النَّهْل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب .

(٣) أطنها : قطعها . (٤) أمضك : أؤلك .

قُتِلُوا لِيَلْتَنِدَ - وجعل الحُطَمُ لا يَعرُفُ به في الليل أحدًا من المسلمين إلا قال : هل لك في الحُطَمِ أَنْ تَقْتله ! حتى مرَّ به قَيْسُ بن عاصم المِنَقَرِيّ ، فقال له ذلك ، فقال عليه فقتله ، فلما رأى فخذَه نادرة^(١) قال : وَاسْوَأَ تَأَه ! لو علمت الذي به لم أُحرَّ كه .

وأصبح العلاء فقسَّم الأَنْفَالَ ؛ ونفَّل رجالا من أهل البلادِ ثيابًا ، وأعطى ثَمَامَةَ بن أُنَّالِ الحَنْفِيَّ خَمِيصَةً^(٢) ذات أعلام كانت للحُطَمِ يُبَاهِي بها .

وفرَّ الذين نَجَّوْا من الموتِ أو الأَسْرِ ، وركبوا الشَّرَاعَ إلى دَارِين ، وهي جزيرةٌ من جُزُرِ الخَلِيجِ الفارسيِّ تَوَاجِه البحرين ، كان بها أديارٌ خمسةٌ لخمسِ شُعَبٍ من النصارى ، فتركهم العلاء بها حتى أَيَقَنَ أَنَّ من بَقِيَ بالبَحْرَيْنِ من القبائلِ قد رجعوا إلى دينِ الله ، وكان جيشه قد زاد عَدَدَهُ بِمن انضمَّ إليه من أهل البلاد ؛ عند ذلك أمر النَّاسَ بالذهابِ إليها حتى لا يبقَ لمرتدِّ في الأرضِ مَأْجَأٌ .

فركبوا السفنَ ، والتَّقَوْا بأعدائهم فقتلواهم ، وضرب الإسلام رِوَاقَه في تلك الأَنْحَاءِ .

وكتب العلاء إلى أبي بكرٍ رسالةً بهزيمةِ القومِ ، وقتلِ الحُطَمِ يقول فيها :
أما بعد ؛ فإنَّ الله تبارك اسمه سَبَّ عَدُوَّنَا عقولَهُمْ ، وأذهب رِيحَهُمْ ؛ بشرابِ أصابود من النهار ، فاقتحمنا عليهم حُنْدَقَهُمْ فوجدناهم سُكَّارِي ، فقتلناهم إلا الشَّريدَ ، وقد قتل الله الحُطَمَ .

فكتب إليه أبو بكر : أما بعد ، فإنَّ بِلْمَكَ عن بني شيبانِ شيءٌ ، فابعث إليهم جنْدًا ، فأوطئهم وشرَّدَ بهم مَنْ خَلَفَهُمْ .

فلم يجتمعوا بعد .

(١) نادرة : مقطوعة . (٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

٢١ — يوم صنمَاء*

كان بَادَانُ عاملاً للفرسِ على اليمنِ ، فلما أسلم وأسلمت اليمنُ أقرَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما كان في يده حتى مات ؛ وبعد وفاته جعل رسولُ الله ابنته شهراً والياً على صنمَاء ، وولّى على بَقِيَّةِ اليمنِ عُمَّالاً آخرين ؛ جعل مُعَاذُ بنِ جبلٍ مُعَلِّماً ينتقلُ في كلِّ ولايةٍ من هذه الولاياتِ .

وحدث قبل وفاة رسول الله أن قام رجل من عَنَسٍ^(١) ، اسمه الأسود العنسيّ ، وكان كاهناً ، فتنبأ ، وتابعه قومٌ من أعراب اليمنِ ؛ فاشتدَّ بهم ساعدهُ ، واقتحم بهم بلادَ نَجْرَانِ ، فلم تلبث أن دانت له ، ودخل في أمره عَوَامٌ مذحج^(٢) ، وكثُر سَوَادُهُ ، وأمر أمرُهُ^(٣) .

ثم قصد صنمَاء ، فنازل عاملها شهراً وقتله ، وهزم الأبناء^(٤) خمس وعشرين ليلةً من مَخْرَجِهِ ، ثم تزوج بامرأةٍ شهْرَ بنِ بَادَانِ ، وجعل أمرُهُ يَسْتَطِيرُ استطارَةَ الحريقِ ، وصار لا يَمِيلُ إلى قومٍ إلا دخلوا في أمره ، أو صانعوه ، تَقِيَّةً^(٥) أو بقاءً على أنفسهم .

فكتب عُمَالُ رسولِ اللهِ إليه بشأن الأسود وما يصنع ، فأرسل عليه السلام كتاباً إلى مَنْ بِصَنَمَاءِ مِنَ الأبناءِ ، يأمرهم فيه بالقيام على دينهم ، والنهوض إلى

* للمهاجر ابن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل ، على قيس بن عبد نفوح ، سنة ١١ . وصنمَاء : حاصمة اليمن . الطبرى ٣/ ٢٦٢ ، ابن الأثير ١٨٣٣ .

(١) عنس : قبيلة في قحطان . (٢) مذحج : قبيلة في كهلان . (٣) أمرأمره : اشتد .

(٤) الأبناء : قوم من العجم سكنوا اليمن . (٥) تقيّة : خوفاً .

الحرب ، والعمل في أمرِ الأسود ، إمّا غيلةً وإمّا مُصادمةً ، وأن يستمعينُوا بكلِّ مَنْ رَأَوْا عنده نَجْدَةٌ ودينًا .

عمل القومُ بأمرِ الرسولِ ، ولكنهم رأوا الأمرَ مُستصعبًا عليهم ؛ لأنَّ الرجلَ قویُّ المِرَاسِ .

وبينما هم على هذه الحال إذ عَلِمُوا بتغيُّرِ الأسودِ على قَيْسِ بنِ عبدِ يغوثِ المرادِيّ رئيسِ جنده ، وعرفوا أنه قد خَبِثَتْ نِيَّتُهُ فِيهِ ، وَأَضْمَرَ لَهُ الشَّرَّ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْوَحْيَ أَنَاهُ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ : عَمَدْتُ إِلَى قَيْسٍ فَأُكْرِمْتَهُ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلٌّ مَدْخُلًا ، وَصَارَ فِي الْعِزِّ مِثْلَكَ ، مَالٌ مِثْلَ عِدْوِكَ ، وَحَاوَلَ مُلْكَكَ ، وَأَضْمَرَ الْغَدْرَ لَكَ ؛ إِنَّهُ يَقُولُ : يَا سَوْدُ ، يَا سَوْدُ ، يَا سَوْدُ ، يَا سَوْدُ ! يَا سَوْدُ ! انْقُطِفْ قُنْبَتَهُ ، وَخُذْ مِنْ قَيْسٍ أَعْلَاهُ ، وَإِلَّا سَلَبْنَاكَ أَوْ قَطَفْنَاكَ .

فقال قيس - وأقسم به : كذب ، لأنَّكَ أعظمُ في نفسِي ، وأجلُّ عندِي من أنْ أُحَدِّثَ بِكَ نَفْسِي ، فقال الأسود : أتَكْذِبُ الْمَلِكُ اذ قد صدق الملكُ ، وعرفتُ الآنَ أَنَّكَ تَأْتِبُ .

انتهز الأبناء هذه الفرصة ، ودَعَوْا قَيْسًا إِلَى مَايِرُونَ مِنْ الْفَتْكِ بِهِ ، فَلَبِىَ ، ثُمَّ أَفْضَوْا إِلَى آزَادِ امْرَأَةِ الْأَسْوَدِ - وَقَدْ كَانَ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ شَهْرِ بْنِ بَاذَانَ - بِأَمْرِهِمْ ، وَقَالَ : مَنْ لَقِيَهَا مِنْهُمْ : يَا بِنْتَةَ الْعَمِّ ؛ قَدْ عَرَفْتِ بِلَاءَ قَوْمِكَ عِنْدَ قَتْلِ زَوْجِكَ ، فَهَلْ عِنْدِكَ مِنْ مُمَالَةٍ عَلَى الْأَسْوَدِ ، وَإِخْرَاجِهِ أَوْ قَتْلِهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَخْصًا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ ، مَا يَقُومُ لِلَّهِ عَلَى حَقِّهِ ، وَلَا يَنْتَهِي عَنْ حُرْمَةٍ . فَإِذَا عَزَمْتُمْ فَآذِنُونِي (١) .

(١) آذنونى : أعلونى .

ثم جاء كتابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء ، ووصل كتابه إلى أهل نَجْران ، فأنحازوا إلى ناحية ، يريدون قتالَ الأسود ، وكتبوا من بَصَنَماء من الأبناء ليعينوا عليه .

غير أن المؤتمرين بقتله من الأبناء عاجلوه فقتلوه في قصره ومالاتهم زوجته ، وما طلع الفجر حتى أعلنوا أمرهم ، وفرَّ أصحابه ، وجعلوا يترددون بين صنماء ونَجْران ، وذهب الخبرُ إلى المدينة وقد توفِّي رسولُ الله .

وبموت الأسود ظنَّ المسلمون في صنماء وما وَّليها أن جَوَّ البلاد قد ضفا ، ولكن حين جاءهم خبرُ وفاةِ الرسول عادوا إلى أشدِّ ممَّا كانوا عليه من الرِّدة ، فبعث أبو بكر إلى مَنْ بَقِيَ على إسلامِهِ منهم يأمرهم بالثبات على أمرِهِم حتى توافيهم النَّجَدَات .

ثم حدث أن قيسَ بن عبد يغوث رئيسَ جُنْدِ الأسود والعاملَ على قتله ، بادر إلى الرِّدة . وكتب إلى المهزيمين من جُنْدِ الأسود ، فاجتمعوا إليه ، وأراد أن يَقْتَلَ رؤساء الأبناء ، فصنع وليمةً دعاَهُم إليها ، فلم يظفَرُ بأحدٍ منهم سوى دَاذَوِيه ، وامتنع فيروزُ بقبيلة خَوْلان .

ثم استتبَّ الأمرُ لقيسِ بَصَنَماء ، وغرَّبَ عِيالات الأبناء ، وانضمَّ إليه عوامُ القبائل من حَمِير ، ودَانَ له الأمرُ ، واطمأنَّ بَصَنَماء ؛ كما اطمأنَّ الأسود من قبل

وعرف فيروزُ ما أصابَ بني وطنِهِ ؛ فاستنفضَ القبائلَ التي بقيت على إسلامها لينصروه ، فأجابه بنو عُقيل بن ربيعة ، كما أجابته عَكَ ؛ وساروا يستنقِدُون عِيال الأبناء ، وخرج فيروزُ على رأسهم ، فنازل قَيْسًا دُونَ صنماء ، وأجلاه عنها ،

وخرج هارباً في جُنْدِهِ إلى حيثُ انتهوا إلى المكان الذي كانوا فيه قبل مَقْتَلِـ
الأسود .

وفي أثناء هذا القتال وَاقَى جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ يَقُوْدُهُ الْمُهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ ، وَجَاءَ
عَلَى أَثَرِهِ عِيْكَرْمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِجُنُودِهِ ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ عُحْمَانَ وَمَهْرَةَ ، وَبِتَمَاوُنِ
هَذِهِ الْجِيُوشِ هَزَمَ اللهُ الْمُرْتَدِّينَ ، وَمَنْحَ الْمُسْلِمِينَ أَقْفِيَّتَهُمْ ، وَأَسْرَ قَيْسَ بْنَ
عَبْدِ يَنْوُثٍ وَعَمْرُو بْنَ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَكَانَ قَدْ ارْتَدَّ وَانْضَمَّ إِلَى قَيْسٍ .

وَلَمَّا جَاءَ عَمْرُو وَقَيْسٌ مُّأَسِرَيْنِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، أَنْبَأَ قَيْسًا عَلَى عَمَلِهِ وَحَقْنِ دَمِهِ ؛
وَوَبَّخَ عَمْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَمَا تَسْتَجِيْ أَنْكَ كُلَّ يَوْمٍ مَهْزُومٍ أَوْ مَأْسُورٍ ؟
لَوْ نَصَرْتَ هَذَا الَّذِي لَرَفَمَكَ اللهُ ! فَقَالَ : لَا جَرَمَ ! لَا أَقْبَلَنَّ ، وَلَا أَعُوْدُ .
فَأَطْلَقَهُمَا ؛ وَرَجَعَا إِلَى قَوْمِهِمَا مُؤْمِنَيْنِ .

٢٢ - يوم ذات السلاسل*

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة كتب إليه أبو بكر يأمره أن يتوجه إلى العراق بعد الفتح ، حتى يلقى عياضاً . وكتب إلى عياض^(١) بن غنم - وهو بين النجف^(٢) والحجاز : أن سره حتى المصيخ^(٣) ، فابداً بهما ، ثم ادخل العراق من أعلاها حتى تلقى خالداً ، وأذنا لمن شاء بالرُّجوع ، ولا تستفتِحاً بمتكاريه .
ولما قدم الكتاب على خالد وعياض استمداً أبا بكر ؛ فأمد خالداً بالقمقاع بن عمرو التميمي^(٤) ؛ فقيل له : أتمدّ رجالاً قد انفضَّ عنه جنوده برجل ! فقال : لا يُهزم جيش فيهم مثل هذا . وأمد عياضاً بعبد بن عوف الحميري . وكتب إليهما : أن استنفرنا من قاتل أهل الردّة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يفزون معكم أحد ارتدّ حتى أرى رأيي ، واستنصر بالثقي بن حارثة ؛ فلم يشهد الأيام بالعراق مرّةً .

* لخالد بن الوليد على هرمز . المحرم سنة ١٢ . وسميت ذات السلاسل ، لأن الفرس اقترنوا في السلاسل حتى لا يفروا . أو لأن ما جمعه خالد من غنائمهم من السلاسل كان وقر بهير . وبعض المؤرخين يسميه يوم كاظمة ؛ نسبة إلى أقرب قرية من المسكان الذي وقع فيه .

الطبري ٢/٤ ، ابن الأثير ٣/١٨٧ ، فتوح البلدان : ٢٤٢ ، ابن خلدون ٣/٧٨ .
(١) عياض بن غنم : ترشى فهري ؛ هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وشهد بدرأً وأحداً والمندق وكثيراً من المشاهد . مات بالمدينة سنة ٢٠ .

(٢) النجف : موضع ، على بعد عشر مراحل من البصرة .

(٣) المصيخ : موضع ، على آخر حدود الشام ؛ مما يلي العراق .

(٤) القمقاع بن عمرو من تميم ، كان أحد فرسان العرب وشعراهم ، وكانت له صحبة ، شهد فتوح الشام وأكثر فتوح العراق . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً : ما أعددت للجهاد ؟ قال : طاعة الله ورسوله والحيل .

(١٢ - أيام العرب في الإسلام)

وكان المثنى^(١) قدم على أبي بكر؛ فقال: أمرتني على من قبلي من قومي، أقاتل من يليني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي ففعل ذلك، فجمع قومه، وأخذ يُغير بناحية كسكر^(٢) مرة، وفي أسفل الفرات مرة، إلى أن نزل خالد الفجاج في طريقه إلى حرب الفرس، فكتب إليه يستقدمه، وبعث إليه بكتاب أبي بكر، يأمره فيه بطاعته، فانقضَّ إليه جوادًا حتى لحق به.

ثم قصد - كما أمر أبو بكر - الأبلّة، وقد جمع ثمانية آلاف من ربيعة ومضرمع ألفين ممن كان معه، وكانت الأبلّة الثغر الذي تسير التجارة منه إلى الهند والسند، وهي أعظم ثغور فارس شأنًا، وأشدّها شوكة، وكان هُرْمُز أمير هذه المنطقة كلها من قبل فارس، وهو من أسوأ أمراء الفرس مُعاملةً للعرب، فكلّ العرب عليه مَغِيظٌ مُحَقِّقٌ، حتى ضربوا به المثل في الخبث والكفر، فكانوا يقولون: أَخْبَثُ من هُرْمُز.

ولما شارف خالد الأبلّة كتب إلى هُرْمُز: أما بعد فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمّة، وأقرّر بالجزية؛ وإلا فلا تلومنّ إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة.

ثم فرّق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو، ودليلاهما مالك

(١) المثنى بن حارثة: انتهى نسبه إلى شيبان، كان إسلامه وقدمه على الرسول سنة تسع وكان شهيدًا شجاعًا ميمون النقيبة حسن الرأي، أبل في حروب العراق بلاه لم ينله أحد. مات سنة ١٤ قبل الفادسية.

(٢) كسكر: كورة واسمة بين الكوفة والبصرة.

ابن عبّاد وسالم بن نصر ؛ أحدهما قبّل صاحبه بيوم ، ثم خرج خالد ودليله رافع ؛ وواعدهم جميعاً الحفيرة^(١) ، ليجتمعوا به ، وليُصادموا به عدوّهم .

ولما قدم كتابُ خالد إلى هُرْمُزْ كتب بالخبر إلى شيري بن كسرى ، وإلى أردشير بن شيري ، وجمع جموعه ، ثم تعجّل إلى كاظمة^(٢) في سرعان^(٣) أصحابه ليتلقّى خالداً . ولما بلغه أنهم تواعدوا الحفيرة ، نزل وتعبّى به ، وجعل على مجذبتيه^(٤) أخوينه قُبَادَ وأنوشجان .

فلما أتى الخبر خالداً بأن هُرْمُزْ في الحفيرة ، أمال الناس إلى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك فبادره إلى كاظمة ، وتعبّى مع أصحابه ، واقترنوا في السلاسل والماء في أيديهم ، وقدم خالد عليهم ، فنزل على غير ماء ؛ فقالوا له في ذلك ؛ فأمر مناديه فنادى :
الآنزلوا وحطوا أثقالكم ؛ ثم جالدوهم على الماء ، فلممري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجندين . فحطت الأثقال والخيل وقوف ؛ ثم زحف إليهم حتى لاقاهم ؛ فاقتتلوا ؛ وأرسل الله سبحانه فأغدرت ما وراء صف المسلمين .

ثم خرج هرمز فنادى إلى التّزال ، فشى خالد إليه ، فالتقيا واختلفا ضربتَيْن ، واحتضنه خالد ؛ فشدّ أهل فارس يريدون قتل خالد واستخلاص هرمز من يده ، ولكنّ القمّاع بن عمرو لم يُمهّلهم وحمل عليهم ، وشدّ المسلمون ، فانهزم أهل فارس أمامهم ، فطاردهم وركبوا أكتافهم إلى الليل .

وجمع خالد الرّمث^(٥) وفيها السلاسل ، فكانت وقر^(٦) بعير ، ألف رطل ، وأفلت قُبَادَ وأنوشجان .

(١) الحفيرة : موضع بين مكة والبصرة .

(٢) كاظمة : على سيف البحرين من البصرة ؛ بينها وبين البصرة مرحلتان .

(٣) سرعان أصحابه : مقدمهم .

(٤) المجذبة : مقدمة الجيش .

(٥) الرّمث : جمع رثة ؛ وهى المتاع . (٦) الوقر ، بالكسر : الحمل الثقيل .

ولما تراجعَ الطلبُ نادى منادى خالد بالرحيل ، وسار بالناس ، واتبعته الأتقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من الفرات - حيث تقع البصرة اليوم - وسبى أولاد المقاتلة ، وأقرَّ مَنْ لم ينهض من الفلاحين ، وجعلَ لهم الذمَّةَ ، وبلغَ سَهْمُ الفارس في يوم ذات السلاسل ألفَ درهمٍ خَلا السلاح .

وما بَقِيَ من الغنائم أرسله خالدٌ إلى أبي بكر . وكان أهلُ فارس يَجْعَلُونَ قَلَانِسَهُمْ على قدر أحسابهم في العشاير ، فمنَ تَمَّ شَرَفُهُ فقيمة قطنسوته مائةُ ألف ؛ وكان هرمز أميرَ الأُبُلَّةِ ممن تَمَّ شَرَفُهُ ، فكانت قيمة قطنسوته مائةُ ألف ، ولَمَّا أُرْسِلت إلى أبي بكر - نَفَلَهَا خالداً ، وكانت مُفَصَّصَةً بالجواهر (١) .

(١) كان مما بعته خالد إلى أبي بكر في المدينة فيل أخذه المسلمون في الموقعة ، ولم يكن أهل المدينة رأوا فيلا في حياتهم ؛ بل لم تر بلاد العرب كلها فيلا قبل ذلك ؛ إلا فيل أبرهة حين حاول فتح الكعبة ، فلما طاف قائد الفيل به في المدينة مجبأ أهلها لمنظر الحيوان الضخم ، وتولى بعضهم الريب في أمره . بل لقد جمعت ضعيفات النساء يقلن : أمن خلق الله هذا ! . وخيل إلى بعضهم أنه من صناعة الفرس ، ورأى أبو بكر أنه لا نفع فيه ، فرده إلى العراق مع قائده .

٢٣ - يوم الشُّنَى*

كان هُرْمُزُ كَتَبَ إِلَى أَرْدَشِيرَ بِأَمْرِ خَالِدٍ وَكُتَابِهِ ، وَمَسِيرِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْيَمَامَةِ ، فَدَعَا إِلَيْهِ قَارِنَ بْنَ قَرِيَّانَسَ ، أَحَدَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ تَمَّ شَرَفُهُمْ ، وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ سَارَتْ مَدَدًا لِهُرْمُزَ .

فَخَرَجَ قَارِنٌ مِنَ الْمَدَائِنِ ؛ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَذَارِ بَلِغَتْهُ الْهَزِيمَةُ ، وَقَابَلَهُ الْمَهْزَمُونَ ؛ فَاسْتَوْقَفَهُمْ ، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ ، وَبَعَثَ السَّكِينَةَ إِلَى نَفْسِهِمْ ، وَضَمَّهُمْ إِلَى جَيْشِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ افْتَرَقْتُمْ الْيَوْمَ لَمْ تَجْتَمِعُوا بَعْدَهَا أَبَدًا ؛ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعَوْدِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَبِذَا مَدَدُ الْمَلِكِ ، وَهَذَا قَارِنٌ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يُدِيلُنَا^(١) وَيَشْفِينَا مِنْ عَدُوِّنَا ؛ وَنُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَصَابُوا مِنَّا . فَفَعَلُوا ، وَاسْتَعْمَلَ قَارِنٌ عَلَى مَجْنَبَتَيْهِ قُبَاذَ وَأَنْوَشِرَوَانَ .

وَأَرَزَ^(٢) الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ وَأَخُوهُ الْمَعْنَى إِلَى خَالِدٍ بِالْخَبْرِ ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنَ يَوْمِ السَّلَاسِلِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ الْقَوْمَ قَدْ اجْتَمَعُوا بِالشُّنَى : الْمُنَيْثَ وَالْمُنَاثَ .

فَخَرَجَ خَالِدٌ سَائِرًا حَتَّى نَزَلَ الْمَذَارَ عَلَى قَارِنَ فِي جَمْعِهِ ؛ وَاقْتَتَلُوا عَلَى حَنْقٍ وَحَفِيظَةَ ، وَخَرَجَ قَارِنٌ يَدْعُو إِلَى الْبَرَّازِ ؛ فَبَرَزَ لَهُ خَالِدٌ وَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَتَلَ الْأَنْوَشَجَانَ وَقُبَاذَ ؛ وَهَزِمَتْ فَارِسُ هَزِيمَةً عَظِيمَةً .

* لخالد بن الوليد على قارن بن قريانس (من الفرس) ، صفر سنة ١٢ ، والثاني : نهر في المذار . والمذار : بلد بينها وبين البصرة أربعة أيام إلى الشمال بالقرب من واسط ، وتسمى أيضا وقمة المذار .

الطبري ٧/٤ . ابن الأثير ١٨٨/٢ . معجم البلدان ٢٥/٣ ابن خلدون ٧٩/٢ .

(١) يدلنا : نصرنا . (٢) أَرَزَ : رجع .

وبعد انتهاء الموقعة ، سلم خالد الأسلابَ لسنّ سلبها ، بالغة ما بلغت ، وقسم
الفيء ، ونقل من الأخماس أهل البلاء ، وزاد سهمُ الفارس في يوم الثنئى على سهمه
في يوم ذات السلاسل .

وبعث ببقية الأخماس ، ووفدَ وفدًا مع سعيد بن النعمان إلى أبي بكر .
ثم أقام خالد بالمدار يسبي عيالات المقاتلة^(١) ومن أعانهم ، وأقرّ الفلاحين
ومن أجاب إلى الحراج .

وولى العمال على الجباية ، وأقام مكانه يتجسس الأخبار .

(١) كان ممن سبى في هذه الموقعة حبيب أبو الحسن البصرى ، وأبو زياد مولى لمخيرة بن شعبة .

٢٤ - يوم الولجة*

لسافرغ خالد^١ من الشنى ، وأتى الخبرُ أردشير اتّجه تفكيرُهُ إلى الاستعانة على العرب بالعرب ، وكان يطمئنُّ إلى ولاء قبائل عربية كثيرة ؛ منها جماعات من بكر بن وائل ؛ فدعاهم وجعل عليهم قائداً منهم ووجههم إلى الولجة وبعث الأندرزغر - وكان فارسياً من مولدى السواد - وأرسل بهم من جاذويته في أثره في جيش عظيم ، وأمره أن يعبرَ طريق الأندرزغر ، فالتقت جنودُهما بالولجة ، وعسكروا فيها .

ولما بلغ خالداً خبرُ الأندرزغر ونزوله الولجة نادى بالرحيل ، وتقدّم إلى من خلف من قواده وجنوده ، وأمرهم بالحدّر وقلة الغفلة وتركِ الاغترار ، وخرج سائراً في جيشه حتى بلغ الولجة ، والتقت جنودُ المسلمين بجنود الأعاجم وجهماً لوجه . وكان خالد قد أمرَ اثنين من أمراء جنده أن ينفصلوا أثناء السير عنه ، وأن يكمنوا وراء العدو ؛ فيأخذوه أثناء القتال على غرّة ، لكنّ هذا الكمين تأخر فلم يظهر حين كانت صفوفُ المقاتلين تترجّح ؛ متقدمة طوراً ومتراجعة طوراً . واشتدّ القتالُ ، وظنّ الفريقان أن الصبرَ قد نفذ ، وأن المعركة لن تنتهى إلى غاية .

وبيناهم كذلك خرج الكمينُ في وجهين ، فانهزمت صفوفُ الأعاجم وولّوا

* لخالد بن الوليد على الأندرزغر (الفرس) . صفر سنة ١٢ ، والوجهة : من أرض كسكر في الشمال من المنار .

الطبرى ٨/٤ ، ابن الأثير ٢/١٨٨ ، ابن خلدون ٢/٧٩ ، معجم البلدان ٨/٤٣٣ .

وأخذهم خالد من بين أيديهم ، والكَمِينُ مِنْ خَلْفِهِمْ ، فلم يَرِ رجلٌ منهم مقتلاً
صاحبه ؛ ومَضَى الأندرزغر في هزيمته ، فمات عطشاً .

وقام خالد في الناس خطيباً ، يرغبهم في بلادِ العجم ، ويُرْهِدُهُمْ في بلادِ العرب ،
وقال : ألا ترون إلى الطعام كرفنخ^(١) التراب ! وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله ،
والدُّعَاءُ إلى الله عز وجلّ ولم يكن إلا المماش ، لكان الرأى أن نُقَارِعَ على هذا
الرَّيفِ ، حتى نكونَ أولى به ، ونُوَلِّيَ الجوعَ والإفلالَ مَنْ تولاّه ، مِمَّنْ اثَّاقَلَ
عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ .

ثم سار في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذراريّ المقاتلة ومن أعانهم ،
ودعا أهل الأرض إلى الجزاء^(٢) والذمّة ، فتراجموا .

(١) الرفنخ هنا : الأرض الكثيرة التراب ، يقال : جاء فلان بمال كرفنخ التراب ، أى في كثيره
(٢) الجزاء : جمع جزية ، وهى خراج الأرض مما يؤخذ من الذمى .

٢٥ — يوم أليس*

كان خالد بن الوليد قد أصاب يوم الولاية من نصارى بكر بن وائل؛ الذين أعانوا أهل فارس. فغضب لهم نصارى قوميهم، وكتبوا الأعاجم، وكتبتهم الأعاجم، فاجتمعوا إلى أليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وسانده جابر بن بجير، ومالك بن قيس.

وبلغ ذلك أردشير، فكتب إلى بهمن جاذويه: أن يسر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب.

فانطلق بهمن إلى أردشير ليستأمره فيما يريد أن يشير به، وقدّم جابان، وأمره أن يحث السير إلى أليس، وقال له: كفكف نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك، إلا أن يُجلبوك.

نزل جابان أليس، واجتمعت إليه المسالِح^(١) التي كانت بإزاء العرب، وانضم إليه النصارى الذين كتبوا الأعاجم من بكر، وجعل يدبر أمور القتال.

ولم يكن خالد قد وقف على نَبأ جابان وجنود فارس، وإنما بلغه ما كان من تجمّع العرب النصارى بأليس؛ فنهّد^(٢) لهم.

* لخالد بن الوليد على بهمن جازويه (الفرس). صفر ١٢. وأليس: قرية من قرى الأنبار في منتصف الطريق بين الحرة والأبلة.

الطبرى ٩/٤، ابن الأثير ١٨٩/٢، ابن خلدون ٧٩/٢، معجم البلدان ٣٢٨/١.

(١) المسالِح: جمع مسلحة، والمسلحة: القوم ذوو سلاح. وقد تطلق على الثغر.

(٢) نهّد: نهض.

فلما طلع جابان بأليس قالت الأعاجم لجابان : أنما جلهم أم نغدَى القوم ، ولا نريهم أنّا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد القرّاع ؟ فقال جابان : إن تركوكم فتهاونوا ؛ ولكن ظنّى بهم أنهم سيؤجّلونكم ويؤمّا جلونكم عن الطعام ؛ فمصوه وبسطوا البُسْط ، ووضعوا الأطممة ؛ وتوافقوا إليها .

فلما انتهى خالدٌ إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ؛ فلما وضعت توجّه إليهم ، ووكل حوامى يحمّون ظهره ؛ ثم ندر^(١) أمام الصف ، فنأدى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟ فنكّلوا^(٢) عنه جميعا إلا مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد : يا بن الحبيثة ! ماجرأك على من بينهم ، وليس فيك وفاء ! ثم ضربه فقتله ، وأجهض^(٣) الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا . فقال جابان : ألم أقل لكم يا قوم ! أما والله ما دخلتني من رئيس وخشنة قطّ حتى كان اليوم ، فقالوا - حيث لم يقدرُوا على الأكل - تجلّداً : ندّعه حتى نفرغ منهم ؛ ثم نعود إليه .

وجمل جابان على مُجَنَّبَتَيْهِ عبد الأسود وأبجر ، وخالد على تَمَبَّتَيْهِ في الأيام التي قبلها ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، والمشركون يزيدهم كلباً^(٤) وشدة ما يتوقّمون من قدوم بهمّن جاذويه ، وصبروا للمُسْلِمِينَ وصابروا حتى يجيئهم المدد ؛ ورأى خالدٌ صبرهم وقوة تجلّدهم لبأسه ، وإن لم يعرف باعثهم على هذا وذلك ، وترجّحت الموقعة حيناً ؛ ففتوجه خالدٌ إلى ربه يستنصره ويقول : اللهم إن لك على إن مدححتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحداً قدرنا عليه ، حتى أجرى نهرهم بدمائهم !

ولم يذر خالدٌ أثناء ذلك لو نامن ألوان المدّورة إلا ضيق به الخناق على أعدائه ؛ فلما رعى صبرهم وتداعت قوتهم ، ولم يبق لهم من الهزيمة مفرّ تحطّمت صفوفهم ،

(١) ندر من بين القوم : ظهر . (٢) نكل : نكس وجين .

(٣) أجهضهم عن طعامهم : أمجلهم . (٤) الكلب : الحرس والشدة .

وانقلبوا على أعقابهم ، يسارعون إلى الهرب ، ولا مأرب لهم إلا النجاة .
ثم أمر خالدٌ منادياً فنادى في الناس : الأسر ، الأسر ! لا تقتلوا إلا من امتنع .
فأقبلت الخيول بهم أفواجاً مُستأسرين^(١) ، يساقون سوق النعم ، وقد وكل بهم
رجالاً يضربون أعناقهم في النهر ، ففعل بهم ذلك يوماً وليلة ؛ والنهر لا يجري دماً ؛
فقال له بعض أصحابه : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ؛ إن الدماء لا تزيد على
أن تترقرق منذ نُهيت عن السيلان ، ونُهيت الأرض عن نشف الدماء ، فأرسل
عليها الماء تبرئ يمينك - وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده - فجرى دماً عبيطاً^(٢) ،
فسمى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم^(٣) .

ولما هزم القوم وأجلوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ، وقف خالد على
الطعام فقال : قد نقاتكموه فهو لكم ، فقام عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل
من لم يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ؟ وجعل من عرفها
يُجيبهم ويقول لهم ما زحاً : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ؛ فيقول :
هو هذا !

وبعث خالد بالخبر إلى أبي بكر مع جندل المجلي ، فقدم على أبي بكر بالخبر ،
وبفتح أئس ، وبقدر الفء ، وبعدة السبي ، وبما حصل من الأتخاس ، وبأهل البلاء
من الناس ؛ فلما قدم على أبي بكر ورأى صرامته ، وقال له : ما اسمك ؟ قال : جندل ،
قال : ويها يا جندل :

نفس عَصَامٍ سَوَدَّتْ عِصَامَا وَعَوَدَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا^(٤)
وأمر له بجارية من ذلك السبي .

(١) أى يعرضون أنفسهم للأسر . (٢) عبيطاً : طرياً .
(٣) روى الطبرى أنه كانت على النهر أرحاء ، طحنت في ثلاثة أيام قوت ثمانية عشر ألفاً من الجند
والماء من تحتها يتدفق أحمر فانيا . (٤) البيت للناطقة الذبياني ، ديوانه ١٠٦ .

٢٦ - يوم الحيرة*

لما فرغ خالد من يوم أليس أنى أمغيشياً^(١) ، فوجد أن أهلها قد جآوا عنها ،
وتفرقوا في السواد^(٢) ، فأمر بهدمها ، وإزالة كل شيء كان في حيزها ، فأصاب
منها ما لم يُصِبْ من غيرها ، حتى بلغ سهمُ الفارس ألفاً وخمسمائة ، سوى النفل^(٣)
الذي نُفِلَهُ أهلُ البلاد .

وكان الآزاذبه مرزبان^(٤) الحيرة في ذلك الحين ، فلما علم بأخبار أليس وخراب
أمغيشياً وانتصار خالد بندها ، وفعاله فيهما ، أيقن أنه غير متروك ، وقدّر أن خالداً
سيركبُ إليه النهر ، فتهيأ لحربه ، وقدم ابنه ، وأمره أن يسدّ قناطر الفرات ليعوق
بذلك سير السفن إليه ؛ ثم خرج في إثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة .

ولما استقل^(٥) خالد من أمغيشياً ، وحمل الرجل^(٦) في السفن ، وسار شمالاً إلى
ناحية الحيرة جنحت^(٧) السفن ، وارتطمت بقاع النهر ؛ فارتاع المسلمون لجنوحها ،
وأخذ الغضب من خالد مأخذه ، ثم سأل عن علّة ذلك ، فقال الملاحون : إن أهل
فارس فجروا الأنهار ، فسلك الماء غير طريقه ؛ فلن يأتيناً الماء إلا بسدّ الأنهار .

* لمالذ بن الوليد على أهل الحيرة ، ربيع الأول سنة ١٢ ، والحيرة : موضوع على ثلاثة أميال
من الكوفة ، على موضع يقال له النجف .

الطبرى : ٤ - ١١ ، ابن الأثير : ٢ - ١٨٩ ، ابن خلدون : ٢ - ٨٠ ، فتوح البلدان : ٢٤٥

(١) أمغيشيا ، كانت مصراً كالحيرة ، وكانت أليس من ثغورها .

(٢) السواد : قرى العراق . (٣) النفل : الغنيمة والهبة . ونفله : أعطاه النفل .

(٤) المرزبة كمرحلة : رئاسة الفرس ، وهو مرزبانهم . (٥) استقل : رحل .

(٦) الراجل : ضد الفارس ، جمع الرجل ، كصاحب وصاحب .

(٧) جنحت السفينة : انتهت إلى الماء القليل فلزقت بالأرض فلم تمض .

فتمجّل خالد فلقى ابن الأزاذه على قمّ المتيق ، وفجّاه وجنده وهم آمنون في تلك الساعة ، فاقتتلوا حتى هزمهم ، وقتل ابن الأزاذه ؛ وأعاد الماء يجري في النهر ، فعادت السفن إلى المسير ، وحملت إليه جيشه ، فسار به إلى الخورنق والنّجف .
وكان الأزاذه يُقيمُ بمسكره بين الغريين^(١) والقصر الأبيض ، فبلغه موت أردشير ، ثم علم بموت ابنه ، وزحف خالد نحو الخورنق ؛ فولى هارباً من غير قتال .

ووصل خالد وأصحابه فلم يلقوا عسكرياً ؛ فأقاموا بين الغريين والقصر الأبيض ، وأهل الحيرة مُتحصّنون .

فأدخل الخليل من عسكره ، وأمر بكلّ قصرٍ رجلاً من قواده يحاصر أهله ويقاّتهم ؛ فكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائيّ ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر المدسين وفيه عدي بن عديّ ، وكان ضرار بن مقرن محاصراً قصر بني مازن ، وفيه ابن أكال ، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقبيلة ، وفيه عمرو بن عبد المسيح ، وعهد إليهم جميعاً أن يبدؤوا بالدعاء ، فإن أجابوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أجلّوهم يوماً ، ثم قاتلهم وقتلهم .

فكان أول القواد الذين أنشبو القتال بعد تأجيلهم يوماً هو ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل القصر الأبيض ؛ فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فداهم إلى إحدى ثلاث: الإسلام ، أو الجزاء^(٢) ، أو المنابذة^(٣) . فاخساروا المنابذة ، وتنادوا : عليكم بالحصا ، فقال ضرار : تنجّوا ؛ لا ينالكم الرمي ، حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأس القصر من رجال مملّقى الخالي^(٤) ؛ يرمون المسلمين بالحصا ،

(١) الغريان : بناء ان كانا معروفين بالسكوفة .

(٢) الجزاء : جمع جزية . (٣) المنابذة : تحيز كل من الفريقين للحرب .

(٤) الخالي : جمع مخلاة .

فقال ضرار : ارشقوهم ؛ فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل ، وصبح كل أمير أصحابه
بمثل ذلك .

فاتحوا الدور والدورات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل
القصور ؛ ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ؛ قد قبيلنا واحدة
من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبتلونا خالدا ، فكفوا عنهم وأرسلوهم
إلى خالد .

فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدى وقال :
ويحككم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنعمون من العرب ! أم عجم ! فما تنعمون من
المدل والإنصاف ! فقال له عدى : بل عرب عاربة ؛ وأخرى متعربة ، فقال :
لو كنتم كما تقولون لم تحادونا^(١) وتكرهوا أمرنا .

فقال له عدى : يدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية ، فقال خالد :
اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا في ديننا ؛ فلكنم ما لنا وعليكم ما علينا ؛
أو الجزية ، أو المناجزة والمناجزة^(٢) ، فقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم
على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تبأ لكم ! ويحككم ! إن
الكفر فلاة مفضلة^(٣) ، فأحتمق العرب من سلكها ، فلقية دليان ؛ أحدهما عربي
فتركة واستدل^(٤) الأعمى .

ولم يغير هذا الكلام من إضرار القوم على دينهم ، فصالحوه على مائة ألف
درهم وتسعين ألفا ، وتتابع أهل القصور على ذلك ، وأهدوا له الهدايا ، وبعث

(١) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

(٢) المناجزة : المبارزة . (٣) صحراء فلاة : وأرض مفضلة - بفتح الصاد وكسرهما : يضل

فيها الماشي . (٤) استدل الأعمى : طلب منه أن يدلّه .

بالفتح والهدايا إلى أبي بكر ، فأجاز أبو بكر المعاهدة ، وقبل الهدايا واحتسبها من الجزاء .

وكتب إلى خالدٍ : أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم ، فقول بها أصحابك .

ثم كتب خالد لأهل الحيرة هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً ابني عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء^(١) أهل الحيرة . ورضى بذلك أهل الحيرة ، وأمروهم به . عاهدتهم على مائة ألف وتسعين ألف درهم ، تُقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسيسهم ، إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حميساً عن الدنيا ، تاركاً لها ؛ وعلى المنعة ، فإن لم يمنعمهم فلا شيء عليهم حتى يمنعمهم ، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة .

وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة .

ولما استقر خالد في الحيرة خرج إليه صلوبة بن نسطونا صاحب قس الناطف^(٢) ، فصالحه على بأنقياً^(٣) وباروسماً^(٤) وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطيء الفرات على عشرة آلاف ؛ فكتب لهم خالد كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبة بن نسطونا وقومه . إني عاهدتكم على الجزية والمنعة ، على عشرة آلاف دينار ، القوي على

(١) نقيب القوم : ضميرهم ورئيسهم .

(٢) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة . (٣) باقيا : ناحية من نواحي الكوفة .

(٤) باروسما : من ناحية بغداد .

قدر قُوَّتِه ، والمَقْلُ على قَدْرِ إِقْلَالِه في كلِّ سَنَةٍ ، وإنك قد نُقِبْتَ (١) على قومك ، وإنَّ قومك قد رَضُوا بك ، وقد قَبِلْتُ وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ورضيتَ ورضيَ قومك ، فلك الذمَّة والمنمة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنمكم .

ولسأرى دَهَاقِينَ (٢) البلاد ماتمَّ لخالد من الظفر أتوه فصالحوه على ما بين الفلاليج (٣) إلى هُرْمُزِ جَرْد (٤) ، على ألني ألني درهم ، وكتب لهم بذلك كتاباً .
ولما تمَّ لخالد فتحُ الحيرة صَلَّى صلاةَ الفتحِ ثمانِيَ رَكَاتٍ ، لا يُسَلِّمُ فيها ، فلما أَمَّهَنْ انْفَتَلَ (٥) إلى أصحابه يقولُ : لقد قاتلتُ يومَ مُوتَةَ ، فانقطع في يدي تسعةُ أسياف ، وما لقيتُ قوماً كمن لقيتهم من أهل فارس .
ثم أقام بِالْحِيرَةِ وجعلها مَرَكَزَ قِيَادَتِهِ (٦) .

(١) نقتب : صرت نقيبا وضميناً . (٢) الدهقان - بكسر الدال وضما : زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم . (٣) فلاليج السواد : قراها . (٤) هرمزجرد : ناحية من أطراف العراق (٥) انفتل : انصرف .

(٦) من طرائف ما يرويه المؤرخون لبان فتح الحيرة أن خالداً أبى أن يكتب مع القوم عهداً إلا أن تسلم كرامة بنت عبد المسيح أخت عمرو إلى شويل ؛ ولما أصر على ذلك لما قيل من أن شويل هذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتح الحيرة فسأله كرامة . فقال له : هي لك ، إذا فتحت عنوة ، وكانت كرامة بارعة الجمال في صباها ، وكان شويل قد رآها في شبابه ، فجن بهادراً . وشق هذا على أهلها ، فقالت لهم : هونوا عليكم وأسألوني ، فإني سأفتدي ، وما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! إنما هذا رجل أحمق رأى في شببيتي فظن أن الشباب يدوم ، ورفضت إلى شويل فقالت له : ما أربك إلى مجسوز كما ترى ؟ فادنى . قال : لا ، إلا على حكى ، قالت : فلك حكك مرسلًا . قال : لست لأم شويل ، إن نقصتك عن ألف درهم . وتظاهرت كرامة باستكثار المبلغ اتخذته ، ثم أتته ورجعت به إلى أهلها . وسمع أصحاب شويل بما صنع فسخر وامنه لقله الفداء ، وعنفه بعضهم . فكان اعتذاره : ما كنت أرى عدداً يزيد على ألف . وشكا أمره إلى خالد ، وقال : كانت نيتي غاية العدد . فقال خالد : أردت أمراً وأراد الله غيره ، فأخذ بما يظن وندعك ونيتك ، كاذباً كنت أو صادقاً .

٢٧ - يوم ذات العيون*

خَلَفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْجَيْشِ الْقَمَقِاقِ بْنِ عَمْرٍو ، وَخَرَجَ فِي تَعْيِينَتِهِ ، وَجَمَلَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ الْأَقْرَعَ^(١) بْنَ حَابِسٍ ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا رُكْبَانًا إِلَى الْأَنْبَارِ^(٢) ، فَرَأَوْا أَنَّ أَهْلَهَا قَدْ تَحَصَّنُوا بِهَا ، وَخَنَدَقُوا عَلَيْهَا ، وَأَشْرَفُوا مِنْ حِصْنِهِمْ . وَكَانَ يَقُودُ الْجُنُودَ فِيهَا شِيرَزَادُ صَاحِبُ سَابَاطٍ ، وَكَانَ أَعْقَلَ أَعْجَمِيِّ يَوْمئِذٍ .

وَلَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ أَطَافَ بِالْخَنْدَقِ ، وَأَنْشَبَ الْقِتَالَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى رُمَاتِهِ ، فَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ : إِنِّي أَرَى إِقْوَامًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، فَارْمُوا عِيُونَهُمْ وَلَا تَوْخَوْا غَيْرَهَا . فَرَمَوْهُمْ فَفَقَتُّوا أَلْفَ عَيْنٍ يَوْمئِذٍ ، وَتَصَايَحَ الْقَوْمُ إِذْ ذَهَبَتْ عِيُونُهُمْ .

وَلَمَّا رَأَى شِيرَزَادُ ذَلِكَ رَاسَلَ خَالِدًا فِي الصَّلَاحِ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَرْضَهُ خَالِدٌ ، فَرَدَّ رُسُلَهُ .

وَأَتَى خَالِدٌ أَضِيقَ مَكَانٍ فِي الْخَنْدَقِ بِرَذَايَا^(٣) الْجَيْشِ فَنَحَرَهَا ، ثُمَّ رَمَى بِهَا فِيهِ فَأَفْعَمَهُ^(٤) ، ثُمَّ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ ، وَالرَّذَايَا جَسُورُهُمْ .

* لخالد بن الوليد على شيرازاد (الفرس) . سنة ١١٢ هـ . وسميت ذات العيون لما وقع فيها من فقه عيون الأعداء .

الطبرى : ٤ - ٢٠ . ابن الأثير : ٧ - ١٩٢ . ابن خلدون : ٢ - ٨١ .

(١) الأقرع بن حابس ، ينتهى نسبه إلى تميم ، كان حكيما فى الجاهلية ، ثم وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفات قلوبهم ، وشهد كثيرا من أيام الفتوح ، وقتل باليرموك فى عشرة من بيته .

(٢) الأنبار : مدينة على الفرات غربى بغداد .

(٣) الرذايا : جمع رذى ، والرذى : المهزول من الإبل ، الهالك .

(٤) أفعمه : ملاء ..

(١٣ - أيام العرب فى الإسلام)

واجتمع المسلمون والمشركون في الخندق ، وأرَزَ القوم^(١) إلى حصنهم ، ورأسَلَ
شِيرَزَادُ خالداً في الصلح على ما أراد ؛ فقبِلَ منه على أن يُخلِّيَهُ ويُلجِقه بِمَأْمَنِهِ
في جَرِيدَةِ^(٢) خَيْلٍ ، ليس معهم مِنَ المَتَاعِ والأموالِ شَيْءٌ .

وخرج شيرزاد حتى قدم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر ، وقال له : إني كنتُ
في قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسممتهم - حين قدم المدؤء علينا -
يَقْضُونَ على أنفسهم ، وقلما قَضَى قومٌ على أنفسهم قضاءً إلا وجب عليهم .
ثم قاتلهم الجند ، ففقتوا منهم ألفَ عَيْنٍ ؛ فعرفتُ أن المسألة أسلم .

(١) أرز القوم : رجعوا .

(٢) الجريدة : خيل لا رجلة فيها .

٢٨ — يوم عَيْنِ التَّمَرِ*

لما فرغ خالدٌ مِنَ الأَنْبَارِ واستحْكَمَتْ لَهُ، استخلفَ عليها الزُّبْرَانَ بنَ بَدْرٍ وقَصَدَ لَعَيْنِ التَّمَرِ، وفيها مهران بن بهرام في جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ العَجَمِ، وَعَقَّةُ بنُ أَبِي عَقَّةٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ العَرَبِ؛ فلما سَمِعُوا بِخَالِدِ، قالَ عَقَّةُ لِمِهْرَانَ: إنَّ العَرَبَ أَعْلَمُ بِقِتَالِ العَرَبِ، فَدَعَانَا وَخَالِدًا.

قال: صدقت؛ لَمَعْرِي لِأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِقِتَالِ العَرَبِ، وَإِنْ كُمْ لَمِثْلُنَا فِي قِتَالِ العَجَمِ؛ وَخَدَعَهُ وَأَتَمَّى بِهِ، وَقَالَ: دُونَكُمْوَهُمْ، وَإِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْنَا أَعْنَاكُمْ. فلما مضى عَقَّةُ نَحْوَ خَالِدِ قَالَتِ الأَعْجَمُ لِمِهْرَانَ: ما حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ هَذَا القَوْلَ؟ فقال: دَعَوْنِي، فَإِنِّي لَمْ أُرِدْ إِلَّا ما هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَشَرٌّ لَهُمْ؛ إِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ قِتْلِ مَلُوكِكُمْ وَفَلَّ حَدَّكُمْ، فَاتَّقَيْتُهُ بِهِمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ عَلَى خَالِدِ فَهِيَ لَكُمْ، وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَى فَلَنْ يَبْلُغُوا مِنْهُمْ حَتَّى يَهْبِتُوا، فَفَقَاتِلْهُمْ وَنَحْنُ أَقْوِياءُ، وَهُمْ مُضْمَعُونَ. فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِنِضْلِ الرَأْيِ.

فلزم مهران العَيْنِ، وَنَزَلَ عَقَّةُ لِمِهْرَانَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ بُجَيْرًا، أَحَدَ بَنِي عُبَيْدٍ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الهُدَيْلِ بنِ عِمْرَانَ. وجاء خالد في تمبية جُنْدِهِ، وَقَالَ لِمُحَبِّبَتَيْهِ: اكْفُونَا ما عِنْدَهُ؛ فَإِنِّي حَامِلٌ عَلَيْهِ. وَبَيْنَا عَقَّةُ يَقِيمُ صَفُوفَهُ احْتِضَنَهُ خَالِدٌ، وَأَخَذَهُ أُسِيرًا، وَانْهَزَمَ صَفُّهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، فَأَكْثَرَ المُسْلِمُونَ فِيهِمُ الأَسْرَ.

* لخالد بن الوليد علي مهران بن بهرام وعقبة بن أبي عقبة. كان ذلك اليوم سنة ١٢ هـ. وعين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة.

الطبري: ٤ - ٢١. ابن الأثير: ٢ - ١٩٣، ابن خلدون: ٢ - ٨١، معجم البلدان:

ولما جاء الخبر إلى مهران هرب في جُنْدِهِ ، وتركوا الحصن . وانتهت فُلَّالُ عَقَّةٍ من العرب والمعجم إلى الحصنِ ، واقتحموه واعتصموا به . وأقبل خالد في الناس حتى نزل الحصنَ ومعه عَقَّةُ أسيراً ، وكان هؤلاء المهزومون يرجون أن يكون خالد كمن كان يُغِيرُ من العرب ، فلما رأوه يُحَاوِلُ القِضَاءَ عليهم سألوهُ الأمانَ ، فأبى إلا أن ينزلوا على حُكْمِهِ ، فأجابوه إلى ما طلب ، وفتحوا له باب الحصن فاعتقلهم . وأمر بِعَقَّةِ فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ ، ولما رآه الأشرى مطروحاً على الجسر يتسوا من الحياة .

ثم ضَرَبَ خالدُ أعناقَ أَهْلِ الحصنِ أَجْمَعِينَ ، وَسَبَى كُلَّ مَا حَوَى حِصْنُهُمْ ، وَغَنِمَ مَا فِيهِ ، وَوَجَدَ فِي بَيْعَتِهِمْ^(١) أَرْبَعِينَ غُلَاماً يَتَلَمَّنُونَ الْإِنْجِيلَ ، عَلَيْهِمْ بَابٌ مُغْلَقٌ ، فَكَسَرَهُ وَقَالَ لَهُمْ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : رُهْنٌ . فَتَسَمَّاهُمْ فِيمَنْ أَحْسَنُوا الْبَلَاءَ ، فَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو زِيَادٍ مَوْلَى ثَقِيفٍ ، وَنُصَيْرُ أَبُو الْبَطْلِ الْفَاتِحِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ ، وَسِيرِينَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ سِيرِينَ ، فَفِيهِ الْبَصْرَةُ .

ثم أرسل إلى أبي بكر بالأخماس مع الوليد بن عُبَيْدَةَ ، وأخبره بالفتح .

(١) البيعة : متعبد النصارى .

٢٩ - يوم دومة الجندل *

لَمَّا قَدِمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِمَا بَعَثَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْمَاسِ وَجَّهَهُ إِلَى عِيَاضِ بْنِ عَنَمٍ ، وَأَمَدَّهُ بِهِ ؛ فَقَدِمَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَعِيَاضٌ يُحَاصِرُ الْقَوْمَ ، وَهُمْ يَحَاصِرُونَهُ ، وَقَدْ أَخَذُوا عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَلَمْ يَجِدْ بَعْدَ مُدَاوَلَةٍ الرَّأْيَ مَعَهُ وَسِيْلَةً تُنْقِذُهُ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : الرَّأْيُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ خَيْرٌ مِنْ جُنْدٍ كَثِيفٍ ؛ ائِمْتُ إِلَى خَالِدٍ فَاسْتَمَدْتَهُ .

فَفَعَلَ . وَقَدِمَ رَسُولُهُ عَلَى خَالِدٍ ، غَبَّ^(١) وَقَعَمَةَ عَيْنِ التَّمْرِ ، فَعَجَّلَ إِلَى عِيَاضِ

بِكِتَابِهِ :

مِنْ خَالِدٍ إِلَى عِيَاضٍ ، إِيَّاكَ أُرِيدُ .

لَبِثْتُ قَلِيلًا تَأْتِكَ الْخَلَابِئُ يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ^(٢)

* كِتَابُهُ تَتَّبِعُهَا كِتَابُهُ *

ثُمَّ خَلَّفَ خَالِدٌ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ عُوَيْمَ بْنَ الْكَاهِلِ الْأَسَدِيَّ ، وَخَرَجَ فِي تَعْبِئَتِهِ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا الْمَيْنَ يَسْرِعُ السَّيْرَ جُهْدَهُ .

وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ دُومَةَ مَسِيرُ خَالِدٍ إِلَيْهِمْ بُهْتُوا ، ثُمَّ اخْتَلَفَ زَعَمَاؤُهُمْ بَيْنَهُمْ

فِيهَا يَصْنَعُونَ .

وَكَانَ عَلَيْهِمْ رَيْسَانٌ : أُكَيْدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْجُودِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ

أُكَيْدِرُ : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِخَالِدٍ ، لَا أَحَدًا يَمِينُ طَائِرًا مِنْهُ ، وَلَا يَرَى قَوْمًا وَجْهَهُ

* لخالد بن الوليد على أكيدر بن عبد الملك ، والجودي بن ربيعة ، كان سنة ١٢ هـ . ودومة

الجندل : على سبع مراحل من دمشق .

(١) غب : بعد . (٢) القاشب : السيف الصقيل المجلو .

خالد قتلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم ، فأبوا عليه ، فقال :
لن أملككم على حرب خالد^(١) ، فشانكم . وخرج إطيته .
وبلغ ذلك خالداً ، فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له ، فأخذه وجاء به إلى خالد ،
فضرب عنقه^(٢) .

ولما نزل خالد على دومة جعلها بينه وبين عسكر عياض ، واطمأن هناك ،
نفرج إليه الجودي بن ربيعة ووديمة الكلابي ؛ فهزماه الله على يدى خالد
وأخذها أخذاً .

وأرز^(٣) بقيّة الناس إلى الحصن ، فلما امتلأ أغلق من فيه أبوابه دون أصحابهم ،
وتركهم عرضةً للمسلمين ، يقتلونهم ويأسرون منهم من يشاءون .
وأقبل خالد على الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم ، حتى سدّ بهم باب الحصن ،
ودعا بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسارى فضرب أعناقهم أيضاً ، إلا أسارى
كذب فإن غاصا قال : قد آمنّاهم ؛ فأطلقهم له خالد ، وقال : مالى ولكم ! أتحمفظون
أمر الجاهلية ، وتضيعون أمر الإسلام !
ثم طوّف خالد بالحصن حتى إذا كان بالباب ، أمر به فاقتلح ، واقتحم المسلمون
على من فيه ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا النساء .
وأقام خالد بدومة الجندل ، ورد الأقرع إلى الأنبار .

(١) قال ذلك أكيدر لأنه لم ينس عام تبوك .

(٢) وهناك رواية أخرى بأنه أسر وأرسل إلى المدينة . (٣) أرز : رجم .

٣٠ - يوم اليرموك*

بعد أن عاد أبو بكر إلى المدينة ، مُنصَرَفَهُ مِنَ الْحِجِّ ، أَرَادَ أَنْ يَعْقِدَ لَوَاءَ خَالِدِ
ابن سعيّد بن العاصي^(١) ، وَيُوجِّهَهُ إِلَى الشَّامِ ؛ فَنَهَاهُ عَمْرٌ وَقَالَ : إِنَّهُ لَمُخْذَلٌ ،
وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ التَّرْوِثَةِ^(٢) ، فَلَا تَسْتَنْصِرْ بِهِ ، فَلَمْ يَحْتَمِلْ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ ، وَأَطَاعَ عَمْرٌ
فِي بَعْضِ أَمْرِهِ ، وَعَصَاهُ فِي بَعْضِ^(٣) .

ثم أمر خالداً أَنْ يَنْزِلَ تَيْمَاءَ^(٤) ، وَأَلَّا يَبْرَحَهَا ، وَأَنْ يَدْعُوَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ
العرب بالانضمام إليه ، وَأَلَّا يَقْبَلَ إِلَّا مَنْ لَمْ يَرْتَدَّ ، وَلَا يِقَاتِلَ إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُ ،
حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ .

* للعرب على الروم ، كان سنة ٦٣٠ هـ . واليرموك : واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن .
الطبري ٤ : ٢٨ . ابن الأثير ٢ : ٢٠٠ . ابن خلدون ٢ : ٨٣ . فتوح البلدان ١٤٠ : معجم
البلدان ٨ : ٥٠٤ .

(١) خالد بن سعيّد : من السابقين الأولين من المهاجرين ، وقيل : كان خامس المسلمين ؛ سبقه
أبو بكر وعلي وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقاص . واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات
مذحج ، واستشهد يوم مرج الصفر سنة ٦١٤ هـ .
(٢) التروثة : النظر في العواقب .

(٣) قيل : كان سبب حنق عمر على خالد بن سعيّد أن خالداً كان عاملاً لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على اليمن ، فقدم بعد وفاة الرسول بشهر ، والقوم في مصابرة أهل الردة ، وكان لابساً جبة
ديباج ؛ فقال عمر لمن يليه : مزقوا عليه جبته ، ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور !
فوجدها خالد في نفسه ، ولقي على بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، فقال : يا بني عبد مناف ، لقد
طلبتم نفساً عن أمر يليه غيركم . وتربص ببديعة أبي بكر مدة ، يقول : أمرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يعزاني ، حتى قبضه الله ، فكان عمر يضطغن ذلك عليه ، واسكن أبا بكر لم يحفلها ،
ولم يضطغن عليه .

(٤) تيماء : بلد في أطراف الشام ووادي القرى ، على طريق الحاج من دمشق .

فَفَصَلَ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَ بِتَيْمَاءَ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُوعٌ كَثِيرَةٌ ، وَبَلَغَ الرُّومَ عِظَمُ ذَلِكَ الْمَسْكَرِ ، فَأَخَذُوا يُمَدُّونَ عُذَّتَهُمْ ، وَيُجْمَعُونَ رَأْيَهُمْ .

فَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ ، وَبَنَزَلَ مِنْ اسْتَنْفَرَتِ الرُّومُ وَنَفَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَهْرَاءَ وَكَلْبَ وَسُلَيْحَ وَتَنُوحَ وَلَخْمَ وَجُدَامَ وَغَسَّانَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ : أَنْ أَقْدِمُ وَلَا تُخَجِّمُ ، وَاسْتَنْصَرَ اللَّهُ .

فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَالِدٌ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ تَفَرَّقُوا وَأَعْرَوْا مَنْزِلَهُمْ ، فَنَزَلَ ، وَدَخَلَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ قَدْ تَجَمَّعَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ : أَقْدِمُ ، وَلَا تَقْتَحِمَنَّ حَتَّى لَا تُؤْتَى مِنْ خَلْفِكَ ؛ فَسَارَ فِيمَنْ كَانَ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ تَيْمَاءَ ، وَفِيمَنْ لَحِقَ بِهِ حَتَّى نَزَلُوا الْقَسْطَلَ (١) .

فَسِيرَتِ الرُّومُ إِلَيْهِ عَسْكَرًا يَقُودُهُ بَاهَانُ الْبَطْرِيْقِ (٢) ؛ فَكَتَبَ خَالِدٌ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَاسْتَمَدَّهُ .

وَوَافَقَ ذَلِكَ قَدُومَ عِكْرِمَةَ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ تَيْهَامَةَ وَعُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ ، فَأَمَرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ .

وَسَارَ مَعَ عِكْرِمَةَ ذُو السِّكْلَاعِ عَلَى رَأْسِ الْجُنْدِ الَّذِينَ صَحِبُوهُ مِنَ الْيَمَنِ حَتَّى يَطْمَأَنَّ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَيَتَأَيَّسَ مَسِيرَتَهُ .

ثُمَّ تَرَاخَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الرُّومَ اجْتَمَعَتْ بِالْيَرْمُوكِ وَنَزَلُوا بِهِ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنَشْتَمَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِي نَفْسِهِ عَنِ تَوَرُّدِ بِلَادِنَا بِجُبُولِهِ ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ - وَكَانَ عَلَى صَدَقَاتِ سَعْدٍ وَعُذْرَةَ وَجُدَامَ : إِنْ كُنْتُ قَدْ رَدَدْتُكَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي

(١) القسطل : بلد في طريق البحر الميت .

(٢) البطريق : القائد من قواد الروم ، تحمته يده عشرة آلاف رجل .

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَلَا كَهْ؛ إنجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وُلِّيَتْهُ ثُمَّ وُلِّيَتْهُ ، وقد أُحْبِبْتُ - أبا عبد الله - أن أُفْرِغَكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَعَادِكَ مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ أَحَبَّ إِلَيْكَ .

فكتب إليه عمرو بن العاص : إني سَهَمْتُ مِنْ سِهَامِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ الرَّأْيِي بِهَا ، وَالْجَامِعُ لَهَا ؛ فَانظُرْ أَشَدَّهَا وَأَخْشَاهَا وَأَفْضَلَهَا ، فَارْمِ بِهِ شَيْئاً إِنْ جَاءَكَ مِنْ نَاحِيَةِ مِنَ النَّوَاحِي .

ثم كتب أبو بكر إلى الوليد بن عُقْبَةَ ، وكان على صدقاتِ قُضَاعَةَ بنحو ذلك ، فأجابه بإيثارِ الْجِهَادِ ، فكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندبأ من يليكما .

فاستخلف كلٌّ منهما ، وندبأ الناس ، فقتل إليهما بشرٌ كثير ، وانتظرا أمرَ أبي بكر .

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله وقال :
أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لَهَا كَفَاهُ اللَّهُ ،
عَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ ؛ فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّهُ لِادِينِ لِأَحَدٍ لَا إِيمَانَ لَهُ ، وَلَا
أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا عَمَلٍ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . أَلَا وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ
عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ؛ هِيَ التَّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ
اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخِزْيِ ، وَالْحَقُّ بِهَا الْكِرَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

ثم أمدَّ عمرو ببعضٍ من انتدب^(١) للغزو إلى من اجتمع إليه . وأمره على فلسطين ، وأمره بطريق سَمَاهَا . وكتب إلى الوليد بن عُقْبَةَ وأمره بالأردن ،

(١) يقال : انتدب القوم من ذوات أنفسهم دون أن يندبوا .

وأمدّه ببعضهم . ودعا يزيد بن سفيان ، فأمره على جُنْدٍ عظيم ، هم جمهورٌ من انتدب له ، وجعل في جنده سُهَيْل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة ، وشيعة ماشياً ، وكان مما قاله له : إذا قدمت على جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وعيدهم إِيَّاهُ ، وإذا وعظتَهُمْ فَأَوْجِزْ ، فإن كثيرَ الكلامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا . . . وإذا قدِمَ عليك رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ ، وأقلِّلْ لُبَّهُمْ حتَّى يَخْرُجُوا من عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ به ؛ وامتنع من قبلك من مُحَادَثَتِهِمْ ، وَكُنْ أُنْتِ المَتَّوَلِّ لِكَلَامِهِمْ ؛ واسمُرْ بالليل في أصحابك تأتِك الأخبارُ ، وتتكشِف عندك الأستار ، واصدُق اللقاء ، ولا تجبن فيجبِ الناسُ .

واستعمل أبا عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ على من اجتمع له ، وأمره على حِمص ، وخرج معه ماشياً ، والناسُ معها وخلفهما .

وسبق الوليدُ بن عُقبة هؤلاء ، واتصل بجند خالد بن سميد فسانده^(١) . وبلغ خالدًا توجه الأمراء إليه ، فطلب الخطوة لنفسه ، واقتحم على الروم ، وأعرى ظهره ؛ فاستطرد^(٢) له باهآن ، وقصد هو ومن معه إلى دمشق ، فاقتحم خالد في الجيش ، ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد ، حتى إذا نزل مرج الصفر^(٣) ، بين الواقوسة^(٤) ودمشق ، أحاط به باهآن وجنوده ، وأخذوا عليه الطرق ، ووجدوا سميد بن خالد في جماعة من الجند ، فقتلوه وقتلوا من معه .

وأتى الخبرُ خالدَ بن سميد فخرج هارباً في جريدة^(٥) ، وأفلت من أفلت من

(١) سائده : عاضده ، كافه وساعده .

(٢) استطرد : تراجع خديمة ومكرا .

(٣) مرج الصفر : موضع قرب دمشق .

(٤) الواقوسة : واد في أرض حوران .

(٥) الجريدة : الجماعة من الخيل .

أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا^(١) عن عسكرهم . وانتهت هزيمة خالد إلى ذي الروة^(٢) وأقام عكرمة في الناس رداء لهم ، ورد باهان وجنوده ، وأقام من الشام على قريب .

ولما علم أبو بكر بما نكب به خالد بن سعيد قال : كان عمرو وعلى أعلم بخالد مني ، ولو أطعتهما فيه اتقيته ، ثم كتب إليه : أقم مكانك ، فلمرى إنك مقدم بحجاء نجاء من الغمرات ، لا تخوضها إلى حق ، ولا تصبر عليه . ثم أذن له في دخول المدينة ، فعاد ومعه الوليد بن عقبة ، وندب الناس مع شرحبيل بن حسنة^(٣) ، بمد أن عهد إليه بممل الوليد .

وأوعب^(٤) القواد بالناس نحو الشام ، وظل عكرمة رداء للناس ، وبلغ الروم ذلك ، فكتبوا إلى هرقل ، فخرج هرقل حتى جاء حمص ؛ فأعد لهم الجنود ، وعسى لهم المساكر ، وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده ورجاله . فأرسل إلى عمرو بن العاص أخاه تذارق (تيودوريك) في تسعين ألفا ، وبعث جرجة نحو يزيد بن أبي سفيان ، فمسكر بإزائه ، وبعث الدراقص ، فاستقبل شرحبيل ابن حسنة ، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفا نحو أبي عبيدة . فها بهم المسلمون ، ولم يكن جمعهم يزيد على واحد وعشرين ألفا ؛ سوى ستة

(١) يقال : أجهضه عن المكان ، إذا أزاله عنه .

(٢) ذو الروة : موضع قريب من المدينة .

(٣) كان شرحبيل مع خالد بن الوليد في العراق ، وقد جاء في هذه الآونة إلى المدينة بأبناء النصر وبالسي والأخاس ، فأمره أبو بكر أن يذهب إلى الشام مكان الوليد بن عقبة الذي رجع مع خالد بالهزيمة .

(٤) أوعب القوم : خرجوا للفرار .

آلاف مع عكرمة ، ففرزوا جميعاً بالسكّيب والرسل إلى عمرو بن العاص ، واستشاروه ، فقال لهم : الرأى الاجتماع ، وذلك أنّ مثلنا إذا اجتمع لم يُملَب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم نُقم كلٌّ فرقةٍ لِن استقبَلها ، لكثرةِ عدونا وما أعدّ لنا .

فأتعدوا اليرموك ليجمعوا به ، وكتبوا لأبي بكرٍ بمثل ما كاتبوا به عمراً ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، وفيه : اجتمعوا فتكوتوا عسكرياً واحداً ، والقوا زحفَ المشركين بزحفكم ، فإنكم أعوانُ الله ، والله ناصرٌ من نصره ، وخاذلٌ من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلةٍ ؛ وإنما يؤتى العشرة الآلاف والزيادة عليها بذنوبهم ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليصل كلُّ رجلٍ منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقتة : أن اجتمعوا لهم ، وانزلوا منزلاً واسعاً العطن ، واسعَ المطرد ، ضيقَ المعرب ؛ وعلى الناس التذراق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان فى الأثر مدد لكم .

ف فعلوا ، ونزلوا الواقوصة ، على ضفة اليرموك ، وصار الوادى خندقاً لهم ؛ وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ، ويأنسوا بالمسلمين ، وترجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها .

وانتقل المسلمون عن عسكريهم الذى اجتمعوا به ، فنزلوا بحذاء الروم ؛ وليس للروم طريقٌ إلا عليهم ، فقال عمرو : أشيها الناس أبشروا ، حُصرت والله الروم ! وقلماً جاء محصورٌ بخير .

فأقاموا بإزارهم شهرين لا يقدرّون على شيء ، ولا يقدرُ الرومُ منهم

على شيء .

فاستمدوا أبا بكرٍ حتى لا يظنوا المشهورَ؛ فيسأم الجندُ ، ويضعف إيمانهم بالنصر ، وتذهب ريحهم .

فقال أبو بكر : والله لأُنسينَّ الرومَ وسأوسَ الشيطان بخالد بن الوليد ؛ وكتب إليه بالحيرة كتاباً ؛ وافاه مُنصرَفه من الحجِّ - وكان خالد قد ذهب إلى مكة حاجاً ، من غير أن يُعلم الناسَ أمرَ حجِّه - جاء فيه : أن سيرٌ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجوا وأشجوا^(١) ، وإياك أن تعودَ لثلٍ ما فعلتَ^(٢) ، فإنه لم يشجِ الجوعَ من الناس^(٣) بعمون الله شجاك ، ولم ينزع الشجاء من الناس^(٣) نزعك ، فليهنئك - أبا سليمان - النية والخطوة ، فأنتم يتعم الله لك ، ولا يدخلنك عجبٌ فتخسر وتخذل ، وإياك أن تدلِّ بعمل ، فإن الله عز وجل له المنُّ ؛ وهو وليُّ الجزاء .

ثم أمره أن يخرج في شطرٍ من الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المُثنى بن حارثة ، وقال له في ختام كتابه : فإذا فتح الله عليكم فارُدُّهم إلى العراق وأنت معهم ؛ ثم أنت على عمك .

فأحضر خالدُ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأثر بهم على المُثنى ، وترك للمثنى مثلَ عددهم ممن لم يكن له مع الرسول صُحبة . ثم نظر فيمن بقى ؛ فاختار من كان قدِم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً أو غير وافِد ، وترك للمثنى

(١) الشجاء : النقص . يريد أن المسلمين ضاقوا بعدوهم ، وضيقوا عليه ، حتى كان بعضهم لبعض كالشجاء في الملق .

(٢) يشير إلى حجه بغير استئذان .

(٣) من الناس : صفة لمخدوف ، هو فاعل لم يشج ، ولم ينزع . أى لم يشج أعداءه أحد من الناس ؛ كما تشجيم أنت . ولم ينزع الشجاء من أواليائه أحد من الناس نزعك .

مثلَ عدَدِهِم مِّنْ أَهْلِ الْقِنَاعَةِ . ثم قَسَمَ الْجَنْدَ نِصْفَيْنِ ، فغَضِبَ الْمُثَنَّى وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقِيمُ إِلَّا عَلَى إِنْفَازِ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ كُلِّهِ ؛ فِي اسْتِصْحَابِ نِصْفِ الصَّحَابَةِ ، أَوْ بَعْضِ النِّصْفِ ؛ وَبِاللَّهِ مَا أَرْجُو مِنَ النَّصْرِ إِلَّا بِهِمْ ، فَكَيْفَ تُعَرِّبُنِي مِنْهُمْ .
فلما رأى ذلك خالد تلهكاً عليه قليلاً ، ثم عذره وأرضاه ، وأخذ حاجته ، وانجذب ماضياً لوجهه ، بعد أن شيمه المثنى إلى حيث يريد .

أخذ خالدٌ يَطْمَنُ بِجَيْشِهِ فِي الْبَرِّ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قُرَاقِرَ (١) ؛ وَأَرَادَ السَّيْرَ مِنْهَا مُفَوِّزاً (٢) إِلَى سُوى (٣) . ثم قال : كيف لي بطريقٍ أُخْرِجُ فِيهِ مِنْ وِراءِ جَمُوعِ الرُّومِ إِنْ أَسْتَقْبَلْتُهَا حَبَسْتَنِي عَنْ غِيَاثِ الْمُسْلِمِينَ . فَكَلَّمَهُمْ قَالَ : لَا نَعْرِفُ إِلَّا طَرِيقاً لَا يَحْمِلُ الْجِيُوشَ ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُهُ الرَّاكِبُ الْفَتَى ؛ فَيَاكَ أَنْ تُعَرِّرَ بِالْمُسْلِمِينَ .

فالتمس خالدٌ دليلاً ؛ فَذُلَّ عَلَى رَافِعِ بْنِ عُمَيْرَةَ الطَّائِيِّ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : انْطَلِقْ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ : إِنَّكَ لَنْ تَطِيقَ ذَلِكَ بِالْخَيْلِ وَالْأَثْقَالِ ، وَاللَّهِ إِنْ الرَّاكِبَ الْفَرْدَ لَيَخَافُهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مُفَرِّراً ؛ إِنَّهَا لَخَمْسُ لَيَالٍ ، لَا يَصَابُ فِيهَا مَاءٌ ؛ مَعَ مَضَلَّتِهَا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : وَيَبْحَكَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ وَقَفَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ : لَا يَخْتَلِفَنَّ هَدْيُكُمْ ، وَلَا يَضْمَنَّ يَقِينُكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْحَسْبَةِ ، وَإِنْ السَّلْمُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكْتَرِثَ بِشَيْءٍ يَقَعُ فِيهِ مَعَ مَعُونَةِ اللَّهِ لَهُ . فَتَحَمَّسَ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا : أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ ، فَشَأْنُكَ .

(١) قراقر : ماء لقلب .

(٢) المفوز : من يسلك المفازة ، وهي الفلاة لأماء بها .

(٣) سوى : ماء لبهراء على بعد خمس ليال من قراقر .

ثم قال لرافع بن عميرة : إنه قد أتتني من الأمير عزممة بذلك ؛ فمرُّ بأمرِك .
قال : استكثروا من الماء ؛ من استطاع منكم أن يصرُّ أذنَ ناقته على ماء فليُفعل ،
فإنها المسهالك إلا ما دفع الله . ابغني^(١) عشرين جزورا عظاما سمانا . فأتاه بهنَّ خالد
فعمد إليها فظمأها ، حتى إذا أجهدها عطشا أوردها الماء عللا بعد سهل^(٢) ،
فشربت حتى إذا تملأت عمد إليها ؛ فقطع مشافرها لثلا نجرت ، وقال
خالد : سر .

فسار خالد مُغذًّا بالخيول والأثقال ، فسكما نزل منزلا شقَّ بطنَ عددٍ من الإبل ،
فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه الخيل ، ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ،
ففعلوا ذلك أربعة أيام .

ولما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المغازة ، قال لرافع بن عميرة : ويحك
يا رافع ! ما عندك ؟ قال : أدركت الرئي إن شاء الله - وشجعهم ، ثم قال : أيها
الناس ، انظروا علمين كآتهما ثديان ، فلما أتوهما وقف عليهما وقال : اضربوا
يمنى ويسرة لموسجة^(٣) كعمدة الرجل ، قالوا : ما نراها ، قال : إن الله وإنا إليه
راجعون ! ؛ هلكتُم والله إذا وهلكتُ ، لا أبالكُم ! انظروا ، فطلبوا فوجدوا
جذمها^(٤) ؛ فقالوا : جذم ولا نرى شجرة . فقال : احترروا حيث شئتم . فحفروا
فنبع الماء .

فلما رأى ذلك المسلمون كبروا ، فقال رافع : أيها الأمير ؛ والله ما وردت هذا

(١) ابغى : التمس لى .

(٢) العلل : الشربة الثانية ، والنهل : الشربة الأولى .

(٣) الموسجة : شجرة كثيرة الشوك .

(٤) الجذم : الأصل .

الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردتُهُ إلا مرّة واحدة وأنا غلام مع أبي . فقال شاعر
من المسلمين :

لِلَّهِ عَيْنًا رَافِعٌ أَتَى اهْتَدَى فَوَزَّ مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوى
خِمْسًا إِذَا مَاسَرَهَا الْجَيْشُ بَكَى مَاسَرَهَا قَبْلَكَ إِنْسَى يُرَى

وسار خالد حتى انتهى إلى سُوى، فأغارَ على أهله - وهم بهراء - قبيل الصُّبْحِ
وناسٌ منهم يشربون خمرًا ، وساقبهم يعنى ويقول :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي !
أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا عَلَيَّ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
أَلَا تَلَّلَانِي مِنْ سُلَافَةِ قَهْوَةٍ تُسَلِّي مُهُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
أُظُنُّ خَيْوَلَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا سَتَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ (١)
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُحَصَّنَاتِ مِنَ الْخَلْدِ

فدهمهم وسبى منهم ، ثم سار على وجهه حتى أغار على غسانِ بمرج (٢) راهط ؛
فصبتهم وقتل وسبى ، وسار حتى أتى على بصرى (٣) ، فقاتل من بها ،
وظفر بهم ، وصالحهم ، وبعث بألحس إلى أبي بكر ؛ ثم سار في طريقه إلى المسلمين ،
ليواجه الروم .

وبينا هو في طريقه إلى اليرموك ، لقيه رجل من روم العرب فقال : يا خالد ؛
إن الروم في جمع كثير ، مائتي ألف أو يزيدون ، فإن رأيت أن ترجع على حاميتك

(١) البشتر : من منازل تغلب بن وائل .

(٢) مرج راهط : موضع من نواحي دمشق دمشق .

(٣) بصرى : موضع بالشام .

فأفعل . فقال خالد : أبارئوم تُخَوِّفني ! والله لو ددت أَنَّ الأشقر^(١) بَرَاء من تَوَجَّيه^(٢) ، وأنهم أضعفوا ضعفهم .

وقدم خالد إلى اليرموك ، وعسكر أبو عبيدة مجاوراً لمسكر عمرو بن العاص ، وشرحبيل مع يزيد ، فعسكر على حدة .

وقد وافق مجيئه محنة المسلمين ، حين كانوا في شدة ؛ إذ جاء بأهان لحربهم بمد كثير ، فالتقى المسلمون بهم وهزموهم ، حتى ألقوهم إلى الخندق ، فلزموه شهراً ، يُحَضِّضُهُم القيسيون والشامسة والرهبان ، وينعمون لهم النصرانية ؛ حتى حمسهم ، وخرجوا للقتال الذي لم يكن بدمه قتال مثله .

فلما أحس المسلمون خروجهم ، وأرادوا الخروج مُتساندين ؛ سار فيهم خالد بن الوليد ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ وقال : إن هذا يومٌ من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ؛ أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بكم ؛ فإن هذا يومٌ له ما بعده ، ولا تقاتلوا قومًا على نظامٍ وتميئةٍ وأنتم على تسانيدٍ وانتشار ؛ فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ؛ وإن من وراءكم لو يعلم علمكم ، حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به ؛ بالذي ترون أنه الرأى من وإيكم ومحبتته .

قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سننتيأسر ، ولو علم بالذي كان ويكون لكان قد جمعكم ؛ إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ! فقد أفرد كل رجل منكم ببلدٍ من البلدان ، لا ينتقصه

(١) الأشقر : اسم الفرس خالد .

(٢) الوجي : أن يشتكى الفرس باطن حافره .

منه إن دان لغيره من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه إن دانوا له . إن تأميرَ بعضكم لا يتقصم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا ؛ فإن هؤلاء قد تهيئوا ، وهذا يومٌ له مآبده ، إن ردذناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نرؤهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الإمارة ، فليكن عليهم بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى تتأمروا كلكم ، ودعوني أليكم اليوم .

فأمروه ، وأصبح خالد أمير المسلمين في ذلك اليوم . وخرجت الروم في تعبئة لم ير الراون مثلها قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك .

نخرج في ستة وثلاثين كردوساً^(١) إلى الأربعين ، وقال : إن عدوكم قد كثرت وطنى ، وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأى العين من الكراديس ، فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص ؛ وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان . وجعل لكل كردوس يزيداً قليلاً على الألف ، وجعل للجيش قاصداً يذكركم ، وكان القاص أبو سفيان بن حرب ، يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله الله ! إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام ، وإنها ذادة الروم وأنصار الشرك ؛ اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرتك على عبادك !

ثم أمر خالد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال ، وكان فيهما عكرمة بن أبي جهل والقمقاع بن عمرو ، ففعلا .

(١) الكردوس : الفرقة من الخيل .

والتحم القتال ، وتطارَدَ الفُرُسان .

وإنهم على ذلك إذ قدم البريدُ من المدينة وفيه حَمِيَّة بن زُنَيْم ، فأخذته الخيول ، وسألوهُ الخبر ، فلم يخبرهم إلا بِسَلَامَةٍ ، وأخبرهم عن أَمْدَادٍ - وكان قد جاء بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ ، وتأمير أَبِي عُبَيْدَةَ - فأبلغوه خالداً ، فأخبره خَبَرَ أَبِي بَكْرٍ ، وأسرَهُ إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ، فقال له : أحسدتَ فَقِفْ . وأخذ الكتاب وجعله في كِفَانَتِهِ ، وخافَ إن هو أظلمَ ذلك أن ينتشر له أَمْرُ الجند ، ووقف حَمِيَّة مع خالد .

ثم خرج جَرَجَةَ^(١) ونادى : ليخرجْ إلى خالد فخرج له خالد ، وأقام أبا عُبَيْدَةَ مكانَهُ ، فواقفه بين الصَّفين حتى اختلفت أعناقُ دَابَّتَيْهِمَا ، وقد آمنَ أحدهما صاحِبَهُ . فقال جَرَجَةُ : يا خالد ؛ أصدقتني ولا تكذبتني ، فإن الحرَّ لا يكذب ؛ ولا تخادعني ، فإن الكريمَ لا يُخادع . . . بالله هل أنزلَ اللهُ على نبيِّكم سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فأعطاكمه فلا تسلَّه على قومٍ إلا هزمتهم ؟ قال : لا . قال : فبِمِ سُمِّيَتْ سَيْفَ اللهِ ؟ قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيَّه صلى اللهُ عليه وسلم فدعانا فنفرنا ، ونأيننا عنه جميعاً ؛ ثم إن بعضنا صدَّقه وتابمه ، وبعضنا باعدَه وكذَّبه ، فكنتُ فيمن كذَّبه وباعده وقائله ؛ ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به فتأبمناه ، فقال : أنت سيفٌ من سيوفِ اللهِ ، سلَّه اللهُ على المشركين ، ودعا لي بالنصر ، فسميتُ سيفَ اللهِ بذلك . فأنا من أشدِّ المسلمين على المشركين . قال : صدقتني .

ثم قال جَرَجَةُ : يا خالد ؛ أخبرني إلامَ تدعوني ؟ قال : إلى شهادةٍ أن لا إله إلا اللهُ

(١) اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك ، والضبط من القاموس .

وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله . قال : فمن لم يُجيبكم ؟ قال : فالجزية ونمئهم ؛ قال : فإن لم يعطها ؟ قال : نوذنه بحرب ثم نقائله ، قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويُجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا .

ثم قال جرّجّة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالدٌ مثلُ مالكم من الأجر والدُّخْرِ ؟ قال : نعم ، وأفضل .

قال : وكيف يُساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : إنا دخلنا في هذا الأمر ، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حَيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبارُ السماء ، ويُخبرنا بالكتب ويُرينا الآيات ، وحق لمن يرى ما رأينا ، ويسمع ما سمعنا أن يُسلم ويبايع ؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر بحقيقةٍ ونيةٍ كان أفضل منا .

قال جرّجّة : بالله لقد صدقتني ، ولم تخادعني ولم تآلفني ؟ قال : بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحدٍ منكم وخشة ، وإن الله لولى ما سألت عنه .

فقال : صدقتني ؛ وقلّب الترس ومال مع خالد ، وقال : علّمني الإسلام ، فقال به خالدٌ إلى فسطاطه ؛ فشن^(١) عليه قرّبةً من ماء ، ثم صلى ركعتين .

وحملت الرومُ مع أنقلا به إلى خالد ، وهم يرون أنها منه حملة . فأزالوا المسلمين عن مواقعهم ؛ وركب خالدٌ ومعه جرّجّة والرومُ خلال المسلمين ، فتنادى الناس فتأبوا ، وتراجعت الرومُ إلى مواقعهم .

فزحف خالدٌ بهم حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالدٌ وجرّجّة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرّجّة ، ولم يصل صلاة

(١) شن : صب .

سجد فيها إلا الركمتين اللتين أسلم عليهما ، وصلى الناسُ الأولى والعصر إيماءً .
ومهدَّ خالد للروم ، ووقف عِكْرِمَة - وكان على الحامية - ونادى في الناس :
مَنْ يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارثُ بن هشام وضرار بن الأزور ، في أربعمائة
من وجوه المسلمين وفرسانهم ، ونشب القتال .

وكان المكان واسعَ المطرد ، ضيقَ السهْرَب ، وتضايقت خيَل الروم ،
فلما وجدت مذهباً ذهبَتْ تشتدُّ في الصحراء ، وأفرج لها المسلمون ، وترك فرسانهم
الرجال في مصافِّهم ، وتفرَّقوا في كل مذهب لا يَلُؤُون على شيء .

وأقبل خالدُ والمسلمون على الرَّجُل^(١) ففضَّوهم ، فكأنما هُدِم بهم حائط ،
فاقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم ، فعمدوا إلى الواقوسة فهووا فيها ، فكان
عدد مَنْ تَهافتَ فيها يزيد على مائةٍ وعشرين ألفاً ، سوى مَنْ قتل في المعركة من الخيل
والرَّجُل ؛ وقاتلوا حتى الليل ، حيث وقعت الهزيمةُ على الروم ، وقتل الله صنَادِيدهم
وفرسانهم وقَتَلَ أخو هرقل ! وانتهت الهزيمةُ إلى هرقل وهو دون حصص فجعلها
بينه وبينهم ، وأمر عليها .

وفي ذلك اليوم أبلى المسلمون وقاتلوا ، حتى النساءُ كان لهنَّ نصيب ، يَقَعْنَ
بِسَقَى الجند ، ومدَاواة الجرحى ؛ وأصيب مِنْ وُجُوهِ المسلمين أكثرُ من
ثلاثة آلاف قُتِلوا جميعاً إلا من برأ منهم .

وأتى خالد بعد المعركة بِمِكرِمَة جريحاً فوضع رأسه على نَحْذِه ، وبعمرو بن عِكْرِمَة
فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يَمْسَحُ عن وجوههما ، وَيَقْطُرُ في حلوقهما الماء ؛
ويقول : كلا ! زعم ابن الحَنُتَمَة^(٢) أنا لا نستشهد !

(١) الرَّجُل : الراجلون ، غير الركيبين .

(٢) يريد عمر بن الخطاب .

ولما انتهت الموقعة سلّم خالد الكتاب إلى أبي عُبيدة بالإمارة ، ثم قال : الحمد لله
الذي قضى على أبي بكر بالموت ، وكان أحبَّ إليَّ من عُمر ، والحمد لله الذي ولى عُمر ،
وكان أبيض إلى من أبي بكر ثم أزمى حبه .

وقسمت الغنائم ، فكان سهمُ الفارسِ ألفاً وخمسةً . ثم نادى أبو عُبيدة
بالرحيل ، فارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بمرج الصنم ،
وأقام فيها أبو عُبيدة وقال : لا أبرح حتى يأتي أمر عمر ...

٣١ - يوم الزمّارق*

بعد أن ودّع المثنى بن حارثة الشيبانيّ خالد بن الوليد في مسيره إلى الشام أقام بالخيرة، ووضع المسلحة^(١) وأذكى العيون .

وأما الفرس فإنهم قد استقاموا على شهريران بن أردشير ، فوجّه إلى المثنى جنّداً عظيماً عليهم هرّمز جاذويه في عشرة آلاف ، فخرج المثنى نحوه ، وجعل على مجنّبتيه الممّنى ومسعودا أخويه ، وأقام ببابل ، وفيها جاءه من كسرى شهريران كتاب جاء فيه : إني قد بعثت إليك جنّداً من أهل فارس وإنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلاّ بهم .

فأجابه المثنى : من المثنى إلى شهريران ؛ إنما أنت أحد رجّلين : إمّا باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإمّا كاذبٌ فأعظم الكذابين عقوبةً وفضيحةً عند الله وفي الناس - الملوكة . وأمّا الذي يدّئنا عليه الرأى فإنكم إنما اضطررتم إليهم ؛ فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير .

فجزع الفرس من كتابه ، ثم التقت جيوش هرّمز وجيوش المثنى ببابل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان فيلهم يفرّق^(٢) منه المسلمون ؛ فانتدب^(٣) له المثنى في جمعه

* لأبي عبيدة على هرّمز (الفرس) سنة ١٣ . والنمارق : موضع قرب الكوفة من أرض العراق .

الطبرى ٦٢/٤ . ابن الأثير ٢١٢/٢ . ابن خلدون ٨٧/٢ .

(١) المسلحة : القوم ذو سلاح .

(٢) يفرّق : يخاف ويفزع .

(٣) قال الجوهري : يقال : ندبه للأمر فانتدب له ، أى دعا له فأجاب .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوهُ ، وَانْهَزَمَ الْفُرْسُ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدَائِنِ يَقْتُلُونَهُمْ .
وَنَزَلَتْ أَنْبَاءُ الْهَزِيمَةِ بِشَهْرِيْرَانَ نَزُولِ الصَّاعِقَةِ ؛ فَحُجِّمَتْ وَمَاتَ .

وَأَرَادَ الْفُرسُ أَنْ يُعْمَلُوا عَلَيْهِمْ ابْنَةُ كَسْرَى لِيَقْرُعُوا إِلَى تَنْظِيمِ شُؤْنِهِمْ ، فَلَمْ
يُنْفِذْ لَهَا أَمْرًا فَخَلِمَتْ . وَخَلَفَهَا عَلَى الْعَرْشِ سَابُورُ بْنُ شَهْرِيْرَانَ . وَاسْتَوَزَرَ سَابُورُ
الْفَرُّخَزَادَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَزُوِّجَهُ آزَرَ مِيدُخْتَ ابْنَةَ كَسْرَى ، فَغَضِبَتْ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ
مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ ، وَقَالَتْ لِسَابُورٍ : يَا بْنَ عَمِّ ؛ أَتَزُوِّجُنِي عَبْدِي ! لَكِنَّ سَابُورًا
يَسْمَعُ لِقَوْلِهَا وَأَغْلَظَ لَهَا فِي الْخُطَابِ ، فَاسْتَعَانَ بِأَحَدِ فُتَّاكِ الْأَعْجَمِ . فَلَمَّا كَانَتْ
لَيْلَةَ الْعُرْسِ ، وَدَخَلَ الْفَرُّخَزَادُ مَخْدَعَ آزَرَ مِيدُخْتَ نَارَ بِهِ الْفَاتِكُ فَقَتَلَهُ وَمَنْ مَعَهُ ،
ثُمَّ سَارَ بِابْنَةِ كَسْرَى وَأَعْوَانِهَا إِلَى سَابُورٍ فَحَاصَرُوهُ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَجَلَسَتْ
آزَرَ مِيدُخْتَ عَلَى الْعَرْشِ مَكَانَهُ .

وَتَرَامَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ إِلَى الْعُمَيْيِّ ، فَسَارَ بِجَيْشِهِ بِطَارِدُ الْفَرَسِ حَتَّى بَلَغَ أَبْوَابَ
الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِاتْتِصَارِهِ عَلَى الْفُرسِ ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْاسْتِعَانَةِ بِمَنْ
ظَهَرَ تَوْبَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ ، لَكِنَّهُنَّ أَنْتَظَرَهُ طَالًا ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَدُّ الْخَلِيفَةِ ،
فَانْسَحَبَ فِي الْجَيْشِ إِلَى أَدْنَى الْعِرَاقِ مِنْ حُدُودِ الْبَادِيَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ بِشِيرِ بْنِ
الْخِصَاصِيَّةِ عَلَى مَنْ بِالْعِرَاقِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَهَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُقْنِعَ
أَبَا بَكْرٍ بِرَأْيِهِ .

فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَبُو بَكْرٍ مَرِيضٌ قَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَقْبَلَهُ ، وَسَمِعَ
إِلَيْهِ ، وَاقْتَنَعَ بِرَأْيِهِ ، وَقَالَ : عَلَيَّ بِمُعَرٍّ - وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ - فَلَمَّا جَاءَ قَالَ لَهُ :
اسْمَعْ يَا عُمَرُ مَا أَقُولُ لَكَ ، ثُمَّ اعْمَلْ بِهِ ، إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ مِنْ يَوْمِي هَذَا ،
فَإِنِ أَنَا مَتَّ فَلَا تُمَسِّنَنَّ حَتَّى تَنْدُبَ النَّاسَ مَعِ النَّبِيِّ . وَإِنِ تَأَخَّرْتُ إِلَى اللَّيْلِ فَلَا

تُصَيِّحَنَ حَتَّى تَنْدُبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى . وَلَا تَشْفَلَنَّكُمْ مَصِيبَةٌ وَإِنْ عَظُمَتْ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ وَوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ . وَقَدْ رَأَيْتَنِي مُتَوَقِّفًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا صَنَعْتُ وَلَمْ يُصَبِّ الْخَلْقَ بِمِثْلِهِ ، وَبِاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَنِّي عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ لَخَذَلْنَا وَلَمَّا قَبَيْنَا ، فَاضْطَرَمَّتِ الْمَدِينَةُ نَارًا ، وَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَمْرَاءِ الشَّامِ فَارْدُدْ أَحْسَابَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَاةُ أَمْرِهِ ؛ وَهُمْ أَهْلُ الصَّرَاوَةِ بِهِمْ ، وَالْجِرَاءَةُ عَلَيْهِمْ .

* * *

فلما فرغ عُمرُ من أبي بكرٍ ندبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَبَايَعَهُ النَّاسَ ، وَنَدَبَهُمْ إِلَى فَارِسَ ، وَتَتَابَعُ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ ، وَفَرَّغُوا فِي ثَلَاثَ ؛ كُلَّ يَوْمٍ يَنْدُبُهُمْ فَلَا يَنْتَدِبُ أَحَدٌ إِلَى فَارِسَ ؛ وَكَانَ وَجْهُ فَارِسَ مِنْ أَكْرِهِ الْوَجُوهَ إِلَيْهِمْ ، وَأَثْقَلِيهَا عَلَيْهِمْ ، لِشِدَّةِ سُلْطَانِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ وَعِزَّتِهِمْ وَقَهْرِهِمُ الْأُمَمَ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ عَادَ فَندبَ النَّاسَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَتَكَلَّمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ؛ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسَ ، لَا يَمُظَمَنَّ عَلَيْكُمْ هَذَا الْوَجْهُ ؛ فَإِنَا قَدْ تَبَحَّجَبْنَا^(١) رَيْفَ فَارِسَ ، وَغَلَبْنَاكُمْ عَلَى خَيْرِ شَيْءٍ السَّوَادِ^(٢) ، وَشَاطَرْنَاكُمْ وَنَلَمْنَا مِنْهُمْ ، وَاجْتَرَأْنَا مِنْ قَبْلِنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَعْدَهَا .

وَقَامَ عُمرُ فِي النَّاسِ فَقَالَ : إِنَّ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَارٍ إِلَّا عَلَى النَّجْمَةِ^(٣) ، وَلَا

(١) التبجيج : التمكن في الحلول والمقام .

(٢) السواد : قرى العراق وضياعها التي فتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب ، سمي بذلك

لسواده بالزروع والنخيل والأشجار .

(٣) النجمة : طلب الكلاء في موضعه .

يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ . أَيْنَ الطَّرَاءُ^(١) الْمَاهِجُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللَّهِ ؟ سِيرُوا فِي
الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمْوهَا ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : « لِيُظْهَرَ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ » ، وَاللَّهُ مُظْهِرٌ دِينَهُ ، وَمُمِيزٌ نَاصِرَهُ ، وَمَوْلَى أَهْلِهِ مَوَارِيثَ الْأَرْضِ . أَيْنَ عِبَادُ
اللَّهِ الصَّالِحُونَ !

فَكَانَ أَوَّلَ مُنْتَدِبِ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ^(٢) ، ثُمَّ تَفَى سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ وَسَلِيطُ
ابْنِ قَيْسٍ . فَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ الْبَعْثُ ، قِيلَ لِعَمْرٍ : أَمْرٌ عَلَيْهِمْ رَجُلَانِ مِنَ السَّابِقِينَ مِنَ
الْمَاهِجِينَ وَالْأَنْصَارِ .

قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، إِنْ اللَّهُ رَفَعَكُمْ بِسَبْقِكُمْ وَسُرْعَتِكُمْ إِلَى الْعَدُوِّ ،
فَإِذَا جَبُنْتُمْ وَكَرِهْتُمُ الْقِتَاءَ ، فَأَوْلَى بِالرِّيَاسَةِ مِنْكُمْ مَنْ سَبَقَ إِلَى الدَّفْعِ ، وَأَجَابَ إِلَى
اللَّهِ ؛ وَاللَّهُ لَا أُوَمِّرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَوْلَاهُمْ ائْتَدَابًا .
ثُمَّ دَعَا أَبَا عُبَيْدٍ فَأَمَرَهُ ، وَدَعَا سَلِيطًا وَسَمْدًا ، فَقَالَ لهُمَا : أَمَا إِنْ كَالُوا سَبْقَتَاهُ
لَوَلِيَّتْكُمْ .

ثُمَّ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدٍ : اسْمَعْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْرِكْهُمْ فِي
الْأَمْرِ ، وَلَا تَجْتَهِدْ مُسْرِعًا حَتَّى تَتَبَيَّنَ ؛ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ ، وَالْحَرْبُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ
الْمَكِيثُ^(٣) الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ وَالْكَفَّ .

وَعَجَّلَ الثَّنِيَّ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَأَبُو عُبَيْدٍ بَمَنْ مَعَهُ ، وَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافٍ فِي أَمْرِهِ ،

(١) الطراء : الغرباء ، وهم الذين يأتون من مكان بعيد .

(٢) أبو عبيد بن مسعود : ينتهي نسبه إلى ثقيف ، وهو والد المختار بن أبي عبيد المشهور في

خلافه مع عبد الله بن الزبير .

(٣) المكيث : الرزين .

وصار أبو عبيد يستنفر من يمر بهم من العرب ؛ فأجابه بشره كثير . ووصل المثنى إلى الحيرة ؛ وجاء بعده أبو عبيد بقليل .

وكان الفرس في ذلك العهد قد ولّوا عليهم أزرهم فميدخت ملكة ، واختارت هي رستم أحد عظماء الفرس ، قائداً عاماً للجنود الفارسية ؛ ودانت له الفرس حينما ورد أبو عبيد . وكان أول ما صنع رستم أن كتب إلى دهاقين^(١) السواد أن يشوروا بالمسلمين ، ودس في كل رستاق^(٢) رجلاً ليثور بأهله ؛ وكان ممن أرسله جابان ونرسي من القواد ، فأثاروا الناس من أعلى الفرات إلى أسفله ؛ واجتمع جند عظيم قام في النمارق^(٣) ، ونزل المثنى بخفان^(٤) ، ثم تلاحم الجيشان ، واقتتلوا اقتتالا شديداً ، ثم انهزمت الفرس وأسر جابان ، كما أسر قائد تحت إمرته يدعى مردان شاه ؛ فأما أسير مردان شاه فقتله ، وأما أسير جابان فقد خدعه جابان ؛ فقال له : إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمنني وأعطيك كذا وكذا ؟ قال : نعم . قال : فأدخلني على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه . ففعل وأجاز أبو عبيد أمانه . ولما علم بنو تميم أنه الرئيس قالوا لأبي عبيد : أقتله فإنه الأمير . قال : وإن كان الأمير ؛ أيؤمته صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله ؛ ما لزم بعض المسلمين فقد لزمهم كلهم !

وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفل ، وبعث بالأخماس إلى عمر .

(١) الدهقان : رئيس الإقليم ، ويطلق على زعيم فلاحى العجم .

(٢) الرستاق : مجموعة القرى . (٣) موضع كما تقدم .

(٤) خفان : مأسدة قرب الكوفة (القاموس) .

٢٢ - يوم السقاطية*

كانت كَسْكَر^(١) قطيعةً لِنَرْسِي ابنِ خالَةِ كَسْرِي ؛ وكان التَّرْسِيَان^(٢) له يَحْمِيهِ ؛ لا يَأْكُلُهُ سِوَاهُ ولا يَفْرِسُهُ غَيْرُ أَهْلِ كَسْكَر .

فلما انهزم الفرسُ يومَ النَّمَارِقِ قال رستمُ القائدُ لِنَرْسِي : اشْخَصْ إِلَى قَطِيْعَتِكَ فَاخْمِهَا مِنْ عَدُوِّكَ وَعَدُوْنَا ، وَكُنْ رَجُلًا .

فلما رأى أبو عُبيدِ القَالَةَ^(٣) متوجِّهين نحو نَرْسِي نَادَى بِالرَّحِيلِ ، وَقَالَ لِحِنْدِهِ : انْتَبِعُوهُمْ .

فلما رأى الفرسُ سَهْمِيَّ أَبِي عُبيدِ وَرِجَالِهِ وَجَّهُوا جَيْشًا لِيَمِينِ نَرْسِي ، عَلَى رَأْسِهِ الْجَالِنُوسُ ؛ وَلَكِنْ أَبَا عُبيدِ عَاجِلِ القَوْمِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ المَدَدُ ؛ وَكَانَ المَثْنَى عَلَى تَبِئْتِهِ المَاضِيَةِ ، وَالتَّقْوَا بالسَّقَاطِيَّةِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ انْهَزَمَتِ فَارِسُ ، وَهَرَبَ نَرْسِي ، وَغَلَبَ المَسْلُومُونَ عَلَى أَرْضِهِ وَتَمَرَّهُ وَعَسْكَرِهِ ، وَأَخْرَبَ^(٤) أَبُو عُبيدِ مَا كَانَ حَوْلَ مُعْكَرِهِمْ ، وَجَمَعَ الفَنَائِمَ ، فَرَأَى مِنَ الأَطْعَمَةِ شَيْئًا عَظِيمًا ، فَبَعَثَ فِيمَنْ يَلِيهِ مِنْ

* لأبن عبيد على نرسی و الجالنوس (الفرس) . سنة ١٣ . والسقاطية : ناحية بأرض كسكر قريبة من واسط .

تاريخ الطبري ٦٤/٤ ، معجم البلدان ٩١/٥ ، ابن الأثير ٢١٣/٢ ، ابن خلدون ٨٨/٢

(١) كسكر : كورة واسعة ، كانت قصبها خسرو سابور ، ثم سارت واسط قصبها .

(٢) الترسيان ضرب من التمر يكون أجوده ، واحدته ترسيانة وأهل العراق يضربون الزبد

بالترسيان مثلاً لا يستطاب . (٣) القالة : المهزومون . (٤) أخرب : مثل خرب بتشديد الراء .

العرب ، فانتقوا ماشاءوا ، وأخذت خزائن نرسي ، فلم يكونوا بشيء مما خُزِنَ
أفراح منهم بالترسيان .

فاقتسموه وجعلوا يُطعمونه الفلاحين ، وبمشوا بخُمسه إلى عمر ، وكتبوا إليه :
إن الله أطمعنا مطاعم كانت للأكسرة يحمونها ، وأحببنا أن تزوها ، لتذكروا
إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد بكسسكر ، وسرح الثننى وغيره من القواد ، يُغيرون على
النواحي ، ويفلون^(١) عصاب الجنود المتفرقة هناك ، ثم صالحه من خوف من بقي .
وجاء الدهاقين^(٢) إلى أبي عبيد بآنية فيها أطعمة فارس وقالوا : هذه كرامة
أكرمناك بها قرى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ قالوا :
لم يتيسر ، ونحن فاعلون . قال : لا حاجة لنا فيه ؛ بس المرء أبو عبيد إن صحب
قوماً من بلادهم أهرأقوا دماءهم دونه أو لم يُهريقوا ، فاستأثر عليهم بشيء يُصيبه !
لا والله لا نأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم . ولم يأكل من
طعام أتى به الدهاقين غداة ذلك اليوم حتى علم أنهم قرّبوا مثله لأصحابه .
ثم ارتحل أبو عبيد ، وقدم الثننى في تمبئته حتى قدم الحيرة واستقر بها .

(١) فل القوم : هزمهم .

(٢) الدهقان : زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم .

٣٣ - يوم قسّ الناطف*

رجع الجالندوس منهزماً ، ومعه جنوده في يوم السَّقَاطِيَّة ، فقال رُسْتَم : أَيْشَ
الدَّجَمِ أَشَدُّ عَلَى الْعَرَبِ فِيمَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : بَهْمَنُ جَاذَوِيهِ^(١) . فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ الْفَيْلَةُ ،
وَرَدَّ الْجَالَنْدُوسَ مَعَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدَّمَ الْجَالَنْدُوسُ ، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ .
وَسَارَ بَهْمَنُ مِنَ الْمَدَائِنِ يَتَقَصِدُ مُوَاجَهَةَ عَدُوِّهِ وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَعَهُ رَايَةٌ
كِسْرَى ، وَكَانَتْ مِنْ جُلُودِ النَّمْرِ ، عَرَضُ ثَمَانِيَةِ أَذْرَعٍ ، فِي طُولِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
ذِرَاعاً ، وَنَزَلَ بِقُسِّ النَّاطِفِ .

وأقبل أبو عبيد ، فنزل المروحة ، وعسكر بها ، وجعل الفرات بينه وبين
العدو ، فبعث إليه بهمن جاذويه : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَنَدْعُكُمْ وَالْعُبُورَ ، وَإِمَّا أَنْ
تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ .

فقال الناسُ : لَا تَعْبُرْ يَا أَبَا عُبَيْدٍ ، نَنْهَيْكَ عَنِ الْعُبُورِ ، فَخَلَفَ لِيَقْطَعَنَّ الْفِرَاتَ
إِلَيْهِمْ .

فناشده سُلَيْطُ بْنُ قَيْسٍ وَوَجُوهُ النَّاسِ ، وَقَالُوا : إِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَ جُنُودِ
فَارِسٍ مِذْكَانُوا ، وَإِنَّهُمْ قَدْ حَفَلُوا^(٢) لَنَا وَاسْتَقْبَلُونَا مِنَ الرَّهَاءِ^(٣) وَالْمُدَّةِ بِمَا لَمْ يَلْقَانَا

* للفرس (بهمن) على العرب (أبي عبيد) سنة ١٣ . وقس الناطف : موضع قريب من
الكوفة على شاطئ الفرات الشرق . ويسمى أيضاً يوم المروحة ، وهو موضع بشاطئ الفرات
الغربي . وقد يسمى يوم الجسر لما كان من قطعه وراء المسلمين .

الطبري ٦٧/٤ . ابن الأثير ٢١٤/٢ . ابن خلدون ٩٠/٢ معجم البلدان ٨٨/٧ . فتوح

البلدان ٢٥٢ .

(١) كان بهمن يلقب بنى الحاجب ، لأنه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينيه كبرا .

(٢) حفلوا ، أى اجتمعوا واحتشدوا .

(٣) يقال : قوم ذو زهاء ، أى عدد كثير .

به أخذت منهم ، وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجالاً وملجأً ومرجعاً ، من فرقة إلى كرتة .

فقال : لا أفعل ، جئنت والله يا سليط ! فقال سليط : أنا والله أجزأ منك نفساً ، وقد أشرنا عليك بالرأى فستعلم ! فلج أبو عبيد ، وترك الرأى ، وقال : لا يكونون أجزأ على الموت منا ؛ بل نعتبر إليهم .

وكانت زوج أبي عبيد رأت رؤياً : أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب منه أبو عبيد في أناس من أهله ، وأخبرت بذلك أبا عبيد ، فقال : هذه هي الشهادة ، وأوصى بمن يخلفه في الجيش إذا مات .

وأمر جنوده بالعبور ؛ فعبروا من المروحة - حيث تحصنوا - إلى قس الناطف - حيث أقام الفرس - وعبر سليط بن قيس في مقدمة العارين .

وكان جند المسلمين دون عشرة آلاف ، ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس وراء الجسر ، فلم يكن لهم فيه مرجع من فرقة إلى كرتة ، ولم يمهلهم بهن حين تم عبورهم أن أمر جنوده فحملوا عليهم ، وفي مقدمتهم الفيلة عليها الجلاجل ، ونظرت خيول المسلمين إلى هذه الفيلة ، وسمعت رنين جلاجلها فأنكرت ما رأت وما سمعت ، وفرت ، فلم يثبت منها إلا القليل على كرتة . ورشق الفرس المسلمين بالنبل فقتلوا منهم خلقاً كثيراً^(١) .

واشتد الأمر بالمسلمين ، فترجل أبو عبيد والناس ، ومشوا إلى الفرس وصاغوم بالسيوف ؛ فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم . فنأى

(١) الفاروق عمر ، للدكتور هيكل .

أبو عبيد : اَحْتَوَشُوا^(١) الْفَيْلَةَ ، واقطعوا بُطْنَهَا^(٢) ، واقلبئوا عنها أهلها .
وفعل القومُ ذلك ، فامتركوا فيلاً إلا حطوا رحله ، وقتلوا أصحابه .

ووثب هو على الفيل الأبيض ، فقطع بطأنه ، فوقع الذين عليه ، وضرب خرطومَه
بالسيف ، ولكنَّ الفيل تقدّم لأبي عبيد وضربه برجله ، فألقاه على الأرض ، ثم
وقف فوقه فأزهق رُوحه .

فلما بصر به الناسُ تحت الفيل خشعت أنفُسُ بعضهم ، ثم أخذ اللواء الذي
أمره بعمده ، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد ، فأخذه المسلمون فأحرزوه ، ثم
قتل الفيل ، وتتابع سبعة من ثقيف ، كلُّهم يأخذ اللواء ، ويقاتل حتى يموت ، ثم
أخذ اللواء الثنئى فهرب عنه الناس .

فلما رأى عبدُ الله بن مرثد الثقفي مالتقى أبو عبيد وخلفاؤه ؛ وما يصنع الناس ،
بادرهم إلى الجسر فقطعه ، وقال : يا أيها الناس ؛ مرتوا على ما مات عليه أمراؤكم
أو تظفروا ، وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر ، فتواثب بعضهم إلى الفرات ، ففرق
من لم يصير .

وخشي الثنئى أن تتمَّ الفوضى ، فوقف اللواء بيده يُنادى : يا أيها الناس ، إننا
دونكم فاعبروا على هينتكم^(٣) ، ولا تدهشوا ؛ فإننا لن نرايل حتى نراكم من
ذلك الجانب ، ولا تفرقوا أنفسكم .

فعبروا الجسر ، وعبدُ الله بن مرثد قائمٌ عليه يمنعُ الناس من العبور ،
فأخذوه وأتوا به الثنئى فضرَّبه ، وقال : ما حملك على الذى صنمت ؟ قال :
ليقاتلوا .

(١) قال في اللسان : يقال : احتوش القوم الصيد ، إذا نفره بعضهم على بعض .

(٢) البطن : جمع بطن : الحزام . (٣) على هينتكم : أى متمهلين .

وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالاً شديداً ، وأبو محجن الثقفي ، وقاتل أبو زيد الطائي ؛ حميةً للعربية - وكان نصرانياً قدم الحيرة لبعض أمره .

ونادى المشني : من عبر نجا . ثم أصاح الجسر ، فعب الناس ، ثم عبر بمن معه إلى المروحة وهو جريح ، ثم ارفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة ، وسار بعضهم في البوادي استحياءً من الهزيمة .

وبعث المشني بخبر الهزيمة إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، فلما انتهى إليه قال : ما عندك يا عبد الله ؟ فأخبره خبر الناس ، قالت عائشة - وقد سمعته يحدثُ عمر : ما سمعتُ برجل حضر أمراً فحدث عنه كان أثبتَ خبراً منه .

فلما قدم فلُّ الناس^(١) ورأى عمرُ جَزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفرارِ قال : لا تجزَعُوا يا معشرَ المسلمين ، أنا فئتكم ؛ إنما انجزتُم إلى .
ثم قال : اللهم كلِّ مسلم في حلِّ مني ، أنا فئة كلِّ مسلم ، من تقى العدو فقطع شيء من أمره فأنا له فئة ، يرحم الله أبا عبيد ! لو كان انحاز إلى لكنتُ له فئة .

وسمع معاذ القاري - وكان ممن شهد وفر - من يقرأ^(٢) : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُورُهُ إِلَّا مَتَّحِرًّا فَإِلْتِنَالٍ أَوْ مُتَّحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴾ ، فسكى ، فقال له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فئتك ، وإنما انجزت إلى .

(١) الفل من الناس : المنهزمون منهم .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٦ .

٣٤ - يوم البُوَيْبِ *

بعد أن بلغت المزيمةُ بالمسلمين مبلغها يوم قُسَّ النَّاطِفِ نَدَبُ (١) مُعَرِّمِ النَّاسِ
إلى المثنى بن حارثة ؛ وكان فيمن نَدَبُ (٢) جريرُ بن عبد الله في قومه من بجيلة ،
وعِصْمَةُ بن الحارث فيمن تَبِعَهُ مِنْ ضَبَّةَ ، وكتب إلى أهل الرِّدَّةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ ، ولم
يُؤَافِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَمَى بِهِ المثنى ؛ فتوَأَفَى إليه جَمْعٌ عَظِيمٌ .

وبلغ رستمَ وَالْفَيْرُزَانَ ما عليه المثنى ، وما يَنْتَظِرُ مِنَ المَدَدِ ، فجمعا جُنْدًا عَظِيمًا
جَمَلًا عَلَيْهِ القَائِدَ مِهْرَانَ الهَمْدَانِيَّ وَأَمْرَأَهُ أَنْ يُسْرِعَ السِيرَ لِلِقَاءِ هَؤُلَاءِ
الغزاةِ المسلمين .

وعرف المثنى مَسِيرَةَ هذا الجيش ، فَأَرْسَلَ إلى جرير وعِصْمَةَ وكلَّ من أتاه مُبَدِّئًا
له يُعَلِّمُهُم بِالخَبَرِ ، وَيُؤَاعِدُهُم البُوَيْبِ .

فانتَهَوْا إلى المثنى وهو بالبُوَيْبِ ، ومِهْرَانَ بإزائه مِنْ وراءِ الفراتِ ، وَقَدْ أَرْسَلَ

* للعرب (المثنى بن حارثة) على الفرس (مهران الهمداني) . سنة ١٣٣ . والبويب : نهر
بالعراق يأخذ من الفرات . وقد يسمى يوم مهران ، ويسمى يوم الأعشار ، لأن مائة رجل من
العرب قتل كل واحد منهم عشرة من الفرس .

الطبري ٤/٢١٠ ، ابن الأثير ٢/٢١٥ ، ابن خلدون ٢/٩٠ ، معجم البلدان ٢/٣١٠ ، فتوح
البلدان ٢٥٣ .

(١) هذه رواية ابن الأثير وقال البلاذري : مكث عمر بن الخطاب سنة لا يذكر العراق لمصاب
أبي عبيد وسليط ، وكان المثنى مقيمًا بأليس يدعو العرب للجهاد . ثم إن عمر ندب الناس إلى العراق
فجعلوا يتصامونه ويتناقلون عنه ، حتى هم أن يغزوا بنفسه ، وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو
الشام فدعاهم إلى العراق ، ورغبهم في غنائم آل كسرى ، فردوا الاختيار إليه ، فأمرهم بالشخصوس .
(٢) قال البلاذري : وقدم جرير بن عبد الله في بجيلة ، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى
وقوه ربع ماغلبوا عليه ، فأجابته عمر إلى ذلك .

إلى المثني : إما أن تعبرَ إلينا، وإما أن نعبرَ إليك ؛ فقال المثني : اعبروا ؛ فعبره
مهران، ونزل مع جُنْدِه على شاطئ الفرات .

وعبى المثني أصحابه ، وكان في رمضان ، فقام خطيباً وقال : إنكم صوام ؛
والصومُ مرقةٌ ومضممةٌ ، وإنى أرى من الرأي أن تُفطروا ، فتَمَووا بالطعام على
عدوكم . قالوا : نعم ، وأفطروا .

وأبصر المثني رجلاً يَسْتَوْفِرُ وَيَسْتَنْتِلُ^(١) من الصف ، فقال : ما بالُ هذا ؟
قالوا : هو يمن فرّ يوم الزحف يوم الجسر^(٢) ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه
بالرمح وقال : لا أبالك ! الزم موقفك ؛ فإذا أتاك قرنك فأغنيه عن صاحبك ،
ولا تستقتل ، فقال : إني بذلك لجدير ، واستقر ولزم الصف .

وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف ، مع كل صف فيل ، ورجلهم أمام فيلتهم .
وأخذ المثني يطوف في صفوفه ، ويمهد إليهم بعمده ، وهو على فرسه الشمس ،
ووقف على الرايات راية راية ؛ يحضضهم ويأمرهم بأمره ، ويهزهم بأحسن
ما فيهم ، تحضضا لهم ، ولكلٍ منهم يقول : إني لأرجو ألا تُوتى العرب اليوم
من قبلكم ، والله ما يسرتني اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسر لعامتكم . فيجيبونه
بمثل ذلك .

وأنصفهم المثني في القول والفعل ، وخلط الناس في المكروه والمحبوب ،
فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً .

ثم قال : إني مكبرٌ ثلاثاً ، فتهيئوا ، ثم احموا مع الرابعة .

فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم ، فغالطوهم مع أول

(١) استوفز . تهيأ للوثوب . استنتل : تقدم .

(٢) انظر يوم قس الناطف : ص ٢٣٠ .

تكبيرة ، واختلَّت لِشِدَّةِ الفُرْسِ بَعْضُ صُفُوفِ المُسْلِمِينَ ؛ فَأرْسَلَ إِلَيْهِمُ المِثْنَى مَنْ يَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ الأَمِيرَ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : لَا تَفْضَحُوا المُسْلِمِينَ اليَوْمَ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، وَاعْتَدَلُوا .

ولما طال القتالُ واشتدَّ عَمِدَ المِثْنَى إِلَى أنَسِ بْنِ هلالِ النَّمْرِيِّ ؛ فقال : يَا أنَسُ ، إِنَّكَ امرؤُ عَرَبِيٌّ^(١) ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى دِينِنَا ، فَإِذَا رَأَيْتَنِي جَمَلْتُ عَلَى مِهْرَانَ فَاحْمِلْ مَعِيَ . وَحَمَلَ المِثْنَى عَلَى مِهْرَانَ ، فَأزَالَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مَيْمَنَتِهِ ؛ ثُمَّ خالطوهم ، وَاجْتَمَعَ القُلُوبَانِ ، وَارْتَفَعَ العُبَارُ ، وَالمُجَنَّبَاتُ تَقْتَتِلُ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْرُعُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ لَا المُشْرِكُونَ وَلَا المُسْلِمُونَ ، وَارْتَثَ^(٢) مَسْعُودُ أَخُو المِثْنَى يَوْمئِذٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ أَعْيَانِ المُسْلِمِينَ .

ولما أُصِيبَ مَسْعُودُ بْنُ حارِثَةَ تَضَعُضِعَ مِنْ مَعِهِ ، فقال : يَا مَعاشِرَ بَكْرٍ ؛ ارْفَعُوا رَأْيَتَكُمْ رَفَعَكُمْ اللهُ ؛ وَلَا يَهْوُلَنَّكُمْ مَصْرَعِي . وَكانَ المِثْنَى قالَ لَهُمْ : إِذَا رَأَيْتُمُونَا أُصِيبْنَا فَلَا تَدْعُوا ما أَنْتُمْ فِيهِ ؛ الزُّمُوا مِصافِّكُمْ ، وَأَغْنُوا عَمَّنْ يَلِيكُمْ .

وَأوجَعَ قَلْبُ المُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ المُشْرِكِينَ ، وَقَتَلَ غلامٌ نَصْرانِيٌّ مِنْ تَغْلِبِ مِهْرَانَ ، وَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ؛ وَأَخَذَتِ المُجَنَّبَاتُ يَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ؛ وَالمُسْلِمُونَ فِي القَلْبِ يَدْعُونَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ ، وَالمِثْنَى يَقُولُ : أَنْصُرُوا اللهُ يَنْصُرْكُمْ ، حَتَّى انْهَزَمَ الفُرْسُ وَفَرُّوا .

فَسابَقَهُمُ المِثْنَى إِلَى الجِسرِ فَسَبَقَهُمْ ، وَأَخَذَ طَرِيقَهُمْ ، فَافْتَرَقُوا بِشاطِئِ الفُرَاتِ مِصْعِدِينَ وَمِصْوَبِينَ ، وَاعْتَوَرَتَهُمْ خِيُولُ المُسْلِمِينَ حَتَّى قَتَلُوهُمْ وَجَمَلُوهُمْ جُمُئًا ، فَكانَتْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالفُرْسِ وَقْعَةٌ أَبْقَى رِمةً مِنْها .

(١) كان أنس بن هلال من نصارى النمر ، قدم في جمع عظيم من قومه وهم على النصرانية وقالوا

نقاتل مع قومنا .

(٢) ارتث : أصبح جريحاً مشاركاً للهلاك .

ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بَعدِ الفراغ ، يحدِّثُهُمْ ويحدثونه ، وكلما جاء رجل فتحدّث قال له : أَخْبِرْنِي عنك . فقال له قُرط بن سَجَّاح : قتلتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحةَ المسك ، فقلت : « مِهْرَان » ، ورجوتُ أن يكون إِيَّاه ، فإذا هو صَاحِبُ الخليل « شهر بزار » ، فوالله ما رأيتهُ - إذ لم يَكُنْ مِهْرَان - شيئاً .

فقال المثنى : قد قاتلتُ العربَ والمعجمَ في الجاهلية والإسلام ، والله لَمِائَةٌ من المعجمَ في الجاهلية كانوا أشدَّ علىَّ من ألفٍ من العرب ، ولَمِائَةٌ اليومَ من العرب أشدُّ علىَّ من ألفٍ من المعجم ؛ إنَّ اللهَ أذهب قوَّتَهُم وأوهن كَيْدَهُم ؛ فلا يروعنكم زُهَاءُ^(١) تَرَوْنَهُ ، ولا سَوَاد ، ولا قَيْسِي^(٢) نُفُجٌ ، ولا نِبَالٌ طَوَالٌ ؛ فإنهم إذا أُعْجِلُوا عنها ، أو فقدوها كانوا كالبهائم ، أيها وجهتموها اتَّجَهَتْ .

وقال رِبْعِي^(٣) : لَمَّا رَأَيْتُ رِكُودَ الحَرْبِ واحتدامها قلت : تَتَرَسُّوا بِالْمِجَانِ^(٤) فإنهم شادُّون عليكم ؛ فاصبروا لِشِدَّتَيْنِ ، وأنا زَعِيمٌ لَكُمْ بِالظَّفْرِ في الثالثة ؛ فأجابوني والله ، فَوَقَى اللهُ كَفَّالِي .

وقال عَرَفْجَةُ : حُزْنَا كَتِيبَةً مِنْهُمْ إلى الفُرَاتِ ، ورجوتُ أن يكونَ اللهُ تَعَالَى قد أذِنَ في غَرَقِهِمْ ، وسَلَّى عَنَّا بِهَا مُصِيبَةَ الجِسْرِ ؛ فلما دخلوا في حَدِّ الإِحْرَاجِ كَرُّوا عَلَيْنَا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً ، حتى قال بعضُ قَوْمِي : لو أَخَّرْتَ رَأْيَتَكَ افقتلت : علىَّ إِقْدَامُهَا ، وحماتُ بِهَا على حَامِيَتِهِمْ فقتلتُهُ ، فوَكَّلُوا نَحْوَ الفُرَاتِ ، فما بلغه أحدٌ مِنْهُمْ فِيهِ الرُّوحَ .

(١) عدد كثير . (٢) قوس نجاء : بان وترها عن كبدها .

(٣) هو رِبْعِي بن عامر بن خالد التيمي . (٤) تترس . تستر بالترس . والمجن : الترس ،

وجمه مجان .

ثم عاد المثنى فقال - وقد ندم - على أخذه بالجسر : لقد عجزت عجزاً وثق الله شرها بمسابقتي إيهم إلى الجسر ، وقطعه حتى أخرجتهم ، فإني غير عائد ؛ فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس ؛ فإنها كانت منى زلة ؛ لا ينبغي إخراج أحدٍ إلا من لا يقوى على امتناع .

ومات أناسٌ من الجرحي من أعلام المسلمين ؛ منهم خالد بن هلال ومسعود ابن حارثة ، فصلّى عليهم المثنى وقال : والله كئيبون علىّ وجدي أن شهدوا البؤيب ؛ أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكأوا .

وأصاب المسلمون غمّاً ودقيقاً وبقراً ؛ فبعثوا به إلى عمّال من قدم من المدينة ؛ وفي هذه الواقعة يقول الأعور المثنى : (١)

هاجت لأعور دار الحى أحزاناً	واستبدلت بعد عبدي القيس همداً (٢)
وقد أراناً بها والشمل مجتمغ	إذ بالنخيلة قتلى جند مهرا (٣)
أزمان سار المثنى بالخيول لهم	فقتل القوم من فرس وجيلاناً
سمّاً لأجناد مهرا وشيعته	حتى أبادهم مثنى ووحداناً
ما إن رأينا أميراً بالعراق مضى	مثل المثنى الذى من آل شيباناً
إن المثنى الأمير القرم لا كذب	في الحرب أشجع من ليث بخفاناً (٤)

(١) الطبرى : ٣ - ٤٧١ . (٢) فى الطبرى : « خفاناً » .

(٣) النخيلة : موضع على سمت الشام فى العراق .

(٤) خفان : مأسدة مشهورة قرب الكوفة .

٣٥ — القادسية *

قال أهل فارس لرُستم والفيروزان ؛ وهما على أهل فارس : أين يُذهبُ بكما ! لم يَبْرَحْ بكما الاختلافُ حتى أَوْهَنْتُمَا أَهْلَ فِارِسُ وَأَطْمَعْتُمَا فِيهِمْ عَدُوَّهُمْ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ خَطَرِكُمَا أَنْ تَفْرَقَا فِارِسَ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَأَنْ تُعْرِضَاهَا لِلْهَلَكَةِ ^(١) ؛ وَاللَّهُ لَتَجْتَمِعَانِ أَوْ لَتَبْدَأَنَّ بِكُمَا قَبْلَ أَنْ يَشْمَتَ بِنَا شَامِتٍ .

فقال الفيروزان ورستم لبوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساء كبرى وسرارية ^(٢) ونساء آل كسرى وسراريهم ؛ ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهما . فأرسلنا في طلبهن ، فلم يبقَ منهن امرأةٌ إلا أتوا بها ، فأخذوهن بالرجال ، ووضعوا عليهن العذاب ؛ يستدأونهن على ذكري من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهن منهم أحد ؛ إلا غلام يُدعى يزديجرد من ولد شهریار بن كسرى ؛ وأمه من أهل بادوريا ^(٣) ؛ فأرسلوا إليها ودلّتهم عليه ؛ فجاءوا به فلّكوه ؛ وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنّت فارس ؛ وتبارى الرؤساء في طاعته ومعاونته .

بلغ المثنى بن حارثة ذلك ؛ فكتب به إلى عمر ، ولم يصل الكتابُ إلى عمر حتى كَفَرَ أَهْلُ السَّوَادِ ^(٤) ؛ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ ، وَخَرَجَ الْمُثَنَّى عَلَى حَامِيَتِهِ حَتَّى نَزَلَ بِبَدِيِّ قَارٍ ^(٥) .

* الطبرى ٨١/٤ ، ومعجم البلدان ٦/٧ . كان سنة ١٤ . والقادسية : موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا .

(١) الهلكة : الهلاك . (٢) سرارى : جمع سرية : الأمة التى بوأتها بيتا . (٣) بادوريا : بلد قريب من بغداد . (٤) السواد : البلاد التى افتتحها المسلمون من العراق ، سميت بذلك لسوادها بالزروع والنخيل والأشجار . (٥) ذوفار : ماء لبكر بن وائل ، قريب من الكوفة .

ثم جاءهم كتابُ عُمرَ ، وفيه : أما بعد ؛ فأخِرَ جِوا من بين ظَهْرِي^(١) الأعاجم ، وتفرَّقُوا في المِياهِ التي تَلِي الأَعمامَ على حُدُودِ أَرْضِكُمْ وأَرْضِهِمْ ؛ ولا تَدْعُوا في رَيْبَةٍ أَحَدًا ولا مُضَرَّ ، ولا حِلْفائِهِمْ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَاتِ ولا فِارِسًا إِلا اجْتَنَبْتُمُوهُ ؛ فَإِنْ جَاءَ طَائِمًا وَإِلَّا حَشَرْتُمُوهُ ، احمِلُوا العَرَبَ على الجِدِّ إِذا جَدَّ العِجم ، فَلتَلَقُوا جِدَّهُمْ بِجِدِّكُمْ .

فكان القومُ في أمَواهِ^(٢) العراق ؛ من أولها إلى آخرها مَسالِح^(٣) ؛ بعضهم ينظر إلى بعض ، ويُغيثُ بعضهم بعضًا إن كانَ كَوْنٌ ، وذلك في ذِي القَعْدَةِ من السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

وفي ذِي الحِجَّةِ من السنة نفسها كتبَ عُمرُ إلى عمَّالِ العَرَبِ على الكُورِ^(٤) والقبائل : لا تَدْعُوا أَحَدًا لَه سِلاحٌ أو فَرَسٌ أو نَجْدَةٌ أو رَأْيٌ إِلا انْتَحَبْتُمُوهُ ، ثم وَجَّهْتُمُوهُ إلى ، وَالعَجَلِ العَجَلِ !

فمضتِ الرُّسُلُ إلى مَنْ أرسَلَهُمْ إليه ، مُخْرَجَةً إلى الحجِّ ؛ ووافاه من القبائل مَنْ كانتَ طَرِقها على مَكَّةَ والمدينةِ في مَكَّةَ ، فأما مَنْ كانَ من أَهلِ المدينةِ على النِّصْفِ ما بينه وبين العِراقِ فوافاه بالمدينةِ مَرَّجَعَهُ من الحجِّ ؛ وأما من كانوا أسْفَلَ من ذلك فانضمُّوا إلى المُتَنَبِّئِ . وَمَنْ وَاقَفُوا عُمرَ أَخْبَرُوهُ عَمَّن وراءَهُم بِالْحَثِّ .

وفي أوَّلِ يَومٍ من المحرمِ من السنة الرابعة عشرة خرجَ عُمرُ حتى نزلَ على ماءٍ يُدعى صِراراً^(٥) ، فمَسَكَرَ به ولا يَدْرِي الناسُ ما يُريدُ : أَيَسِيرُ أم يُقيمُ ؟ وكانوا إِذا أَرادوا أَنْ يَسأَلُوهُ عن شيءٍ رَمَوْهُ بِعُثمَانَ بنِ عفَّانَ ، أو بعبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ ،

(١) ظهري الأعاجم : وسطهم . (٢) أمواه : جمع ماء .

(٣) المسالِح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو سلاح . (٤) الكور : جمع كورة ، وهي

الصقع . (٥) صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، على طريق العراق .

وكانوا إذالم يقدرُ هذان على عِلْمٍ شيءٍ مما يُريدون ثلثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر : ما الذى تُريد ؟ فنادى : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ .

فلما اجتمع الناسُ سألهم رأيتهم فيمن يسيرُ على رأس الجيش إلى العراق ، فقال العامة : سيرٌ وسيرٌ بنا معك . فدخل معهم في رأيهم ، وكرِه أن يدعهم إلا أن يخرُجوا من هذا الرأى فى رِفْق ؛ فقال : استعدُّوا وأعدُّوا ؛ فإنى سائرٌ إلا أن يجيء رأيتُ هو أمثلُ^(١) من ذلك .

ثم جمع أهلَ الرأى ، فاجتمع إليه وجوهُ أصحابِ النبى صلى الله عليه وسلم وأعلامُ العرب ، فقال أخضرُونى الرأى ؛ فإنى حائرٌ ، فأجمعَ مَلوكُهُم^(٢) على أن يبعثَ عُمَرُ رجلاً من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ويقيمُ هو بالمدينة ، ويرميه بالجنود ، فإن كان الذى يشتبهى من الفتح ، فهو الذى يُريدُ ويريدون ، وإلا أعاد رجلاً وندبَ جنُداً آخرَ ، وفى ذلك ما يَنبِطُ العدوَّ ويشدُّ أزرَ المسلمين ، حتَّى يجيءَ نصرُ الله .

فنادى عُمَرُ مرَّةً ثانيةً : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ! فاجتمع الناسُ إليه ، وأرسل إلى علىّ كرم الله وجهه - وكان قد استخلفه على المدينة - فأناه ، وإلى طلحة - وقد بعثه علىّ المقدمة - فرجع إليه .

وقام فى الناس فقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جمع على الإسلام أهله ، فألفَ بين القلوب ، وجعلهم فيه إخواناً ؛ وكذلك يحقُّ على المسلمين أن يَكُونُوا وأمرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأى منهم ، فالناسُ تبعُ لِمَن قام بهذا الأمر ؛ ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناسَ وكانوا فيه تبعاً لهم ،

(١) أمثل : أفضل . (٢) اللأ : الأشراف .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَكْتُ كَرَجُلٍ مِنْكُمْ ، حَتَّى صَرََفَنِي ذَوُو الرَّأْيِ مِنْكُمْ عَنِ
الْخُرُوجِ ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أُقِيمَ وَأَبْعَثَ رَجُلًا ، وَقَدْ أَحْضَرْتَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَدِّمَتْ
وَمِنْ خَلَّفَتْ (١) .

فَكَانَ طُلْحَةَ مِمَّنْ تَابَعَ النَّاسَ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِمَّنْ تَبَّاهُ . قَالَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا فِدَيْتُ أَحَدًا بِأَبِي وَأُمِّي بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ
وَلَا بَعْدَهُ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبِي وَأُمِّي ! أَرَأَيْتُمْ وَإِنَّمَا جَنَدًا ؛ فَقَدْ رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ لَكَ فِي
جُنُودِكَ قَبْلُ وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ إِنْ يُهْزَمَ جَيْشُكَ لَيْسَ كَهَزِيمَتِكَ ؛ وَإِنَّكَ إِنْ تُقْتَلُ أَوْ
تُهْزَمَ فِي أَنْفِ (٢) الْأَمْرِ خَشِيتُ أَلَّا يُكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَلَّا يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ أَبَدًا .

فَقَالَ عُمَرُ : فَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَامِلًا لِعُمَرَ عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ ، وَكَانَ فِيهِمْ كِتَابٌ
إِلَيْهِ عُمَرُ بِانْتِخَابِ ذَوِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ؛ مِنْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ أَوْ فَرَسٌ ؛ فَيَجَاءُ كِتَابُهُ :
إِنِّي قَدْ انْتَخَبْتُ لَكَ أَلْفَ فَارِسٍ ، كُلُّهُمْ لَهُ نَجْدَةٌ وَرَأْيٌ ، وَصَاحِبُ
حَيْطَةٍ ؛ يَحُوطُ حَرِيمَ قَوْمِهِ ، وَيَمْنَعُ ذِمَارَهُمْ (٣) ؛ إِلَيْهِمْ انْتَهتْ أَحْسَابُهُمْ ،
فَشَأْنُكَ بِهِمْ .

وَوَافَقَ كِتَابَهُ مَشُورَتَهُمْ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَجَدْتُهُ ؛ قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
الْأَسَدُ فِي بَرَائِنِهِ ؛ سَعْدُ (٤) . وَمَالَأَهُ أُولُو الرَّأْيِ .

فَانْتَهَى عُمَرُ إِلَى رَأْيِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ ؛ فَقَدِّمْ عَلَيْهِ ، وَأَمْرُهُ عَلَى حَرْبِ

(١) يريد عليا وطلحة . . (٢) أنف الأمر : أول الأمر .

(٣) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته . (٤) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وهب وهو

الذي ذكره بعد باسم سعد بن وهيب .

العراق ، وأوصاه فقال : يا سَعْدُ ، سَعْدَ بَنِي وَهَّيْبٍ ، لَا يُغْرَنَّاكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُقِيلَ : خَالُ^(١) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئُ بِالسَّيِّئِ ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ؛ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيْعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَاقِبَةِ ؛ وَيُدْرِكُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَالْزَمَهُ فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ؛ هَذِهِ عِظَتِي بِإِيَّاكَ ، إِنْ تَرَكَتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ^(٢) وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

ولما أراد أن يُسَرِّحَهُ دَعَاهُ فَقَالَ : إِنِّي وَلِيَّتُكَ حَرْبَ الْعِرَاقِ ، فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي ، فَإِنَّكَ تُقَدِّمُ عَلَى أَمْرٍ كَرِيهٍ شَدِيدٍ ، لَا يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَعُوذُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرُ ، وَاسْتَفْتِحْ بِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عَتَادًا ، فَعَتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لِكَ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ وَفِي اجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ يُبْغِضُ الدُّنْيَا وَحُبَّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السَّرُّ وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ ، فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدَهُ وَذَامُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السَّرُّ فَيُعْرَفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمُحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّجَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مَحَبَّةَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغَّضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مِنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

ثم قال عمر : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيساً

(١) كان سعد من بني زهرة أخوال النبي ، وكان من أسبق قريش إلى الإسلام .

(٢) حبط عمله : بطل نوابه .

ولا ذار رأيي ولا ذا شرفي ولا ذا سُلطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم
بوجوه الناس وغرّهم .

وفصل سمعته عن المدينة في أربعة آلاف ، ثلاثة مئتين قدم عليه من اليمن والسراة
وألف من سائر الناس . وشيئهم عمر من صرار إلى الأعوص^(١) ، ثم قام في
الناس خطيباً ، فقال : إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول
ليُحيي بها القلوب ؛ فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يُحييها الله ، من علم شيئاً
فلينتفع به . وإن للمعدل أمارات وتبشير ؛ فأما الأمارات فالحياء والسخاء
والهين واللين ، وأما التبشير فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر
لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد . والاعتبار ذكر الموت
يتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ؛ والزهد أخذ الحق من كل
أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ؛ ولا تصانع في ذلك أحداً ،
واكتف بما يكفي من الكفاف ؛ فإن من لم يكفه الكفاف لم يغبه شيء ؛
إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ؛ وإن الله قد أزمى دفع الداء عنه ،
فأهوا شكاتكم إليفا ، فمن لم يستطع فإلى من يبلغنا ، تأخذ له الحق غير
منقوص ..

وأمر سعداً بالسير ، وقال : إذا انتهيت إلى زرود^(٢) فانزل بها ؛ وتفردوا
فيما حولك منهم ، وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والمدّة .

ثم أمد عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمانى وألفي نجدى من غطفان
وسائر قيس .

(١) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٢) زرود : ماء على طريق الحاج إلى الكوفة .

وقدم سعدٌ زَرُودٌ في أول الشتاء فنزلها؛ وتفرقت الجنودُ فيما حولها من أمواه^(١) بنى تميم وأسَدَ ، وانتظر اجتماعَ الناسِ وأمرَ عمرَ ، وانتخبَ من بنى تميم والرباب أربعة آلاف ، وانتخب من بنى أسَدَ ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حدِّ أرضهم بين الحزن والبسيطة^(٢) ؛ فأقاموا هناك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة ؛ وكان مع المثنى ثمانية آلاف من ربيعة ؛ ممن بقى بعد فصول^(٣) خالد وممن بقي يومَ الجسر ، وكان مع المثنى ألفان من اليمن . . .

وبينما الناس كذلك : سعد يرجو أن يقدم المثنى ؛ والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد مات المثنى من جرأته يوم الجسر .

ثم نزل سعد بشراف^(٤) ، ركبت إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس ، فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فمشر^(٥) الناس وعرف عليهم ، وأمر على أجنادهم ، وعبهم ، وأمر رؤساء المسلمين فليشهدوا ، وقدّرهم وهم شهود ، ثم وجههم إلى أصحابهم ، وواعدتهم القادسية ، واضمم إليك المغيرة بن شعبة في خيله ، واكتب إلى بالذي يستقرُّ عليه أمرهم .

فبعث سعدٌ إلى المغيرة فانضمَّ إليه ؛ وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، وقدّر الناس وعبّاهم ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرف الرُفَاء^(٦) ؛ فعرف على كلِّ عشرة رجالاً ممن له وسائل في الإسلام ، وأمر على الرايات رجالاً من أهل السابقة ؛ وولى الحروب رجالاً ؛ فولى على مُقدّماتها ومُجَنَّبَاتِهَا وساقِهَا^(٧) وطلّامِهَا ورجلِهَا

(١) أمواه : جمع ماء .

(٢) يطلق الحزن على مواضع كثيرة ، أشهرها حزن بنى يربوع . والبسيطة : موضع بين الكوفة وحزن بنى يربوع .

(٣) فصول : خروج .

(٤) شراف : ماء بنجد . (٥) عشرت الشيء عشيراً : كان تسعة فزدت واحداً حتى تم عشرة .

(٦) الريف : رئيس القوم ، وجمعه عرفاء . (٧) ساقه الجيش : مؤخره .

ورُكبانها ؛ ولم يفصل إلا على تميمية ؛ ولم يخرج من شراف إلا بكتاب عمر وإذنه .

فأما أمراء التميمية فاستعمل زهرة بن عبد الله على المقدمات ، وزهرة كان ملك هجر في الجاهلية ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقدمه . واستعمل على اليمنة عبد الله بن المعتم ، وكان من أصحاب رسول الله . واستعمل على المسيرة شريحيل ابن السمط السكندى ، وكان غلاماً شاباً ؛ أبلى في حرب الردة ، وجعل عاصم بن عمرو على الساقة ، وسواد بن مالك على الطلائع ، وعلى الرجل حمال بن مالك الأسدى ، وعلى الرُكبان عبد الله بن ذى اليهمين الخثعمي ؛ فكان أمراء التميمية يُلون الأمير ، وأمراء الأعشار يُلون أمراء التميمية ، وأصحاب الرايات يُلون أمراء الأعشار ، والقواد رءوس القبائل يُلون أصحاب الرايات . وكان على القضاء عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، وجعل إليه قسمة الفء ، وجعل داعيتهم ورأئدهم سلمان الفارسي ؛ والترجان هلال الهجري ؛ والكاتب زياد بن أبي سفيان .

فلما فرغ سعد من تميميته ، وأعد لكل شئ عدته كتب بذلك إلى عمر ؛ وقبل رجوع الكتاب من عمر قدم المعنى بن حارثة وسلمى بنت خصة التيمية إلى سعد بوصية المعنى بن حارثة ورأيه ؛ فذكر رأيه لسعد ؛ ألا يقاتل عدوه من أهل فارس إذا استجمع أمرهم في عقر دارهم ، وأن يُقاتلهم على حدود أرضهم ، على أدنى حَجَرٍ من أرض العرب ، وأذنى مدرّة^(١) في أرض العجم ، فإن يُظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن يكن الأخرى فاهوا إلى فئة^(٢) ، ثم يكونون أعلم بسيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

(١) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدته مدرة . والعرب تسمى القرية مدرة .

(٢) الفئة : الطائفة من الناس .

فلما انتهى إلى سَمَدِ رَأَى الْمُشَنَّى ووصيتهُ ترحمٌ عليه كثيراً ، وأمرُ المُتَنَّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطبَ سَلَمَى فنزَّوجها وبنى بها .
ثم قدم على سَمَدٍ وهو بشرافٍ كتابُ عمرٍ بعثل رَأَى الْمُشَنَّى ، إذ قال : أما بعد ، فإِسْرَ مِنْ شَرَّافٍ نحو فارسٍ يَمُنُّ معك من المسلمين ، وتوَكَّلْ على الله ، واستمعنْ به على أمرِك كله ؛ واعلمْ فيما لديك أَنَّكَ تَقْدَمُ على أُمَّةٍ عَدَدُهُمْ كثير ، وَعُدَّتُهُمْ فَاضِلَةٌ (١) وبأسئهِمْ شديد ؛ وعلى بلادٍ مَنِيحٍ وإِن كان سهلاً ، كَثُودٌ (٢) لِبُحُورِهِ وفِيُوضِهِ ودَادِيهِ (٣) ، إلا أَن تُوَافِقُوا غَيْضًا مِنْ فَيْضٍ (٤) ؛ وإذا لَقَيْتُمُ القَوْمَ أو أَحَدًا مِنْهُم فابذوهم الشَّدَّةَ والضَّرْبَ ، وإياكم والمناظرةَ لِمُجْمَعِهِمْ ، ولا يَخْدَعُكُمْ ، فإنهم خَدَعَةُ مَكْرَةٍ ، أمرُهُمْ غيرُ أمرِكُمْ ، إلا أن تُجَادُوهُمْ ؛ وإذا انتهيتَ إلى القادِسيَّةِ . والقادِسيَّةُ بابُ فارسٍ في الجاهلية ، وهي أجمعُ تلك الأبوابِ لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأَصْلِ (٥) ؛ وهو منزلٌ رَغِيْبٌ (٦) خَصِيْبٌ ، دونه قناطرٌ وأمهارةٌ مُتَمَنِّعَةٌ ، فتكون مسالحك على أنقَابِهَا (٧) ، ويكون الناس بين الحجرِ والمدَرِ على حافاتِ الحجرِ وحافاتِ المدَرِ ؛ ثُمَّ الزَّمْ مكانك ، فلا تبرحْه ؛ فإذا أَحْسَوكَ أَنْفَضْتَهُمْ (٨) رَمَوْكَ بِجَمْعِهِم الذي يأتي على خَيْلِهِم ورجلِهِم وحَدِّمٍ وجدِّمٍ ، فإن أنتم صَبَرْتُمْ لِمَدْوِّكُمْ ، واحتسبْتُمْ لِقِتَالِهِ ، ونوَيْتُمُ الأمانةَ رجوتُ أن تُنصُرُوا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ؛ إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبُهُمْ ، وإن تَكُنْ الأخرى كان الحجرُ في أذبارِكُمْ ، فانصرفتم مِنْ أَدْنَى مَدْرَةٍ

(١) فاضلة : زائدة . (٢) عقبه كثود وكأداء : صعبة .

(٣) الدأدى : جمع دأداء ؛ وهو الفضاء وما اتسع من القلاع والأودية .

(٤) غاض الماء غيضاً : قل ، وفاض فيضاً : كثر ، والمعنى : قليلاً من كثير .

(٥) الأصل والأصول : جمع أصل . (٦) رغيب : يرغب فيه ، أو واسع .

(٧) أنقاب : جمع نقب : الطريق بين الجبلين ، يريد طرقها .

(٨) أنفضتهم : حركتهم وأثارتهم .

من أرضهم إلى أذني حَجَرٍ من أرضكم ؛ ثم كننتم عليها أجراً ، وبها أعلم ؛ وكانوا عنها أجبن ، وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرامة .

وكتب إليه باليوم الذي يرتحل فيه من شَراف . فسار سَعْدٌ على تَعْيِيته ، والكتبُ بينه وبين عمرَ متواصلة .

ثم جاءه من عمرَ كتابٌ آخر قال فيه : أما بَعْدُ فتعاهدُ قلبك ، وحادثُ جُنْدَكَ بالموعظة والنية الحسنة . والصبرَ الصبرَ ؛ فإنّ المعونة تأتي من الله على قدرِ النية ، والأجر على قدرِ الحسنة ، والحذرَ الحذرَ على مَنْ أنت عليه ، وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثرُوا من قول لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ؛ واكتب إلى : أبنِ بلدك جمعهم ، ومن رأسهم الذي يلي مُصادمتكم ؛ فإنه منعمى من بعض ما أردتُ الكتابَ به قلةُ علمي بما هجمتهم عليه ، والذي استقرت عليه أمرُ عدوكم ، فصيفُ لنا منازلَ المسلمين ، والبلدَ الذي بينكم وبين المدائن - صفةً كداني أنظرُ إليها ؛ واجعلني من أمركم على الجليية^(١) ، وخفِ الله وارجه ؛ ولا تُدِلّ بشيء . واعلم أن الله قد وعدكم ، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلفَ له ، فاحذرُ أن تصرفه عنك ، ويستبدل بكم غيركم .

فكتب إليه سَعْدٌ بصفةِ البُلدان : القادسية بين الخندق والعتيق ، وأن ما عن يسارِ القادسية بحرٌ أخضرٌ في جوفِ لَاح^(٢) إلى الحيرة بين طريقين ؛ فأما أحدهما فملى الظهر ، وأما الآخر فملى شاطئ نهرٍ يدعى الحوض^(٣) ، يطلعُ بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وأن ما عن يمين القادسية إلى الوجبة فيض من

(١) الجليية : الخبر اليقين .

(٢) الجوف : المطنن من الأرض ، ومكان لَاح : ضيق .

(٣) الحوض : نهر كان بين القادسية والحيرة .

فِيُوضِ مِيَاهِهِمْ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ صَالَحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي إِلْبُ^(١) لِأَهْلِ فَارِسَ ، قَدْ خَفَوْا لَهُمْ وَاسْتَعَدُّوا لَنَا ، فَهَمُّ يَحَاوِلُونَ إِنْغَاضَنَا^(٢) وَإِفْحَامَنَا ، وَنَحْنُ نَحَاوِلُ إِنْغَاضَهُمْ وَإِبْرَازَهُمْ ، وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدُ مَاضٍ ، وَقَضَاؤُهُ مُسْلِمٌ إِلَى مَا قَدَّرَ لَنَا وَعَايِنَا ، فَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَافِيَةٍ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : « قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ ، فَأَقِمُّ بِمَكَانِكَ حَتَّى يُنْفِضَ اللَّهُ لَكَ عَدُوَّكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا مَا بَعْدَهَا ، فَإِنَّ مِنْحَكَ اللَّهُ أَدْبَارَهُمْ فَلَا تَنْزِعْ^(٣) عَنْهُمْ حَتَّى تَقْتَحِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ ، فَإِنَّهُ خِرَابُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »
وَجَعَلَ عُمَرُ يَدْعُو لِسَعْدِ خَاصَّةً ، وَيَدْعُو مَعَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً .

ثُمَّ عَادَ عُمَرُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ : « إِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ فِي رُوعِي^(٤) أَنَّكُمْ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ وَهَزَمْتُمُوهُمْ فَاطَّرِحُوا الشَّكَّ ، وَآثَرُوا التَّقِيَّةَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ لَاعِبَ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَجْمِ بِأَمَانٍ ، أَوْ قَرَفَهُ^(٥) بِإِشَارَةٍ أَوْ بِلِسَانٍ ، فَكَانَ لَا يَدْرِي الْأَعْجَمِيُّ مَا كَلِمَةٌ بِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ أَمَانًا ، فَأَجْرُوا ذَلِكَ لَهُ مَجْرَى الْأَمَانِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالضَّحِيكَ . وَالْوَفَاءُ الْوَفَاءُ ! فَإِنَّ الْخَطَأَ بِالْقَدْرِ الْهَلَكَةَ ، وَفِيهَا وَهْنُكُمْ ، وَقُوَّةُ عَدُوِّكُمْ ، وَذَهَابُ رِيحِكُمْ^(٦) ، وَإِقْبَالُ رِيحِهِمْ . وَاعْلَمُوا أَنِّي أَحَدُّكُمْ أَنْ تَكُونُوا شَيْدًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَسَبِيًّا لِتَوْهِينِهِمْ . »

وَأَقَامَ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ شَهْرًا ، ثُمَّ كُتِبَ إِلَى عُمَرَ : لَمْ يُوجَّهْ الْقَوْمُ إِلَيْنَا أَحَدًا ، وَلَمْ يُسْنِدُوا إِلَى أَحَدٍ قِيَادَةَ جَيْشٍ لِمَحَارِبَتِنَا ، وَمَتَى يَبْلُغُنَا ذَلِكَ نَكْتُبُ بِهِ ، وَاسْتَنْصَرَ اللَّهُ ، فَإِنَّا بِمَنْجَاةٍ^(٧) دُنْيَا عَرِيضَةً ، دُونَهَا بَأْسٌ شَدِيدٌ ، قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْنَا فِي الدَّعَاءِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾^(٨) .

(١) هم ألب عليه بفتح الهزرة وكسرهما : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة

(٢) إنغاضنا : إهاجتنا . (٣) تنزع : تكف . (٤) الروع : القلب . (٥) قرفه : داناه

(٦) ريحكم : قوتكم . (٧) بمنجاة : بناحية . (٨) سورة الفتح ١٦ .

(١٦ - أيام العرب في الإسلام)

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو ، فسار حتى أتى ميسان^(١) ، فطلب غنماً أو بقرأ ، فلم يقدر عليها وأوغت في الآجام ، وأوغل خلفهم حتى أصاب رجلاً على أجمه ، فسأله واستدله على البقر والغنم ، فحلف له ، وقال : لأعلم ؛ وإذا هو راعي ما في تلك الأجمه . فدخل واستاق الثيران ، وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياما . وحسب الناس أن ذلك آية تبشير يستدل بها على رضا الله ونصره .

ثم إن سعداً بعث عيوناً إلى أهل الحيرة ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه بالخبر ، بأن الملك قد ولى رستم حربته ، وأمره بالمسكرة ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يسكرُ بَنَكُ^(٢) ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستمن بالله ، وتوكل عليه ، وبعث إليه رجلاً من أهل المنظرة^(٣) والرأي والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً^(٤) عليهم ، واكتب إلى في كل يوم .

ولما جاء سعداً أمر عمر جمع نفر عليهم نجار^(٥) ولهم آراء ، ونفرا لهم منظرة ، وعليهم مهابة ولهم آراء ، فأما الذين عليهم نجار ولهم آراء واجتهاد فالنعمان بن مقرن ، وبسر بن أبي رهم ، وحملة بن جوية السكناني ، وحنظلة بن الربيع التيمي ، وفورات ابن حيان العجلي ، وعدي بن سهيل ، والمغيرة بن زرارة .

وأما من لهم منظر لأجسامهم ، وعليهم مهابة ولهم آراء ، فطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والحارث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معد يكرب ،

(١) ميسان : بين واسط والبصرة .

(٢) كربة الغنم : اشتد به . (٣) منظرة الرجل : إذا نظرت إليه فأعجبك .

(٤) فلجا : أي نصرا . (٥) النجار : شكل الإنسان وهيئته .

والغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة . ثم بعثهم دعاة إلى الملك ، وأنفذهم إليه بالمدائن .

فلما دخلوا عليه أمر التَّرجان بينه وبينهم ، فقال : سلِّمُ ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أم من أجل أننا أجمناكم^(١) ، وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا !

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شئتم أحببتُ عنكم ، ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلامُ هذا الرجل كلامنا . فتسكلم النعمان بن مقرن فقال :

إن الله رحيمنا ؛ فأرسل إلينا رسولا يدُّ لنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويمرِّفنا الشرَّ وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خيرَ الدنيا والآخرة ، فلم يدعُ إلى ذلك قبيلة إلا صارت فرقتين : فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ؛ ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص . فكث بذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ^(٢) إلى من خالفه من العرب ، وأن يبدأ بهم . فدخلوا معه جميعا على وجهين : مكره عليه فاعتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فمرقنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه ؛ من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يليقنا من الأمم ، فندعُوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ؛ وهو دينٌ حسنٌ الحسَن ، وقبَّح القبيح كله ، فإن أبيتُم فأمرُّ من الشرِّ ، هو أهون من آخر قسريٍّ منه الجزاء^(٣) ؛ فإن أبيتُم فالناجزة^(٤) ؛ فإن أحببتم إلى ديننا خَلَّفنا فيكم كتابَ الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكُموا بأحكامه

(١) أجمناكم ، أى أرحناكم وانصرفنا عنكم ، من أجم الماء إذا تركه يجمتج .
(٢) ينبذ إليهم : يكاشفهم بالأمر ويقاتلهم . (٣) الجزاء بالكسر : جمع جزية .
(٤) المناجزة : القتال .

وَنَرْجِعْ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ قَبَلْنَا وَمَنَعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ .

فَقَالَ يَزِيدُ جَرْدٌ : إِنْ لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّةً كَانَتْ أَشَقَى وَلَا أَقَلَّ عِدْدًا ، وَلَا أَسْوَأَ ذَاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ ، قَدْ كُنَّا نُوَكِّلُ بِكُمْ قُرَى الضَّوَّاحِي فَيَكْفُونَا غَارَاتِكُمْ ، لَا تَنْزُوكُمْ فَارِسَ ، وَلَا تَطْمَعُونَ أَنْ تَقُومُوا لَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ غُرُورًا لِحِقِّكُمْ ، فَلَا يَفِرَّكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كَانَ الْجَهْدُ^(١) دَعَاكُمْ فَرَضْنَا لَكُمْ قُوَّةً إِلَى خِصْيِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ وَكَسَوْنَاكُمْ ، وَمَلَّكْنَا عَايِكُمْ مَنَّا كَمَا يَرْفُقُ بِكُمْ . فَاسْكَبَتِ الْقَوْمُ .

ثم قام الغيرة بن زُرارة فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ هُوَ لَا رُؤُوسُ الْعَرَبِ وَوَجُوهَهُمْ ، وَهَمَّ أَشْرَافٌ يَسْتَحْيُونَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيُعَظِّمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ الْأَشْرَافُ ، وَيُفَخِّمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ؛ وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مَا تَسَكَّمَتْ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ بِعَثَلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، فَجَاوِبْنِي لِأَنْ أَكُونَ الَّذِي أَبْلُغُكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِهَا .

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يُشْبِهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِيسَ وَالْجَمَلَانَ^(٢) ، وَالْمَقَارِبَ وَالْحِيَّاتَ ، فَزَيَّيْنَا ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَأَمَّا هِيَ ظَهَرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ إِلَّا مَا عَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْقَنَمِ ، دِينُنَا^(٣) أَنْ يَقْتَلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيْدًا فَمِنْ ابْنَتِهِ وَهِيَ حَيَّةٌ ؛ كَرَاهِيَةٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ،

(١) الجهد : المشقة ، وهو يريد الحاجة والفقير والجوع .

(٢) الجملان : جمع جمل بفتح الجيم ، وهو دابة سوداء من دواب الأرض .

(٣) أى شأتنا .

ونعرف وَجْهَهُ وَمَوْلَدَهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرٌ أَرْضِنَا ، وَحَسْبُهُ خَيْرٌ أَحْسَابِنَا ، وَيُؤْتُهُ أَعْظَمُ
بِيوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرٌ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، أَصَدَقْنَا
وَأَحْلَمْنَا . فَبَدَعَا إِلَى أَمْرِ ، فَلَمْ يُجِبْ أَحَدُهُمْ غَيْرُ تَرْبٍ (١) كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةَ مِنْ
بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَّبْنَا ، وَزَادَ وَنَقَصْنَا ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا كَانَ ، فَقَدَفَ
اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصْدِيقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ ، فَصَارَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا قَالَ لَنَا فَهُوَ
قَوْلُ اللَّهِ ، وَمَا أَمَرْنَا فَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ ، فَقَالَ لَنَا : إِنَّ رَبِّكُمْ يَقُولُ : إني أنا الله وَخَدِي
لَا شَرِيكَ لِي ، كُنْتُ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي ؛ وَأَنَا خَلَقْتُ
كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَإِلَى يَصِيرُ كُلُّ شَيْءٍ ؛ وَإِنَّ رَحْمَتِي أَدْرَكَكُمْ ، فَبِعِثْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلَ
لَأَدُلَّكُمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي بِهَا أَنْجِيَكُمْ بِمَدِّ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِي ، وَلَا حِلَّكُمْ دَارِي دَارِ
السَّلَامِ ، فَتَشْهَدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنَ عِنْدِ الْحَقِّ ، وَقَالَ : مَنْ تَابَ بِكُمْ عَلَى هَذَا
فَلَهُ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَأَعْرِضُوا عَلَيْهِ الْجُزْيَةَ ، ثُمَّ امْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ
مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَقَاتِلُوهُ ؛ فَأَنَا الْحَكْمُ بَيْنَكُمْ ، فَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ أَدْخَلْتُهُ
جَنَّتِي ؛ وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَعَقَبْتُهُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُ . فَاخْتَرَهُ إِنْ
شِئْتَ الْجُزْيَةَ عَنْ يَدِي وَأَنْتَ صَاغِرٌ (٢) وَإِنْ شِئْتَ فَالسَّيْفَ ، أَوْ تُسَلِّمَ
فَتَنْجِي نَفْسَكَ .

فَقَالَ يَزْدَجَرْدُ : أَنْتَ تَقْبِلُنِي بِمِثْلِ هَذَا ! لَوْلَا أَنَّ الرَّسُلَ لَا تَقْتُلُ لَقَتَلْتَكُمْ ، لِأَشْيَاءَ
لَكُمْ عِنْدِي .

ثُمَّ قَالَ يَزْدَجَرْدُ : ائْتُونِي بِوَقْرٍ (٣) مِنْ تُرَابٍ ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ ، ثُمَّ

(١) هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ .

(٢) وَأَنْتَ صَاغِرٌ ، أَيُّ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ رَاغِبٌ بِالضَّمِّ .

(٣) الْوَقْرُ : الْحَمْلُ الثَّقِيلُ .

سُوقوه حتى يخرج من باب المدائن . وقال : ارجعوا إلى صاحبكم ، فأعلموه أني مرسلٌ إليكم رستم ، حتى يدفعيه ويُدْفِيَكُمْ^(١) في خَنْدَقِ القادسية ، وينكَلَّ به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم ؛ حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدَّ مما نالكم من سابور .

ثم قال : مَنْ أشرفكم ؟ فسكتَ القومُ ، ثم قال عاصم - وافتتات^(٢) ليأخذَ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيِّدُ هؤلاء ، فحَمَّانِيه . فقال : أكذآك هو ؟ قالوا : نعم فحَمَلَهُ على مُنْقَه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته ، فحمله عليها ، ثم انجذب^(٣) في السَّير ، حتى دخل وصحبته على سَعد ، وأخبروه الخبر ، فقال : أبشروا ، فقد أعطانا اللهُ أقاليدَ ملكهم^(٤) .

وأخذ المسلمون يزدادون في كل يوم قوة ، ويزداد عدوُّهم في كل يوم وَهْنًا^(٥) .

واشتدَّ ما صنع المسلمون وصنع الملك على جلساء الملك ، وراح رُسْتَمُ من ساباط^(٦) يسألهُ عما كان من أمره وأمرهم ، وكيف رآهم . فقال الملك : ما كنتُ أرى أن في العرب مثلَ رجالٍ رأيتهم دخلوا علىَّ وما أنتم بأعقل منهم ، ولا بأحسنَ جواباً منهم . وأخبره بكلامٍ مُتَكَلِّمهم .

وقال : لقد صدقني القومُ ، لقد وعدَ القومُ أمراً ليُدْرِكُنَّه ، أو ليموتنَّ عليه . على أني قد وجدتُ أفضلهم أحقَّهم ؛ فقد ذكروا الجزية فأعطيته تراباً فحمله على

(١) يدفعه : يجهز عليه .

(٢) افتتات : ادعى . (٣) الانجذاب : سرعة السير .

(٤) مفاتيح . (٥) وهنا ، أى ضعفا .

(٦) ساباط : بلد ببلاد المعجم .

رَأْسِهِ ، نَخْرَجُ بِهِ ، وَلَوْ شَاءَ اتَّقَى بِغَيْرِهِ ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ .
فَقَالَ رُسْتَمٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ لَا عَقْلَ لَهُمْ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَفْتَسِدَ الْقَوْمَ بِنَفْسِهِ . فَتَطَيَّرَ
بِذَلِكَ ، وَأَبْصَرَهَا دُونَ أَصْحَابِهِ .

وَخَرَجَ رُسْتَمٌ مِنْ عِنْدِهِ كَثِيبًا غَضَبَانًا - وَكَانَ مُنْجِمًا كَاهِنًا - فَبَعَثَ فِي أَثَرِ الْوَفْدِ ،
وَقَالَ لِذِقَّتَيْهِ : إِنْ أَدْرَكْتُمْ الرَّسُولَ تَلَافَيْنَا أَرْضَنَا ، وَإِنْ أَعْجَزُوهُ سَبَبَكُمُ اللَّهُ
أَرْضَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ .

فَرَجَعَ الرَّسُولُ مِنَ الْحَيْرَةِ بِفَوَاتِهِمْ ، فَقَالَ : ذَهَبَ الْقَوْمُ بِأَرْضِكُمْ غَيْرَ
ذِي شَاكٍ .

وَمَا بَيْنَ ذَهَابِ الْوَفْدِ إِلَى يَزْدَجْرَدَ وَعَوْدَتِهِ كَانَ الْعَرَبُ يُغَيِّرُونَ عَلَى مَنْ دَانَاهُمْ
مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ ، وَفَزِعَ أَهْلُ السَّوَادِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى
يَزْدَجْرَدَ : إِنْ الْعَرَبُ قَدْ نَزَلُوا الْقَادِسِيَّةَ بِأَمْرٍ لَيْسَ يُشْبِهُهُ إِلَّا الْحَرْبُ ، وَإِنْ فَعَلْتُمْ لَا يَبْقَى
عَلَيْ شَيْءٍ ، وَقَدْ أَخْرَبُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَرَاتِ ، وَلَيْسَ فِيهَا هُنَالِكَ أَنْيْسٌ إِلَّا فِي الْحِصُونِ ،
وَقَدْ ذَهَبَتِ الدَّوَابُّ وَكُلَّ شَيْءٌ لَمْ تَحْتَمِلْهُ الْحِصُونُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ
يَسْتَنْزِلُونَا ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنَّا الْغِيَاثُ (١) أَعْطَيْنَاهُمْ بِأَيْدِينَا .

فَدَعَا يَزْدَجْرَدَ رُسْتَمًا ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : إِنْ أُرِيدَ أَنْ أَوْجِّهَكَ فِي هَذَا الْوَجْهِ ،
وَإِنَّمَا يُعَدُّ لِلْأُمُورِ مَنْ كَانَ عَلَى قَدَرِهَا ، وَأَنْتَ رَجُلٌ أَهْلُ فَارِسِ الْيَوْمِ ، وَقَدْ تَرَى
مَا جَاءَ أَهْلَ فَارِسٍ مِنْ أَمْرٍ لَمْ يَأْتِهِمْ مِثْلُهُ مِنْذُ وَلِي آلِ أَرْدَشِيرِ ، وَأَرَاهُ أَنْ قَدْ قَبِلَ مِنْهُ ،
وَأُنْتِنِي عَلَيْهِ .

(١) الْغِيَاثُ : الْعَوْنُ وَالنَّجْدَةُ .

فقال له الملك : أَحِبُّ أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا لَدَيْكَ لِأَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ ، فَصِفْ لِي الْعَرَبَ وَفَعَلْتَهُمْ
مِنْذُ نَزَلُوا الْقَادِسِيَّةَ ، وَصِفْ لِي الْعَجْمَ وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ .

فقال رُسْتَمُ : صِفَةُ ذِيَابٍ صَادَفَتْ غِرَّةً مِنْ رِعَاءٍ فَأُفْسِدَتْ .

قال : ليس كذلك ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ رَجَاءً أَنْ تُعَرِّبَ لِي عَنْ صِفَتِهِمْ ، فَأَقْوَيْكَ لِتَعْمَلَ
عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ فَلَمْ تُصِيبْ ، فَأَفْهَمَ عَنِّي . إِنَّمَا مَثَلُهُمْ وَمِثْلُ أَهْلِ فَارِسٍ كَمِثْلِ عُقَابِ
أَوْقَى^(١) عَلَى جَبَلٍ يَأْوِي إِلَيْهِ الطَّيْرُ بِاللَّيْلِ ، فَتَبَيَّتُ فِي سَفْحِهِ فِي أَوْكَارِهَا ، فَلَمَّا
أَصْبَحَتْ تَجَلَّتْ الطَّيْرُ فَأَبْصَرَتْهُ يَرُقُبُهَا ، فَإِنْ شَدَّ شَيْءٌ اخْتَطَفَهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ الطَّيْرُ
لَمْ تَنْهَضْ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَجَعَلَتْ كُلَّمَا شَدَّ مِنْهَا طَائِرٌ اخْتَطَفَهُ ، فَلَوْ نَهَضَتْ نَهَضَةً
وَاحِدَةً رَدَّتْهُ ، وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ أَنْ تَنْجُوَ كُلِّهَا إِلَّا وَاحِدًا ، وَإِنْ
اخْتَلَفَتْ لَمْ تَنْهَضْ فِرْقَةً إِلَّا هَلَكَتْ ، فَهَذَا مَثَلُهُمْ وَمِثْلُ الْأَعْجَمِ ، فَأَعْمَلْ عَلَى
قَدْرِ ذَلِكَ .

وَفَصَّلَ رُسْتَمُ بَعْدَ تَلَبُّثِ^(٢) وَتَرَدُّدِ ، وَسَارَ مِنَ الْمَسَدَائِنِ حَتَّى بَلَغَ سَابِاطَ ، وَفِيهَا
جَمَعَ آلَةَ الْحَرْبِ وَأَدَاتَهَا ، وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ الْجَالِنُوسَ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، وَاسْتَعْمَلَ
عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْهَرْمُزَانَ ، وَعَلَى مَيْسَرَّتِهِ مِهْرَانَ بْنَ بَهْرَامَ ، وَعَلَى سَاقَتِهِ
الْبَيْرِزَانَ ؛ ثُمَّ أَمَرَ الْجَالِنُوسَ أَنْ يُصِيبَ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَأَصَابَ رَجُلًا
دُونَ قَنْطَرَةَ الْقَادِسِيَّةِ ، فَاخْتَطَفَهُ ؛ وَنَفَرَ الْعَرَبُ خَلْفَهُ وَلَكِنْ أَحَدًا
لَمْ يُدْرِكْهُ .

وَأَدْخَلَ الرَّجُلَ عَلَى رُسْتَمِ فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ وَمَاذَا تَطْلُبُونَ ؟ قَالَ : جِئْنَا

(١) أَوْقَى : أَشْرَفُ . (٢) تَلَبُّثٌ : تَبَاطُؤٌ .

نطلب مَوْعِدَ اللَّهِ ، قال : وما هو ؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودمائكم إن أبيتم أن تُسَلِّمُوا .

قال رستم : فإن قُتِلْتُمْ قبل ذلك ؟ قال : في موعود الله أن من قُتِلَ مِنَّا قَبْلَ ذلك أَدْخَلَهُ الجنة ، وأنجزَ لمن بقى مِنَّا ما قُتِلَ لك ، فنحنُ على يقين . فقال رستم : قد وُضِعْنَا إِذَا فِي أَيْدِيكُمْ ، قال : وَيَحْكُ يَارِستَم ! إن أعمالكم قد وَضَعْتُمْ ، فأَسَلَمَكُم اللهُ بها ، فلا يفرِّتُكَ ما ترى حَوْلَكَ ؛ فإنك لست تُحاولِ الإنس ، وإنما تحاولِ القضاةَ والقَدَرَ . فاستشاط غضباً ، وأمر به فُضِرَتِ عُنُقُهُ .

ثم خرج رستم حتى نزل بَبْرَس^(١) ، فنصب أصحابه الناس وفَجَرُوا ، وشربوا الخمر ، فضجَّ المُلُوج^(٢) إلى رُستَم وشكوا إليه ما يَلْتَقُونَ في أموالهم وأبنائهم ، فقام فيهم فقال : يا ممشراً أهلِ فارس ، والله لقد صدقَ العربيُّ ، والله ما أسَلَمْنَا إلا أعمالنا ، والله للهَرَبُ أحسنُ سيرةً مِنكُمْ ، إن الله كان ينصركم على العدو ، ويُكِنُّ لَكُمْ في البلادِ بحُسنِ السيرةِ وكَفِّ الظلمِ ، والوفاء باليهود والإحسان ، فأما إذ تحوَّلتُم عن ذلك إلى هذه الأعمالِ ، فلا أدري اللهُ إلا مُغَيَّراً ما بكم ، وما أنا بِأَمِنٍ أن ينزع اللهُ سُلْطَانَهُ مِنكُمْ .

وبعث الرِّجالَ فلَقَطُوا له بمضٍ من يُشْكِي ، فأَتَى بنفَرٍ فُضِرَ أعناقهم . ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل ، حتى انتهى إلى الحيرة ، ودعا أهلها وقال لهم : يا أعداء الله ! فرحتم بدخولِ العربِ علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال . فاتَّقَوْهُ بِابْنِ بَقِيلَةَ ، وقالوا له : كُنْ أنتَ الذي تُكَلِّمُهُ فتقدَّم ، فقال : ما أنتَ وقولك : إنا فرحنا بحجيتهم ، فإذا فعلوا ؟ وبأى ذلك من

(١) برس : موضع بأرض بابل . (٢) الملوج : كبار العجم .

أمرهم نَفَرَح ! إنهم ليزعمون أننا عبيدٌ لهم ، وما هم على ديننا ، وإنهم ليشهدون علينا أننا من أهل النار . وأما قولك : إنا كنا عيوناً لهم ، فما الذى يُخَوِّجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخذلوا لهم القرى ! فليس يَمْنَعُهُم أحدٌ من وَجْهِ أَرادوه ، إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً ! وأما قولك : إنا قويناهم بالأموال ؛ فإننا صانَعناهم بالأموال عن أَنفُسِنَا ، إذ لم تمنعونا مخافة أن نُسَبَى ، وأن نُحْرَبَ وتقتل مقاتلتنا ، وقد عجز عنهم مَنْ لَقِيَهُمْ منكم ، فكنا نحن أَعْجَز . ولعمري لأنتم أحبُّ إلينا منهم ، وأحسنُ عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم نَكُنْ لَكُمْ أَعْوَاناً ، فإنما نحن بمنزلة غُلُوجِ السَّوَادِ ؛ عبيد من غلب . فقال رستم : صدقكم الرَّجُل .

* * *

ومكث رستم أربعة أشهر لا يُقَدِّمُ ولا يَقَاتِلُ رَجَاءً أن يَضْجَرُوا بِمَكَانِهِمْ وأن يُجْهَدُوا فينصرفوا ، وكره قتالهم مخافة أن يلقى ملقى من قبله ، وطاولهم لولا أن الملك جعل يستعجله . ثم نزل النجف (١) .

وعرف عمرُ بن الخطاب أن القوم سيُطاولونهم ، فمهد إلى سمد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم ، فبعث سمد عاصم بن عمرو وجابرا الأسدي وغيرهما من رؤوس القوم للإغارة ، فأغاروا ، وأتوا سمداً بالفتح والغنائم والسلامة .

ثم سار رستم حتى نزل نهر العتيق ، وسأيرَه حتى بلغ خَفَّان (٢) ، ثم طلع موضعاً يُشْرِفُ منه على المسلمين ، فراسل زُهْرَةَ بن الحَوَيرة ، فخرج إليه حتى واقفه

(١) النجف : موضع قريب من الكوفة . (٢) خفان : مأسدة قرب القادسية .

فأراده على أن يُصَالِحَهُمْ ، ويجعل له جُعْلًا على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقولُ فيما يقول : أنتم جيراننا ، وقد كانت طائفةً منكم في سُلْطَانِنَا ، فكنا نحسِنُ جِوَارَهُمْ ، ونكفُّ الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، ونحفظهم في أهل باديتهم ، فنرعيهم صراعينَا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ، وقد كان لهم بذلك معاش ؛ قال له ذلك يُعْرِضُ بالصُّلْحِ ولا يُصَرِّحُ .

فقال له زُهْرَةَ : صدقتَ ؛ قد كان ما تذكُر ، وليس أمرنا أمرًا أولئك ، ولا طَلَبْتُنَا طَلِبَتَهُمْ ، إِنَّا لَمْ نَأْتِكُمْ لطلب الدنيا ، إِنَّمَا طَلَبْتُنَا وَهَمَّتْنَا الآخِرَةَ ، كُنَّا كَمَا ذَكَرْتَ ، يَدِينُ لَكُمْ مَنْ وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنَّا ، وَيَضْرَعُ إِلَيْكُمْ يَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِيكُمْ ، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولًا ، فدعانا إلى رَبِّهِ فَأَجَبْنَاهُ ، فقال لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إني قد سَأَلْتُ هَذِهِ الطائفةَ على مَنْ لَمْ يَدِينْ بديني ، فَأَنَا مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْهُمْ ، وَأَجْعَلُ لَهُمُ الْعَلْبَةَ مَا دَامُوا مُقَرَّبِينَ بِهِ ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ لَا يَرْغَبُ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ ، وَلَا يَمْتَصِمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَزَّ .

فقال له رُسْتَمٌ : وما هو ؟ قال : أَمَا عَمُودُهُ الَّذِي لَا يَصْلِحُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ فَشَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى ، قال : مَا أَحْسَنَ هَذَا ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا ؟ قال : وَإِخْرَاجُ الْعِبَادِ مِنَ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، قال : حَسَنٌ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا ؟ قال : وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَحَوَّاءَ إِخْوَةٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، قال : مَا أَحْسَنَ هَذَا !

ثم قال له رستم : أرأيتَ لو أنِّي رَضِيتُ بِهَذَا الأَمْرِ وَأَجَبْتُكُمْ إِلَيْهِ وَمَعِيَ قَوْمِي كَيْفَ يَكُونُ أَمْرُكُمْ ؟ أترجمون ؟ قال : إني والله ! لا تقربُ بلادكم أبدًا

إلا في تجارة أو حاجة ، قال : صدقتني والله ؛ أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : نعدوا وطورهم وعادوا أشراً فيهم .

فقال له زهرة : نحن خيرُ الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة ، ولا يضرنا من عصي الله فينا ، وانصرف عنه .
ودعا رستم رجال فارس ، فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا ، فقال :
أبمدكم الله وأسحقكم ! أخزى الله أحرعنا وأجبننا !

وبدا السعد أن يرسل إلى الغيرة بن شعبة ، وبسر بن أبي رهم ، وعبر فجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ، وربيع بن عامر ، وقرافة بن زاهر التيمي ، ومدعور ابن عدي العجلي ، والمضارب بن يزيد العجلي ، ومعبد بن مرة العجلي .
فلما أحضروا لديه قال لهم : إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم ، فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به ، وننتهي إليه ، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء ، نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس ، فكلمناهم به .

فقال سعد : هذا فعل الحزيمة^(١) ، اذهبوا فتهيئوا . فقال ربيع بن عامر :
إن الأعاجم لهم آراء وآراب ، ومتى تأتيتهم جميعاً يروا أننا احتفلنا بهم ، فلا تزدهم على رجل ؛ فالتشوه جميعاً على ذلك ؛ فقال : فسرحوني ، فأمر سعد أن يسرح .

وخرج ربيع ليدخل على رستم عسكره ، فاحتبس الذين على القنطرة ، وأخير رستم بمجيئه ، فاستشار عطاء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنبأه أم نتهاون ؟

(١) الحزيمة : جم حازم .

فَأَجْمَعُ مَلَوُهُمْ عَلَى التَّهَاوُنِ . فَأَظْهَرُوا الزُّبْرَجَ ^(١) ، وَبَسَطُوا البُسْطَ وَالنَّمَارِقَ ^(٢) ، وَلَمْ يَتْرَكُوا شَيْئًا ، وَوَضِعَ لِرِسْتِمِ سَرِيرُ الذَّهَبِ ، وَأَلْبَسَ زَيْنَتَهُ مِنَ الْأَنْمَاطِ وَالْوَسَائِدِ الْمَسْجُوجَةِ مِنَ الذَّهَبِ . وَأَقْبَلَ رِيْمَى يَسِيرًا عَلَى فَرَسٍ لَهُ قَصِيرَةٌ ، وَمَعَهُ سَيْفٌ لَهُ مَشُوفٌ ^(٣) ، وَغَمْدُهُ لِقَافَةٌ تَوْبٍ خَلَقَ ، وَرَمَحُهُ مَعْلُوبٌ ^(٤) بِقَدِّ . مَعَهُ حَجَفَةٌ ^(٥) مِنْ جِلْدِ البَقَرِ ، عَلَى وَجْهِهَا أُدِيمٌ أَحْمَرٌ مِثْلَ الرِّغِيْفِ ، وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنَبْلُهُ .

فَلَمَّا غَشِيَ الْمَلِكُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ ، وَإِلَى أَدْنَى البُسْطِ قِيلَ لَهُ : انزِلْ ، فَخَلَمَهَا عَلَى البَسَاطِ ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ عَلَيْهِ نَزَلَ عَنْهَا ، وَرَبَطَهَا بِوَسَادَتَيْنِ ، فَشَقَّهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ الْجَبَلَ فِيهِمَا ، فَلَمْ يَسْتَطِعُوا أَنْ يَنْهَوْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَوْهُ التَّهَاوُنَ ، وَعَرَفَ مَا أَرَادُوا ، فَأَرَادَ اسْتِخْرَاجَهُمْ ، وَعَلَيْهِ ذَرْعٌ لَهُ كَأَنَّهَا إِضَاءَةٌ ^(٦) وَيَلْمَقُهُ ^(٧) عِبَاءَةٌ بِمِيرَةٍ ، قَدْ جَاءَتْهَا ^(٨) وَتَدَرَّعَهَا ، وَشَدَّهَا عَلَى وَسْطِهِ بِسَلْبٍ ^(٩) ، وَقَدْ شَدَّ رَأْسَهُ بِمِجْرَةٍ ^(١٠) ، وَكَانَ أَكْثَرَ الْعَرَبِ شَعْرَةً ، وَلرَأْسِهِ أَرْبَعُ ضَفَائِرَ . قَدْ قُئِمْنَ قِيَامًا كَأَنَّهُنَّ قُرُونُ الوَعِيلَةِ . فَقَالُوا : ضَعْ سِلَاحَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِيكُمْ فَأَضَعُ سِلَاحِي بِأَمْرِكُمْ ، أَنْتُمْ دَعَوْتُمُونِي ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ أَنْ آتِيَكُمْ كَمَا أُرِيدُ رَجَعْتُ .

فَأَخْبَرُوا رِسْتِمَ ، فَقَالَ : انذَرُوا لَهُ ، هَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ! فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رَمْحِهِ وَزُجَّةٍ ^(١١) نَصَلٌ ، يُقَارِبُ الخَطْوُ ، وَيَزُجُّ ^(١٢) النَّمَارِقَ وَالبُسْطَ ، فَاتْرَكَ لَهُمْ نَمْرُقَةً وَلَا بَسَاطًا إِلَّا أَفْسَدَهُ ، وَتَرَكَ مُنْتَهَكَ مَمْرُقًا .

(١) الزبرج : الزينة من وشى أو جواهر . (٢) النمارق : جمع نمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة .

(٣) سيف مشوف : مجلوع . (٤) يقال : علب الرمح على البناء للمجهول ، إذا حزم مقبضه .

(٥) الحجفة : الترس من الجلد . (٦) الإضاءة : الغدير .

(٧) اليلق : القباء . (٨) في اللسان : جبت القميم : قورت جيبه .

(٩) السلب : ليف المقل . (١٠) المعجر : ما ينسج من الليف ، شبه الجوالق .

(١١) الزج : الحديدية أسفل الرمح . (١٢) يزج : يدفع بالزج .

فلما دنا من رُستَم تعلق به الحراس ، وجلس على الأرض ، ورَكَر رحمة بالبسط
فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه .

فكلمه فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ
من عبادة العباد إلى عبادة الله ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ
إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنُدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ مِنَّا
قَبَلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ ، وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَتَرَكَنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا ، وَمَنْ أَبِي قَاتَلْنَا أَبَدًا
حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ . قال : وما موعودُ الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال
مَنْ أَبِي ، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ .

فقال رُستَم : قد سمعتُ مقاتلتكم ؛ فهل لكم أن تُؤخِّرُوا هذا الأمرَ حتى
ننظر فيه وتنظروا ! قال : نعم ، كم أحبُّ إليكم ؟ أيوماً أم يومين ؟ قال : لا ، بل
حتى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤْسَاءَ قَوْمِنَا ، فَقَالَ : إِنَّ مِمَّا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَمِلَ بِهِ أَعْتَنَّا ، إِلَّا نَعْمَكُنَّ الْأَعْدَاءَ مِنْ آذَانِنَا ، وَلَا نُوَجِّهَهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ ، فَنَحْنُ مُتَرَدِّدُونَ عَنْكُمْ ثَلَاثًا ، فَانظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ ، وَاخْتَرْ
وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ : اخْتَرِ الْإِسْلَامَ وَنَدَّعِكَ وَأَرْضَكَ ، أَوْ الْجِزَاءَ (١)
فَنَقْبَلُ نَكْفًا عَنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْ نَصْرِنَا غَنِيًّا تَرَكَنَاكَ مِنْهُ ، وَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهِ
مُحْتَاجًا مَنَعْنَاكَ ، أَوْ الْمُنَابَذَةَ (٢) فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، وَلَسْنَا نَبْدُوكَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ
الرَّابِعِ إِلَّا أَنْ تَبْدَأَنَا ، أَنَا كَفَيْلٌ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِي ، وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ تَرَى .
قال : أسيديم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يُجْبِرُ
أَدْنَاهُمْ عَلَى أَعْلَاهُمْ .

(١) الجزاء : جمع جزية . (٢) المنابذة : المكاشفة .

نخلص رستم إلى رؤساء فارس فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قطُّ أوضح من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله ؛ أتدين إلى شيء من هذا ، وتدعُ دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : وَيَحْكُمُ ! لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة ، إن العرب تستخفُّ باللباس والمأكل ، ويصنونون الأחסاب ، ليسوا مثنسكم في اللباس ، ولا يرون فيه ما ترون .

وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويژهّدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم أن تروني فأريكم ! فأخرج سيفه من خِرْقَةٍ كأنه شُعْلَةٌ نار ، فقال القوم : اغمده ، فغمده ، ثم رمى تُرْساً ورموا حَجَفَتَهُ ، ونحرق تُرْسَهُمْ ، وسَلِمَتْ حَجَفَتُهُ . فقال : يا أهل فارس ، إنكم عظّمتم الطعام واللباس والشراب ، وهي عندنا صغيرة . ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل .

فلما كان من الغد بمثوا إلى سعد : أن ابث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم حذيفة بن محصن ، فأقبل في نحوٍ من ذلك الزمّي ، حتى إذا كان على أدنى البساط قيل له : انزل ، قال : لو جئتكم في حاجتي ، فقولوا الملكم : ألهُ الحاجة أم لي ؟ فإن قال : لي ، فقد كذب ، ورجعت وتركتكم .

فقال رستم : دعوه ، فجاء حتى وقف عليه ، وهو على سريره ، فقال : انزل ، قال : لا أفعل ، فلما أبى سأله : ما بالك جئت ولم ينجي صاحبنا بالأمس ؟ قال : إن أميرنا يحبُّ أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، فهذه نوبتي . قال : ما جاء بكم ؟ قال : إن الله عز وجل من علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكناله منكرين ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ، فأبوا إليها قبيلناها : الإسلام ونصرف عنكم ، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ، أو المنابذة فقال :

أولموا دعة إلى يومٍ ما . فقال نعم ، ثلاثاً من أمس . فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه ، فقال : وَيَحْكُم ! ألا تَرَوْنَ إلى ما أرى ! جاء الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا ، وحقّر ما نُعَظِّم ، وأقام فرسه على زبرجنا وربّطه به ؛ فهو في يمين الطائر ؛ ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله ، وجاءنا هذا اليوم ؛ فوقف علينا في يمين الطائر ؛ يقوم على أرضنا دوننا . . . حتى أغضبهم وأغضبوه .

فلما كان من الغد أرسل إلى العرب : ابمثوا إلينا رجلاً ؛ فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة . ولما جاء إلى القنطرة عبّرها إلى أهل فارس ؛ واستأذنوا رستم في إجازته ؛ ولم يُغَيِّرُوا شيئاً من شارتهم ؛ تقويةً لثماؤنهم ؛ وأقبل المغيرة عليهم ، والقوم في زِيَّهم ؛ عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم على غلوة^(١) ، لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشى عليها .

وأقبل المغيرة ، وله أربع ضفائر يمشى حتى جلس على سريره ووسادته ، فوثبوا عليه ، فترّوه^(٢) وأنزلوه ، ومغثوه^(٣) . فقال : كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم ؛ إنا معشر العرب سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضاً ، إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تؤاسون قومكم كما نتواسى ؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أن بعضكم أربابُ بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنّمه ، ولم آتكم ولكن دعوتكموني ؛ اليوم علمت أن أمركم مُضْمَحِلٌّ ، وأنكم مغلوبون ؛ وإن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

فقال السُّفلة : صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين^(٤) : والله لقد رمى

(١) النلوة : مقدار مرماة . (٢) ترّروه : زحزحوه .

(٣) مغثوه : ضرباً ليس بالشديد . (٤) الدهقان : زعيم فلاحى العجم .

بكلامٍ لا يزالُ عبيدُنَا يَنْزِعُونَ إِلَيْهِ ؛ قَاتِلِ اللَّهَ أَوْلَيْنَا ؛ مَا كَانَ أَحَقَّهُمْ حِينَمَا كَانُوا يُصَغَّرُونَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ !

فَازَحَهُ رُسْتَمٌ ؛ لِيَجُودَ مَا صُنِعَ بِهِ ، وَقَالَ : يَا عَرَبِيَّ ؛ إِنْ الْحَاشِيَةَ قَدَّ تَصْنَعُ مَا لَا يُؤَافِقُ الْمَلِكَ ، فَيَتَرَاخَى عَنْهَا مَخَافَةً أَنْ يَكْسِرَهَا عَمَّا يَنْبَغِي مِنْ ذَلِكَ ؛ فَلَأَمْرٌ عَلَى مَا تَحِبُّ مِنَ الْوَفَاءِ وَقَبُولِ الْحَقِّ ؛ مَا هَذِهِ الْمَغَازِلُ ^(١) الَّتِي مَعَكَ ؟ قَالَ : مَا ضَرَّ الْجَمْرَةَ إِلَّا تَكُونُ طَوِيلَةً ! ثُمَّ رَامَاهُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا بَالُ سَيْفِكَ رَثًا ! قَالَ : رَثُ الْكُسُوفِ حَدِيدُ الْمَضْرَبَةِ ؛ ثُمَّ عَاطَاهُ سَيْفَهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ رُسْتَمٌ : تَتَكَلَّمُ أَمْ أَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : أَنْتَ الَّذِي بَعَثْتَ إِلَيْنَا ؛ فَتَكَلَّمْ ، فَأَقَامَ التَّرْجَمَانُ بَيْنَهُمَا .

وَتَكَلَّمُ رُسْتَمٌ فَحَمِدَ قَوْمَهُ ، وَعَظَّمُ أَمْرَهُمْ ، وَقَالَ : لَمْ نَزَلْ مُتَمَكِّنِينَ فِي الْبِلَادِ ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، أَشْرَافًا فِي الْأُمَمِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ فِي مِثْلِ عِزِّنَا وَشَرَفِنَا وَسُلْطَانِنَا ، نُتَصَّرَ عَلَى النَّاسِ ، وَيُنْصَرُونَ عَلَيْنَا إِلَّا الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ أَوْ الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ لِلذَّنُوبِ ، فَإِذَا انْتَقَمَ اللَّهُ فَرَضَى رَدَّ إِلَيْنَا عِزَّنَا ، وَجَمَعْنَا لِمَدُونِنَا شَرَّ يَوْمٍ هُوَ آتٍ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ أُمَّةٌ أَصْفَرُ عِنْدَنَا أَمْرًا مِنْكُمْ ؛ كُنْتُمْ أَهْلَ مَعِيشَةٍ سَيِّئَةٍ ؛ لَا نَزَاكِمَ شَيْئًا وَلَا نَعْدَكِمَ ، وَكُنْتُمْ إِذَا قُحِطَتْ أَرْضُكُمْ ، وَأَصَابَتْكُمْ السَّنَةُ ^(٢) اسْتَفْثِمْتُمْ بِفَاحِيَةِ أَرْضِنَا ، فَنَأْمُرُ لَكُمْ بِالشَّيْءِ مِنَ الثَّمَرِ وَالشَّعِيرِ ، ثُمَّ نَزُدُّكُمْ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَحْمَلِكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ إِلَّا مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْجُهْدِ فِي بِلَادِكُمْ ، فَأَنَا أَمْرٌ لِأَمِيرِكُمْ بِكُسُوفَةٍ وَبَنَمَلٍ وَأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَأَمْرٌ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِوَقْفٍ ^(٣) عَزِيمٍ وَبِثَوْبَيْنِ ، وَتَنْصَرِفُونَ عَنَّا ؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَقْتُلَكُمْ وَلَا أَسْرِكُمْ .

(١) المغازل ، يريد السهام . (٢) السنة : الجذب . (٣) وقوف : حمل .

فتكلم المغيرة بن شعبة ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله خالق كل شيء ورازقهُ ، فن صنع شيئاً فأتما هو يصنعه والذى له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعظم السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفهُ ، ولسنا ننكرهُ ، فالله صنعه بكم ووضعه فيكم ؛ وهوله دونكم . وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب فنحن نعرفهُ ، ولسنا ننكرهُ ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخايتها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكري ، كان شكركم يقصر عما أوتيتهم ، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال .

ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجبلاً من الله رحمة يرفه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه . . أو مما كنتم تعرفوننا به ؛ أن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا اثم ذكر مثل السلام الأول حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدى الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإلا فالسيف . فاستشاط غضباً ، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غدا حتى أقتلكم أجمعين .

وانصرف المغيرة ، وخلص رستم بأهل فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقاً واحداً ؛ ولزموا أمراً واحداً ! هؤلاء والله الرجال ، صادقين كانوا أم كاذبين ، والله لئن كان بلغ من صونهم لسرهم ألا يختلفوا فاقوم أبلغ فيما أرادوا منهم ، لئن كانوا صادقين ما يقوم هؤلاء !

فَلْجُوا وَتَجَلَّدُوا ، فقال : واللهِ إني لأَعْلَمُ أنكم تُصْعِقُونَ إلى ما أقول لكم ،
وإن هذا منكم رِثَاءٌ . . . فازدادوا لِحَاجَةً .

ولم يَكِدِ المَغِيرَةُ يقطعُ القنطرةَ ، ويصلُ إلى أصحابه ، حتى جاء خَلْفَهُ رجل
من أهل فارس يقولُ له : إنَّ رُسْتَمَ رجلٌ مُنَجَّمٌ ، وإنه إذ رآكَ حَسَبَ لكَ ،
ونظر في أمرِكَ ، فقال : إنك غَدًا تُفْقَأُ عَيْنُكَ ، فقال المَغِيرَةُ : بَشَّرْتَنِي بخَيْرٍ
وأَجْرٍ ، ولولا أن أُجاهِدَ بعدَ اليومِ أشباهَكم من المشركين لَتَمَنَّيتُ أنَّ الأخرى
ذهبت أيضاً .

وأرادَ سَعْدُ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ أن يَرِي مَ بآخِرِ ما عنده من الرأي ، فأرسل
إلى رُسْتَمَ بقيةَ ذَوِي الرأي ، وَحَبَسَ الثلاثةَ^(١) ؛ فخرجوا حتى أَتَوْهُ ، وقالوا له :
إن أميرنا يقولُ لك : إني أدعوك إلى ما هو خيرٌ لنا ولك ، العافية أن تقبلَ ما دَعَاكَ
اللهُ إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضِكَ ، وبعضنا من بمض ، أَلَا إنَّ
دارَكُمْ لكم ، وأمرَكُمْ فيكم ، وما أصبتم من ورائكم كان زيادةً لكم دوننا ،
وكنا لكم عَوْنًا على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم ، اتَّقِ اللهَ يا رُسْتَمَ ، ولا يكوننَّ
هلاكُ قومِكَ على يديكَ !

فقال : إني قد كَلَّمْتُ منكم نَفَرًا ؛ ولو أنهم فهموا عَنِّي رجوت أن تكونوا
قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضح من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلاً
يُبَيِّنُ لكم ، إنكم كنتم أهلَ جَهْدٍ في المعيشة ، وقَشَفٍ في الهيئة ، لا تَمْتَنِعُونَ

(١) هم الذين أُوفدوا إليه قبل .

ولا تَنْتَصِفُونَ فلم نُسِيْ جوارِكُمْ ، ولم نَدْعُ مواساتِكُمْ ، تُفَحِّمُونَ^(١) المرة بعد المرة ، فَنَمِيرُكُمْ ثم زِدَّكُمْ ، وتأتوننا أَجْرَاءَ وَتُجَّارًا ، وَنُحْسِنُ إِلَيْكُمْ ، فلما نَطَاعَمْتُمُ بِطَامَانَا ، وشربتم شرابَنَا ، وَأَظْلَكُمْ ظِلْمًا وَصَفْتُمُ لِقَوْمِكُمْ فِدْعَوْتَهُمْ ، ثم أَتَيْتُمُونَا بِهِمْ . وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي ذَلِكَ وَمِثْلُنَا كَمِثْلِ رَجُلٍ كَانَ لَهُ كَرْمٌ ، فرأى فِيهِ ثَمَلًا ، فقال : وما ثَمَلٌ ! فانطلق الثمَلُ فدعا الثمَالِ إِلَى ذَلِكَ الْكَرْمِ ، فلما اجتمعن عَلَيْهِ سَدَّ عَلَيْهِنَّ صَاحِبُ الْكَرْمِ الْجَحْرَ الَّذِي كُنَّ يَدْخُلْنَ مِنْهُ ، فقتلهنَّ ، وقد علمتُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا ، الْحِرْصُ وَالطَّمَعُ وَالْجَهْدُ ، فارجعوا عَنَّا عامِكُمْ هَذَا ، وابتاروا حاجتكم ، ولستم الْعَوْدُ كُلَّمَا احتجتم ، فَإِنِّي لَا أَشْتَهِي أَنْ أَقْتَلَكُمْ .

فتكلم القومُ وقالوا : أمَّا ما ذكرت من سوءِ حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا فلم تَبْلُغْ كُنْهَهُ ، وبينما نحن في أسوأ حال إذ بعثَ اللهُ فينا رسولًا من أنفسنا إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؛ رَحْمَةً رَحِمَ بِهَا مَنْ أَرَادَ رَحْمَتَهُ ، وَنِقْمَةً يَنْتَقِمُ بِهَا مَنْ رَدَّ كِرَامَتَهُ ؛ فبدأ بنا قبيلة قبيلة ، فلم يكن أحدٌ أشدَّ عَلَيْهِ ، وَلَا أَشَدَّ إنكاراً لما جاء به ، وَلَا أَجْهَدَ عَلَى قَتْلِهِ وَرَدِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، ثم الذين يَلُونَهُمْ حَتَّى طابقتنا عَلَى ذَلِكَ كُلِّنَا ، فَذَصَبْنَا لَهُ جَمِيعًا ، وَهُوَ وَحْدَهُ فَرَدٌّ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، فَأَعْطَى الظَّفَرَ عَلَيْنَا ، فَدَخَلَ بَمَضُنَّا فِي الدِّينِ سُرْعًا ، وَبِمَضُنَّا كَرْهًا ، ثم عرفنا جميعاً الْحَقَّ وَالصِّدْقَ لِمَا أَتَانَا بِهِ مِنْ الْآيَاتِ الْمِعْجَزَةِ .

وكان مما أَتَانَا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا جِهَادُ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ، فسرنا بذلك فيما بيننا ، نرى أَنَّ الَّذِي قَالَ لَنَا وَوَعَدَنَا لَا يَنْقُضُ ، حَتَّى اجتمعت العربُ عَلَى هَذَا ، وكانوا مِنْ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ فِيهَا لَا يَطِيقُ الْخِلَافُ تَأْلِيْفَهُمْ ، ثم أَتَيْنَاكُمْ بِأَمْرِ رَبِّنَا ،

(١) تفحيمون : تصابون بالقطط .

نجاهاً في سبيله ، وننفذُ لأمره ، ونستنجزُ موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ،
فإن أحببتمونا تركناكم ، ورجعنا وخلفنا فيكم كتابَ الله ، وإن أبيتم لم يحل لنا
إلا أن نعاطيكم القتال ، أو تفتدوا بالجزى ، فإن فعلتم وإلا فإن الله أؤرمنا
أرضكم وأموالكم وأبناءكم ، فاقبلوا نصيحتنا ؛ فوالله لإسلامكم أحبُّ إلينا
من غنائمكم ، ولقتالكم بمدُّ أحبُّ إلينا من صلحكم ، وأما ما ذكرت من رثائنا
وقلتنا ، فإن أداتنا الطاعة ، وقتالنا الصبر ، ومثلكم مثل رجل غرس أرضاً
واختار لها الشجر والحب ؛ وأجرى إليها الأنهار ، وزينها بالقصور ، وأقام فيها
فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها ، فحلا الفلاحون في القصور
على ما لا يحب ، وفي الجنان بمثل ذلك . فأطال نظرتهم ، فلما لم يستحيوا من تلقاء
أنفسهم استعجبهم فكابروه ، فدعا إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها
تخطفهم الناس ، وإن أقاموا فيها صاروا خوفاً لهؤلاء ، يملكونهم ولا يملكون
عليهم ، فيسومونهم الخسف أبداً . والله إن لم يكن ما نقول لك حقاً ، ولم يكن
إلا الدنيا ، لما كان لنا عمَّا ضرينا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زبرجكم من صبر
ولقار عنَّاكم حتى نغلبكم عليه .

٣٦ - يوم أرمات*

لم تصلح المفاوضة ، وتهمياً للفريقان للحرب ؛ قال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبرو إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا .
وأمر سعدُ الناسَ أن يقفوا مواقيهم ، وأرسل إلى الفرس : شأنكم والعبور .

فأرادوا القنطرة - وكانت للفرس وأخذها المسلمون منهم - فأرسل سعدُ إليهم : لا نرُدُّ عليكم شيئاً قد غلبناكم عليه ؛ تكلفوا معبراً غير القناطر ، فباتوا يسكرون^(١) نهر العتيق إلى الصباح بالثراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً .
ولبس رستم درعين ومنغراً^(٢) ، وأخذ سلاحه ، وأمر بفرسه فأسرج ، وأتى به ، ثم قال : غداً ندقُّهم دقاً ، فقال له رجلٌ : إن شاء الله ، فقال : وإن لم يشأ .

ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافقهم ، وجلس رستم على سريره ، وعبى في القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليها الصناديق والرجال ، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين .

* قال ياقوت : أرمات : جمع رمث ، وهو اسم نبت بالبادية ، كان أول يوم من أيام القادسية ، يسمونه يوم أرمات ، ولا أدري أهو موضع أم أرادوا النبت المذكور .
(١) سكر النهر : سد فاه .

(٢) المنغفر : زرد من حديد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

وكان يزُدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه - إذ سرح رستم - وأمره بلزومه وإخباره ، وآخر حيث يسممه من الدار ، وآخر خارج الدار ، وكذلك وضع على كل مسافة رجلاً ، فنظّم ما بين العتيق والمسدائن رجالاً ، فكان يعلم الأخبار حين خدوئها ، لا يغيب عنه شيء حدث في ليلٍ أو نهار .

وأخذ المسلمون مصافهم ، ونادى مناديتهم : أيها الناس ، ألا إن الحسد لا يجلي إلا على الجهاد ، فتحاسدوا على الجهاد .

وكان سعدٌ يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس إذ كان به جُبون^(١) ، لا يستطيع معها الركوب ولا الجلوس ، فأشرف على الناس من القصر ، وصار يرى بالرفاع ، فيها أمره ونهيته إلى خالد بن عرفة ، إذ كان كالخليفة له .

وبرم بعض المسلمين بسعد وتندروا بمرضه ، واختلفوا على خالد ، فقال سعد : احموني ، وأشرفوا بي على الناس ، فارتقوا به ، فأكب مطلماً عليهم ، وتحت صدره وسادة ، وأخذ يأمر خالداً ، فيأمر خالد الناس ، فلما رأى الجند ما به عذروه .

وكان ممن شغب على خالد بعض وجوه الناس ، فهم بهم سعد وشتمهم ، وقال : أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجملتكم فكلاً لغيركم .

ثم أمر بجماعه - منهم أبو مخجن الثقفي - فحبسوا ، وقيدهم في القصر ، فأعلن القوم ولاءهم وطاعتهم .

ثم توجه إلى القوم وخطبهم قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن الله هو الحق لا شريك له في الملك ، وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ ولقد

(١) الجبون : الداميل ، واحداً حين .

كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١﴾ .
 إن هذا ميراثكم وموعود ربكم ؛ وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج (٢) ، فأنتم
 تطعمون منها ، وتقتلون أهلها ، وتحبونهم (٣) وتسبونهم إلى هذا اليوم ، وقد جاءكم
 منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ؛ وخيار كل قبيلة ، وعز من وراءكم ؛
 فإن تزهدوا في الدنيا ، وترغبوا في الآخرة يجمع الله لكم الدنيا والآخرة ،
 ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ؛ وإن تفشلوا وتهنؤوا وتضعفوا تذهب
 ريحكم (٤) .

ثم كتب إلى الرأيات : إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفة ، وليس يعمدني
 أن أكون مكانه إلا وجمي الذي يموذني ، وما بي من الجبون ، فإني مكب على
 وجهي وشخصي لكم باد (٤) ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنه إنما يأمركم بأمرى
 ويعمل برأيي .

وقرىء الكتاب على الناس فقبلوا منه ، وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا
 على عذر سعد ، والرضا بما صنع .

وقبل أن يأذن سعد بالقتال أرسل ذوى الرأي والفضل والنجدة إلى الناس
 فكان من ذوى الرأي المغيرة وحذيفة وعاصم ، ومن أهل النجدة طليحة وقيس
 الأسدي وغالب وعمرو بن معديكرب ، ومن الشعراء الشماخ ، والحطيئة ،
 وأوس بن مفرأ وعبدة بن الطبيب ، وقال لهم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق
 عليكم ، ويحق عليهم عند مواطن البأس ، فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ،

(١) سورة الأنبياء ١٠٥ . (٢) حجج : سنين . (٣) جي المراج جمع ، والقوم : جمعهم

(٤) تذهب ريحكم ، أى قوتكم . (٤) باد : ظاهر .

أنتم شعراء الناس وخطباؤهم وذو رؤيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس فذكروهم وحرّضوهم على القتال .

ولما ساروا إلى الناس ، وقف قيس بن هبيرة الأسديّ فقال : أيها الناس ، احمّدوا الله على ما هداناكم له وأبلاكم يزدكم ، واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه ، فإنّ الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر ، والفلوات التي لا تقطعها الأدلة^(١) .

وقال غالب : أيها الناس ، احمّدوا الله على ما أبلاكم^(٢) ، وسلّوه يزدكم ، وادعوه يُجيبكم . يامعاشر معدّ ، ما علّمتكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني الخيل ومعكم من لا يعصيكم - يعني السيوف اذكروا حديث الناس في غديّ .

وقال الهذيل الأسديّ : يامعاشر معدّ ، اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليهم كأسود الأجم^(٣) ، وتربّدوا^(٤) لهم تربّد النّمور ، وادّرعوا العجاج^(٥) ، وثقوا بالله ، وغضّوا الأبصار ، فإذا كلت السيوف فأرسلوا عليهم الجنادل^(٦) ، فإنها يؤذّن لها فيما لا يؤذّن للحديد فيه .

وقال بُسر بن أبي رهم الجهنيّ : احمّدوا الله وصدّقوا قولكم بفعلٍ ، فقد حمدتم الله على ما هداناكم له ، ووحدتموه ، ولا إله غيره ، وكبرتموه ، وآمنتم بنبية ورسله ، فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكوننّ شيءٌ بأهون عليكم من الدنيا

(١) الأدلة : جمع دليل . (٢) ابلاكم ، أي اختبركم . (٣) الأجم : جمع أجمة : الشجر الكثير المتلف . (٤) تربّد : تغير وتميس . (٥) العجاج : الفبار والدخان . (٦) الجنادل : ما يقله الرجل من الحجارة .

فَأْتِيهَا تَأْتِي مَنْ تَهَاوَنَ بِهَا . وَلَا تَمِيلُوا إِلَيْهَا ، فَتَهْرُبَ مِنْكُمْ لِتَمِيلَ بِكُمْ . انصروا
اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ .

وقال عاصم بن عمرو : يامعاشرَ العرب ، إنكم أغيانُ العربِ وقد صمدتم
لأغيانِ العجم ، وإنما تُخاطِرون^(١) بالجنة ، ويُخاطِرون بالدنيا ، فلا يكوننَّ
على دُنْيَاهُمْ أَحْوْطَ مِنْكُمْ على آخرتكم : لا تُحْدِثُوا اليومَ أمراً تكونونَ به
شِيناً^(٢) على العربِ غداً .

وقال ربيع السَّعْدِيّ : يامعاشرَ العرب ، قاتلوا اللدِّينَ والدنيا ، ﴿ وسارعوا إلى
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) ، وإنَّ
عظَمَ الشيطانُ عليكمُ الأمرَ فاذْكُرُوا الأخبارَ عنكم بالمواسمِ مادامَ للأخبارِ
أهل .

وقال ربِيعُ بنِ عامرٍ : إنَّ اللهَ قد هداناكم للإسلامِ وجمعكم به ، وأرأاكم
الزيادةَ ، وفي الصبرِ الراحةَ ؛ فموِّدوا أنفسكم الصبرَ تمتادوه ، ولا تمودوها الجزعَ
فتمتادوه .

وقاموا كلَّهم بنحوٍ مِنْ هذا الكلامِ ، فتَوَاتَّقَ النَّاسُ وتماهدوا .
وفعل أهلُ فارسٍ فيما بينهمٍ مثلَ ذلكِ ، وتماهدوا وتواصوا .
ثم أمر سعدٌ أن يُقرأَ على الناسِ سورةَ الجهادِ^(٤) ، وكانوا يتعلمونها . ثم قال
لهم : الزموا موافقكم ، ولا تمحرِّكوا شيئاً حتى تصلُّوا الظُّهْرَ ، فإذا صلَّيتُم الظُّهْرَ

(١) خاطر : راهن أو عرض نفسه للهلاك . (٢) شيناً : عيباً . (٣) سورة ال عمران ١٣٣

(٤) في بعض الروايات : لما صلى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر إياه - وكان من

القراء - أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم ، ثم قرئت في كل كتيبة وهشت لها
قلوب الناس ، وعرفوا السكينة مع قراءتها .

فإني مُكَبِّرٌ تكبيرةً، فكَبِّرُوا وَاسْتَعِدُّوا. واعلموا أَنَّ التَّكْبِيرَ لم يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ؛
واعلموا أَنَّمَا أُعْطِيْتُمُوهُ تَأْيِيداً لَكُمْ ، ثم إذا سمعتم الثانية فكَبِّرُوا وَلْتُسْتَنْتَمَنَّ
عُدَّتُكُمْ ، ثم إذا كَبَّرْتُمُ الثالثةَ فَكَبِّرُوا ، ولينشط فُرْسَانُكُمْ النَّاسَ لِيَبْرُزُوا
وَلِيُطَارِدُوا ، فإذا كَبَّرْتُمُ الرابعةَ فَارْحَبُوا جَمِيعاً حَتَّى تُخَالِطُوا عَدُوَّكُمْ ، وقولوا :
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ !

ولما فرغ القراء كَبَّرَ سَعْدٌ ، فَكَبَّرَ الَّذِينَ يَلُونَهُ تَكْبِيرَةً ، وَكَبَّرَ بَعْضُ النَّاسِ
بِتَكْبِيرٍ بَعْضٌ ، فَتَحَشَّحَشَّ^(١) النَّاسُ ، ثُمَّ تَنَّى فَاسْتَمَّ النَّاسُ ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَبَرَزَ أَهْلُ
النَّجْدَاتِ ، فَأَنْشَبُوا الْقِتَالَ ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ أَمْثَالُهُمْ ، فَاعْتَوَرُوا^(٢) الطَّمَنَ
وَالضَّرْبَ ، وَبَرَزَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ هُرْمَزٌ - وَكَانَ مُتَوَجِّباً -
فَأَسْرَهُ غَالِبٌ وَجَاءَ بِهِ سَعْدًا .

وخرج عاصم بن عمرو، فطارده رجلاً من أهل فارس ، فهرب منه وأتبعه حتى
إذا خالط صقهم التقي بفارسٍ معه بئله، فترك الفارسُ البغل، واعتصم بأصحابه ، فحَمَمُوهُ
فَأَسْتَأَقَ عَاصِمُ الْبُغْلَ حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى الصَّفِّ ، فَإِذَا الْفَارِسُ خَبَّازُ الْمَلِكِ ، وَإِذَا
الَّذِي مَعَهُ لَطْفٌ^(٣) الْمَلِكِ : الْأَخْبِصَةَ^(٤) وَالْمَسَلَّ الْمَعْقُودَ ، فَأَتَى بِهِ سَعْدًا ، وَرَجَعَ
إِلَى مَوْقِفِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ سَعْدٌ قَالَ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى أَهْلِ مَوْقِفِهِ . وَقُولُوا لَهُمْ : إِنْ
الْأَمِيرُ قَدْ نَفَلَكُمْ^(٥) هَذَا فَكُلُوهُ .

ومرَّ عمرو بن معد يكرب يُحَضِّضُ النَّاسَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ
إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْجَمِ ، فَوَقَفَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ؛ فَرَمَى بِنُشَابَةٍ^(٦) فَأَخْطَأَتْ

(١) تحشش الناس ، تبحركوا . (٢) اعتورواالطمن : تداولوه وتبادلوه .
(٣) اللطف : الهدايا ، واحدة لطفة . (٤) الأخبصة : الحلوى . (٥) نفلكم : أهداكم
(٦) النشابة : وحدة النشاب ، وهو النبل .

سِيَّة قَوْسِهِ^(١) ، وهو مُتَنَكِّبُهَا ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَاعْتَنَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِمَنْطِقَتِهِ فَاحْتَمَلَهُ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ كَسَرَ عُنُقَهُ ، وَوَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى حَلْقِهِ وَذَبَحَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ وَقَالَ : هَكَذَا فَاضْنَمُوا بِهِمْ .

ثُمَّ كَبَّرَ سَعْدٌ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ ، آيَةَ الرَّحْفِ الْعَامِ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُ الْفَيْلَةِ مِنَ الْفُرْسِ ، فَفَرَّقُوا كِتَابَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَبْدَعَرَتْ^(٢) خِيُولَهُمْ ، وَكَادَتْ بِجَيْلَةٍ أَنْ تُؤْكَلَ ، وَفَرَّتْ عَنْهَا خَيْلُهَا نِفَارًا ، وَبَقِيَتِ الرَّجَالَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَاقِفِ .

فَلَمَّا رَأَى سَعْدٌ مَا حَلَّ بِهِمْ أَعَانَهُمْ بِنِىِ أُسْدٍ فَصَمَدُهَا لَهَا ، ثُمَّ أَخَذَتِ الدَّائِرَةَ تَدْوِيرًا عَلَيْهِمْ ، وَكَادَتْ خَيْلَهُمْ تُحْجِمُ وَتَحِيدُ .

فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو التَّمِيمِيِّ ؛ وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ بَنِي تَمِيمٍ ، أَلَسْتُمْ أَصْحَابَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ ! أَمَا عِنْدَكُمْ لِهَذِهِ الْفَيْلَةِ مِنْ حِيلَةٍ ! قَالُوا : بَلَى وَاللَّهِ . ثُمَّ نَادَى فِي رِجَالِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : ذُؤِبُوا^(٣) رُكْبَانَ الْفَيْلَةِ بِالنَّبْلِ ، وَاسْتَدْبِرُوا الْفَيْلَةَ ، فَقَطَّعُوا وَضُنْهًا^(٤) . وَخَرَجَ يَحْمِيهِمْ ، وَالرَّحَى تَدْوِيرًا عَلَى أُسْدٍ ، وَقَدْ جَالَتِ الْمَيْمَنَةُ وَالْمَيْسِرَةُ غَيْرَ بَعِيدٍ .

وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ عَاصِمٍ عَلَى الْفَيْلَةِ فَأَخَذُوا بِأُذُنَيْهَا ، فَقَطَّعُوا وَضُنْهًا ، وَارْتَفَعَ عَوَاوُهَا ، فَمَا بَقِيَ لَهُمْ يَوْمٌ ذُو فَيْلٍ إِلَّا أُعْرِيَ ، وَوَقَعَتِ الصَّنَادِيقُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهَا ، وَنَفَسَ عَنْ أُسْدٍ ، وَرَدَّوْا الْفُرْسَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَاسْتَمَرُّوا حَتَّى ذَهَبَتْ هَدَاةُ^(٥) مِنَ اللَّيْلِ ، وَرَجَعَ هَوْلًا وَهَوْلًا ، وَأُصِيبَ مِنْ أُسْدٍ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ خَمْسِمِائَةَ ، وَكَانُوا رِدْمًا لِلنَّاسِ .
وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ مِنْ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ ؛ وَاسْمُهُ يَوْمُ أَرْمَاتٍ .

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها . (٢) ابذعرت خيولهم : نفرقت .

(٣) اذفعوا وامنعوا . (٤) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور ، جمعه وضن .

(٥) أول الليل إلى ثلثه .

٣٧ - يوم أغوات*

وَرَأَتْ سَلَمَى زَوْجِ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ ، ثُمَّ زَوْجِ سَعْدٍ مِنْ بَعْدِهِ مَا حَلَّ بِالْقَوْمِ
يَوْمَ أَرْمَاثَ ، وَمَا صَنَعَ أَهْلُ فَارِسَ بِهِمْ ، فَصَاحَتْ : وَامْتَنَاهُ ! لَا مُثَنَّى لِلخَيْلِ الْيَوْمِ !
وَكَانَ سَعْدٌ لَا يُطِيقُ جَلْسَةً إِلَّا مُسْتَوْفِزاً^(١) أَوْ عَلَى بَطْنِهِ ؛ وَكَانَ ضَجِجاً
مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَطَمَ وَجْهَهَا وَقَالَ : أَيُّنَ الْمُثَنَّى مِنْ هَذِهِ الْكُتَيْبَةِ الَّتِي تَدُورُ
عَلَيْهَا الرَّحَى ؟ يَعْنِي أَسَدًا وَعَاصِمًا وَخَيْلَهُ ، فَقَالَتْ : أُغِيرَةٌ وَجُبْنَا ! قَالَ : وَاللَّهِ
لَا يَعْذِرُنِي الْيَوْمَ أَحَدٌ إِذَا أَنْتِ لَمْ تَعْذِرِي نِي ، وَأَنْتِ تَرَيْنِ مَا بِي .

ثم أصبح القوم من الغد على تعبئة ، ووكل سعد رجالا بنقل الشهداء ، ووكل
آخرين بحمل الجر حتى إلى العذيب^(٢) ، ليقوم النساء بتمريرهم ومداواتهم .
وبينا القوم على هذه الحال ، ولم ينشب القتال ، إذ طلعت نواصي خيل المسلمين
قادمة من الشام .

* يقول الدكتور هيكل في كتابه « الفاروق عمر » ١ : ١٧٥ : « يطلق المؤرخون على هذا
اليوم من أيام القادسية اسم أغوات ، ويحسب بعض المستشرقين أنهم اختاروا لهذا الاسم لأن القعقاع
أغات فيه جيش سعد بن جأء بهم من الشام ، وليس من اليسير لقرار هذا التفسير إلا أن نجد لسائر
أيام الغزاة تفسيراً من نوعه . وقد رأينا أن يوم أرمات لا يمكن أن يكون له مثل هذا التفسير . أما
الليلة التي انقضت بين يوم أرمات ويوم أغوات فيطلق المؤرخون عليها اسم ليلة الهدأة . كما أنهم
يطلقون اسم السواد على الليلة التي تلت يوم أغوات . « وفي ياقوت : « كان يقال لليوم الأول من أيام
القادسية يوم أرمات ، ويقال لليوم الثاني أغوات ، ولليوم الثالث يوم عماس ، ولليوم الرابع يوم القادسية ،
وفيه كان الفتح على المسلمين ، ولا أدري هذه الأسماء مواضع أم هي من الرمث والغوث والعسر؟ » .
(١) استوفز في قعدته : انتصف فيها غير مطمئن ، أو وضع ركبته ورفع أليتيه أو استقل على
رجليه ولما يستوفز قائماً .

(٢) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال .

وذلك أن عمر بن الخطاب أرسل إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح بعد فتح دمشق أن يردَّ الجُنْدَ الذين جاءوا من العِراق إلى الشام مع خالد بن الوليد ، ليكونوا عوناً لجنود سَعْدِ على قتال الفُرس ؛ فكان وصولهم إلى جيش المسلمين في ذلك اليوم قبل انتشار القتال ؛ وكانوا ستَّة آلاف ، منهم خمسة آلاف من ربيعة ومُضر ، وألف من اليمن ؛ وكان الأمير^(١) على هذا الجيش هاشم بن عُتْبَةَ بن أبي وقَّاس ، وعلى مقدمته القمقاع بن عمرو ، وعلى مُجَنَّبَتَيْهِ قَيْسُ بن هُبَيْرَةَ والهَزْهَاز بن عمرو العجلي . وتمجَّل القمقاعُ حتى قدم على المسلمين بالفادِسيَّة صبيحة يوم أعْواث .

وقد أراد القمقاع أن يُوقِع الرُّعبَ في قلوب الفُرس ، فمهد إلى أصحابه أن يتقطَّعُوا أعشاراً ؛ وهم ألف ، فكلَّمَا بلغ عشرةٌ مَدَى البصر سرَّحوا في آثارهم عشرة ؛ وكان قدومُ القمقاع في العشرة الأولى ، فلما أتى الناسَ سَلَّمَ عليهم وبشَّرَهم بالجنود ، ثم قال : أيُّها الناس ، إني قد جئتكم في قومٍ ، والله إن لو كانوا بمكانكم ثم أحسَّوكم حسدوكم حُظَّوَتْهَا ، وحاولوا أن يطيرُوا بها دونكم ، فاصنمُوا كما أصنع ، ثم تقدَّم ونادى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز إليه رجلٌ من الفُرس ، فقال له القمقاعُ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بَهْمَن جاذويه ؛ فنادى : يَا لثَّارَاتِ أَبِي عُبَيْدٍ وسليطٍ وأصحاب الجِسر ! واجتَلَدَا ، فقتله القمقاع ؛ وجعلت خيله تَرِدُّ قِطْعاً ، وما زالت ترد إلى اللَّيْلِ ، وتنشَّط الناس ، وكان لم يكن بالأمس مُصيبة ؛ ثم نادى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فنخرج إليه رجلان ، أحدهما البيرُزان ، والآخر البندَوان ؛ فانضمَّ إلى القمقاع الحارث بن ظَبْيَانَ ، فبارز القمقاع البيرزان فضربه ، فأذرى^(٢) رأسه ، وبارز ابنُ ظَبْيَانَ البندَوان

(١) لما قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد ، ولم يذكر خالد ، من

بخالد فلم يرسله وأرسل الجيش .

(٢) أذرى رأسه : أطارها .

فضربه فأذرى رأسه ؛ وجعل القعقاع يقول : يا معاشر المسلمين ؛ باشرؤهم بالسيوف ، فإنما يحصد الناس بها ؛ ثم خرج الفاس من كل ناحية ، وبدأ الحرب والطمان ، وزاد الناس نشاطاً أن لم يروا الفيلة بينهم ؛ وحمل بنو عم القعقاع يومئذ عشرة عشرة من الرجالة على إبل قد ألبسوها ، فهي مجللة مبرقة ، تشبه الفيلة ؛ ولقي أهل فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرمات .

وكان سعد بن أبي وقاص قد حبس أبا محجن الثقفي وقيده في قصره ؛ فلما اشتد القتال صعد إلى سعد يستمئيه ويستقيله ؛ ويسأله تسريحه للغزو مع المسلمين ؛ فزجره وردّه ؛ فنزل حتى أتى سلمى ؛ فقال : يا سلمى ؛ هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتبريني البلقاء ؛ فله عليّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ! فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفى حزناً أن تردى^(١) الخيل بالثنا وأترك مشدوداً على وثاقياً
إذا قمت عناني^(٢) الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد نصم المنادياً
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخلياً
ولله عهدٌ لا أخيس^(٣) بمهده لئن فرجتُ ألا أزور الحوانياً^(٤)

فقالت سلمى : إني استخرت الله ورضيتُ بهدك ؛ وأطلقتهُ وقالت : أما الفرس فلا أعيرها ، ورجعت إلى بيتها ؛ فاقتادها وأخرجها من باب القصر وربها ؛ ثم دب عليها ؛ حتى إذا كان بحيال اليمنة كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب

(١) ردى الفرس : رجعت الأرض بحوافرها ، أو هو سير بين العدو والشي .

(٢) عناني : أتعبنى . (٣) لا أخيس : لا أغدر . (٤) الحوانى : موضع بيع الخمر .

بِرُمحِهِ وسلاحه بين الصَّفَيْنِ ؛ وكان يقصف الأعداء بسَيْفِهِ قصفاً منكرراً ، وتعجَّب
الناس منه وهم لا يعرفونه ؛ وجعل سعد يقول وهو مُشْرِفٌ على الناس من فوق القصر :
والله لولا مَحْبِسُ أَبِي مَحْجَنٍ لقات : هذا أبو مَحْجَنٍ وهذه البلقاء ! وقال بعضُ
الناس إن كان الخضير يشهد الحروب فنظنَّ صاحبَ البلقاء الخضير . وقال بعضهم : لولا
أن الملائكة لا تباشرُ القتالَ لقلدنا مَلَكًا .

ثم حَاجَزَ (١) أهلُ فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو مَحْجَنٍ حتى دخل من
حيث خرج ، ووضع عن نفسه وعن دَأْبَتِهِ ، وأعاد رجله في قَيْدَيْهِ ، وقال :
لقد علمتُ ثقيفٌ غيرَ فَنخِرٍ بأننا نحن أكرمهمُ سيوفاً
وأكثرهم دُرُوعاً سابغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً
فإن أحبس فذلکمُ بلائِي وإن أترك أذيقهمُ الختوفاً

فقلت له سَأَمَى : يا أبا مَحْجَنٍ ؛ في أيِّ شيء حبَّسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله
ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكني كنتُ صاحبَ شراب في الجاهلية ؛ وأنا
امرؤ شاعرٌ يدبُّ الشعرُ على لساني ؛ يبعثه على شفتي أحياناً ؛ فيساء لذلك ثنائِي ؛
حبسني حين قلت :

إذا متُّ فاذنني إلى أصلِ كَرَمَةٍ (٢) تُروِي عِظَامِي بعد موتي عرُوقها
ولا تدفنني بالفلاةِ فإنني أخافُ إذا ما متَّ ألا أذوقها

وكانت سألني مفاضيةً لسعد عشيّةَ أغواث ؛ فصالحته ؛ وأخبرته خبرها وخبر
أبي مَحْجَنٍ ، فدعاه وأطلقه ، وقال له : اذهب ؛ فأنا مؤأخذك بشيء تقولُه حتى
تفعله . قال : والله لا أجيبُ لساني إلى صفة قبيح أبداً .

(١) الحَاجِزَةُ : الممانعة .

(٢) الكَرَمَةُ : شجرة العنب .

٣٨ - يوم عمّاس *

أصبح المسلمون من اليوم الثالث وهم على مواقيفهم ، وأصبحت الأعاجم على مواقيفهم ؛ وقد قُتلَ من المسلمين ألفان ، ومن المشركين عَشْرَةُ آلاف . وقال سعد : من شاء غَسَلَ الشهداء ، ومن شاء فليَدْفِنْهُمْ بدمائهم .

وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم ، من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويُبَلِّغُون الرِّثِيثَ ^(١) إلى النساء .

وبات القَعْقَاعُ ليلته كَلَّهَا يُسْرَبُ أصحابه إلى المكان الذي فارقه فيه من الأمس ، ثم قال : إذا طلعت عليكم الشمس فأَقْبِلُوا مائة مائة ، كلما توارى عنكم مائة فلتتبعها مائة . وقال : إن أدرككم هاشمُ بنُ عُتْبَةَ وجاء بمن معه يشارك في المعركة فذاك ، وإلا فجددوا للناس رجاء في المدد ، فإن الرجاء يزيدهم إقداماً في الحرب ، وإيماناً بالفوز فيها . ففعلوا ولم يشعروا بذلك أحد .

ولمَّا ذَرَّ ^(٢) قرنُ الشمس طلعت نواصي الخيل فكبر وكبر الناس ، وقالوا : جاء المدد . وأدرك هاشم بن عُتْبَةَ وجنوده رجال القَعْقَاعِ ، وعرف ما فعل ، فجعل رجاله فرّاقاً ، وأمرهم أن يتلاحقوا ، وسار على رأس الفرقة الأولى ، فبلغ القادسية حين أخذ المسلمون مصائبهم للقيال : فلما رآه الناس كبر وكبروا معه ، وتقدم الفرسان

* قال ياقوت : « عمّاس - بكسر العين ، كان اليوم الثالث من أيام القادسية يقال له يوم عمّاس ، ولا أدري أهو موضع أم هو من العس . مقلوب العس » .

(١) الرثيث : الجريح وبه رمق . (٢) ذر : يبرز وظهر .

وتكثبت الكتائب ، فاختلَفوا الضربَ رَسْعن ، ومددُهم مُتَّابِع .

ولم يُضَمِّعِ المددُ الذي جاء المسلمين من عزيمة الفرس ، فقد أصلحوا تواليبتَ فيلتهم حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيلةُ معها الرَّجَّالَةُ يحمونها أن تُقَطَّعَ وُضُنُهَا^(١) ، ومع الرَّجَّالَةُ فُرُسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دَلَفُوا^(٢) لها بفيل وأتباعه لِيَنْفَرُوا خَيْلَهُمْ . وَأَنْسَتِ الْفِيلَةُ إِلَى هَوْلَاءِ الْحِمَاةِ فَلَمْ تَفْتِكْ بِهِمْ ؛ لَكِنَّمَا لَمْ تَفْتِكْ كَذَلِكَ بَعْدَهُمْ ، لِأَنَّ الْفِيلَ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ كَانَ أَوْحَشَ ، وَإِذَا أَطَافُوا بِهِ كَانَ أَسَّ . فَكَانَ الْقِتَالُ كَذَلِكَ حَتَّى عَدَلَ النَّهَارُ ، وَكَانَ يَوْمَ عِمَّاسٍ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ شَدِيدًا ؛ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ .

عَلَى أَنَّ الْفِيلَةَ مَا كَبِثَتْ حِينَ أَلَمَّتِ الْمَوْقِفَ وَاشْتَدَّتْ مِنْ حَوْلِهَا الْمَعْرَكَةُ أَنْ عَادَتْ إِلَى مِثْلِ فَتِكِهَا يَوْمَ أَرْمَاطٍ ، وَرَأَاهَا سَعْدٌ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْكُتَائِبِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ أَسْلَمُوا مِنْ فَارِسٍ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ مَقَاتِلِ الْفِيلَةِ ؛ فَقَالُوا : الْمَشَافِرُ وَالْعِيُونُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْقَعْمَاقِ وَعَاصِمِ ابْنِ عَمْرٍو : اكَفِيَانِي الْفِيلَ الْأَبْيَضَ - وَكَانَ وَكَانَ بِيَازَاهُمَا - وَأَرْسَلَ إِلَى حَمَّالٍ وَالرَّبِيبِ الْأَسَدِيِّينِ : اكَفِيَانِي الْفِيلَ الْأَجْرَبَ - وَكَانَ بِيَازَاهُمَا - وَكَانَتِ الْفِيلَةُ كُلُّهَا تَتَّبِعُهُمَا .

فَأَخَذَ الْقَعْمَاقُ وَعَاصِمٌ رُمُوحَيْنِ وَوَضَعَاهُمَا فِي عَيْنِي الْفِيلِ الْأَبْيَضِ ، فَقَبَعَ وَنَقَضَ رَأْسَهُ ، وَطَرَحَ سَائِسَهُ ، وَدَلَّى مِشْفَرَهُ ، فَضْرَبَهُ الْقَعْمَاقُ بِسَيْفِهِ ، فَرَمَى بِهِ ، وَوَقَعَ لِحْنِيهِ .

وَحَمَلَ حَمَّالٌ ، وَقَالَ لِلرَّبِيبِ : اخْتَرْ ، إِمَّا أَنْ تَضْرِبَ الْمِشْفَرَ وَأَطْعَنَ فِي عَيْنِهِ

(١) الوضن : جمع وضين ، وهو بطان عريض من جلد منسوج .

(٢) دلفت الكتيبة في الحرب : تقدمت .

أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ، فاختار الضرب ، فحمل عليه حمال وطعنه في عينه فألقى ثم استوى ، وضربه الربييل ، فأبان مشفره ، ففر حتى وثب في العتيق ، وتبعته الفيلة ، وخرقت صفوف الفرس ، وألقت من عليها ، وعبرت العتيق في أثر الأجر حتى أتت المدائن بتوا بيتها .

ولما ذهبت الفيلة تراحف المسلمون إلى أهل فارس ، وحمائم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار ، وظل الفريقان يقتتلان حتى أقبل الليل والغبار مخيم ، فلا يعلم سعد ولا يعلم رستم من الدائرة ، وعلى من تدور !

وهذا القتال أول الليل ، وقدّر سعد أن الجيشين سيقضيان الليل يستعدان ليوم رابع ، ولكنه خشي أن يأتيه المدؤ من مخاضة بأسفل العسكر ، فأرسل طلحة وعمرا في جماعة من الجند وقال لهما : إن وجدتما القوم قد سبقوكا إليها فانزلا بجيالكهم ، وإن لم تجداهم علموا بها؛ فأقيا حتى يأتيكما أمرى . ولم يجدا على المخاضة أحدا ؛ فسولت لهما نفساهما أن يحوضاهما ، وأن يأتيا الأعاجم من خلفهم ، ففعلا .

وأخذ طلحة مكانه وراء العسكر ، وكبر ثلاث تكبيرات؛ ارتاع لها أهل فارس؛ وظنوا أن جيش المسلمين أزمع الغدر بهم ، وتمجّب المسلمون لسماها وظنوا أن الأعاجم فتكوا برجالهم فهم يكبرون مستغيثين ، وأغار عمرو على جماعة من الفرس أسفل المخاضة ، فلم يبق لديهم ريب في غدر العرب بهم ؛ فقدّموا صفوفهم زاحفين ، ورأى القمقاع صنيعهم ، فزاحفهم من غير أن يستأذن سعدا .

وأطل سعد فرأى القمقاع يزاحفهم فقال : اللهم اغفرها له ، وانصره ، فقد أذنت له ، وإن لم يستأذني .

واستقبل الناس الفرس بالسيوف وخالطوهم ، فكان للسيوف قمعة كائنها

صوت مطارق الحدّاد ، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ، ورأى العربُ والمعجمُ أمراً لم يروا مثله ، وانقطعت الأصواتُ والأخبار عن رستم وسعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتى إذا كان وجهُ الصبحِ عليهم أن المسلمين هم الأعْلَوْن ، وأن الغلبة لهم (١) .

وكان الناسُ لم يغمضوا ليلتهم كلها ، واشتدّ بهم التعبُ ، فسار القعقاعُ فيهم ؛ وقال : إن الدائرةَ بمد ساعة لمن بدأ القوم ؛ فاصبروا ساعة ، واحملوا فإن التصر مع الصبر .

فاجتمع إليه جماعةٌ من الرؤساء ، وتخاصّوا على الموت ، وحلوا على من يليهم ؛ واقتتلوا أشدّ قتالٍ إلى أن قام قائمُ الظّهيرة ، وحينئذ بدأ الخلل في صفوف الفرس ، وهبّت ريح عاصف ، فقلعت طيّارة رستم عن سريره ، فهوت إلى العتيق ، وزخف القعقاعُ ومن معه إلى السرير ، فمثروا به ، وقد قام رستم عنه - حين طارت الريح بالطيّارة - إلى بنالٍ قد قدّمت عليه ببال يومئذ ، فوقف بجوار أحدها يستظلّ بحمله .

فضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، ورآه هلال - أحد رجال القعقاع - فعرفه ، فاقتحم النهرَ وراءه ، ثم أخذ برجله ، وخرج به ، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البنال ، وصعد السرير ثم نادى : قتلتُ رستم وربّ الكعبة . فأطاف به الناس وكبّروا ، وانهمز قلبُ الفرس ، وتتابعت الهزيمة .

فدعاهم الجالينوس إلى عبور النهر على الرّدم ، لكنّ الرّدم أنّهار بهم في النهر ، ففرق بانهباره ثلاثون ألف فارس لم يُفِلت منهم أحد .

وجُمِع في ذلك اليوم من الأسلاب والأموال ما لم يُجْمع مثله ، وأرسل سعد

(١) يسمى المؤرخون هذه الليلة ليلة الهريز .

الرُّقَيْلُ يَنْظُرُ فِي قَتْلِ الْفَرَسِ ، وَيَسْمَى رءُوسَهُمْ ؛ وَتَفَقَّدَ الرُّقَيْلُ رُسْتَمَ فَلَمْ يَجِدْهُ
بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَأَعْلَمَ سَعْدًا .

فَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى هَلَالِ التَّيْمِيِّ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ تَبْلُغْنِي أَنَّكَ قَتَلْتَ رُسْتَمَ ! قَالَ :
بَلَى ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ بِهِ ؟ قَالَ : أَلْفَيْتُهُ تَحْتَ قَوَائِمِ الْبَغَالِ ، قَالَ : فَكَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟
فَأَخْبَرَهُ ، حَتَّى قَالَ : ضَرَبْتُ جَبِينَهُ وَأَنْفَهُ ، قَالَ : فَيَجِئُنَا بِهِ ، فَجَاءَ بِهِ ، وَكَانَ
قَدْ تَخَفَّفَ حِينَ وَقَعَ إِلَى الْمَاءِ ، فَأَعْطَاهُ سَلْبَهُ الَّذِي عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ سَبْعِينَ أَلْفًا .

وَخَرَجَ زَهْرَةَ فِي آثَارِ الْمُهْزَمِينَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَحِقَ الْجَالِينُوسَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ
فَقَتَلَهُ ، وَجَاءَ بِسَلْبِهِ إِلَى سَعْدٍ ، فَعَرَفَ الْأَسْرَى الَّذِينَ عِنْدَ سَعْدٍ سَلْبَهُ ، فَقَالُوا :
هَذَا سَلْبُ الْجَالِينُوسِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : هَلْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ سَعْدٌ :
مَنْ ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَفَقَّاهُ سَلْبَهُ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ سَعْدٌ عَنْ عَطَائِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ
مَرْثَدَةَ فَكَتَبَ عَمْرٌو إِلَى سَعْدٍ : تَعَمَّدَ إِلَى مِثْلِ زَهْرَةَ ، وَقَدْ صَلَّى بِمِثْلِ مَا صَلَّى بِهِ ، وَقَدْ بَقِيَ
عَلَيْكَ مِنْ حَرْبِكَ مَا بَقِيَ ؛ تُفْسِدُ قَلْبَهُ ! أَمْضِ لَهُ سَلْبَهُ ، وَفَضِّلْهُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ
الْمِطَاءِ بِخَمْسِ مِائَةٍ .

وَلَمَّا انْكَشَفَ أَهْلُ فَارَسَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ أَحَدٌ أَمَرَ سَعْدٌ
زَهْرَةَ بِاتِّبَاعِهِمْ ، فَنَادَى زَهْرَةَ فِي الْمَقْدِمَاتِ ، وَأَمَرَ الْقَعْقَاعَ بِنِ سَفْلٍ ، وَشُرْحَبِيلَ
بِنِ عَلَا ، وَأَمَرَ خَالِدَ بْنَ عُرْفَةَ بِسَلْبِ الْقَتْلَى وَبَدْفِنِ الشَّهْدَاءِ .

وُجِّعَتِ الْأَسْلَابُ وَالْأَمْوَالُ ، فَجُمِعَ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يُجْمَعْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ .
وَبَعْدَ أَنْ انْتَهتِ الْمَوْقِعَةُ كَتَبَ سَعْدٌ بِالْفَتْحِ ، وَبَعْدَ مَنْ قُتِلُوا ، وَبَعْدَ مَنْ أُصِيبَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَ نَا عَلَى أَهْلِ فَارَسَ ، وَمِنْحَهُمْ سُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ
أَهْلِ دِينِهِمْ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَقَدْ لَقُوا الْمُسْلِمِينَ بِمُدَّةٍ لَمْ يَرِ الزَّارُونَ مِثْلَ زُهَائِمِهَا ،

فلم ينفعمهم الله بذلك ؛ واتبعمهم المسلمون على الأنهار وفي الفجاج ، وأصيب من المسلمين فلانٌ وفلانٌ ورجالٌ من المسلمين ، لا نعلمهم ؛ الله بهم عالم ، وكانوا يدؤون بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليل دوى النَّخلِ ، وهم آساد الناس ، لا يُشبههم إلا الأسود ، ولم يفضل مَنْ مضى منهم مَنْ بَقِيَ إلا بفضلِ الشهادة ؛ إذ لم تُكْتَبْ لهم .

وكان عمر بن الخطاب عند نزول رستم القادسية يستخبر الرُّكبان عن جيش القادسية ، مِنْ حين يصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله ، فلما لَقِيَ البشير^(١) سأله : من أين ؟ فأخبره . قال : يا عَبْدُ الله ، حَدِّثْنِي ، قال : هزَمَ اللهُ العدوَّ . وعمرُ يُخَبِّ معهُ ويستخبره ، والرجل يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين ، فقال الرجل : فمَلاً أخبرتني رحمتك الله أنك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى ! فقام عمر في الناس ، فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إني حريص على ألا أدع حاجةً إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عَنَّا تأسبنا في عيشنا حتى نستوى في الكفاف ؛ ولوددت أنكم عَلِمْتُمْ من نفسى مثل الذى وقع فيها ، ولستُ معاكم إلا بالعمل ؛ إني والله ما أنا بِمَلِكٍ فَاسْتَعْبِدْكُمْ ، وإنما أنا عَبْدُ اللهِ عرض على الأمانة

هذه هي القادسية التي فتحت الطريق إلى إيوان كسرى في عاصمة مُلْكِهِ ، ومهدّت للقضاء على دولته ؛ وكان لها في توجيه الحضارة أبلغ الأثر .

(١) كان هذا البشير سمع بن عميلة الفزارى رسول سمع بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين .

٣٩ - يوم بابل*

كان عمرٌ قد كتب إلى سعدٍ ألا يبرحَ منازلَه حتى يأتيه أمرُه ؛ لذلك أقام سعدٌ بالقادسية في انتظار أمرِ أمير المؤمنين عمر ؛ وأخذ المسلمون يقومون أمورهم ، ويريحون جُندهم .

وتتابع أهلُ العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ، يمدون أهلَ القادسية ، وتوافوا بها ، وقدمت أمدادٌ فيها مُراد وهمدان وأفناء^(١) الناس ؛ وكتبوا إلى عمرٍ يسألونه عما ينبغي أن يفعلوه .

وبعد شهرين ، وقد أجمتْ الناس ؛ جاء أمرٌ عمرٍ إلى سعدٍ بالسير إلى المدائن ، وأن يخلفَ النساء والعيال بالعتيق ، ويجعل معهم كَثْفًا^(٢) من الجُند ؛ وعهد إليه أن يُشيرَ لهم في كلِّ مغمم ؛ ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم .

وأذن سعدٌ بالرحيل ، وقدم زُهرة بن الحوية إلى المكان الذي كانت به الكوفة يومئذ ؛ وكان النخيرجان مُمسكراً به ، فارفض^(٣) ولم يثبت ؛ حين سمع بمسير زُهرة إليه ، ولحق بأصحابه .

ثم أتبع زُهرة بعبدالله بن المثنى ، ثم شُر حبيل بن السمط ، ثم هاشم بن عتبة ، وجعل خالد بن عرقطة على الساقة^(٤) ، ثم تبعهم فرسان المسلمين ؛ وكلهم فارس

* الطبرى ٤ : ١٦٦ . كان في سنة ١٥ هـ ، وبابل : مدينة قديمة بناها الكلدان على الجانب الأيسر من الفرات .

(١) أفناء : أخلاط . (٢) الكثف : الجماعة . (٣) ارفض : ابتعد بجنده .

(٤) ساقة الجيش : مؤخره .

مؤدٍ (١) ، قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر برس من سلاح وكراع (٢) ومال ، وكان ارتحالهم لأيامٍ بقين من شوال .

ولما وصلت مُقدّمة المسلمين بُرس (٣) لقيهم جَمْعٌ من الفرس عليهم بُسْبَهْرِي ، ولم يكن بين الفريقين كبيرُ قتالٍ حتى انهزموا وصاروا إلى بابل ، ونجا بُسْبَهْرِي بطعناتٍ مات بعدها ، ومضى قل (٤) القادسية وعليهم من رءوسهم النخيرجان ، ومهران الرازي والهزمزان ، واستعملوا عليهم الفيرزان .

ولما رأى دهقان (٥) بُرس أن المسلمين قادمون على بلاده ، وقد علم أن بلدّه لا بدّ واقعٌ في قبضتهم ، خاف معرّة دخولهم عليه عنوةً ، وخشى أن يناله أحدٌ منهم بسوء ؛ فبادر إلى زهرة ، واعتقد (٦) منه ذمّةً ، وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل لمواقفة (٧) المسلمين .

ولما عرف زهرة بخبر الذين اجتمعوا ببابل من فلول القادسية أقام وكتب إلى سعد يُعلمه بما أجمع عليه الفرس ، وما أعدّوا له ، وقد قال الفرسُ فيما بينهم : نقاتلهم دستاً (٨) قبل أن نتفرّق .

فسار سعدٌ وألّقى بهم في بابل ، ولم يكن إلا كلفت الرّداء حتى هزمهم ، وانطلقوا على وجوههم ، ولم يكن لهم همّةٌ إلا الافتراق .

(١) الفارس المؤدى : القوى التام عدة الحرب .

(٢) الكراع : الخيل .

(٣) برس : أجة في موضع قريب من بابل . وبمفهم يسمى هذه الموقعة يوم برس .

(٤) الفل : المهزومون .

(٥) الدهقان ، بالضم ويكسر : زعيم فلاحى العجم .

اعتقد منه ذمّة : أخذ منه عهداً .

(٧) المواقفة : أن الإنسان مع غيره في حرب أو خصومة .

(٨) دستا : طابقاً .

نخرج الهرمزان متوجّهاً نحو الأهواز ، وخرج الميرزان حتى نزل على نهاوند
وبها كنوز كسرى فاحتواها ، وولى النخیرجان ومهران الرازی وجهیهما شطراً
المدائن ، حتى عبّرا بهرّسیر إلى جانب دجلة الآخر ، ثم قطعا الجسر .

وأقام سعد ببا بل أياماً ، وبلغه أن النخیرجان ومهران استخلفا على جنودهما
شهریار دهنان كوئی^(١) ، ومبضياً إلى المدائن ؛ فخرج إليه سعد بالجنود ؛ والتقت
أوائلُ جموع المسلمين بجنود شهریار ، فلم یلبثهم حتى البرّاز ، وقال : ألا رجل !
ألا فارسٌ منكم شدیدٌ عظیم یخرج إلىّ حتى أنکّل به !

فقال زهرّة : لقد أردتُ أن أبارکک ، فأما إذ سمعتُ قولک ، فإنّی لا أخرجُ
إلیک إلاّ عبداً ، فإن أقمتَ له قتلك - إن شاء الله - ببغیك ، وإن فررتَ منه
فإنما فررتَ من عبدي . ثم أمر أباً نباتة نائل بن جعشم الأعرجی - وكان من شجعان
بنی تمیم - فخرج إليه ، ومع کل واحد منهما الرمح ، وكلاهما وثيقُ الخلق ؛
إلا أن شهریار مثل الجمل . فلما رأى نائلاً ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائل رجه
ليعتنقه ، وانتضياً سنيئيهما ، ثم اجتلدا واعتنقا ؛ فخرّاعن دابتيهما ، فوقع
شهریار على نائل كأنه بيت ، فضمطه بمنخذه ، وأخذ الخنجر ، وأراغ^(٢) حلّ أزرار
درّعه ، فوقعت إبهامه في فم نائل ، فحطم عظمها ، ورأى منه فتوراً فتاوره ، فجلد به
الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خنجره ، فكشف درّعه ، وطعمه في بطنه
وجنبه حتى مات . فأخذ فرسه وسواریه وسلّبه ، وانكشف أصحابه ، فذهبوا
في البلاد .

(١) كوئی : موضع بسواد العراق قريب من بابل .

(٢) أراغ : أراد .

وأقام زُهْرَةَ بَكُوْتَى حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ سَعْدٌ ، وَعَلِمَ خَبَرَ نَائِلٍ مَعَ الشَّهْرِيَّارِ ؛
فَدَعَا أَبَا نَائِلٍ ، وَقَالَ لَهُ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا نَائِلُ لَمَّا لَبِسْتَ سِوَارِيَهُ وَقَبَأَهُ وَدِرْعَهُ
وَلَتَرَ كَبَنَ بَرْدَوْنَةَ . وَغَنَمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، فَانْطَلَقَ فَتَدْرَعُ سَلْبَهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي سِلَاحِهِ
عَلَى دَابَّتِهِ ، فَقَالَ : اخْلَعْ سِوَارِيكَ إِلَّا أَنْ تَرَى حَرْبًا ، فَتَلْبَسْهُمَا .
فَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُورَ بِالْمِرَاقِ .

٤٠ — يوم بَهْرَسِير *

قَدَّمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ زُهْرَةَ بْنَ الْحَوَيْيَّةِ إِلَى بَهْرَسِيرٍ ، فَتَلَقَاهُ شِيرَازَاذُ بِسَابَاطٍ ^(١) ؛ بِالصُّلْحِ وَتَأْدِيَةِ الْجِزَاءِ ، فَأَمَضَاهُ إِلَى سَعْدِ .

وَسَارَ زُهْرَةَ حَتَّى أَتَى الْمُظْلِمَ ^(٢) بِسَابَاطٍ ، وَكَانَ بِهِ كَتِيبَةٌ لِكَسْرَى تَسْمَى بُورَانَ ، وَكَانَ أَهْلُ هَذِهِ الْكَتِيبَةِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ : لَا يَزُولُ مُلْكُ فَارِسَ مَا عَشِينَا ؛ فَلَقِيَهُمْ زُهْرَةُ بِجَنُودِهِ فَفَلَّحَهُمْ ^(٣) ، ثُمَّ جَاءَ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (ابن أخي سعد) إِلَى الْمُظْلِمِ وَوَقَفَ حَتَّى لَحِقَ بِهِ سَعْدٌ ؛ فَوَافَقَ ذَلِكَ رَجُوعُ الْمُقَرَّطِ — وَهُوَ أَسَدٌ كَانَ لِكَسْرَى قَدْ أَلْفَهُ وَتَخَيَّرَهُ مِنْ أَسْوَدِ الْمُظْلِمِ — فَبَادَرَ الْمُقَرَّطُ النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَعْدٌ ؛ فَنَزَلَ إِلَيْهِ هَاشِمٌ فَقَتَلَهُ بِسَيْفِهِ ؛ فَاقْبَلَ سَعْدٌ رَأْسَ هَاشِمِ ، وَقَبَّلَ هَاشِمٌ قَدَمَ سَعْدِ .

ثُمَّ دَخَلَ سَعْدٌ إِلَى الْمُظْلِمِ ، وَقَرَأَ : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ ^(٤) .

فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ هَدْيٌ ^(٥) ارْتَحَلَ ، فَنَزَلَ عَلَى النَّاسِ بِبَهْرَسِيرٍ ، وَجَمَلَ الْمُسْلِمُونَ كُلَّمَا قَدِمَتْ خَيْلٌ وَقَفُوا ثُمَّ كَبَّرُوا ، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ آخِرُ مَنْ مَعَ سَعْدِ .

وَفِي أُنْثَاءِ وَقُوفِهِ عَلَى أَبْوَابِ بَهْرَسِيرِ بَثَّ الْخَيُْولُ ، فَأَغَارَتْ عَلَى مَا بَيْنَ دَجْلَةَ وَالْفَرَاتِ ، فَأَصَابُوا مِائَةَ أَلْفِ فَلَاحٍ ، فَقَالَ شِيرَازَاذُ لِسَعْدِ : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مُحَارِبِينَ ،

* تاريخ الطبري ٤ : ١٦٧ ، ومعجم البلدان ٢ : ٣١٤ . كان في ذي الحجة سنة ١٥ هـ .

وبهرسير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن .

(١) ساباط : قرب المدائن ، وتسمى ساباط كسرى .

(٢) المظلم : موضع قريب من ساباط . (٣) فلحهم : هزمهم وشدت جمعهم .

(٤) سورة إبراهيم ٤٤ . (٥) هدية من الليل : جزء منه .

ولم يحرّضوا عليكم؛ فاترُ كوههم . فتركهم سعد له ، بعد أن كتب عليه كتاباً بأسمائهم .

ثم كتب إلى عمر يقول : إنا ورَدْنَا بَهْرَ سِيرِ بَعْدَ الَّذِي لَقِينَا فِيهَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَبَهْرَ سِيرِ ، فلم يأتنا أحدٌ لقتال ، فبدَّثتُ الخيول ، وجمعتُ الفلاحين من القرى والآجام فرَأَيْتُكَ .

فأجابه : إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يمينوا عليكم فهو أمانهم ، ومن هرب فأدر كتموه فشانكم به .

ولما ورد كتابُ عمر خلى سعد عن أولئك الفلاحين فلم يطلبهم ، ودعاهم إلى الإسلام والرجوع ، أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة . فقبلوا الجزية والمنعة ، فلم يبق في غربى دجلة إلى أرض العرب سوادى^(١) إلا آمن واعتبط بملك الإسلام .

وأقام سعد على حصار أهل بَهْرَ سِيرِ شهرين ، وجنوده يرْمونهم بالمجانيق والعرّادات^(٢) ، ويدبّون إليهم بالدبابات^(٣) ، ويقابلونهم بكل عُدّة . وكان على بَهْرَ سِيرِ خنادقها وحرّسها وعُدّة الحرب ، واستصنع سعد شيرازاً لنصب المجانيق ؛ فنصب على أهل بَهْرَ سِيرِ عشرين منجنيقاً .

قال أنس بن الحليّس : بينا نحن محاصرون بَهْرَ سِيرِ أشرف علينا رسولٌ ؛ فقال : إن الملك يقول لكم : هل إلى المصالحة على أن لنا ما يائنا من دجلة وجبائنا ، ولكم ما يائكم من دجلة إلى جبلكم ؛ أما شيعتكم ، لا أشبع الله بطنونكم ! فردّ عليه أبو مُفَرِّزِ الأَسود بن قُطَيْبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدري .

فرجع الرجلُ ورأيناهم يَقْطَعُونَ إلى المدائن ! فقلنا : يا أبا مُفَرِّزِ ؛ ما قلت له ؟

(١) السوادى : منسوب إلى السواد ، وهو العراق .

(٢) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة معربة . والمرادة : آلة أصغر من المنجنيق .

(٣) الدبابة : آلة تتخذ للحروب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها .

فقال : لا والذي بئس محمداً بالحق ما أدري ماهو ؟ وأنا أرجو أن أكون قد أنطقُ
بالَّذى هو خير .

وأخذ الناسُ يسألونه ، حتى سمع بذلك سعد ، فجاءه وقال له : يا أبا مُفَرِّرٍ ؛
ما قلت ؟ فوالله إنهم كهُرَّابٍ . فحدثته بمثل حديثه إيانا ؛ فنادى فى الناس ثم نَهَدَ (١)
بهم ؛ فما ظهر على المدينة أحد ، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان ، فأمنناه ،
فقال : ما بقى فيها أحدٌ فما يمنعكم ؟

فتسورَها الرجالُ ، وافتتحنَها ، فما وجدنا أحداً إلا أسارى أسرناهم خارجاً
منها ؛ فسألناهم وذلك الرجل : لأى شىء هربوا ؟ فقالوا : بئس الملكُ إليكم يمرض
عليكم الصلح ؛ فأجبتُموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عَسَل
أفريذين بأترُج (٢) كُوتى . فقال الملك : واؤيلَه ! ألا إنَّ الملائكةَ تتكلمُ على
ألسنتهم ، تردُّ علينا وتُجيبنا عن العرب . والله لئن لم يكن كذلك ماهو إلا شىء ألقىَ
علىّ فى هذا الرجل لنتهى . وأرزوا (٣) إلى المدائن بعد أن أحرقوا الجسر ، وجمعوا كلَّ
السفن التى تجرى فوق دجلة .

ودخل سعد والمسلمون بهرَسير ، وتحوّل المسكر إليها ، وحاولوا عبورَ دجلة فلم
يجدوا الجسر يَمبرون عليه ولم يجدوا سفناً تحملهم .
وفى جوفِ اللَّيل لاح لهم الأبيض (٤) ؛ فقال ضِرار بن الخطاب : الله أكبر !
أبيض كسرى ! هذا ما وعد اللهُ ورسوله ؛ وتابعوا التَّكبير حتى أصبحوا .

(١) نهى بهم : نهض بهم . (٢) الأترج : نبت .

(٣) أرزوا : أسرعوا ، وتجمعوا .

(٤) الأبيض : لبوان كسرى ، شاده كسرى أنوشروان سنة ٥٥٠ م .

٤١ — يوم المدائن*

بعد أن دخل سعد ببهْر سير طلب السفن ليعبرَ بالناس إلى المدائن ، فلم يقدرَ على شيء ، ووجدهم قد ضمُّوا السفنَ ، فأقام ببهْر سير أياماً من صفرَ يمنعه الإبقاء على المسلمين ، حتى أتاه أعلاج^(١) ، فدلّوه على مخاضة تُخاض إلى صُلب الوادى ، فأبى وتردّد عن ذلك .

ثم رأى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها ، فعبرت ، فعزم على العبور لتأويل رؤياه ، وجمع الناس وقام فيهم وقال لهم — بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إنَّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحرِ ، فلا تخلُّصون إليه ، وهم يخلُّصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، فقد كفأكموهم أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذادهم^(٢) . وقد رأيتُ من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . ألا إني قد عزمْتُ على قطع هذا البحر إليهم .

فقالوا جميعاً : عزّم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل .

فندب سعدُ الناس إلى العبور ، ثم قال : مَنْ يبدأ ويحمى لنا الفِراض^(٣) لكيلا

* تاريخ الطبرى ٤ : ١٧٠ ، وتاريخ ابن كثير ٨ : ٦٣ . كان سنة ١٦ هـ . والمدائن :

عاصمة الفرس ، بناها أنوشروان بن قباد ، وأقام بها هو ومن كان بها من ملوك ساسان .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم .

(٢) الذائد : الرجل الذى يحمى ويدفع وجهه ذادة .

(٣) الفراض : جمع فريضة ؛ وهى ثغور المخاضة من الناحية الأخرى .

يمنعوننا من العبور؟ فانتدب^(١) له عاصم بن عمرو ، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات . فأمر عليهم عاصم ، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة .

وعندئذ قال : مَنْ يَنْتَدِبْ مَعِيَ لِنَمْنَعِ الْفِرَاضَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَلِنُحْمِيَكُمْ حَتَّى تَمُتُّوا؟ فانتدب له ستون ، فتقدمهم هو إلى حافة النهر ، وهو يقول للذين ترددوا من حوله : أتخافون ! وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلاً ﴾^(٢) . ثم دفع فرسه فانتحى النهر ، واقتحم زملاؤه معه .

فلما رأهم الأعاجم وما صنعوا ، أعدوا للخيل التي تقدمت مثليها ، واقتحموا عليهم دجلة ، ثم دنوا من عاصم وقد دنا من الفراض ؛ فقال عاصم لأصحابه : الرِّمَاحَ الرِّمَاحَ ! أَشْرِعُوهَا وَتَوَخَّوْا الْمَيُونَ ، فطعنوهم في أعينهم ، فمن لم يُقتل منهم صار أعور ، وتزلزلت بهم خيولهم ، حتى فررت عن الفراض .
وملك الستون الفراض وتلاحق الستمائة .

ولما رأى سعد عاصم على الفراض قد منعها الناس أذن للناس في الاقتحام ، وقال : قولوا : نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ؛ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ !

وتلاحق معظم الجند ، وركبوا الحجج ، وإن دجلة لتزيم بالزبد ، وإن الناس ليتحدثون في عومهم ما يكثرئون ، كما يتحدثون في مسيرهم على الأرض .

وكان سعد وراءهم يسايره في الماء سلمان الفارسي ، فعامت بهم الخيل ، وسعد يقول : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ! وَاللَّهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ وَرِيسَهُ ، وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ ، وَلَيُهْزِمَنَّ اللَّهُ عَدُوَّهُ ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ بَنِي أَوْ ذُنُوبَ تَغْلِبُ الْحَسَنَاتِ ،

(١) انتدب : خف وأسرع . (٢) سورة آل عمران ١٤٥ .

فقال له سلمان : ذُلتَ لهم والله البحور كما ذُلتَ لهم البرّ ؛ أما والذي نفسُ سلمان بيده ليخْرُجَنَّ منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً .

وطبّقوا دِجْلَةَ خيلاً ورَجِلاً حتى ما يَرَى الماء من الشاطئ أحدٌ ، ثم خرجوا من الماء ، والخيلُ تنفضُ أعرافها صاهلة . فلما رأى الفرسُ ذلك انطلقوا لا يَلُون على شيء ، وانتهى المسلمون إلى التّمصّر الأبيض ، وفيه قومٌ قد تَحَصَّنوا . فعرضوا عليهم ثلاثاً ، يَخْتَارون منها أيها شاءوا . قالوا : وما هنّ ؟ قالوا لهم : الإسلام ، فإن أسلمتم فلکم ما لنا ، وعليکم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم ففناجزتکم ، حتى يحکم اللهُ بيننا وبينکم ؛ فأجابوهم : لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ، ولكن الوسطى .

ودخل سعد المدائن ، وانتهى إلى إيوان كسرى ، وأقبل يقرأ : ﴿ كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴾ (١) .

وصلّى فيه صلاة الصبح ، ثمانى ركعات ؛ لم يفصل بينهن ، واتخذهُ مسجداً ، وفيه تماثيل الجصّ ، ولم يمتنع هو ولا المسلمون لذلك ، وتركوها على حالها . وأتمّ الصلاة في المدائن ؛ إذ نوى المّقام بها . وكانت أول جمعة بالعراق ، في صفر سنة ست عشرة .

جمع سعدٌ ما في خزائن كسرى من الأموال والغنائم ؛ وكان ذلك شيئاً كثيراً ، وأصاب الفارسُ من المنعم اثني عشر ألفاً ؛ وكلّهم كان فارساً ، ثم قسّم دور المدائن بين الناس ، ثم جمع الخمس ، وجمع فيه كلّ شيء أراد أن يعجب منه عمر ، من ثياب كسرى وحلّيه وسيفه ، ونحو ذلك ، وما كان يعجب العرب أن يقع إليهم ، وأرسل كلّ ذلك إلى عمر .

(١) سورة الدخان ٢٥ - ٢٨ .

وكان فيما أرسله إليه بساط ذرعه ستون ذراعاً في مثلها ، صورت فيه طرق الملكة ، وبسطت فيه الأرض مذهبة تجرى خلالها أنهار رُصعت بالدر ، وجعلت حافته كالأرض المزروعة فيها نبات الربيع قام على سوق الذهب ، وجعل ورقه من الحرير، وثمره من الجواهر ، وأشباه ذلك .

ولما ورد الخمس على عمر قسّمه على مستحقّيه ، ثم قال : أشيروا عليّ في هذا البساط ؛ فأجمع ملوئهم على أن قالوا : قد جعلنا ذلك لك ، فرأيتك ، إلا ما كان من عليّ ، فإنه قال : يا أمير المؤمنين ، لم يجعل الله علمك جهلاً ، ويقينك شكاً ، إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أأكلت فأفنيت ، وإنك إن تبقّيه اليوم على هذا لم تمدّم في غدٍ من يستحق به ما ليس له . فقال عمر : صدقتني ونصحتني . ثم قطّعه وقسمه بين الناس .

وصدّرَ بعد ذلك أمر عمر بولاية سَمَد بن أبي وقاص صلاة ما غلب عليه وحرّبه ، وولّى النعمان وسويدا ابني عمر بن مقرن الخراج ؛ الأول على ما سَقَت دجلة والثاني على ما سَقَى الفرات .

٤٢ — يوم جَلُولاء*

انتهى الأعاجم بعد الهرب من المدائن إلى جَلُولاء ، ورأوا الطرق عندها تفرق إلى شتّى الأرجاء ، فقال بعضهم لبعض : إن افترقتم لَمْ تَجْتَمِعُوا أَبَدًا ، وهذا مكان يُفَرِّقُ بَيْنَنَا ، فَلَنْجْتَمِعَ للعرب به ولنقاتلهم ، فإن كانت لنا فهو الَّذِي نُرِيدُ ، وإن كانت الأخرى كنا قد قَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا ، وأبدَيْنَا عُذْرًا .

وأرسل إليهم يزدجردُ مِهْرَانَ الرَّازِيَّ في رجاله وأعوانه وجنوده ، وأقام هو بِحُلُوانٍ يُعِدُّهُمْ بِالرِّجَالِ وَالْأَقْوَاتِ ؛ واجتمع هؤلاء وهؤلاء واحتفروا خَنْدَقًا عَظِيمًا أَحَاطُوا بِهِ الْحَسَكَ .

وعلم سعد بذلك فكتب إلى نَعْمَرِ يَسْتَأْمِرُهُ ، فكتب عمر إلى سَعْدِ : أَنْ سَرَّحَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ إِلَى جَلُولَاءِ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، واجعل على مقدمته القمعاع بن عمرو . وَعَيْنَ لَهُ مَنْ يَكُونُونَ عَلَى اليمينة والميسرة والساقة بِأَسْمَائِهِمْ .

وفصل هاشم بن عُتْبَةَ مِنَ الْمَدَائِنِ فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ وَجُوهُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَعْلَامُ الْعَرَبِ ، وَسَارَ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى جَلُولَاءِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْفُرْسِ وَأَحَاطَ بِهِمْ ، فَخَاصَرَهُمْ .

وطاولهم أهل فارس ، وجعلوا لا ينخرجون إليهم إِلَّا إِذَا أَرَادُوا ، وَزَاحَفَهُمُ الْمَسْلُومُونَ ثَمَانِينَ زَحْفًا ، وَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَنَالُونَ مِنَ الْفُرْسِ . وَجَعَلَ هَاشِمٌ يَقُومُ

* الطبري ٤ : ١٧٩ . معجم البلدان ٣ : ١٢٩ . كان في صفر سنة ١٦ و جلولاء : بلدة في طريق خراسان في نحو أربعين ميلًا في شمال المدائن .

في الناس ويقول : إِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ مَنْزِلٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . وجعل سمدُ يُمِدُّهُ بالفرسان ، حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين ، فخرجوا عليهم ، فقام هاشم في الناس فقال : أبلوا في الله بلاءً حسناً ، يتمّ عليكم الأجرَ والمنعم ، واعملوا لله .

فالتقوا واقتتلوا ، وبث الله ريحاً أظلمت عليهم البلادَ ، فلم يستطيعوا إلى المحاذرة ، فهافت فرسانهم في الخندق ، فلم يجدوا بُدّاً من أن يجعلوا فرساً مما يليهم ، تصعدُ منه خيلهم ، فأفسدوا حصنهم ، وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا : ننهضُ إليهم ثانيةً فندخله عليهم أو نموت دونه .

فلما شهّد المسلمون الثانية خرج القومُ ، فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد ، لكيلا يقدم عليهم القوم ، وتركوا للمجال وجهاً .

وخرجوا على المسلمين ، واقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير ؛ إلا أنه كان أكمش^(١) وأعجل ، وانتهى القمعاق في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خيلهم ، فأخذ به ، وأمر منادياً فنادى : يامعشر المسلمين ، هذا أميرُكم قد دخل خندق القوم ، وأخذ به ؛ فأقبلوا إليه ، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله .

وإنما أمر بذلك ليُقوّى المسلمين ، فحمل المسلمون ، وهم لا يشكّون أن هاشما فيه ، فلم يقيم لهم شئ ، حتى انتهوا إلى باب الخندق ، فإذا هم بالقمعاق بن عمرو قد أخذ به .

وانهزم الفرسُ يَمَنَةً ويسرةً عن المجال الذي بجبال خندقهم ، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين ، وعُقرت دوابهم ، وعادوا رجالة ، وتبعهم المسلمون فلم يقلت منهم إلا القليل ، وقتل يومئذ مائة ألف^(٢) .

(١) أكيش في السير : أسرع . (٢) أورد الطبري رواية أخرى لهذا اليوم جزء ٤ صفحة ١٨١

٣٢ - يوم تَكْرِيت*

علم سَمْدٌ بانصرافِ الفلُولِ مِنَ الفُرسِ إلى تَكْرِيتٍ وَتَحَصُّنِهِمْ بِهَا ،
وَمَعَهُمُ الأَخْلَافُ مِنْ إِيَادٍ وَتَغَلِبٍ وَالنَّمِرِ ، فَأرسل إليهم عَبْدُ اللَّهِ بنِ المَعْتَمِ ،
وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَقَدِّمَتِهِ رَبِيعِيَّ بنَ الأَفْصَلِ العَنَزِيَّ ، وَعَلَى مِيَمَنَّتِهِ الحَارِثَ بنَ حَسَّانَ
الذَهَلِيَّ ، وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ فُرَاتَ بنَ حَيَّانَ العَجَلِيَّ ، وَعَلَى سَاقَتِهِ هَانِيَّ بنَ قَيْسٍ ، وَعَلَى
الْخَيْلِ عَرَفَجَةَ بنَ هَرْمَةَ . وَفَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ المَعْتَمِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَدَائِنِ ،
وَسَارَ إِلَى تَكْرِيتٍ فَوَجَدَ الفُرسَ قَدْ خَنَدَقُوا بِهَا ، فَخَصَرَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ،
تَزَاحَفُوا فِيهَا أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ زَحْفًا ، وَكَانُوا أَهْوَنَ شَوْكَةً مِنْ أَهْلِ جَلُولَاءَ .
وَوَكَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ المَعْتَمِ مَنْ يَدْعُو العَرَبَ لِنُصْرَتِهِ ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ ، وَأَقْبَلَتِ
العُمَيُّونَ مِنْ تَغَلِبٍ وَإِيَادٍ وَالنَّمِرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ المَعْتَمِ بِالحَبْرِ ، وَسَأَلُوهُ للعَرَبِ السَّلْمَ ،
وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَجَابُوا لَهُ .

فَأرسل إليهم : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِذَلِكَ فَاسْتَهْدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ
مُحَمَّدًا رَسولَ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَعْلِمُونَا رَأْيَكُمْ . فَرَجَعُوا
إِلَيْهِ بِقَبولِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَاعْلَمُوا أَنَا قَدْ تَهَدَّنَا إِلَى الأَبْوَابِ الَّتِي
تَلِينَا لِنَدْخُلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، فَخُذُوا بِالأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي دِجْلَةَ ، وَكَبِّرُوا وَاقْتُلُوا مَنْ
قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ .

وَسَهَدَ^(١) عَبْدُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَكَبَّرُوا ، وَكَبَّرَتْ إِيَادٌ وَتَغَلِبٌ وَالنَّمِرُ ، وَقَدْ أَخَذُوا

* الطبري ٤ : ١٨٦ ، ومعجم البلدان ٢ : ٤٠١ ، كان في سنة ١٦ . وتكريت : بلد بين

بغداد والموصل على دجلة إلى شمال المدائن . (١) نهد : نهض وخف .

بالأبواب ، فَحَسِبَ الْقَوْمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَتَوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ . فدخلوا عليهم
مما يلي دِجْلَةَ ، فبادروا الأبوابَ التي عليها المسلمون فأخذتهم السيوفه ؛ سيوف
المسلمين مُسْتَقْبَلَتَهُمْ ، وسيوف العرب الذين أسلموا ليلتشد من خلفهم ، فلم يُفَلتْ منهم
إلا من أسلم ؛ من تغلب وإياد والنمر .

وسرَّحَ عبد الله بن المَعْتَمِ ابنَ الْأَفْكَلِ الْعَتَرِيَّ إِلَى الْحِصْنَيْنِ نَيْنَوَى وَالْمَوْصِلِ ،
وقال له : اسْبِقْ إِلَيْهِمَا قَبْلَ وُصُولِ الْأَنْبَاءِ إِلَيْهِمَا ، وَسَرَّحْ مَعَهُ تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنَّمِرَ ،
وَمَعَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ ، وَسَارُوا جَمِيعًا حَتَّى اقْتَحَمُوا عَلَيْهِمْ فِيهِمَا ؛ فنادوا بالإجابة
إلى الصلح ، فأقامَ مَنْ اسْتَجَابَ ، وَهَرَبَ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ ، فَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ لِمَنْ أَقَامَ ،
وَصَارَتْ لَهُمْ جَمِيعًا الذِّمَّةُ وَالْمَنْعَةُ ، وَاقْتَسَمُوا فِي تَكْرِيثِ كُلِّ سَبْتِهِمْ أَلْفَ دَرَاهِمَ ،
وَبِعَثُوا بِالْأَنْخَاسِ إِلَى عُمرَ مَعَ فُرَاتِ بْنِ حَيَّانَ ، وَبِالْفَتْحِ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ حَسَّانَ .

٤٤ — يوم ماسبذان*

لما رجع هاشم بن عُثْبَةَ من جَلُولاء إلى المدائن بلغ سمدا أن آذِن بن الهَرْمُزَانَ قد جمع جمعا ، فخرج بهم إلى السَّهْلِ ؛ فكتب بذلك إلى عمر .
فكتب إليه عمر : ابْعَثْ إِلَيْهِمْ ضِرَّارَ بنِ الْخَطَّابِ في جُنْدٍ ؛ وَعَيِّنْ لَهُ أَمْراءَهُمْ .
فخرج ضِرَّارُ بنُ مَعَهُ ، حَتَّى انْتَهَى إلى سَهْلِ ماسبذان ، فالتقى بالفرس .
وأسرع المسلمون في المشركين ، وأخذ ضِرَّارُ آذِنَ أسيراً . وانهزم عنه جيشه ،
فضرب عُنُقَهُ .
ثم خرج في الطَّبِّ حَتَّى انْتَهَى إلى السَّيْرَوَانَ ، وأخذ ماسبذان عَنوَةً ،
فتطار أهلها في الجبال ، ثم دعاهم فاستجابوا إلى الجزية ، فأقرَّهم في مدينتهم .

* الطبري ٤ : ١٨٧ . كان في سنة ١٦ . وماسبذان : موضع عن يمين حلوان إلى همدان .

٤٥ — يوم قرقيسياء *

لما رجع هاشم بن عثبة من جلولاء اجتمعت جموع أهل الجزيرة بمدينة هيت على شاطئ الفرات ، وكتب بذلك سُمَد إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن ابعث إليهم عمر بن مالك في جُند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري ، وعلى مجيئيه رُبمى بن عامر ، ومالك بن حبيب .

فخرج عمر بن مالك في جُنْدِهِ سائرا نحو هيت ، وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل عليها ، وقد خندق أهلها عليهم .

فله رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به استطال ذلك ، فترك الأخيبة على حالها ، وخاف عليهم الحارث بن يزيد فحاصرهم ، وخرج في نصف الناس يمارض الطريق ، حتى جاء قرقيسياء في غرّة ، فأخذها عنوة ، وأجابه أهلها إلى الجزاء . وكتب إلى الحارث بن يزيد في شأن أهل هيت : إن استجابوا نخل عنهم فليخرجوا ؛ وإلا فخندق على خندقهم خندقاً أبوأبه مما يليك ؛ حتى أرى من رأيت . فاستجابوا ، وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى بلادهم (١) .

* تاريخ العنبري ٤ : ١٨٧ . كان في رجب سنة ١٦ ، وقرقيسياء : بلد عند ملتق نهر الخابور والفرات على تخوم ما بين العراق والشام .

(١) بعد هذا اليوم صار السواد كله في يد المسلمين ، فهدوا طريق إدارته وأقاموا الجنود مرابطة في الثغور بينهم وبين الجبال ، فكان الفلاحون للطرق والجسور والحرب والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم ، وكان في صالح المسلمين لهم : أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برثت منهم الذمة .

٤٦ — يوم الأهواز *

كانت الأهواز تُتأخيمُ حدودَ البصرةِ ، وكان الهرمزاني من بيوتات فارس ، فلما انهزم يوم القادسية أقام بتلك البلاد ، وغاب على مَنْ بها ، فكان يُغيرُ على أهلِ ميسان ودستميسان^(١) ؛ فلما علم بذلك عُتْبَةُ بنُ غزوان أمير البصرة استمدَّ سَعْدَ بنَ أبي وقاص أمير الكوفة فأمدّه بنعيم بن مُقرن ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان ، حتى يكونا بين الأعاجم وبين نهر تيرى .

وأرسل عُتْبَةُ بنُ غزوان سَلْمَى بنَ القَيْنِ وحرَملة بنَ مَرْيَطة في جَمْعٍ من الجنود ، وأمرهما أن يكونا بين ميسان ودستميسان وبين مَناذر . فنزلا هناك ودعوا بني العمِّ ابن مالك ، وكانوا من حاضري تلك الجهة ، فأجاب رؤساؤهم : إنهم سيكونون عوناً للمسلمين ، واتفقوا على إحداث ثورة بمَناذر ونهر تيرى ؛ والهرمزاني يومئذ بين نهر تيرى وبين دُلت .

وفي الموعد اشتدَّ القتالُ بين الفريقين وأتى الخبر الهرمزان بأَنَّ مَناذِرَ ونهر تيرى قد أُخِذتا ، ففتَّ ذلك في عَصَدِهِ ثم هُزِمَ جنده ، وقتل المسلمون منهم ما شاءوا ، وأسروا منهم ما شاءوا واتبعوا حتى وقفوا على شاطئِ دُجَيْلٍ ، وأخذوا ما دونه ، وعسكروا بجيال سوق الأهواز ، وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقامَ بها .

ولما رأى الهرمزاني ما لا طاقة له به طلب الصلح ، فأجابه عُتْبَةُ إلى ذلك .

* الطبري ٤ : ٢٠٨ . كان في سنة ١٧ . والأهواز : إقليم واسع ، يتكون من سبع كور بين

البصرة وفارس .

(١) ميسان ودستميسان : موضعان قرب البصرة .

وصالحه على الأهواز كلها ، ماخلا نهر تيرى ومناذر ، وما غلبوا عليه في سوق الأهواز مما أخذه المسلمون عنوةً فإنه لا يُرد إليهم ، وجعل عتبة سلمى بن القين على مناذر ، وحرمة على نهري تيرى ، ووكل إليها مسالح البصرة ، وأخذت طوائف بني العمّ تنزل البصرة .

ثم شجر خلاف بين بعض رؤساء بني العمّ ، وبين الهرمزان في حدود الأرّضين ، كان من نتيجته أن نقض الهرمزان الصّالح ومنع ما قبله ، واستعان بالأكراد ، فكشّف جنده ، وانتهى الأمر إلى عتبة بن غزوان ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر يأمره بأمره ، وأمدّم بحرقوص بن زهير السعديّ ، وكانت له صحبة من رسول الله ، وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه ، وانضمّ إليه سلمى وحرمة ، وعلم بأمرهم الهرمزان فنهد إليهم بجنوده .

ولما انتهى المسلمون إلى جسر سوق الأهواز أرسلوا إلى الهرمزان : إما أن تعبر إلينا ، وإما أن نعبّر إليكم ، فقال : اعبروا إلينا ، فعبروا من فوق الجسر ، ثم اقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الأهواز ، حتى هزم الهرمزان وجنده ، وفرّ إلى رامهرمز .

وافتح حرقوص سوق الأهواز فأقام بها ، ونزل الجبل ، واتّسبت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر ، ووضع الجزية ، وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر ، ووفد إليه وقدأ بذلك ، فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة .

٤٧ — يوم طاووس*

كان المسلمون بالبصرة وأرضها - وأرضها يومئذ سوادها - ماغلبوا عليه منها
ففي أيديهم ، وما سولحوا عليه منها؛ ففي أيدي أهلها ، يؤذون الحجاج ، ولهم الذمة
والمنعة ، وعميد الصلح الهرمزان .

وقد قال عمر : وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار ، لا يصلون إلينا
منه ، ولا نصل إليهم ، كما قال لأهل الكوفة : وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا
من نار ، لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم .

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر فمزله عمر ، وجعل
قدامة بن مظعون مكانه ، ثم عزّل قدامة ، وردّ العلاء - وكان العلاء يُبارى سمداً
لصدع صدعه القضاء بينهما ، فطار العلاء على سمدة في الردة بالفضل ، فلما ظفر
سمد بالقادسية ، وأزاح الأكلسة ، وأخذ حدود مايلي السواد استعلى ، وجاء بأعظم
مما كان العلاء جاء به .

أراد العلاء أن يضع شيئاً في الأجاج ، مع أن عمر قد نهاه عن البحر حين
استعمله ، فلم يقدر الطاعة والمعصية وعواقبهما .

فندب أهل البحرين إلى فارس ، فترسّوا إلى ذلك ، وفرّقهم أجناداً ، على أحدها

* الطبري ٤ : ٢١٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ١٠ . كان سنة ١٧ هـ وطاووس : موضع

الجارود بن المعلّى ، وعلى الآخر السّوّار بن همام ، وعلى الآخر خُلَيْدُ بن المنذر بن ساوى ،
وخُلَيْد على جماعة الناس .

فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر - وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه
غازياً ، لأنه يكره التفرير استئذاناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر .

فمبرت تلك الجوزة من البحر بين إلى فارس وخرجوا في إصطخّر ، وبإزائهم أهل
فارس ، وقد اجتمعوا على الهرّبذ ، وحالوا بين المسلمين وبين سفنهم ، فقام خليد في
الناس فقال : أمّا بعد ، فإن الله إذا قضى أمراً جرت المقادير حتى تُصيّبه ؛ وإن
هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعواكم لحربهم ، وإنما جئتم لمحاربتهم
والسُّنُّ والأرض لمن غلب ، فاستمينا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا
على الخاشعين .

فأجابوه إلى ذلك ، وصلّوا الظهر ، ثم ناهدوهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع يقال
له طاوس ، وقُتِلَ من قوَّاد المسلمين السّوّار والجارود ، وجعل خليد يذمر^(١) القوم
ويحرّضهم ، واشتدّ القتال ، وقُتِلَ أهل فارس مقتلة لم يُقتلوا مثلها قبلها .

ولم يجد المسلمون سبيلاً إلى الرجوع في البحر ، لأنّ الفرس أغرقوا سفنهم
فخرجوا يريدون البصرة ، فوجدوا شهبزك قد أخذ على المسلمين بالطرق ،
فمسكروا وامتنعوا .

ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء ، من بعثه ذلك الجيش في البحر القمي في روعه نحو
من الذي كان ، فاشتد غضبه على العلاء ، وكتب يمزله ، وتوعده ، وأمره

(١) يذمر : يهجم ،

بأثقل الأشياء عليه وأبفض الوجوه إليه ، بتأمير سعد عليه ، وقال له : الحق بسعد ابن أبي وقاص فيمن قبلك ، فخرج بمن معه نحو سعد .
وكتب عمر إلى عنتبة بن غزوان : إن العملاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، وأظنه لم يريد الله بذلك ، فخشيت عليهم ألا ينصروا وأن يملأوا ، فاندب إليهم الناس ؛ واضمهم إليك من قبل أن يجتأخوا . .

فندب عنتبة الناس ، وأخبرهم بكتاب عمر . فاندب الناس وخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون^(١) الخيل ، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم .
فسار أبو سبرة بالناس وساحل ، لا يلقاه أحد ، ولا يعرض له أحد ، حتى التقى بخليد ، وقد كان أهل إصطخر وشداد^(٢) من غيرهم هم الذين أخذوا الطريق على جيش خليد .

فلما أقام المسلمون مقامهم استصرخ الأعداء أهل فارس كلهم ؛ فغضبوا إليهم من كل وجه وكورة ، فالتقوا بعد طاوس ، وقد توافقت إلى المسلمين أمدادهم ؛ وإلى المشركين أمدادهم ، وبعد قتال فتح الله على المسلمين وقتل المشركين .
وأصاب المسلمون منهم ما شاءوا ، وكانت هذه الغزاة هي التي شرفت نابتة أهل البصرة ، فكانوا أفضل نوابت الأمصار ، وانكفأوا بما أصابوا

(١) جنبه قاده : ال جنبه . (٢) الشدادة: الذين لم يكونوا في حبيهم ومنازلهم، ومفرد: شاذ.

٤٨ - يوم تُسْتَر*

لم يزل يَزْدَجِرْدُ يُثِيرُ أَهْلَ فَارِسَ أَسْفًا عَلَى مَا خَرَجَ مِنْهُمْ - وَكَانَ مَقِيماً بِمَرْو -
فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ فَارِسَ يَذَكِّرُهُمُ الْأَخْتَادَ وَيُؤَنِّبُهُمْ ؛ أَنْ قَدْ رَضِينُمْ يَا أَهْلَ فَارِسَ ؛
أَنْ قَدْ غَلَبْتِكُمُ الْعَرَبُ عَلَى السَّوَادِ وَمَا وَالِاهُ مِنَ الْأَهْوَازِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَوْا بِذَلِكَ ؛
حَتَّى تَوَرَّدُواكُمْ فِي بِلَادِكُمْ وَعُقُرْ دَارِكُمْ !

فَتَحَرَّكَ أَهْلُ فَارِسَ وَأَهْلُ الْأَهْوَازِ ، وَتَمَاقَدُوا وَتَمَاهَدُوا ، وَتَوَاتَقُوا عَلَى النَّصْرَةِ ،
وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ حَرْقُوصَ بْنَ زَهِيرٍ ، وَسَلْمَى وَحَرْمَلَةَ .

وَلَمَّا عَلِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِذَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَعْدِ أَمِيرِ الْكُوفَةِ أَنْ ابْعَثْ
إِلَى الْأَهْوَازِ بَعْثًا كَثِيفًا مَعَ النَّمَانِ بْنِ مُقَرَّنٍ ، وَعَجَّالٍ ؛ وَابْعَثْ سُؤَيْدَ بْنَ مَقْرَنَ
وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ ذِي السَّهْمِينَ ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحُمَيْرِيَّ وَجَرِيرَ بْنَ عَبْسَةَ اللَّهِ
الْبَجَلِيَّ ، فَلْيَنْزِلُوا بِإِزَاءِ الْهَرْمُزَانَ حَتَّى تَتَّبِعِينَ أَمْرَهُ .

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى أَمِيرِ الْبَصْرَةِ أَنْ ابْعَثْ إِلَى الْأَهْوَازِ جُنْدًا كَثِيفًا ،
وَأَمْرًا عَلَيْهِمْ سَهْلُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمِيعًا أَبَاسِبْرَةَ
ابْنَ أَبِي رُفَيْمٍ ، وَكُلَّ مَنْ آتَاهُ مُمِدًّا لَهُ .

وَخَرَجَ النَّمَانُ بْنُ مُقَرَّنٍ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَأَخَذَ وَسْطَ السَّوَادِ حَتَّى قَطَعَ دِجْلَةَ
بِحَيْلِ مَيْسَانَ ، ثُمَّ أَخَذَ الْبَرَّ إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَانْتَهَى إِلَى نَهْرِ تَيْرِي فَجَازَهُ ،
ثُمَّ جَازَ مَنَازِرَ ، وَسُوقَ الْأَهْوَازِ ، وَخَافَ حَرْقُوصًا وَسَلْمَى وَحَرْمَلَةَ ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ
الْهَرْمُزَانَ - وَالْهَرْمُزَانَ يَوْمَئِذٍ بِرَامِهرْمُز .

* الطبري : ٤ - ١٣١٤ . كان سنة ١١٧ : وتستر : أعظم مدينة بخوزستان .

وَمَا سَمِعَ الْهَرَمَزَانُ بِمَسِيرِ النَّعْمَانِ إِلَيْهِ بَادِرَهُ ، وَرَجَا أَنْ يَنَالَ مِنْهُ ، وَطَمَعَ فِي نَصْرِ
أَهْلِ فَارِسَ وَقَدْ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ ، وَنَزَلَتْ أَوَائِلُ أُمْدَادِهِمْ بِتُسْتَرٍ .

فَالْتَقَى النَّعْمَانُ وَالْهَرَمَزَانُ بِأَرْبُكِ^(١) وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
هَزَمَ الْهَرَمَزَانَ لِلنَّعْمَانِ ، وَأَخْلَى رَامِهرَمَزَ وَتَرَكَهَا وَلِحَقَّ بِتُسْتَرٍ ، وَسَارَ النَّعْمَانُ مِنْ
أَرْبُكٍ حَتَّى نَزَلَ بِرَامِهرَمَزَ فَأَقَامَ بِهَا .

وَمَا وَصَلَ أَهْلُ الْبَصْرَةَ إِلَى سَوْقِ الْأَهْوَازِ جَاءَهُمْ خَبْرُ الْوَاقِعَةِ ، وَأَنَّ الْهَرَمَزَانَ
لِحَقَّ بِتُسْتَرٍ ، فَمَالُوا نَحْوَهَا ، وَرَاغَ النَّعْمَانُ إِلَيْهَا مِنْ رَامِهرَمَزَ ، وَقَصَدَتْهَا الْمَسَالِحُ الَّتِي
تَرَكَوْهَا خَلْفَهُمْ ، وَكَانَ عَلَيْهَا خَرْقُوصٌ وَجَزَاءٌ ، وَلِحَقَّ بِهِمْ سَلْمَى وَحَرْمَلَةٌ ، وَنَزَلَ
جَمِيعُهُمْ عَلَى تُسْتَرٍ ، وَبِهَا الْهَرَمَزَانُ وَجُنُودُهُ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ جَمِيعًا
إِلَى عَمْرِئِ ، وَاسْتَمَدَّهُ أَبُو سَهْبَةَ ، فَأَمَدَّهُ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فِي جَمْعِ آخَرَ مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةَ .

فَخَاصَرُوا الْفَرَسَ أَشْهُرًا ، وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْقِتَالَ ، وَقَتَلَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ - فِيمَا بَيْنَ
أَوَّلِ الْحِصَارِ إِلَى أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ - مِائَةَ مُبَارِزٍ سِوَى مَنْ قَتَلَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ ،
وَفَعَلَ غَيْرُهُ كَثِيرُونَ مِنْ صَنَادِيدِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا فَعَلَ .

وَزَاحَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فِي أَيَّامِ تُسْتَرٍ ثَمَانِينَ زَحْفًا فِي حِصَارِهِمْ ، يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَرَّةً
وَلَهُمْ أُخْرَى ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ زَحْفٍ مِنْهَا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ قَالَ الْمُسْلِمُونَ :
يَا بَرَاءُ ، أَقْسِمُ عَلَى رَبِّكَ لَيَهْزِمَنَّاهُمْ . فَقَالَ : أَلَيْسَ هَزِيمَتُهُمْ لَنَا وَاسْتَشْهَدَنِي .

فَهَزَمُوهُمْ ، حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ حِنْدَاقَهُمْ ، ثُمَّ اقْتَضَمُوها عَلَيْهِمْ ، وَأَرْزَوْا^(٢) إِلَى مَدِينَتِهِمْ
وَأَحَاطُوا بِهَا ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْمَدِينَةُ ، وَطَالَتْ حَرْبُهُمْ خَرَجَ
إِلَى النَّعْمَانِ رَجُلٌ فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدَّأَهُ عَلَى مَدْخَلِ يَأْتُونَ مِنْهُ الْمَدِينَةَ ، وَيَكُونُ

(١) أربك : مدينة بالأهواز . (٢) ارزوا إلى مدينتهم : لاذوا ورجعوا إليها .

فيه فَتَحُّهَا فَأَمَّنُوهُ ، فقال لهم : أنهدوا من قَبْلِ مَخْرَجِ الْمَاءِ ، فَإِنِّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا .
فَنَدَبَ النَّمَانَ أَصْحَابَهُ فَهَدَّوْا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ لَيْلًا ، وَانْسَرَبَ
سُوَيْدٌ وَعَبَسَدُ اللَّهِ بْنِ بَشَرَ ، فَاتَّبَعَهُمْ هَؤُلَاءُ وَهَؤُلَاءُ ؛ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا كَثُرُوا
وَكَثُرَ الْمَسَامُونَ خَلْفَهُمْ ، وَفُتِحَتِ الْأَبْوَابُ ، فَاجْتَدُوا فِيهَا ، وَأَصَابُوا مِنَ الْفُرْسِ
مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَرَزَ الْهَرْمَزَانُ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَأَطَافَ بِهِ الَّذِينَ دَخَلُوا مِنْ مَخْرَجِ الْمَاءِ ،
فَلَمَّا عَايَنُوهُ ، وَأَقْبَلُوا قَبْلَهُ قَالَ لَهُمْ : مَا شَأْنُكُمْ ! قَدْ تَرَوْنَ ضَيْقَ مَا أَنَا فِيهِ وَأَنْتُمْ ، وَمَعِيَ
فِي جَمْعِي مِائَةٌ نَشَابَةٌ ، وَوَاللَّهِ مَا تَصِلُونَ إِلَيَّ مَا دَامَ مَعِيَ مِنْهَا نَشَابَةٌ ، وَمَا يَقَعُ لِي
سَهْمٌ ؛ وَمَا خَيْرٌ إِسَارِي إِذَا أَصَبْتُ مِنْكُمْ مِائَةً بَيْنَ قَتِيلٍ أَوْ جَرِيحٍ ! قَالُوا : فَتَرِيدُ
مَاذَا ؟ قَالَ : أَضَعُ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ عَلَى حَكْمِ عَمْرٍ ، يَصْنَعُ بَنِي مَاشَاءَ . قَالُوا : فَفَلِكِ
ذَلِكَ . فَرَمَى بِقَوْسِهِ ، وَأَمْسَكَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَشَدَّوهُ وَثَاقًا ، وَاقْتَسَمُوا مَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ . فَسَكَانَ سَهْمُ الْفَارِسِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَالرَّاجِلِ أَلْفًا .

وَجَاءَ مَنْ دَاهَمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : مَنْ لِي بِالْأَمَانِ الَّذِي طَلَبْتَهُ لِي وَلِنِ مَالٍ
مَعِيَ ؟ قَالُوا : وَمَنْ مَالَ مَعَكَ ؟ قَالَ : مَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ عَلَيْهِ مُدْخَلَكُمْ . فَأَجَازُوا ذَلِكَ
لَهُمْ ، وَقَتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَيْلَتُنْذِ أَنْاسٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُمْ مَجْرَاءَةُ بْنُ ثَوْرٍ ، وَالْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ
قَتَلَهُمَا الْهَرْمَزَانُ .

وَأَوْفَدَ أَبُو سَبْرَةَ وَفَدَا إِلَى الْبَصْرَةِ فِيهِمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ،
وَأَرْسَلَ الْهَرْمَزَانُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا هَيَّئُوا الْهَرْمَزَانُ فِي
هَيْئَتِهِ ، فَأَلْبَسُوهُ كِسْوَتَهُ مِنَ الدِّيْبَاجِ الَّذِي فِيهِ الذَّهَبُ ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا
مُسَكَّنًا بِالْيَاقُوتِ ، وَعَلَيْهِ حِلْيَتُهُ كَمَا يَرَاهُ عَمْرٌ وَالْمُسْلِمُونَ فِي هَيْئَتِهِ . ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ
عَلَى النَّاسِ يُرِيدُونَ عَمْرًا فِي مَنْزِلِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَسَأَلُوا عَنْهُ ، فَقِيلَ : جَلَسَ فِي

المسجد لوفدٍ قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطالبونه في المسجد ، فلم يروه ، فلما انصرفوا مروا بفلمان من أهل المدينة يلمعون ، فقالوا لهم : أتريدون أمير المؤمنين؟ إنه نائم في المسجد متوسد برؤسَه - وكان عمر قد جلس لوفدِ أهل العراق في برنس ، فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه نزع برؤسَه ثم توسده فنام .

فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جاسوا ذونه ، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره ، والدرّة في يده معلقة ، فقال الهرمزان : أين عمر؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه . وأصغى الهرمزان إلى الوفد ، ثم قال : أين حرسه وحجّابه؟ قالوا : ليس له حارس ، ولا حاجب ، ولا كاتب ، ولا ديوان : قال : فينبغي له أن يكون نبياً ، فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء .

وكثر الناس ، فاستيقظ عمر بالجلبّة ، واستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ! ثم تأمّله وتأمّل ما عليه ، وقال : أعوذ بالله من النار ، وأستعينُ الله . وقال : الحمد لله الذي أدلّ بالإسلام هذا وأشياعه . يامعشر المسلمين ؛ تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدي نبيكم ، ولا تُبَطِّرنكم الدنيا فإنها غرارة فقال الوفد : هَذَا مَلِكُ الْأَهْوَازِ فَكَلِّمَهُ ، فقال : لا ، حتى لا يبقى عليه من حليته شيء ، فرمى عنه بكل شيء عليه إلا شيئاً يستره ، وألبسوه ثوباً صفيقاً .

نقال عمر : هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الندر وعاقبة أمر الله ! فقال : يا عمر ، إنا كنّا وإياكم في الجاهلية ، كان الله قد خلّى بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا ، فقال عمر : إنما غلبتمونا في

الجاهلية باجتماعكم وتفريقنا ، ثم قال : ما عُدْرُك وما حُجَّتُكَ في انتقاضك مرّة بعد مرّة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك . واستسقى ماء ، فأثني به في قدح غليظ . فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا . فأثني به في إناء يرضاه ، فجمعات يذذ ترّجف ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفاه . فقال عمر : أعيّدوا عليه ، ولا تجمعوا عليه القتل والمطش . فقال : لا حاجة لي في الماء ؛ إنما أردت أن أستأمن به . فقال له عمر : إني قاتلك . قال : قد آمننتني ، فقال : كذبت ! فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، قد آمننته ، قال : ويحك يا أنس ! أنا أو من قاتل مجزأة والبراء ! والله لئن أتيت بمخرج أو لأعاقبك . قال : قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ، وقلت له : لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان وقال : خدعتني ، والله لا أخدع إلا لمسلم ، فأسلم وفرض له على ألفين ، وأنزله المدينة .

٤٩ - يوم الشوس*

لما انتهى فلّ جَلُولَاءُ إِلَى يَزْدَجَرْدٍ وَهُوَ بِحُلُوانٍ دَعَا بِخَاصَّتِهِ وَالْمَوْبَدَ ، فَقَالَ :
إِنَّ الْقَوْمَ لَا يَلْقَوْنَ جَمْعًا إِلَّا فُلُوهَ ، فَمَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ الْمَوْبَدُ : نَرَى أَنْ تُخْرِجَ فَتَنْزِلَ
إِصْطَخَرَ ، فَإِنَّهَا بَيْتُ الْمَمْلَكَةِ ، وَتَضَمَّ إِلَيْكَ خَزَائِنُكَ وَتُوجَّهَ إِلَيْهَا الْجُنُودُ .
فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ ، وَسَارَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلُوا إِصْطَخَرَ ؛ وَأَبُو مُوسَى مُحَاصِرُ الشُّوسِ ؛
فَوَجَّهَ سِيَّاهُ إِلَى الشُّوسِ وَالْهَرْمِزَانَ إِلَى تُسْتَرٍ .

وَبَلَغَ أَهْلَ الشُّوسِ أَمْرُ جَلُولَاءِ وَنَزُولَ يَزْدَجَرْدٍ إِصْطَخَرَ مِنْهَزِمًا ، فَسَأَلُوا
أَبَا مُوسَى الصَّلْحَ ، فَصَالَحَهُمْ ، وَسَارَ إِلَى رَامِهُرْمِزٍ .

وَمَا عَلِمَ سِيَّاهُ بِذَلِكَ دَعَا الرُّؤَسَاءَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا مَعَهُ مِنْ أَصْبَهَانَ وَقَالَ لَهُمْ :
قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَهْلَ الشَّقَاءِ وَالْبُؤْسِ سَيَغْلِبُونَ عَلَيَّ هَذِهِ
الْمَمْلَكَةَ ، وَتَرَوْتُ دَوَابَّهُمْ فِي إِيْوَانَاتِ إِصْطَخَرَ وَمَصَانِعِ الْمُلُوكِ ، وَيَشْدُونَ خِيُولَهُمْ
بِشَجَرِهَا ، وَقَدْ غَلَبُوا عَلَيَّ مَا رَأَيْتُمْ ، وَلَيْسَ يَلْقَوْنَ جَنْدًا إِلَّا فُلُوهَ ، وَلَا يَنْزِلُونَ
بِحِصْنٍ إِلَّا فَتَحُوهُ ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . قَالُوا : رَأَيْنَا رَأْيَكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنْ
تَدْخُلَ فِي دِينِهِمْ .

وَوَجَّهَ شِيْرِيَهَ فِي عَشْرَةِ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ إِلَى أَبِي مُوسَى يَأْخُذُ شَرْوَطًا عَلَيَّ أَنْ
يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ .

فَقَدِمَ شِيْرِيَهَ عَلَيَّ أَبِي مُوسَى ؛ فَقَالَ : إِنَّا قَدْ رَغِبْنَا فِي دِينِكُمْ فَتُسَلِّمِ ، عَلَيَّ أَنْ
نُقَاتِلَ مَعَكُمْ الْعَجَمَ ، وَلَا نُقَاتِلَ مَعَكُمْ الْعَرَبَ ، وَإِنْ قَاتَلْنَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ مِنْعَمْتُمُونَا
مِنْهُ ، وَنَنْزِلَ حَيْثُ شِئْنَا ، وَنَكُونُ فِي مَنِّ شِئْنَا مِنْكُمْ ، وَتُدْحِقُونَا بِأَشْرَفِ الْعَطَاءِ ،

* الطبري ٤ : ٢١٨ . كان سنة ١٧ . والسوس : بلد بخوزستان .

ويَعْقِدُ لَنَا الْأَمِيرَ الَّذِي فَوْقَكَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : بَلْ لَكُمْ مَا لَنَا وَعَايِكُمْ مَا عَلَيْنَا ! قَالُوا : لَا نَرْضَى .

وَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ ، فَكَتَبَ عَمْرٌ إِلَى أَبِي مُوسَى : أَعْطِهِمْ مَا سَأَلُوا . فَكَتَبَ لَهُمْ أَبُو مُوسَى ، فَأَسْلَمُوا وَشَهِدُوا مَعَهُ حِصَارَ تُسْتَرٍ ، فَلَمْ يَكُنْ أَبُو مُوسَى يَرَى مِنْهُمْ جِدًّا وَلَا نِيَايَةَ ، فَقَالَ لِسِيَاهَ : يَا أَعُورُ ، مَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ كَمَا كُنَّا نَرَى . قَالَ : لَسْنَا مِثْلَكُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ، وَلَا بَصَائِرُنَا كَبَصَائِرِكُمْ ؛ وَلَمْ تُدْجِحْنَا بِأَشْرَفِ الْعَطَاءِ .

فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ : أَنْ أَلْحَقَهُمْ عَلَى قَدَرِ الْبَلَاءِ فِي أَفْضَلِ الْعَطَاءِ وَأَكْثَرِ شَيْءٍ أَخَذَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ .

فَفَرَضَ لِمَائَتِهِ مِنْهُمْ فِي أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ ، وَلِسِتَّةِ مِنْهُمْ فِي أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وَحَاصَرُوا حِصْنَ بِنَارِسَ ، فَانْسَلَّ سِيَاهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فِي زِيِّ الْعَجْمِ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى جَنْبِ الْحِصْنِ ، وَنَضَحَ رِيَابَهُ بِالْدمِ . وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْحِصْنِ ، فَرَأَوْا رِجْلًا فِي زِيِّهِمْ صَرِيحًا ، فَظَنُّوا أَنَّهُ رِجْلٌ مِنْهُمْ أُصِيبُوا بِهِ ، فَفَتَحُوا بَابَ الْحِصْنِ لِيُدْخِلُوهُ ؛ فَتَارَ وَقَاتَلَهُمْ حَتَّى جَلَوْا عَنْ بَابِ الْحِصْنِ وَهَرَبُوا ، فَفَتَحَ الْحِصْنَ وَحْدَهُ ، وَدَخَلَهُ الْمَسْلُومُونَ .

٥٠ - يوم نهاوند

قال عمر لو فدى أهل البصرة : لعل المسلمين يُفَضُّون إلى أهل الذمة بأذى ، وبأمورٍ لها ينتفضون بكم ، فقالوا : ما نعلم إلا وفاء وحسن مملكة ، قال عمر : فما بالهم ينتفضون ! فلم يجذب عند أحدٍ منهم جواباً يشفيه إلا ما كان من الأحنف ابن قيس إذ قال : يا أمير المؤمنين ، أخبرك ، أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاعتصار على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس حتى بين أظهرهم ، وإنهم لا يزالون يسأجلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع مَلِكٌ فاتفقوا حتى يُخرج أحدهما صاحبه ؛ وقد رأيت أننا لم نأخذ شيئاً بمد إلا بانبماشهم وتعذرهم ، وإن ملكهم هو الذى يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فندسح في بلادهم ، ونزيل ملكهم ، ونخرجهم من مملكته وعز أمته ، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس .

فقال عمر : صدقتنى والله ، وشرحت لي الأمر على حقه . ثم نظر في حوائجهم وسرحتهم .

وجاء الخبرُ عمرَ أن أهل فارس كاتبوا ملكهم يزيدَ جرد وهو يومئذ يَمْرُؤٌ^(١) ليكونَ على رأسِ حركتهم حتى يجتمع الناسُ وينضموا تحت لوائه ، فلما جاءته الكُتبُ ، ورأى فيها اجتماعَ كلمةِ الفرس وشدةِ حماسَتهم لدفعِ عدوِّه وعدوِّهم تبدلَ

* لتمام بن مرقن على الفرس . . كان سنة ٢١ ، ونهاوند : من بلاد الفرس ، قرب همدان الطبرى ٤ : ٢٣١ ، معجم البلدان ٨ : ٣٢٩ .
(١) كان يزيد جرد قد اضطررب في أرجاء فارس منذ فر من المدائن ثم استقر في مرو .

يأسه أملاً، واضطرابه طمأنينة، فكتب أهل الجبال وسائر الولايات والبلاد في مملكته يشجعهم ويدعوهم إلى قتال العرب، فتحرّكوا وتكاتبوا^(١)، وركب بعضهم إلى بعض، وأجمعوا على تلبية نداء الملك، وبعث كل أمير جنده إلى نهاوند، حتى بلغ عددهم مائة وخمسين ألفاً، واجتمعوا بإمرة الفيرزان.

فلما اجتمعوا عنده قل لهم: إن عمر لَمَّا طال مُلكه انتهك حرمتها وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عُقر دارنا، وأخذ بيت المملكة، وهو آتيكم إن لم تأتوه، وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم من جنده. ونقل الأمراء حديثه إلى جنودهم، فاشتعلت حماسهم.

وكان سعد بن أبي وقاص كتب إلى عمر: يقال: إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح، وكان عمر منهم من ذلك، فلما بلغه تجمّع الفرس شخص إليه بالخبر مشافهة، بمد أن استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبة على الكوفة.

ثم لم يلبث عبد الله أن كتب إلى عمر يقول: إن أهل فارس قد تجمعوا، فإن جاءونا قبل أن نبأ درهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك عليهم.

والا توالت الأخبار والرُشُل عند عمر أخذ يفكر في أمر الفرس، فبدأ باستشارة الهرمزان، وقال له: انصح لي، فإنك أعلم بأهل فارس، قال: نعم! إن فارس اليوم رأس وجناحان. قال له: فأين الرأس؟ قال: بنهاوند، ثم ذكر موضع الجناحين وقال: الرأي عندي يا أمير المؤمنين أنك إن تقطع الجناحين يرسن الرأس. فقال

(١) تكاتبوا: كتب بعضهم إلى بعض

عمر : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! بَلْ أَعْمِدُ إِلَى الرَّأْسِ فَأَقْطَعُهُ فَإِذَا قَطَعَهُ اللَّهُ
يَمُصُّ الْجَنَاحَانَ .

ثم أراد أن يسير بنفسه، فقالوا له : نُدْكُرُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَسِيرَ بِنَفْسِكَ
إِلَى حَلْبَةِ الْعَجَمِ ، فَإِنْ أَصِيبْتَ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ نِظَامٌ .

فرأى أن يستشير المسلمين في جمعٍ عامٍ ، وأمر أن يُنَادَى فِي النَّاسِ : الصَّلَاةُ
جَامِعَةٌ ! فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَأَخْبَرَ النَّاسَ الْخَبْرَ وَاسْتَشَارَهُمْ وَقَالَ : هَذَا
يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ ؛ أَلَا وَإِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِأَمْرٍ ، وَإِنِّي عَارِضُهُ عَلَيْكُمْ فَاسْمَعُوهُ ، ثُمَّ
أَخْبِرُونِي وَأَوْجِزُوا ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَلَا تُسَكِّرُوا وَلَا
تُطِيلُوا فَيَاثُرِي عَلَيْكُمْ الرَّأْيُ ، أَوْ مَنِ الرَّأْيُ أَنْ أَسِيرَ فَيَمُنَّ قِبَلِي وَمَنْ قَدَّرْتُ عَلَيْهِ
حَتَّى أَنْزَلَ مَنْزِلًا وَسَطًا بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ، فَاسْتَنْفَرَهُمْ ، ثُمَّ أَكُونُ لَهُمْ رِدًّا حَتَّى
يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَقْضَى مَا أَحَبُّ ؟

فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ ، وَتَشَعَّبَتْ بَيْنَهُمُ الْآرَاءُ ، ثُمَّ قَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَتَشَهَّدَ ثُمَّ
قَالَ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَحْكَمْتَكَ الْأُمُورَ ، وَتَحَمَّكَ الْبَلَايَا ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ ،
وَأَنْتَ وَرَأْيُكَ ؛ لَا نَنْبُو فِي يَدَيْكَ ، وَلَا نَكِلُّ عَلَيْكَ . إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَعَرُّنَا
نُطِيعُ ، وَادْعُنَا نُجِيبُ ؛ فَإِنَّكَ وَليُّ هَذَا الْأَمْرِ ، وَقَدْ بَلَوْتَ وَجَرَّبْتَ وَاخْتَبَرْتَ ، فَلَمْ
يُنْكَشِفْ شَيْءٌ مِنْ عَوَاقِبِ قَضَاءِ اللَّهِ لَكَ إِلَّا عَنَ خِيَارٍ . ثُمَّ جَلَسَ .

فَمَادَ عُمَرَ فَقَالَ : إِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ فَتَكَلَّمُوا .

فَقَامَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فَتَشَهَّدَ وَقَالَ : أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ تَكْتُبَ إِلَى أَهْلِ
الشَّامِ فَيَسِيرُوا مِنْ شَامِهِمْ ، وَتَكْتُبَ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ فَيَسِيرُوا مِنْ يَمَنِهِمْ . ثُمَّ تَسِيرُ

أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين ، فتلقى جمع المشركين يجمع المسلمين ، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك ، قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزاً وأكثر . يا أمير المؤمنين ، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمنع من الدنيا بعزير ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ؛ فاشهده برأيك وأعوانك ، ولا تنب عنه . ثم جلس .

فماد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام . فتكلموا .

فقيام علي بن أبي طالب فقال : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شأنهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من عندهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون مائدع وراءك أهم مما بين يديك من العورات والعيالات .

أقرّر هؤلاء في أمصارهم ، واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق : فائقر فرقة لهم في حرّمهم وذراريهم ، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم . إن الأعاجم إن ينظروا إليك قالوا : هذا أمير العرب وأصل العرب ، فيكون ذلك أشد ليكابهم ، فيتألبوا عليك .

وأما ما ذكرت من مسير القوم ، فإن الله أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عددهم ، فإننا لم نقاتل فيما مضى بالكثرة ، ولكننا كنّا نقاتل بالنصر ، فأقيم مكانك .

فقال عمر : أجل والله ، لأن شخصت من البلدة لتنتقضن على الأرض من

أطرافها وأكنافها ، ولئن نظرت إلى الأعاجم ليمدّهم من لم يمدّهم ، وليقولنّ :
هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتهموه اقتطعتهم أصل العرب . فأشيروا على رجل أوله
ذلك الثغر غدا .

قالوا : أنت أفضل رأيا ، وأحسن مقدرة . قال : أشيروا علىّ به ، واجملوه عراقيّا .
قالوا : يا أمير المؤمنين ، أنت أسلم بأهل العراق ، وجندك قد وفّدوا عليك ،
ورأيتهم وكأمتهم . فقال : أما والله لأولّين أمرهم رجلا ، ليكوننّ أول
الأسنة إذا لقيها غدا ، فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرّن .
فقالوا : هو لها !

فكتب عمر إلى النعمان - وكان على الخراج بكسكّر^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمّ أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرّن : سلام
عليك ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه بلغني أن جوعا من
الأعاجم كثيرة قد جُمعوا لكم بمدينة تهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فسرّ بأمر الله
وبمؤن الله ، وبنصر الله بمنّ . معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ، ولا
تمنهم حتّمهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة^(٢) ، فإن رجلا من المسلمين أحبّ إلى
من مائة ألف دينار ، والسلام عليك .

ثم كتب لأهل الكوفة أن يوافقوا النعمان وعليهم حذيفة بن اليمان ، وكتب
لأبي موسى أن يسير بأهل البصرة ، وأرسل إليه جوعا من المدينة فيهم عبّد الله
ابن عمر .

(١) كسكّر : كورة قصبتها واسط .

(٢) الغيضة : الأجمة أو مجتمع الشجر في مغيض ما .

ثم كتب للنعمان : إن حدث بك حدث فعلى الناس خذيفة بن اليمان ، فإن حدث بخذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن .

وبعث السائب بن الأقرع - وكان رجلاً كاتباً حاسباً - فقال له : الحق بهذا الجيش فكأن فيهم ، فإن فتح الله عليهم فاقسيم على المسلمين فيئثمهم ، وخذ نخس الله ونخس رسوله ، وإن أصيب هذا الجيش فاذهب في سواد الأرض ، فبطن الأرض خير من ظهرها .

وكتب إلى سلمى بن القين وحرمة بن ربيعة ، وأمراء الجند الذين كانوا بين فارس والأهواز : أن اشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتىكم أمرى .
فقطموا بذلك على أهل نهاوند أمداد فارس .

وجاء أهل الكوفة فوافوا النعمان ومعهم كتاب من عمر وفيه : إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية ، فأذخلمهم دون من هر دوتهم في العلم والحرب واستعين بهم ، وسئل طليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن أبي سلمى العنزي وعمرو ابن معديكرب الزبيدي ، ولا تولم شيئاً .

واجتمعت جموع الفرس ، وأرسل بئدار - وكان من أغلاجهم - أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلمه ، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة .

قال المغيرة في خبره : لما دخلت على بئدار علمت أنه قد استشار أصحابه ، فقال : بأى شئ نأذن لهذا العربي ؟ بشارتنا وبهجتنا ومملكنا ، أم نتكشف له فيما قبلنا حتى يزهده ؟ قالوا : بل بأفضل ما تكون الشارة والعدة ؛ فتهيئوا بها .

فلما أتيتهم رأيت حراسه بحرابهم التي تلع ، كأثم الشياطين ؛ وإذا هو على سرير من ذهب ، على رأسه التاج .

قال : فضيتُ كما أنا ، ونكست ، ثم دُفعت ومُهِنْت . فقلت : الرسلُ لا يُفعلُ بهم هذا ، فقالوا : إنما أنت كلب ، فقلت : معاذَ الله ! لأننا أشرفُ في قومي من هذا في قومه : فانهروني ، ثم قالوا : اجلس ، وأجلسوني . فقال لي - والترجمان بيننا - : إنكم معشر العرب أبعَدُ الناس من كلِّ خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشق الناس شقاءً ، وأقدر الناس قدراً ، وأبعدهم داراً ، وما من معنى أن أمرَ هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالشباب إلا تنجسوا لجيفِكم ، فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نحلَّ عنكم ، وإن تأبوا نركم مصارعكم .

قال المغيرة : فحمدت الله وأثنتُ عليه ، وقلتُ : والله ما أخطأت من صيفتنا شيئاً ولا من نعتنا ، إنا كنا أبعَدَ الناس داراً ، وأشدَّ الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاءً ، وأبعَدَ الناس من كلِّ خير ، حتى بعثَ الله إلينا عزَّ وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوعدنا النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة ؛ فوالله ما زلنا نتعرفُ من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجعُ إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على ما في أيديكم ، أو نُقتل بأرضكم ، ثم قت وقد أرعبتُ الملح .

ثم أمر النعمانُ بن مُقرِّن بالتَّبئة ، فسارت جيوشُ المسلمين حتى التقوا بالفرس وجهاً لوجه .

فلما رآهم النعمانُ كبرَّ وكبرَ الناسُ معه ، مما أوقع الرعبَ في قلوب الأعاجم . فأمّر النعمانُ بحطِّ الأثقال وبضربِ المُسطاطِ ، فضربَ وهو واقف ، وتعاونَ على بنائه أشرافُ أهل الكوفة .

وأنشَبَ النعمانُ القتالَ بمد ما حطَّ الأثقال ، فاقتتلوا يومين والحربُ بينهم في ذلك

سِجَال . ثم انجَحَرَ الأَاجِمُ في خَنَادِقِهِمْ ، وَحَصَرَهُمُ الْمَسْلُومُونَ ، فَأَقَامُوا فِيهَا مَا شَاءَ اللهُ ؛ لَا يُخْرِجُونَ إِلَّا إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ .

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَسْلَمِينَ ، وَخَافُوا أَنْ يَطُولَ أَمْرُهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي جُمُعَةٍ مِنْ الْجَمْعِ تَجَمَّعَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الْمَسْلَمِينَ ، فَتَكَلَّمُوا وَقَالُوا : نَرَاهُمْ عَلَيْنَا بِالْخِيَارِ (١) .

وَأَتَوْا النَّمَانَ فِي ذَلِكَ ، فَوَافَقُوهُ وَهُوَ يَرُؤِي (٢) فِي الَّذِي رَوَّوْا فِيهِ ؛ فَقَالَ : عَلَى رِسْلِكُمْ لَا تَبْرَحُوا . وَبِمَثِّ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَاتِ وَالرَّأْيِ فِي الْحُرُوبِ ، فَتَوَافَوْا إِلَيْهِ .

فَتَكَلَّمَ النَّمَانُ وَقَالَ : قَدْ تَرَوْنَ الْمُشْرِكِينَ وَاعْتَصَمَهُمْ بِالْحِصُونِ مِنَ الْخِنَادِقِ وَالْمَدَائِنِ ، وَأَنْتُمْ لَا يُخْرِجُونَ إِلَّا إِذَا شَاءُوا ، وَلَا يَقْدِرُ الْمَسْلُومُونَ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ وَانْبِعَاشِهِمْ قَبْلَ مَشِيئَتِهِمْ ، وَقَدْ تَرَوْنَ الَّذِي فِيهِ الْمَسْلُومُونَ مِنَ الضَّيْقِ لِذَلِكَ ، فَمَا الرَّأْيُ الَّذِي بِهِ نَسْتَخْرِجُهُمْ إِلَى الْمَنَابِذَةِ (٣) وَتَرَكَ التَّطْوِيلَ ؟

فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ نُبَيْيٍّ - وَكَانَ أَكْبَرَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ سِنًا ، وَكَانُوا إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ - فَقَالَ : التَّحَصُّنُ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ عَلَيْكُمْ ، فَدَعَهُمْ وَلَا تُخْرِجُهُمْ ، وَطَاوِلْهُمْ ، وَقَابِلْ مَنْ أَتَاكَ مِنْهُمْ . فَرَدُّوا عَلَيْهِ جَمِيعًا رَأْيَهُ ، وَقَالُوا : إِنَّا عَلَى يَقِينٍ مِنْ إِجْجَازِ رَبَّنَا مَوْعِدَهُ لَنَا .

وَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ فَقَالَ : نَاهِدُهُمْ وَكَاتِرُهُمْ وَلَا تَخَفَهُمْ . فَرَدُّوا عَلَيْهِ جَمِيعًا رَأْيَهُ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا تُنَاطِحُ بَنَى الْجُدْرَانَ ، وَالْجُدْرَانُ لَهُمْ أَعْوَانٌ عَلَيْنَا .

وَتَكَلَّمَ طَلِيحَةُ الْأَسَدِيِّ ؛ فَقَالَ : قَدْ قَالَا وَلَمْ يُصِيبَا ؛ وَأَمَّا أَنَا فَأَرَى أَنَّ

(١) كانوا معتصمين بالحصون من المنادق والمدائن ويخرجون متى شاءوا .

(٢) يروى : يفكر (٣) المنابذة : المكاشفة .

تبعث خيلاً مؤدبية ، فيجدقوا بهم ويرموهم لينشَبوا القتال ويحْمشوهم^(١) ؛ فإذا استَحْمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أَرْزَوْا^(٢) إلينا استظرادا ؛ فإننا لم نستطرد لهم في طول ماقاتلناهم . وإننا إذا فَعَانَا ذلك ، ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ، ولم يشكروا فيها ، فخرجوا فجَادُونَا وجَادُونَاهُمْ ؛ حتى يَقْضِيَ اللهُ فينا وفيهم ما أحب ، فوافقوه على رأيه .

وأمر النعمان القَعْقَاع بن عمرو - وكان على المجرَّة - فأنشَب القتال بعد احتجاز من المعجم ؛ فلما خرجوا نكص ثم نكص ثم نكص ؛ واغتنمها الأعاجم ؛ ففعلوا كما ظنَّ طليحة ؛ وخرجوا ، فلم يبق أحدٌ إلا من يقوم لهم على الأبواب ، وانقطعوا عن حصنهم بعض الانقطاع ؛ والنعمان بن مقرن والمسلمون على تمبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار ، وقد عهد النعمان إلى الناس عهده ، وأمرهم أن يَأْزَمُوا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يَأْذَنَ لَهُمْ ، ففعلوا . وأقبل المشركون عليهم يَرْمُونَهُمْ حتى أفسَوْا فيهم الجراحات ، وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض ، ثم قالوا للنعمان : ألا ترى ما نَحْنُ فيه ؟ ألا ترى إلى ما لَقِيَ الناسُ ؟ فما تَنْتَظِرُ بهم ! ائذِن للناس في قتالهم .

فقال لهم النعمان : رُوَيْدًا رويدا . وقالوا له ذلك مرارا ، فأجابهم بمثل ذلك مرارا ؛ رُوَيْدًا رويدا . فقال المغيرة حين رأى كثرتهم : لم أركليوم فشلا ؛ لو أن هذا الأمر إلى علمت ما أصنع ، فقال النعمان - وكان رجلاً ليلاً : رويداً ترَ أمرك ؛ وقد كنت تلي الأمر فتُحْسِنُ ؛ نفلا يَحْذِلْنَا اللهُ ولا إياك ؛ ونحن نرجو في المَكْتُ مثل الذي نرجو في الحَث .

(١) يحمشونهم: يفضبونهم ويدفعونهم إلى القتال . (٢) أَرْزَوْا إلينا: رجعوا لاجئين وتجمعوا.

وجعل النّمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى فيها العدوّ وذلك عند الرّوال وتفقيؤ الأفياء ومهبّ الرياح . فلما كان قريبا من تلك الساعة تحشّش^(١) النّمان . وسار في الناس على برذونٍ أحوى^(٢) قريب من الأرض ؛ فجعل يقف على كلِّ رايةٍ ، ويحمد الله ويثنى عليه ، ويقول : قد علمتم ما أعزّكم الله به من هذا الدّين ، وما وعدكم من الظّهور ، وقد أنجز لكم هَوَادِي ما وعدكم وسُدُورَه ؛ وإِنَّمَا بَقِيَتْ أَعْجَازُه وأَكْرَعُه ؛ والله مُنْجِزٌ وَعَدَه ، ومُتَّبِعٌ آخر ذلك أوّله ، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلةً ، وما استقبلكم من هذا الأمر وأنتم أعزّة ؛ فأنتم اليوم عباد الله حقّا وأوليّاؤه ، وقد علمتم انقطاعكم عن إخوانكم من أهل الكوفة ، والذي لهم في ظفركم وعزّكم ، والذي عليهم في هزيمتكم وذلتكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوّكم ، وما أخطرتُم وما أخطروا لكم^(٣) ؛ فأما ما أخطروا لكم فهذه الرّثة^(٤) ، وما ترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتُم لهم فدينُكم وبَيْضَتُكم ؛ ولا سواء ما أخطرتُم وما أخطروا ؛ فلا يكوننّ على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، وإنهَى اللهُ عبدُ صدق الله وأبلى فأحسن البلاء ، فإنكم بين خيرٍ منتظرين به إحدى الحسينين ، من بين شهيدٍ حتى مرزوقٍ أو فتوحٍ قريبٍ وظفرٍ يسير ، فكفى كلَّ رجلٍ منكم ما يليه ، ولم يكِلْ قرْنَه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرْنُه وقرْنُ نفسه وذلك من اللّامة ، وقد يقاتل البكلبُ عن صاحبه ، فكلُّ رجلٍ منكم مُسَاطٌ على ما يليه ، فإذا قضيتُ أمرى فاستعدّوا ، فإنى مُكَبَّرٌ ثلاثا ، فإذا كَبُرَتُ التكبيرة الأولى فليتهَيِّأ مَنْ لم يكن تهيِّأً ، فإذا كَبُرَتُ الثانية فليشدّ عليه سلاحه ، وليتأهب للنهوض ، فإذا كَبُرَتُ

(١) تحشش : تحرك . (٢) أحوى : أسود ضارب إلى الخضرة ، أو أحمر ضارب إلى السواد

(٣) أخطروا المال : جعلوه خطرا بين المتراهبين .

(٤) الرثة : السقط من متاع البيت .

الثالثة فإني حاملٌ إن شاء الله ، فاجلوا مَعَا ، اللهم أعزِّ دينك ، وانصُرْ عبادك ،
واجمل النعمان أولَ شهيدٍ اليوم على إعزاز دينك وانصُرْ عبادك !
فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف ، وقضى إليهم أمرهم رجع إلى موقفه ،
فكبرَ الأولى والثانية والثالثة ، والناسُ سامعون مُطيعون مستعدون للمناهضة .
وحمل النعمان وحمل الناس ، ورايةُ النعمان تنقضُ نحوهم انقضاضَ العقاب ،
والنعمان مُعلمٌ ببياض القباء والقلنسوة ، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً ، لم يسمع
السامعون بوقعةٍ يوماً قطَّ كانت أشدَّ منها .

فقتلوا فيها من أهل فارس بين الزوال والإعتام ، ما طبَّق أرضَ المعركة دماً
يزلِقُ الناسُ والدوابُّ فيه ، وأصيب فرسانُ من فرسان المسلمين في الزلق في
الدماء ، فزلق فرسُ النعمان فصُرِعَ ، وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصُرِعَ ،
وتناول زايةَ نُعيم بن مُقرِّن أخوه قبل أن تقع ، وسجى النعمان بثوبٍ ، وأتى
حذيفة بالراية فدفعها إليه - وكان اللواء مع حذيفة - فجمل حذيفة نُعيم بن مُقرِّن
مكانه ، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء ، وقال المفيرة: اكتموا مُصابَ
أميركم حتى ننظرَ ما يصنعُ الله فينا وفيهم ؛ لكيلا يهين الناس .

واقتلوا ، حتى إذا ظلَّهم الليلُ انكشف المشركون . ومات منهم مائة ألفٍ أو
يزيدون ، ولم يُفَلت إلا الشريد ، ونجى الفيرزان وهرب نحو هَمَّذان . وراه نُعيم
ابن مُقرِّن ، فدفع القمقاع في أثره ، فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان ، والثنية مشحونة
من بنغال وحير ، موقرة عسلاً عاقته عن الهرب ، وحبسته ، فقتل على الثنية بعدما
امتنع ، وقال المسلمون : إن لله جنوداً منها العسل .

ومضى الفلّال^(١) حتى انتهوا إلى مدينة هَمَّذان ، والخيلُ قي آثارهم ، فدخلوها
فنزّل المسلمون عليهم وحوّوا ما حوّلها .

(١) الفلّال : الجماعة المنهزمون .

ودخل المسلمون بمد هزيمة الشركين نَهَاوَنَد ، واحتَوُوا ما فيها وما حولها ،
وقسَمَ حذيفة بن اليمان بَيْنَ الناسِ غنائمهم ، فكان سهم الفارس ستة آلاف ،
والرَّاجِل ألفين ، ونَقَلَ مَنْ شاء مِنْ أهل البلاء ، ورفع ما بقي مِنَ الأَخماس
إلى السَّائب صاحب الأقباض ، لِيَبْلُغَهَا إلى عُمَرَ ، وَيَبَشِّرَهُ بالفتح .

قال السَّائب : فلما فتح اللهُ على المسلمين نَهَاوَنَد أصابوا غنائمَ عظاماً ،
فوالله إني لَأَقْسِمُ بَيْنَ الناسِ إذ جاءني عِلْجٌ من أهلها ، فقال : أتؤمنني على نفسي
وأهلي وأهل بيتي ، على أن أدُّكَ على كدوز آل كسرى ، تكونُ لك ولصاحبك ،
لا يشرَكَك فيها أحدٌ ؟ قلت : نعم ، قال : فابمَثُ معي من أدُّهُ عليها . فأتى
بِسَفَطَيْنِ^(١) ، عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت . فلما فرَغْتُ
من قَسَمي بَيْنَ الناسِ احتملتهما معي ، ثم قَدِمْتُ على عمر بن الخطاب . فقال :
ما وراءك يا سائب ؟ فقلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح اللهُ عليك بأعظم الفتح ،
واستشهد النعمان بن مُقَرَّرٍ - رحمه الله - فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون !
ثم بكى فنشَجَ أشدَّ نشيج . ثم قام ليدخُلَ ، فقَلْتُ : إنَّ معي ما لآ عظيمًا قد جئتُ به .
ثم أخبرته خبرَ السَّفَطَيْنِ . فقال : أدخِلهُما بيتَ المالِ حتى نَنظُرَ في شأنهما ،
والحَقُّ بِجُنْدِكَ .

قال : فأدخلتهما بيتَ المالِ وخرجتُ سريماً إلى الكوفة .

قال السَّائب : وباتُ عَمْرُ تلك الليلة التي خرجتُ فيها ؛ فلما أصبح بعث
في أثرِي رسولاً ، فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة ، فأنختُ بميرى وأناخ
بعيرهَ معي . فقال : الحَقُّ بأميرِ المؤمنين ، فقد بعثني في طلبك ، فلم أقدر عليك
إلا الآن .

(١) السفط : كالجواني أو كالفقة .

قال السائب له : وَيَلَّاكَ ! ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا أُذْرِي والله . فركبتُ معه حتى قدمت عليه . فلما رآني قال : مالي ولا بن أمِّ السائل ! بل ما لابن أمِّ السائب ومالي !

قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

قال : وَيَجَّكَ ! والله ما هو إلا أن نِمْتُ في اللَّيْلَةِ التي خرجتَ فيها ، فباتت ملائكتُهُ ربي تَسْحَبُنِي إلى ذينك السَّفَطَيْنِ يَشْتَعِلَانِ ناراً ، يقولون : لِكُوَيْنِكَ بهما ؟ فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين . فخذُهما عَنِّي لا أبأ لك ! والحق بهما ، فبهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم .

قال السائب : فخرجتُ بهما حتى وضعتُهما في مسجد الكوفة ، وغشيتني التجار ، فابتاعهما مني عمرو بن حُرَيْثِ الخزوميّ بألفي ألف ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم ، فباعهما بأربعة آلاف ألف ، فزال أكثر أهل الكوفة مالا بعد .

٥١ - يوم الجمل*

لما قُتِلَ عُمَانُ (١) ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ (٢) وَالزُّبَيْرُ (٣) ، وَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي أَمْرِكُمْ ، فَمَنْ اخْتَرْتُمْ رَضِيْتُ بِهِ . فَقَالُوا : مَا نَخْتَارُ غَيْرَكَ ، وَتَرَدَّدُوا إِلَيْهِ مَرَارًا ، وَقَالُوا لَهُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ : إِنَّا لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ ، وَلَا أَقْدَمَ سَابِقَةً ، وَلَا أَقْرَبَ قَرَابَةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : لَا تَفْعَلُوا ، فَإِنِّي أكونُ وزيراً خيراً مِنْ أَنْ أكونُ أميراً . فَقَالُوا : وَاللهُ مَا نَخْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ ، قَالَ : فَمَنْ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِن بَيَّعْتِي لَا تَكُونُ خَفِيَّةً ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ .

نُفِرَ جُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَعِمَامَةٌ خَزَّ ، مَتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ ،

* تاريخ الطبري ٥ : ١٥٢ ، تاريخ ابن الأثير ٣ : ٩٤ ، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٢٥ .
في سنة ٣٦ .

(١) قتل عثمان لثمانى عشرة ليلة خات من ذى الحجة سنة ٣٥ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، المعروف بطلحة الفياض . أسلم على يدى أبي بكر الصديق ، ثم هاجر إلى المدينة ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، ونشهد المشاهد كلها مع رسول الله لا بدرا ، فإنه كان بالشام لتجارة ، وكانت له في أحد اليد البيضاء ، وشلت يده بها حينما وقى بها رسول الله ، فلما كانت قضية عثمان اعتزل عنه ، وقتل يوم الجمل وعمره ستون عاما : ابن كثير ٧ : ٢٤٧ .

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أسلم وعمره خمس عشرة سنة ، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وآخى رسول الله بينه وبين سامة بن سلامة ، ونشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وصحب أبا بكر في خلافته وأحسن صحبته ، وخرج مع الناس مجاهدا وشهد اليرموك وله في ذلك اليوم بلاء مشهور ، ودافع عن عثمان في حصاره ، وفي يوم الجمل ذكره على بأمر كان بينهما عند الرسول ، فاعتزل القتال ، وكر راجعا إلى المدينة فقتله عمرو بن جرموز ، ولما سمع على بذلك حزن عليه ، ابن كثير ٧ : ٢٤٨ .

(٢١ - أيام العرب في الإسلام)

وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب ، فقال :
إنا لله ! أول من بدأ بالبيعة يده سلاء ! لا يتم هذا الأمر . وبايعه الزبير .
فقال لها عليّ : إن أحببتهما أن تبايعاني ، وإن أحببتهما بايعتكما ، فقالا :
بل نبايعك .

وجيء بسعد بن أبي وقاص ليبايع ، فقال : لا أبايع حتى يبايع الناس ،
والله ما عليك منى بأس ، فقال عليّ : خلوا سبيله .

وجيء بعبد الله بن عمر ليبايع فقال : لا أبايع حتى يبايع الناس ، قال له عليّ :
انتهى بحميل^(١) ، قال : لا أرى لك حميلا ، قال الأشتر : خلّ عني أضرب عنقه ،
قال عليّ : دعوه ؛ أنا حميله ، إنك ما علمت لسيّئ الخلق صغيراً وكبيراً .
وتخلف عنه جماعة من الأنصار ، وهرب قوم من أهل المدينة إلى الشام .

ولما تمت البيعة ، ورجع إلى بيته ، دخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة
فقالوا : يا عليّ ، إنا قد اشتطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتروا
في قتل هذا الرجل ، فقال لهم : إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع
بقوم يملكوننا ولا يملكهم ! ها هم أولاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم
أعرابكم ، وهم خيالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء
مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله ، لا أرى لكم إلا رأياً ترونه إن شاء الله ،
إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن هؤلاء القوم مادة ، وذلك أن الشيطان لم يشرع
شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها .

(١) الحميل : الكفيل .

إن الناس من هذا الأمر - إن خرك - على أمور : فرقة لا ترى ما ترون ،
وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس ،
وتقع القلوب موافقها ، وتؤخذ الحقوق ، فاهدوا عني ، وانظروا ماذا يأتيكم ،
ثم عودوا .

ثم اشتد على قريش ، وحل بينهم وبين الخروج ، وبخاصة حينما علم بهرب
بنى أمية . وتفرق القوم ، بعضهم يقول : والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار
من هؤلاء الأشرار ، لترك هذا إلى ما قال علي أمثل ، وبعضهم يقول : نقضى الذى
عائنا ولا نؤخره ، والله إن عليا لمستغن برأيه ، وأمره عناد ، لا نراه إلا سيكون على
قريش أسد من غيره .

ثم رأى علي أن يكون أول أعماله عزل جميع ولادة عثمان قبل أن تصل إليه بيعة
أهل الأمصار ، وقد حذره عاقبة ذلك المغيرة بن شعبه أولا وابن عباس ثانيا ، فأبى
ذلك إباء تاما .

قال ابن عباس : دعاني عثمان فاستعملني على الحج ، فخرجت إلى مكة ، فأقمت للناس
الحج ، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ، ثم قدمت المدينة ، وقد بويع لعلي ،
فأتيته في داره ، فوجدت المغيرة بن شعبه مستخليا به ، فحبسني حتى خرج من
عنده ، فقلت : ماذا قال لك هذا ؟ فقال : قال لي قبل مررت به هذه : أرسل إلى عبد الله
ابن عامر^(١) وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بمهودهم ، وأقرهم على أعمالهم ليبياعوا
لك الناس ، فإنهم يهدئون البلاد ، ويُسكنون الناس . فأبيت ذلك عليه يومئذ ،
وقلت : لا وليت هؤلاء ، ولا مثلهم يؤلى . فانصرف من عندي وأنا أعرف

(١) كان عبد الله بن عامر والى عثمان بن بن عفان على البصرة .

فيه أنه يرى أنى مخطئ ، ثم عاد إلى الآن . فقال : إني أشرت عليك أوّل مرة بالذى أشرتُ عليك ، وخالفتنى فيه ، ثم رأيتُ بعد ذلك رأياً ، وأنا أرى أن تصنع الذى رأيتُ ، فتزعمهم وتستعين بمن تنقُ به ، فهم أهونُ شوكةً مما كان .

قال ابنُ عباس : فقلت لعلّى : أما المرةُ الأولى فقد نصحتك ، وأما المرةُ الآخرة فقد غَشَّكَ ، فقال علىّ : ولم نصحنى ؟ قلت : لأنك تعلم أن معاويةَ وأصحابه أهلُ دنيا فتى تُثبَّتْهم لا يسألوا بمن ولى هذا الأمر ، ومتى تمزَّ لهم يقولوا : أخذ الأمر بغير سُورَى ، ويؤلَّبون عليك فينتقض عليك أهلُ الشام وأهلُ العراق ، مع أنى لا آمنُ طلحةَ والزبير أن يكرَّا عليك .

فقال علىّ : أمّا ما ذكرتَ من إقرارهم ، فوالله ما أشكُّ أن ذلك خيرٌ فى عاجل الدنيا لإصلاحها ، وأمّا الذى يلزمنى من الحقِّ والمعرفة بممّالِ عثمان فوالله لا أوّلَى أحدا منهم أبداً ، فإن أقبلوا فذلك خيرٌ لهم ، وإن أدبروا بَدَلتُ لهم السيف .

قال ابنُ عباس : فأطعنى وادخلُ دارك ، والحق بمالك بينبُع ، وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول جولةً وتضطرب ولا تجذ غيرك ، فإنك والله لئن نهضتَ مع هؤلاء اليوم ليُحمَلَنَّكَ الناسُ دَمَ عثمان غدا .

فأبى علىّ ، وقال لابن عباس : سرُّ إلى الشام فقد وليتُكها . فقال ابن عباس : ما هذا برأى ؛ معاويةُ رجلٌ من بنى أمية ، وهو ابن عمِّ عثمان وعامله على الشام ، ولستُ آمناً أن يضرب عنق لعثمان ، أو يحبسنى فيتحكّم علىّ . فقال له علىّ : ولم ؟ قال : لِقرابة ما بينى وبينك ، وإن كلَّ ما حُمِلَ عليك حُمِلَ علىّ ، ولسكن اكتب إلى معاوية فننّه وعده ، فأبى علىّ ، وقال : والله لا كان هذا أبدا .

ثم فرّق العمّال على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمارة ابن شهاب على الكوفة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام .

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل ، فسأله : من أنت ؟ فقال : أمير على الشام . قالوا : إن كان عثمانُ بمثك فأهلاً بك ، وإن كان غيرهُ بمثك فارجع . قال : أو ما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى عليّ .

وأما قيسُ بن سعد فإنه سار حتى أتى مصر ، فافترق عليه أهلها فرقاً ، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه ، وفرقة رقت واعتزلت وقالوا : إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جدِ يلبتنا^(١) ، حتى نُحرّك أو نصيب حاجتنا ، وفرقة قالوا : نحن مع عليّ ، وكتب قيس بذلك ، إلى عليّ .

وأما عثمان بن حنيف فإنه سار حتى أتى البصرة ، ولم يرده أحدٌ عن دخولها ، ولم يجد لابن عامر^(٢) في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب ، وافترق الناس بها ، فانتبعت فرقة القوم ، ودخلت فرقة في الجماعة ، وقالت فرقة : ننظر ما يصنع أهل المدينة ، فنصنع كما صنعوا .

وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزبالة^(٣) لقيه طليحة بن خويلد الأسديّ ، وكان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعوه إلى الطّاب بدمه ، ويقول : أهنى على أمرٍ سبقني ولم أدركه :

ياليثني فيها جَدَعٌ أكرُّ فيها وأضعُ

(١) الجديلة : الشاكلة والناحية . (٢) كان والي عثمان عليها ، وهو عبد الله بن عامر .

(٣) زبالة : منزل بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق (ياقوت) .

فطلع إليه نَمارة قَادِمًا على الكوفة ، فقال له : ارجع ، فإن التوم لا يريدون بأمرهم بدَّلاً ، وإن أُبَيَّتْ ضَرَبْتُ عنقك ، فرجع نَمارة إلى عليّ وأخبره الخبر .

وانطلق عُبيد الله بن عباس إلى اليمن ، فجمع يعلى^(١) كل شئ من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال .

ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام ، ورجع من رجع ، دعا عليّ طلحة والزبير ، فقال : إن الذي كنت أهدركم قد وقع ، وإن الأمر الذي قد وقع لا يدرك إلا بإماتته ، وإنها فتنة كالنار ، كلما سُمِّرت ازدادت واستنارت ، فقال له : فأذن لنا أن نخرج من المدينة ، فإما أن نكابر ، وإما أن تدعنا ، فقال : سأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بُدًّا فآخِرُ الدواء الكي .

ثم أرسل إلى معاوية سبِّرة الجهنيّ يطلبُ إليه أن يُبايع ، فلما قدم عليه لم يكتب معاوية بشئ ولم يُجِبه ، حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان ، أراد معاوية أن يملنَ خلافتَه ، فدعا برجل من بني عبس ، فدفع إليه طوماراً^(٢) مختماً عنوانه : « من معاوية إلى عليّ » .

وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ، وارفعه حتى يراه الناس .

(١) هو يعلى بن أمية والى عثمان على اليمن .

(٢) الطومار : الصحيفة .

فلما قدم العباسي المدينة رفع الطومار كما أمره معاوية ، وخرج الناس ينظرون ،
فتنفرّوا إلى منازلهم ، وقد علموا أنّ معاوية معترض ، ثم مضى الرسول حتى دخل إلى
عليّ ، فسلمه الطومار ففضّه ، فلم يجد فيه شيئاً ، ثم سأل الرسول : ما وراءك ؟ قال :
إني تركتُ قوماً لا يرّضون إلا بالقود ، قال : ممّن ؟ قال : من خيطة نفسك ، وترك
ستين ألف شيخٍ سيكون تحت قيص عثمان ، وهو منصوب لهم ، قد البسوه منبر
دمشق . فقال عليّ : مني يطالبون دم عثمان ! ألسن مؤثراً كثيرة عثمان ! اللهم إني
أبرأ إليك من دم عثمان ، نجى والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ، فإنه إذا أراد
أمراً كان .

وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا ما رأى عليّ في معاوية وانتقاضه ، ليعرفوا بذلك
رأيه في قتال أهل القبلة ؛ أيجسر عليه أو ينكسر عنه — وقد بلغهم أن الحسن بن عليّ
دخل عليه ودعاه إلى القمود وترك الناس — فدسّوا إليه زياد بن حنظلة التميمي ،
فجلس إليه ساعة ثم قال له عليّ : يا زياد ، تيسر (١) ، فقال : لأيّ شيء ؟ قال : تغزو
الشام ، فقال زياد : الأناة والرّفق أمثل .

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرةٍ
يُضرّسُ بأنبياءٍ ويوطأ بمنهم .
فتمثل عليّ :

متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً وأنفاً حميماً تحتنبك المظالمُ
نخرج زياد على الناس ، فسألوه عمّا وراءه ، فقال : السيف ؛ ثم دعا عليّ ابنه محمداً
فأعطاه لواءه ، وعبأ جنده ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ، وأقبل على
التهيؤ والتجهّز ، وفيما هو في ذلك فجأه أمر عائشة وطلحة والزبير .

(١) تيسر ، أي أهد نفسك .

كانت عائشة قد خرجت من المدينة وعثمان محصوراً بها ، وقصدت إلى مكة للحج ، ولما عازمت على العودة إلى المدينة لقيها بسرف^(١) عبد بن أم كلاب ، فقالت له : مهيم ! قال : قتلوا عثمان ، ومكثوا ثمانيا ، قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خير سجّاز ، واجتمعوا على عليّ أبي طالب ، فقالت : ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك . ردوني إلى مكة . وانصرفت وهي تقول : قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب : ولم ؟ فوالله إن أول من أزال حرقه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نمثلاً^(٢) ، قد كفر ! قالت : إنهم استتأبوه ثم قتلوه ، وقد قلتُ وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب :

مِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغِيْرُ	وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ	وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا أَطْمَئِنَّاكَ فِي قَتْلِهِ	وَقَاتِلُهُ عِنْدَنَا مَنْ أَمَرَ
وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا	وَلَمْ يَنْكَسِفِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَقَدْ بَايَعَ النَّاسُ ذَا تُدْرَإٍ ^(٣)	يَزِيلُ الشُّبَا وَيُقِيمُ الصَّعْرُ
وَيَلْبَسُ لِلْحَرْبِ أَثْوَابَهَا	وَمَا مِنْ وَفَى مِثْلُ مَنْ قَدْ غَدَرَ

ثم انصرفت إلى مكة ، وهي لا تقول شيئاً ، حتى نزلت على باب المسجد ، فقصدت للحجر ، وسُترت فيه ، واجتمع الناس حولها ، فقالت : أيها الناس ، إن

(١) سرف : موضع من مكة على عشرة أميال .

(٢) نمثل : رجل من أهل مصر طويل اللحية ؛ قيل لأنه كان يشبه عثمان ، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب عليه شبه بهذا الرجل لطول لحيته ، ولم يكونوا يجردون فيه عيباً غير هذا - اللسان ٤ : ١٩٣ .

(٣) يقال : رجل ذو تدراً وتدرأة ، أي مدافع ذو عز ومنعة .

الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ، ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل أمثالهم من قبله ، ومواضع من الحمى سماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها . فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهيرة الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لا يصعب من عثمان خير من طباقي^(١) الأرض أمثالهم ، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً خلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه ، إذ ماصوه^(٢) كما يماص الثوب بالماء .

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي - وكان عامل عثمان على مكة - أنا أول طالب ، فكان أول مجيب ؛ وتبعه بنو أمية ، ممن هرب من المدينة إلى مكة بعد قتل عثمان ، ثم تبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية ، وقدم عليهم عبد الله ابن عامر من البصرة بمال كثير ، ويعلى بن أمية من اليمن ، ومعه ستتمائة بمير وستمائة ألف درهم ، وأناخ بالأبطح^(٣) .

وقدم طلحة والزبير من المدينة ، فلقيا عائشة ، فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا : إننا تحمنا^(٤) هرباً من المدينة ، من غوغاء وأعراب ، وفارقنا قوماً خيارى ، لا يعرفون حقاً ، ولا ينكرون باطلاً ، ولا يعمون أنفسهم ، فقالت : انهضوا إلى هذه الغوغاء .

ثم أخذوا يتداولون ويتشاورون أين يذهبون . قال بعضهم : نذهب إلى الشام ، فقال ابن عامر : قد كفاكم الشام معاوية ، اتوا البصرة ، فإن لي بها

(١) طباقي : مل .

(٢) الموص : الغسل بالأصابع ، أرادت أنهم استنابوه عما نقموا منه فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه

(النهاية) .

(٣) الأبطح : مكان في مكة . (٤) تحمنا : رحلنا .

صَدَائِعَ ، ولهم في طَلْحَةَ هَوَى ، فقالوا : قَبَّحَكَ اللهُ ! فوالله ما كنت بالمسلم ولا بالمُحَارِبِ ، فهَلَّا أقمْتَ كما أقام معاوية فَنَكفَى بك ، ثم نأتى الكُوفَةَ ، فَسَدَّ على هؤلاء القوم المذاهبَ ! فلم يجدوا عنده جواباً ، ثم استقام الرأى على البَصْرَةَ .

وكانت عائشةُ تنبؤى الذهاب إلى المدينة ، وكان معها أزواجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا القصد ، فقالوا لها : يا أُمَّ المؤمنين ، دَعَى المدينة ، فإن مَنْ معنا لا يُقرُّنون لتلك الغوغاء التي بها ، واشْخَصِي معنا إلى البصرة ، فإننا نأتى بلدًا مُضَيِّعًا ، وسيحتجُّون علينا فيه ببئيمة على بن أبي طالب ، فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ، ثم تقعدين ، فإن أصلح الله الأمرَ كان الذى تُريدن ، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بجهدنا حتى يَقضى الله ما أراد ، فلما قالوا لها ذلك ووجدت أن الأمر لا يكون مستقيمًا إلا بها قالت : نعم .

ولما رأى أزواجُ الرسول ذلك تركنَ عائشة ، إلا حفصة بنت عمر فإنها رأت السيرَ معها .

ولما علم عبدُ الله بن عمر بذلك طلب إلى حَفْصَةَ أن تَقْعُد فتعدت ، وبعثت إلى عائشة أن عبدَ الله بن عمر حال بينى وبين الخروج ، ودعوا عبدَ الله بن عمر ليسير معها ، فأبى وقال : أنا من أهل المدينة ، أفعل ما يفعلون . فقالت : يغفر الله لعبد الله .

وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جُهَيْنَةَ يدعى ظَفْرًا ، واستأجرته على أن يأتى عليًّا بكتابها ، ويخبره بأمرِ القوم .

ولما التأم جمعُ القوم ولم يَبْقَ إلا الخروج قالوا : كيف نستقلّ وليس معنا مال

نَجَّهَهُ بِه النَّاس ، فَقَالَ يَمَلِي بن أُمَيَّة : مَعِي سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَسِتْمِائَةُ نَاقَةٌ فَارَكَبُوهَا ، وَجَهَّزَهُم ابْنُ عَامِرٍ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ نَادَى الْمَنَادِيُّ : إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ شَاحِصُونَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَمَنْ كَانَ يَرِيدُ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ ، وَالطَّلَبَ بِثَأْرِ عُمَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَرْكَبٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِهَازٌ فِهَذَا جِهَازٌ ، وَهَذِهِ نَفَقَةٌ .

فَحَمَلُوا سِتْمِائَةَ رَجُلٍ عَلَى سِتْمِائَةِ نَاقَةٍ سِوَى مَنْ كَانَ لَهُ مَرْكَبٌ ، وَكَانُوا جَمِيعًا أَلْفًا ، ثُمَّ نَادَوْا بِالرَّحِيلِ ، وَلَحِقَهُمُ النَّاسُ فَكَانُوا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلًا .

وَلَمَّا خَرَجَتْ عَائِشَةُ مِنْ مَكَّةَ أَذِنَ مَرْوَانَ حِينَ فَصَلَ مِنْهَا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَقَالَ : عَلَى أَيِّكُمْ أَسْلَمَ بِالْإِمْرَةِ ، وَأَوْذَنَ بِالصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي الزُّبَيْرِ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ : عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ^(١) - يَعْنِي طَلْحَةَ . فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ إِلَى مَرْوَانَ وَقَالَتْ : مَالِكٌ ؟ أَرِيدُ أَنْ تُفَرِّقَ أَمْرَنَا ! لِيَصِلَ ابْنُ أُخْتِي ، فَكَانَ يَصَلِّي بِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، حَتَّى قَدِمَ الْبَصْرَةَ .

ثُمَّ شِيعَ عَائِشَةُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَاتِ عِرْقٍ ^(٢) ، فَبَسَّكُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُرَ يَوْمَ كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا وَبَاكِيَةً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَكَانَ يُسَمَّى يَوْمَ النَّجِيبِ .

وَفِي ذَاتِ عِرْقٍ لَقِيَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَأَصْحَابَهُ بِهَا فَقَالَ : أَيْنَ تَذْهَبُونَ وَتَتْرَكُونَ ثَأْرَكُمْ عَلَى أَعْجَازِ الْإِبِلِ وَرَاءَكُمْ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - اقْتُلُوهُمْ ، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ ، فَقَالُوا : نَسِيرُ ، فَلَمَلْنَا نَقْتُلُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ جَمِيعًا .

ثُمَّ خَلَا سَعِيدُ بْنُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنْ ظَفَرْتَمَا لَمَنْ تَجْمَلَانِ الْأَمْرَ ؟

(١) رَوَى عَنْ مَعَاذِ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ ظَفَرْنَا لَأَقْتَلْنَا ، مَا كَانَ الزُّبَيْرُ يَتْرِكُ طَلْحَةَ وَالْأَمْرَ ، وَلَا كَانَ طَلْحَةُ يَتْرِكُ الزُّبَيْرَ وَالْأَمْرَ .

(٢) ذَاتُ عِرْقٍ : مَكَانٌ بِالْبَادِيَةِ مَقَامَاتُ الْمَرَاثِمِ .

اصدُقَانِي . قالا : نجمله لأحدنا ، أيتنا اختاره الناسُ . قال : بل تجملانه لولد عثمان ؛ فإنكم خرجتم تطلبون بدمه ، فقالا : ندع شيوخ المهاجرين ، ونجعلها لأبنائهم الأيتام ! قال : فلا أراى أسمى إلا لإخراجها من بنى هبذ مناف . ثم رجع ، ورجع معه عبدُ الله بن خالد بن أسيد ، فقال المغيرة بن شعبه : الرَّأى ما رَأَى سَعِيدٌ ؛ مَنْ كَانَ هُنَا مِنْ ثَقِيفٍ فَلْيَرْجِعْ ، فَرَجَعَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ثَقِيفٍ .

وأعطى يعلَى بن منية عائشة جلا اسمه عسكر ، كان اشتراه بثمانين ديناراً^(١) ، فركبته ، وارتحلوا جميعاً نحو البصرة ، فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي ، وقال : يا أمَّ المؤمنين ؛ أنشدك الله أن تقدمى اليومَ على قوم لن ترأسلى منهم أحداً ، فمَجَلَى ابنَ عامر ، فإنَّ له بها صنائع ، فلينذهب إليهم ليلتقوا الناس إلى أن تقدمى ، ويسموا ما جئتم به ، فأرسلته ، فأندس إلى البصرة ، وأتى القوم ، وكتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة وإلى الأحنف بن قيس وإلى غيره من وجوه القوم ، وأقامت بالحفير^(٢) تَلْتَمِظُ الجواب .

(١) روى الطبرى حديثاً آخر في أمر الجمل : « عن صفوان بن قبيصة الأحسى قال : حدثني العرنى صاحب الجمل قال : بينما أنا أسير على جبل إذ عرض لى راكب ، فقال : يا صاحب الجمل ؛ تبسح جملك ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم ، قال : مجنون أنت ! جمل يباع بألف درهم ، قال : قلت : نعم ، جلى هذا ! قال : ومم ذلك ؟ قلت : ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته ، ولا طلبنى وأنا عليه أحد قط إلا فته ، قال : لو تعلم إن نريده لأحسننت بيعنا ، قال : قلت : ولن نريده ، قال : لأمك ، قلت : لقد تركت أُمى فى بيتها قاعدة ما نريد براحا ، قال : إنما أريده لأم المؤمنين عائشة ، قلت : فهو لك ، فغذه بغير ثمن ، قال : لا ولكن أرجع معنا إلى الرجل فلنعتلك ناقه مهريه ، ونزيدك دراهم ، قال : فرجعت ، فأعطانى ناقه لها مهريه ، وزادونى أربعمائة أو ستمائة درهم ، ثم قال لى : يا أخا عرينة ، هل لك دلالة بالطريق ؟ قلت : نعم ، أنا من أدل الناس ، قال : فسر معنا . فسرت معهم ، فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألونى عنه ؛ حتى طرقتنا ماء الحوآب ، فنبعثنا كلابها ، قالوا : أى ماء هذا ؟ قلت : ماء الحوآب ، قال : فصرخت عائشة بأعلى صوتها ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، ثم قالت : أنا والله صاحبة كلاب الحوآب طرقتنا ردونى ، تقول ذلك بلاننا ، فأناخت وأناخوا حولها ، وهم على ذلك ، وهى تأبى ، حتى كانت الساعة التى أناخوا فيها من الغد ، جاءها ابن الزبير ، النجاء النجاء ! فقد أدرككم والله على بن أبى طالب . »

(٢) الحفير : موضع بين مكة والبصرة .

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين - وكان رجلاً عامه - وأزمه بأبي الأسود الدؤليّ - وكان رجلاً خاصة - وقال لهما : انطلقا إلى هذه المرأة ، فاعلما علمها ، وعلم من معها ، فخرجا حتى انتهيا إليها بالحفير ، فأذنت لهما ، فدخلوا وسلما ، وقالوا : إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك ، فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يُعطى لبنيه الخبر ، إن الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلائرة ولا عُذر ، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام ، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود ، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مُضرين ، غير نافرين ولا متقين ، لا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون . فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم ، وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقرأت : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) ، فهذا شأننا إلى معروف نأمرُكم به ، ومُنكرٍ ننهاكم عنه .

ثم خرج أبو الأسود وعمران من عندها ، حتى أتيا طلحة ، فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلبُ بدم عثمان قالوا : ألم تبأيع عليا ؟ قال بلى واللج (٢) في عنق ، وما أستقبل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان .

ثم أتيا الزبير ، فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال : ألم تبأيع عليا ؟ قال : بلى واللج في عنق ، وما أستقبل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان .

(١) النساء ١١٤ . (٢) اللج : السيف .

ثم رجعا إلى عائشة فودعاها ، وودعت عمران ، وقالت : يا أبا الأسود ، إياك أن يقودك الهوى إلى النار ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾^(١) ثم سرحتهما ، ونادى مناديهما بالرَّحِيل ، ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف ، فبدر أبو الأسود عمران فقال :

يا بن حنيفٍ قد أتيت فأنفِرُ

فقال عثمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ! دارت رَحَى الإسلام وربُّ الكعبة اأشرُ علىَّ يا عمران ، قال : إني قاعد فاقمد ، فقال عثمان : بل امنعهم حتى يأتيَ أمير المؤمنين على . قال عمران : بل يحكم الله بما يريد . وانصرف إلى بيته ، وقام عثمان في أمره ، فأتاه هشام بن عامر ، فقال : يا عثمان ، إن هذا الأمر الذي تروم يُسَلِّم إلى شرٍّ ما تَكْرَهُ ، إن هذا إلا فتق لا يُرْتَق ، وصدعٌ لا يجبر ، فسأحهم حتى يأتيَ أمرٌ علىَّ ولا تحادهم ، فأبى ؛ ونادى عثمان في الناس ، وأمرهم بالتهيؤ ، ولبسوا السلاح ، واجتمعوا إلى المسجد الجامع .

وأقبل عثمان ، ودسَّ إلى الناس قيس بن المقدية ، ليعرف ما عندهم ، فقال : إن هؤلاء القوم الذين جاءوكم ، إن كانوا جاءوكم خائفين ، فقد جاءوا من المكان الذي يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان ، فما نحن بقتلة عثمان ، أطمعوني في هؤلاء القوم ، فردوهم من حيث جاءوا . فقام الأسود بن سريع السعدي ، فقال : ما زعموا أنا قتلة عثمان ! فإنما فزعوا إلينا ليستمينوا بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا ، فحصبه^(٢) الناس ، فمرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً .

(١) اللثمة ٨ . (٢) حصبه : رماه بالحصى .

وأقبلت عائشة فيمن معها حتى إذا انتهوا إلى المربد^(١) ، ودخلوا من أعلاه ، أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان بن حنيف فيمن معه ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج ويكون معها ، واجتمعوا بالمربد حتى غصّ بالناس ، وكان طلحة والزبير في ميمنة المربد ، وعثمان في ميسرته .

ثم وقف طلحة ، وحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان وفضله ، والبلد وما استحلّ منه ، وعظّم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه ، وحثّهم عليهم ؛ وقال : إن في ذلك إعزازَ دين الله عزّ وجلّ وسُلطانَه ، وأما الطلّبُ بدم الخليفة المظلوم فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنّكم إن فعلتم أصبّتم ، وعاد أمرُكم إليكم ، وإن ترَكْتُم لم يبق لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام .

وتكلّم الزبيرُ بمثل ذلك ، فقال مَنْ في الميمنةِ : صدَقا وبرّا وقالَا الحق ، وأمرَا به .

وقال مَنْ في الميسرة : فَجَرَا وَغَدَرَا وقالَا الباطل وأمرَا به . قدّ بايعَا ثم جاءا يَقُولَانِ مَا يَقُولَانِ ! وَتَحَاثَى (٢) النَّاسُ وَتَحَاصَبُوا (٣) وَأَرْهَجُوا (٤) .

فتمكّمت عائشةُ ، وكانت جَهْورِيَّة يملو صَوْتُهَا كَثْرَةً ، كأنه صوت امرأة جلييلة ، وحمدت الله وأثنت عليه وقالت : كان الناسُ يتجنّون على عثمان ، ويَزُرُون على عمّالِهِ ، ويأتُونَنَا بِالْمَدِينَةِ فَيَسْتَشِيرُونَنَا فِيمَا يُخْبِرُونَنَا عَنْهُمْ ، فننظر من ذلك فنجدُه بَرِيًّا تَقِيًّا وَفِيًّا ، وَنَجِدُهُمْ فَجَرَةً غَدَرَةً كَذَّابَةً ، يَحَاوِلُونَ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ ، فلما قَوُوا على المَكَاثِرَةِ كَاثَرُوهُ ، فاقتحموا عليه دَارَهُ ، واستحلُّوا الدَّم الحرام والمال الحرام

(١) المربد : محلة عظيمة بينها وبين البصرة ثلاثة أميال .

(٢) تحاثنى الناس : رمى بعضهم بعضاً بالتراب . (٣) تحاصبوا : رمى بعضهم بعضاً بالحصاة .

(٤) أرهجوا : أثاروا الفبار .

والبلد الحرام ، بلا ترقة ولا عذر ، ألا إن مما ينبغى ، لا ينبغى لكم غيره ، أخذ قتل عثمان ، وإقامة كتاب الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) .

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين ، فقالت فرقة : صدقت والله وبرت ، وجاءت والله بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون .

فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر معها أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا بالمرهد ، وبقي أصحاب عثمان يتدافعون حتى تهاجزوا ، ثم مال بعضهم إلى عائشة ؛ وأخذ عثمان ومن معه الطريق إلى المسجد

ثم أقبل جارية بن قدامة السعدي نحو عائشة ، وقال : يا أم المؤمنين ، والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملمون عرضة للسلاح ، إنه قد كان لك من الله ستر وحُرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حُرمتك ، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك ، إن كنت خرجت طائمة فارجمي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مُستكرهة فاستميني بالناس .

وخرج شاب من بنى سعد إلى طلحة والزبير فقال : أمّا أنت يا زبير فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّا أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك يوم أحد ، وأرى أمك معك ، فهل جئتما بنسائكما ؟ قال : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء . ثم قال :

سُنْتُمْ حَلَائِلُكُمْ وَقُدْتُمْ أُمَّكُمْ هَذَا لَمَمْرُكَ قِلَّةُ الْإِنصَافِ
أَمْرَتْ بِجَرِّ ذُيُولِهَا فِي بَيْتِهَا فَهَوَتْ تَشْقُ الْبَيْدَ بِالْإِيحَافِ (٢)

(١) آل عمران ٢٣ . (٢) الإيحاف : ضرب من سير الحيل والإبل .

غَرَضًا يُقَاتِلُ دُونَهَا أَبْنَاؤُهَا بِالنَّبْلِ وَالْحَطِيِّ وَالْأَسْيَانِ
هُتِكَتْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ سُبُورُهَا هَذَا الْخَبْرُ عَنْهُمْ وَالْكَافِي
وَأَقْبَلَ غُلَامٌ مِنْ جُهَيْنَةَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ - وَكَانَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا عَابِدًا - فَقَالَ :
أَخْبِرْنِي عَنْ قَتْلَةِ عُمَانَ ، فَقَالَ : نَعَمْ . دَمُ عُمَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمَّلَاتٍ : ثَلَاثٌ عَلَى صَاحِبَةِ
الْهُودُجِ - يَعْنِي عَائِشَةَ - وَثَلَاثٌ عَلَى صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ - يَعْنِي طَلْحَةَ أَبَاهُ ،
وَثَلَاثٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالَ الْغُلَامُ : لَا أَرَانِي عَلَى ضَلَالٍ . وَلِحِقِّ
بِعَلَى ، وَقَالَ :

سَأَلْتُ ابْنَ طَلْحَةَ عَنْ هَالِكٍ بِجَوْرِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُقْبَرِ
فَقَالَ : ثَلَاثَةٌ رَهَطِي هُمْ أَمَاتُوا ابْنَ عَفَّانَ وَاسْتَمْعَبِرِ
فَثَلَاثٌ عَلَى تَلَكِ فِي خِدْرِيهَا وَثَلَاثٌ عَلَى رَاكِبِ الْأَحْمَرِ
وَثَلَاثٌ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَنَحْنُ بِدَوَابَّةٍ قَرَقَرِ
فَقُلْتُ صَدَقْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَخْطَأْتَ فِي الثَّلَاثِ الْأَزْهَرِ

وَأَقْبَلَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ وَهُوَ عَلَى الْخَيْلِ ، فَأَنْشَبَ الْقِتَالَ مَعَ أَصْحَابِ عَائِشَةَ ، وَقَاتَاهُمُ
أَصْحَابُ عَائِشَةَ إِلَى أَنْ حَجَزَ بَيْنَهُمَا اللَّيْلُ ؛ وَأَمَرَتْ عَائِشَةُ أَصْحَابَهَا فَتَيَّامَنُوا إِلَى مَقْبَرَةِ
بَنِي مَازِنٍ ؛ وَرَجَعَ عُمَانُ إِلَى الْقَصْرِ ؛ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى قِبَائِلِهِمْ .

وَجَاءَ أَبُو الْجُرَبَاءِ التَّمِيمِيُّ ، فَأَشَارَ عَلَى طَلْحَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَانٍ أَمْثَلٍ مِنْ مَكَانِهِمْ ،
فَسَارُوا إِلَى مَقْبَرَةِ بَنِي حِصْنٍ ، وَبَاتُوا يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَرْبِ .

وَأَصْبَحَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ فَنَادَاهُمْ وَهُوَ يَسُبُّ وَفِي يَدِهِ الرَّمْحُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
عَبْدِ الْقَيْسِ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَسُبُّهُ وَتَقُولُ لَهُ مَا أَسْمَعُ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ . قَالَ : يَا بَنَ الْخَبِيثَةِ ؛

أَلِإُمِّ الْمُؤْمِنِينَ تَقُولُ هَذَا؟ فَوَضَعَ حَكِيمُ السَّنَانِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَقَتَلَهُ. ثُمَّ لَامَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَتَلَهَا.
ثُمَّ اجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا مِنْ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ زَالَ
النَّهَارُ ؛ وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ ابْنِ حُنَيْفٍ ، وَفَشَّتِ الْجِرَاحَةُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، وَمَنَادَى
عَائِشَةُ يَنَاشِدُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْكُفِّ فَيَأْبُونَ ؛ حَتَّى إِذَا مَسَّهُمُ الشَّرُّ وَعَضَّهِمْ ، نَادَوْا
أَصْحَابَ عَائِشَةَ إِلَى الصَّلْحِ ؛ فَأَجَابُوهُمْ ، وَتَهَادَنُوا وَتَوَاعَدُوا ، وَكَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا اشْتَرَطُوا
فِيهِ أَنْ يَبْعَثُوا رَسُولًا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَسْتَخْبِرَ أَهْلَهَا ، فَإِنْ كَانَ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ قَدْ أُكْرِهَا
عَلَى بَيْعَةِ عَلِيٍّ خَرَجَ عُمَانٌ وَأَخَذَ لَهَا الْبَصْرَةَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنَا أُكْرِهَا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ ؛
وَهَذَا كِتَابُ الْمَوَادِعَةِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَعُمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ : إِنَّ عُمَانَ يَقِيمُ
حَيْثُ أَدْرَكَهُ الصَّلْحُ عَلَى مَا فِي يَدِهِ ، وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ يَقِيمَانِ حَيْثُ أَدْرَكَهُمَا الصَّلْحُ
عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمَا ؛ حَتَّى يَرْجِعَ أَمِينُ الْفَرِيقَيْنِ وَرَسُولُهُمْ كَعْبُ بْنُ سَوْرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ،
وَلَا يُضَارُّ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الْآخَرَ فِي مَسْجِدٍ وَلَا سَوْقٍ وَلَا طَرِيقٍ وَلَا فُرْضَةٍ ، حَتَّى
يَرْجِعَ كَعْبٌ بِالْخَبْرِ ؛ فَإِنْ رَجَعَ بِأَنَّ الْقَوْمَ أُكْرِهُوا طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ فَلْأَمْرُ أَمْرُهَا ،
وَإِنْ شَاءَ عُمَانُ خَرَجَ حَتَّى يَلْحَقَ بِطَيْبَتِهِ ، وَإِنْ شَاءَ دَخَلَ مَعَهُمَا . وَإِنْ رَجَعَ بِأَنَّ هُمَا لَمْ
يُكْرِهَا فَلْأَمْرُ أَمْرُ عُمَانَ ، فَإِنْ شَاءَ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ أَقَامَا عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، وَإِنْ شَاءَا
خَرَجَا حَتَّى يَلْحَقَا بِطَيْبَتِهِمَا .

وَخَرَجَ كَعْبٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِقُدُومِهِ ، فَقَامَ كَعْبٌ
فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَيْكُمْ ؛ أَأَكْرَهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ عَلَى بَيْعَةِ
عَلِيٍّ ، أَمْ أَنْتِيَاهَا طَائِعَتَيْنِ ؟ فَلَمْ يُجِِبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَإِنَّهُ
قَامَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَمْ يَبَايَعَا إِلَّا وَهْمَا كَارِهَانِ ؛ فَوَائِبُهُ سَهْلٌ بِنِ حُنَيْفٍ وَالنَّاسِ

حتى خشى عليه أصحابُ رسول الله القتلَ فقاموا ليعنموه ، فانفرج عنه الناس ،
وأخذ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانَ بيده حتى أخرجه ثم أدخله منزله ، وقال : أَمَا وَسِعَكَ
مَا وَسِعْنَا مِنَ السَّكُوتِ ! قال : لا ؛ والله ما كنتُ أرى أن الأمرَ يترامى إلى
ما رأيت .

ثم رجع كعبٌ إلى البصرة بما وقف عليه بالمدينة . وبلغ عليًّا الخبرُ الذي كان
بالمدينة من ذلك ، فبادر بكتابٍ إلى عثمان يقول فيه : والله ما أُكْرِهًا على فرقة ،
ولقد أُكْرِهًا على جماعةٍ وفضل ، فإن كانا يريدان الخلعَ فلا عذرَ لهما ، وإن كانا
يريدان غير ذلك نظرنا ونظرًا .

وقدم السكتابُ على عثمان بن حنيفٍ وقدم كعب ، فأراد طلحة والزبير تنفيذَ
الشَّروط ، وأرسلوا إلى عثمان : أن أخرج عَنَّا ، فاحتجَّ عثمان بالسكتاب وقال :
هذا أمرٌ آخر غير ما كننا فيه .

وجمع طلحة والزبير الرجال في ليلةٍ مظلمة باردة ، ذات رياحٍ وندى ، ثم
قصدا المسجد ، فوافقا صلاةَ العشاء ، وكانوا يؤخِّرونها ، فأبطأ عثمان بن حنيف ،
فقدما عبد الرحمن بن عتَّاب للصلاة ، فشمروا أصحاب عثمان بن حنيف السَّلاح ،
فأقبلوا عليهم ، واقتتلوا بالمسجد ؛ حتى قتلوهم . ثم أدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه
فأخرجوه إليهما ، وما بقيت في وجهه شعرةٌ بمد أن ضربوه أربعين سوطًا .

فاستمظا ذلك ، وأرسلوا إلى عائشة بالذي كان ، واستطلعا رأيها ؛ فأرسلت إليهما
أن خَلُّوا سبيلَه ، فليذهب حيث شاء ؛ ولا تحبسوه ، فمضى عثمان حيث لحق بعلي ،
وصلى عبدُ الرحمن بن عتَّاب بالناس العشاء والفجر .

وأصبح طلحة والزبير وبيتُ المال والحرسُ في أيديهما ، والناس معهما ،
ومن لم يكن معهما مغمور . وأصبح حكيم بن جبلة في خيله ، ومن تبعه من عبدقيس

ومن نَزَعَ إليهم من أفناء ربيعة ، وقد بلغه ما فعل بهمان بن حنيفة فقال :
 لست بأخيه إن لم أنصره ؛ ثم توجه نحو دار الرزق ؛ وبها طعام أراد عبد الله
 ابن الزبير أن يعطيه أصحابه ، فقال له عبد الله : مالك يا حكيم ؟ قال : نريد أن
 نرتق من هذا الطعام ، وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة ، على ما كتبتم بينكم
 حتى يقدم عليّ ، وإني لله لو أجد أعواناً عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم
 بمن قتلتم ، ولقد أصبحتم وإن دماءكم حلالٌ لنا بمن قتلتم ؛ أما تخافون الله ؟
 بهم تستحلون الدم الحرام ؟ قال : يدّم عثمان بن عفان . قال : فالذين قتلتم هم قتلته
 عثمان ؟ أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبد الله : لا نرزقكم من هذا الطعام ،
 ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى نخلع علياً ، فقال حكيم : اللهم إنك
 حكيمٌ عدلٌ فاشهد . وقال لأصحابه : لست في شك من قتال هؤلاء القوم ،
 فن كان في شك فليتنصرف ، وتقدم ليقاتلهم .

فقال طلحة والزبير : الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة ؛ اللهم
 لا تبق منهم أحداً ، وأقذ منهم ، ثم اقتتلوا أشد قتال ، وجعل حكيم يضرب
 بالسيف ويقول :

أضربهم باليأسِ - ضرب غلام عايسِ -

فضرب رجلٌ رجلاً فقطمها ، ثم قتل وهزم أصحابه ، ولم يفلت إلا حرقوص
 ابن زهير في نفر من أصحابه ، فلجئوا إلى قومهم . ونادى منادى طلحة والزبير :
 إن كان في قبائلكم أحدٌ ممن غزا المدينة فلتأتونا بهم ، فجيء بهم أذلاء
 فقتلوا .

ثم أمر الناس بأعطياتهم وأرزاقهم وحقوقهم ، وفضلاً بالفضل أهل السمع
 والطاعة .

ثم كتبوا لأهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه ، فقالوا : إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل ، بإقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباءهم ، وخالفنا شرارهم ونزاعهم ، فردونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا : نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحشيتهم عليه ، فأعطاهم الله سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسبست قتل أمير المؤمنين ، فخرجوا إلى مضاجعهم ، فلم يُفليت منهم إلا حرقوص ، والله تعالى مقيده إن شاء الله .

وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله عز وجل وتلقونه ، وقد أعذرتنا وقضينا الذي علينا .

وبعثوا به مع سيار العجلي ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله ، وإلى أهل اليمامة والمدينة ، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة مع رسولهم كتاباً طولته ، وحشيتهم على متابعتها .

ولما أتى علياً الخبر دعا إليه وجوه أهل المدينة ، وخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، فانصروا الله ينصركم ، ويصلح لكم أمركم .

فتثاقفوا ، فلما رأى زياد بن حنظلة تتأقفل الناس انتدب^(١) لعلي ، وقال له : إن تثاقفوا عنك فإننا نخف معك فنقاتل دونك . وقام أبو قتادة الأنصاري فقال :

(١) انتدب إليه : خف لنصرته .

يا أمير المؤمنين ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدى هذا السيف ، وقد أهدته زماناً ، وقد حان تجريدُه على هؤلاء القوم الظالمين ، الذى لا يألون الأمة غشاً ، وقد أحببت أن تقدم منى فقد منى .

وقالت أم سامة : يا أمير المؤمنين ؛ لولا أن أعصى الله ، وأنتك لا تقبله لخرجت معك ، وهذا ابن عمى ، وهو والله أعزُّ على من نفسى ، يخرج معك ، ويشهد مشاهدك . ثم تتابع الناس استعداداً لنصرته ، فاستخاف على المدينة ، وسار فى تمبئته التى تعبأها لأهل الشام ، آخر شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين .

وخرج من نشط معه من الكوفيين والبصريين ، فلقية عبد الله بن سلام ، فأخذ بمنارته وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج منها ، فوالله إن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسامير أبداً ، فسبوه ، فقال على : دَعُوا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وسار إلى الرَبْذَةِ (١) ؛ فلما علم أمر عائشة وطلحة والزبير أقام بها يوماً ثم ما يفعل ، وأناه ابنه الحسن فى الطريق ، فقال له : لقد أمرتك فمصيتنى ، وقد تقتل غداً ولا ناصرك ! فقال له على : إنك لا تزال تخنُّ خين الجارية ، وما الذى أمرتني فمصيتك؟ قال : أمرتك يوم أحيط بممان أن تخرج من المدينة فمقتل ولست بها ؛ ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر ، فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك ، فأبيت على ، وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطاحوا ، فإن كان الفساد كان على يد غيرك - فمصيتنى فى ذلك كله .

(١) الربذة هى التى جعلها عمر رضى الله عنه حى لإبل الصدقة قرب المدينة (معجم ما استعجم

فقال عليّ : أَيْ بُنِيّ ، أَمَا قَوْلُكَ : لو خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ حِينَ أُحِيطَ بِعُمَانَ ،
فَوَاللَّهِ لَقَدْ أُحِيطَ بِنَا كَمَا أُحِيطَ بِهِ . وَأَمَا قَوْلُكَ : لَا تَبَايِعْ حَتَّى تَأْتِيَ بَيْعَةَ الْأَنْصَارِ ،
فَإِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَكِرِهْنَا أَنْ يَضِيَعَ هَذَا الْأَمْرُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ حِينَ خَرَجَ
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ وَهْنًا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ مَا زَلَتْ مَقَهْرًا
مِنْذُ وَلِيْتُ ، مَنْقُوصًا لِأَصْلِهِ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَنْبَغِي . وَأَمَا قَوْلُكَ : اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ ،
فَكَيْفَ لِي بِمَا قَدْ لَزِمَنِي ، وَإِذَا لَمْ أَنْظُرْ فِيمَا لَزِمَنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيَعْنِينِي فَمَنْ
يَنْظُرُ فِيهِ ؟ فَكُفَّ عَنِّي يَا بُنِيّ .

ثم كتب إلى أهل الكوفة : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي اخْتَرْتُكُمْ
وَالنَّزُولَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ، لِمَا أَعْرَفَ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَنْ جَاءَنِي وَنَصَرَ نِي فَقَدْ أَجَابَ الْحَقَّ ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ .

ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن عوف ، فضيأ وبقى على
الرَّبْدَةَ يَتَهَمِيًّا ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَحِقَهُ مَا أَرَادَ مِنْ دَابَّةٍ وَسِلَاحٍ ، ثُمَّ خَطَبَ
النَّاسَ وَقَالَ :

« إِنْ اللَّهُ أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَرَفَعَنَا بِهِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا بَعْدَ ذَلَّةٍ وَقَلَّةٍ وَتَبَاغُضٍ
وَتَبَاغُذٍ ، فَجَرَى النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ : الْإِسْلَامُ دِينُهُمْ ، وَالْحَقُّ فِيهِمْ ، وَالكِتَابُ
إِمَامُهُمْ ، حَتَّى أُصِيبَ هَذَا الرَّجُلُ بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَزَعَهُمُ الشَّيْطَانُ^(١)
لِيُنزِعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ . أَلَا إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا بَدَّ مَفْتَرَةً كَمَا افْتَرَقَتِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ ،
فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا هُوَ كَائِنٌ .

ثم عاد ثانية فقال : أَلَا إِنَّهُ لَا بَدَّ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ أَنْ يَكُونَ ، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ

(١) نزعه : حرکه ، ونزع بينهم : أفسد وأغرى .

الأمة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، شرُّها فرقةٌ تنتجني ، ولا تعمل بمعلي ،
فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدي نبيكم ، واتَّبِعُوا سُنَّتَهُ ،
واعرضوا ما أشكلَ عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآنُ فالزموه ، وما أنكره
فردوه ، وارضوا بالله عزَّ وجلَّ ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ صلى الله عليه
وسلم حاكمًا وإمامًا .

ثم سار والناسُ من القبائل يتلاحقون حتى نزل بذي قار^(١) ، وقد وافاه
عثمان بن حُنيف ، وبلغه ما صنع حَكِيم بن جبلة ، وما كان من شأن قتلة عثمان ،
فقال : اللهُ أكبر ! ما ينجيني من طلحة والزبير ، إذا أصابا ثأرهما ، أو
ينجيهما !

ثم قرأ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾^(٢) . وأقام بذي قار حتى يأتيه أمرُ رسوله إلى الكوفة .

أما رسوله إلى الكوفة فإنيهما أتيا أبا موسى الأشعري بكتاب علي ، وقاما
في الناس بأمره ، فلم يُجابا إلى شيء ؛ فلما أمسوا دخل ناسٌ من أهل الحجاج على
أبي موسى فقالوا : ما ترمي في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالأمس ، إن الذي تهاونتم
به فيما مضى هو الذي جرَّ عليكم ماترون ، وما بقي إنما هما أمران : القمودُ سبيلُ
الآخرة والخروجُ سبيلُ الدنيا ، فاختراروا ، فلم ينفروا إليه أحد ، فنضب الرجال
وأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي عنقٍ وعنقٍ صاحبكما ، فإن
لم يكن بدٌّ من قتال ، فلا تقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا .

(١) ذوقار : ماء لبكر قريب من الكوفة . (٢) الحديد ٢٢ .

فانطلقا إلى عليّ بنى قارٍ وأخبراه الخبرَ ، فقال للأشتر - وكان معه : أنت صاحبنا في أبي موسى ، فاذهب أنت وابن عباس . فخرجا إلى الكوفة ، وكلمّا أبا موسى ، فجمع الناس وخطبهم فقال : أيّها الناس ، إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله وبرسوله ممّن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه إليكم ، كان الرأى ألا تستخفوا بسُلطان الله عزّ وجلّ . وألا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ، وكان الرأى الثانى أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردّوهم إليها حتى يجتمعوا وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا . فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب فأغمّدوا السيوف ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلى الفتنة .

فرجع ابن عباس والأشتر إلى عليّ فأخبراه الخبر ، فأرسل ابنه الحسن وعمّار ابن ياسر إلى الكوفة ، فلقِيهما مسروق بن الأجدع ، فأقبل على عمّار وقال : يا أبا اليقظان ، علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبقارنا ! فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

وخرج أبو موسى ، فقال له الحسن : لِمَ تُثبِّط الناسَ عنا ، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ! فقال : صدقت ، بأبي أنت وأمي ! ولكنّ المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الراكب » . وقد جعلنا الله إخواناً ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١﴾ ، وقال جلّ وعزّ : ﴿ وَمَنْ يَمُتْ مُؤْمِنًا مَّتَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾ ﴿٢﴾ .

ثم جاء زيد بن صوحان بكتب عائشة فقراها على الناس ، فثاروا وافترقوا فريقين ، فقام الحسن بن عليّ فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَجِيبُوا دَعْوَةَ أَمِيرِكُمْ ، وَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ ، فَإِنَّهُ سَيُوجَدُ لِهَذَا الْأَمْرِ مَنْ يَفِرُّ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ لَأَنْ يَلِيَهُ أَوْلُو النَّهْيِ أَمْثَلُ فِي الْعَاجِلَةِ ، وَخَيْرٌ فِي الْمَآبِئَةِ ، فَأَجِيبُوا دَعْوَتَنَا ، وَأَعِينُونَا عَلَى مَا ابْتُلِينَا وَابْتَلَيْتُمْ بِهِ .

فأجاب الناس ورضوا به ، وقال لهم الحسن : إني غادٍ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مَعِيَ عَلَى الظَّهْرِ ، وَمَنْ شَاءَ فَلِيَخْرُجْ فِي الْمَاءِ . فَتَفَرَّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تَسْمَةً أَلْفَ أَخَذَ بَعْضُهُمُ الْبِرَّ ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمُ الْمَاءَ .

ولما وصلت الجنود إلى ذى قارٍ قال لهم عليّ : قد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإنّ يرحموا فذاك ما نريد ، وإنّ يلبجوا دأوينّا بالرفق ، وبأينّا هم حتّى يبدهوا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاحٌ إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله .

ثم دعا القمقاع بن عمرو للسّفارة بينه وبين أهل البصرة ، وقال له : ألقى هذين الرجلين ، فادعهم إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، ثم قال له : كيف أنت صانعٌ فيما ترى منهما ، مما ليس عندك فيه وصاةٌ مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت ، فإذا جاء منهما أمرٌ ليس عندى فيه رأىٌ منك اجتهدنا الرأى ، وكلمناهم على قدرٍ مانسمع ونرى أنه ينبغي ، فقال : أنت لها .

وقدم القمقاع البصرة ، فبدأ بمائشة ، وقال لها : أى أمة ، ما أشخصك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أى بُنى ، إصلاح بين الناس ، قال : فأبعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمى كلاي وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال : إني سألت أم المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فأتقولان أنتما ؟ أمتا إيمان أم مخالفة ؟ فقالا : متا إيمان ، قال : فأخبراني ، ما وجه هذا الإصلاح ، فوالله إن عرفناه لنصلحن ، وإن أنكرناه لا نصلح ، فقالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل كان إحياءاً للقرآن . فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم الذى أفلت (١) ، ففهمه ستة آلاف ، وهم على رجل ، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلوكم والذين اعتزلوكم فأديبوا (٢) عليكم ، فالذى حذرتهم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتهم مضراً وربيعة ، فاجتمعوا على حرابكم وخذلانكم نصره هؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحد العظيم والذنب الكبير .

فقالا وقالت عائشة : فما دواء هذا الأمر ؟ فقال : لا أرى دواء لهذا الأمر إلا التسكين ، وإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتبشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شرٍ وذهاب هذا الثأر ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، ولا تمرضونا للبلاء ، ولا تتعرضوا له ؛ فيصرعنا وإياكم ا

(١) يعنى حر قوما . (٢) أديبوا : نصروا .

فقال له القومُ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، فَإِنِ جَاءَ عَلِيٌّ بِمِثْلِ مَا قَتَلْتَ
صَلِحَ الْأَمْرُ .

ثم رجع القمّطاع إلى عليٍّ وأَعْلَمَهُ عِلْمَ الْقَوْمِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمْ . فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ،
ثُمَّ أَشْرَفَ الْقَوْمُ عَلَى الصُّلْحِ .

وَأَمَرَ عَلِيٌّ بِالرَّحِيلِ ، وَقَالَ : أَلَا وَإِنِّي رَاحِلٌ غَدًا فَارْتَحِلُوا ، وَلَا يَرْحَلَنَّ غَدًا أَحَدٌ
أَعَانَ عَلِيَّ عُمَانَ بِشَيْءٍ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ .

ثُمَّ جَاءَتْ وَفُودُ قِبَائِلِ الْبَصْرَةِ إِلَى قِبَائِلِ الْكُوفَةِ ، وَهُمْ لَا يَرِيدُونَ حَرْبًا وَلَا
يُظَنُّونَهَا ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ .

وَلَكِنْ نَفَرًا مِنَ النَّاسِ لَمْ يَرُقُّهُمْ الصُّلْحُ ، وَلَمْ يَطْمَئِنُّوا إِلَى حَقْنِ الدِّمَاءِ ، فَاجْتَمَعَ
تَفَرُّدٌ مِمَّنْ سَارَ إِلَى عُمَانَ ، وَمَعَهُمْ ابْنُ السُّودَاءِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ
غَدًا وَاصْطَلَحُوا ؛ فَلَيْسَ الصُّلْحُ إِلَّا غَلِيْنَا ، وَقَالَ ابْنُ السُّودَاءِ : إِنْ عَزَّكُمْ فِي خُلُطَةٍ
النَّاسِ ، فَصَانِعُوهُمْ ، وَإِذَا التَّقَى النَّاسُ غَدًا فَأَنْشِبُوا الْقِتَالَ وَلَا تَفَرِّغُوهُمْ لِلنَّظَرِ .
وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ لَا يَشْعُرُونَ .

وَلَمَّا وَصَلَ عَلِيٌّ إِلَى الْبَصْرَةِ بِمَثِ إِلَى الْقَوْمِ : إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ مَا فَارَقْتُمُ الْقَمَطَاعَ
فَكُفُّوا وَأَقْرئُوا نَزَلَ ، وَنَظَرَ فِي الْأَمْرِ . فَزَلُّوا ، وَالْقَوْمُ لَا يَشْكُونَ فِي الصُّلْحِ ،
وَمَشَتْ السُّفَرَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَبَاتَ الْقَوْمُ يَنْتَظِرُونَ الْمَافِيَةَ مِنْ هَذَا
الْحَادِثِ الْجَلِيلِ .

وَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَالَّذِينَ أَثَارُوا أَمْرَ عُمَانَ يَقُومُونَ فِي الْغَلَسِ ، وَيَضَعُونَ
السَّلَاحَ فِي عَسْكَرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَسَأَلَ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا ؛ طَرَقَنَا أَهْلُ
الْكُوفَةِ لَيْلًا ! فَقَالَا : قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ عَلِيًّا غَيْرُ مُنْتَهٍ حَتَّى يَسْفِكَ الدَّمَاءَ وَيَسْتَحِلَّ
الْحَرَمَةَ ، وَأَنَّهُ لَنْ يُطَاوِعَنَا .

وسأل عليّ عن الخبر - وكان السَّبَيْثِيُّونَ (١) قد وضعوا رجلاً قريباً منه يُخَبِّره بما يريدون ، فقال له : فوجئنا بقومٍ بَيْتُونَا ، فرددناهم من حيث جاءوا . فقال عليّ : قد علمت أن طلحة والزبير غيرُ مُنْتَهَمِيَيْنِ حتى يسفكا الدماء ، ويستحلا الحرمة ، وأنهما لن يُطَاوِعَانَا ، ولم يجد الفريقان نُدّاً من القتال ؛ إذ لم يكن ثمة مجالٌ لاستجلاء الواقع .

وكانت عائشة في هَوْدَجِهَا ، قد جلّلتها بالحديد وهي بمسكّة ، وجعلت فيه موضعاً لَعَيْنَيْهَا ، وهي في عسكر أهلِ البصرة ، وثار المسكران لبعضهما ، وكان القتال في ذلك اليوم من أشدّ القتال هَوْلاً ، وصدق كلّ فريق الحملة على الفريق الآخر ، وأهل البصرة وشجعانهم وذوو النجدة منهم يُلَوِّذُونَ بِجَمَلِ طَائِشَةٍ ، وَيَدَافِعُونَ عَنْهَا حتى لا تُصَابَ بِشَرٍّ ، فقتل حوله بشرٌ كثير ، وقطعت على زمامه أيدي كثيرة ، ولا يدور بخلد أحدٍ من الناس أن ينهزم ، وراجز أهل البصرة يقول :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ نَزَلُ بِالموتِ إِذَا الموتُ نَزَلَ
نَمَى ابْنُ عَمَّانَ بِأَطْرَافِ الأَسَلِ الموتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ العَسَلِ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بِجَمَلٍ (٢)

ولما رأى عليّ كثرة القتلى حولَ الجمل وأن الناس يستميتون دونه ولا يُسَلِّمونه أبداً وفيهم عَيْنٌ تَطْرَفُ نَادِي : اعْقِرُوا الجمل . فجاء إلى الجمل رجل من خلفه وضرب عرقوبه فمقره ، وسقط وسقط الهودج ، وكأنه قنفذ لكثرة ما رمى به من الذبل ، فجاء محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر واحتملا الهودج ، فنجّياه عن القتلى ، وخرج محمد بمائشة حتى أدخلها البصرة .

(١) السبثيون : جماعة نسبوا إلى الله بن سبأ ، وكانوا من الغلاة .

(٢) بجمل ، أي حسب .

وظهر الضعف في الناس فتركهم الزبير بن العوام ، وولى وجهه شطر المدينة ،
فعلم بمسيره عمرو بن جرموز فاتبعه حتى إذا كان بوادى السباع غافله وقتلته .
وقُتِلَ في هذا اليوم عشرةُ آلافٍ فيهم كثيرٌ من أعلام المسلمين وذوو الغناء
والنَجْدَةِ ، منهم طلحة وابنه محمد وعبد الرحمن بن عتاب ، وكثير من رجال
قريش .

ولما انتهت الواقعة مرَّ عليٌّ بين القتلى فكلمها رأى صرعى أهل البصرة وعرفهم
قال : زعموا أنه إنما خرج معهم السفهاء والغوغاء ، وهذا فلان وهذا فلان ! ثم صلى
على القتلى وأمر بدفنهم جميعاً .

وبعد ذلك زار عائشة في البيت الذي نزلت فيه ، فسلم عليها ، وقعد عندها ،
ثم أمر بأن تُجهز إلى المدينة فجهزت خيرَ جهاز ، ولما جاء يومُ رحيلها ودَّعها بنفسه
فقال وسط مُشيئها : إنه والله ما كان بيني وبين عليٍّ في القسديم إلا ما يكون
بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار .

وقال عليٌّ : أيها الناس ، صدقتُ والله وبرَّت ! ما كان بيني وبينها إلا ذلك ،
وإنها زوجةُ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .
وخرجت من البصرة ، فشيئها أميالاً ، وسرح بنيه معها يوماً .

٣٢ - يوم صِفِّين *

لما عاد عليّ من البصرة بعد فراغه من الجبل قصد الكوفة ، وأرسل إلى جرير ابن عبد الله البجليّ ، وكان عاملاً على هَمْدَانَ^(١) ، استعمله عثمان ، وأرسل إلى الأشعث بن قيس ، وكان على أذربيجان^(٢) ، استعمله عثمان أيضاً ، وأمرهما بأخذ البَيْمَةِ والحُضُور ، فلما حضرا عنده أراد عليّ أن يرسل رسولا إلى معاوية ، فقال جرير : أُرْسِلْنِي إِلَيْهِ فَأَدْعُوهُ إِلَى الدُخُولِ فِي طَاعَتِكَ . فقال الأَشْثَرُ لعلّيّ : لا تَبْعَثْهُ ، فوالله إني لأظنّ هواه معه ، فقال عليّ : دَعَهُ ، حتى ننظرُ من الذي يَرِجِعُ بِهِ إِلَيْنَا . فبَعَثَهُ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَاباً يُعَايِمُهُ فِيهِ اجْتِمَاعَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى بَيْمَتِهِ ، وَنَكَتَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَمَا كَانَتْ مِنْ حَرْبِهِ إِيَّاهُمْ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الدُخُولِ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مِنْ طَاعَتِهِ .

فشخص جرير حتى قديم على معاوية ، فاطلّه واستنظره ، ودعا عمرو بن العاص فاستشاره فيما كتب به عليّ إليه ، فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ، ويُنزِمَ عليّاً دم عثمان ويقاتله بهم ، ففعل ذلك معاوية . وكان أهل الشام لما قديم عليهم الزمّان بن بشير بقميص عثمان مضرّاً جاً بدمه مع شيء من كَفِّهِ وَضَعُوا الْقَمِيصَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، كَمَا أَمَرَهُمْ مَعَاوِيَةُ ، وَاسْتَثَارُوا الْجُنُودَ فَبَكَوْا عَلَى الْقَمِيصِ وَآلَى رِجَالَهُمْ

* الطبري ٥ : ٢٣٥ ، ٦ : ١ ، كان في صفر سنة ٣٧ . وصفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات .

(١) همدان : أكبر مدن الجبال ، فتحت سنة ٢٤ .

(٢) أذربيجان : إقليم بفارس ، من أشهر مدائنه تبريز والمراغة .

ألا يمسوا الماء ، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ، ومن عرّض دونهم بشيء ، أو تفنى أرواحهم .

فناد جريّر إلى عليّ وأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وبكائهم على عثمان واتهامهم عليّاً بقتله وإيوائه قتلاته ، فقال الأشتر لعليّ : قد كنت نهيبتك أن ترسل جريراً ، ولو كنت أرسلتني لكنت خيراً من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتّحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه .

فقال جريّر : لو كنت تمّ لقتلوك ، فقد ذكروا أنك من قتلة عثمان ، فقال الأشتر : والله لو أتيتهم لم يمسيني جوابهم ، ولحلت معاوية على خطّة أعجله فيها عن الفكر ، ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك حتى يستقيم هذا الأمر . ثم خرج عليّ فمسكّر بالنخيلة^(١) ، وتخلّف عنه نفر من أهل الكوفة ، وقدم عليه عبد الله بن العباس فيمنّ معه من أهل البصرة ، وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرًا ، فقال : أما إذا سار عليّ فسر إليه بنفسك ، ولا تغيب عنه رأيك ومكيدتك .

فتجهز معاوية ، وتجهز الناس ، وحضهم عمرو ، وضعف عليّاً وأصحابه ، وقال : الله الله في حكم أن تضيموه ، وفي دمكم أن تطلّوه^(٢) .

واستنهض معاوية أهل الشام ، وعقد لواء لعمرو ، كما عقد لابنيه عبد الله ومحمد ، ولواء لغلّامه ورّدان . وسار معاوية متأنياً في سيره .

وأخذ عليّ بجنوده . طريق الجزيرة وعبر الفرات من الرقة ، ومن هناك قدّم طلائمه أمامه ، حتى إذا كانوا بسور الروم التقوا بطلائع معاوية ، فكانت بين الفريقين مناوشات قليلة ، ثم تجاوزوا .

(١) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام .

(٢) أن تطلّوه : أن تهدروه من غير نار .

وتلاحقت جنود عليٍّ ومعاوية ، وعَسَكَرت الطائفتان في سهلِ صِفِّينَ ، وتواقفت الجنود الإسلامية بعضها أمام بعض .

وكان معاوية قد سبق عليًّا ، فنزل منزلا اختاره واسمًا أُفِيحَ ، وأخذ شريعةَ الفرات ، وليس في ذلك الصَّمْعَ شريعةَ غيرها ، وجعلها في حَوْزَتِهِ ، وبعثَ عليها أبا الأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ يَحْمِيهَا وَيَمْنَعُهَا . فطلب أصحابُ عليٍّ شريعةَ غيرها فلم يجدوا فأتوا عليًّا ، فأخبروه بِفِعْلِهِمْ وبِعَطْسِ النَّاسِ ، فدعا صَمْعَةَ بنَ صُوحَانَ ، وأرسله إلى معاوية يقول له : إنا سِرْنَا مسيرنا هذا ونحن نَكْرَهُ قتالكم قبل الإغذار إليكم ، فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، ونحن من رأينا الكفَّ حتى ندعوك ونحتجَّ عليك ، وهذه أخرى قد فَعَلْتُمُوهَا : منعم الناس عن الماء ، والناس غير مُنْتَهين ، فابثْ إلى أصحابك فليدخلوا بين الناس وبين الماء ، وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدِمنا له ، فإن أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتلَ على الماء حتى يكون الغالبُ هو الشارب فَعَلْنَا .

فقال معاوية لأصحابه : ماترون؟ فقال الوليد بن عُقْبَةَ : امنعمهم الماء كما منعه ابنُ عَفَّانَ ، اقتلهم عطشاً قتلهم الله ! فقال عمرو بن العاص : خلَّ بين القوم وبين الماء ، وإناهم لن يمطشوا وأنت رِيَّانٌ ، ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم . فأعاد الوليد بن عُقْبَةَ مَقَالَه ، وقال عبد الله بن أبي سَرْحٍ : امنعمهم الماء إلى الليل ، فأناهم إن لم يَقْدِرُوا عليه رجعوا ، ولو رجعوا كان رجوعهم هزيمة .

فقال صَمْعَةَ : إِنَّمَا يَنْعَمُ اللهُ الفَجْرَةَ وشَارِبِي الخمر يومَ القيامة ، لمنك الله ولعن هذا الفاسق - يعني الوليد - فشتموه وتهدّدوه . فرجع صَمْعَةَ إلى عليٍّ فأخبره بما كان ، وأن معاوية قال : سيأتيسكم رأيي . فلما سمع عليٌّ ذلك قال : قاتلوهم على الماء ،

فقال الأشعث بن قيس الكنديّ : أنا أسيرُ إليهم ، فقال له عليٌّ : فسِرْ إليهم ؛ فسارَ وسار معه بعضُ أصحابِ عليٍّ ، فلما دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرمواهم بالنبل ، فراموا ساعة ، ثم تطاعنوا بالرّماح ، ثم صاروا إلى السيوف فاقتتلوا ساعة ، ثم توات الأمدّاد للفريقين ، وغلب أصحابُ عليٍّ حتى صار الماء في أيديهم ، وقالوا : والله لا نسقيه أهلَ الشام ، فأرسل عليٌّ إلى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم ، فإن الله نصركم بيني وبينهم وظلهم .

ثم إنَّ عليًّا دعا ثلاثة من رجاله ؛ وهم بشير بن عمرو الأنصاريّ ، وسميد بن قيس الهمدانيّ ، وشبث بن ريميّ التميميّ ، فقال : اتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث : يا أمير المؤمنين ، ألا تُطمِئنه في سلطان توليه إياه ، أو منزلة يكون له بها أثرٌ عندك إن هو بايمك ؟ فقال عليٌّ : اثنوه بالقوّة واحتجّوا عليه وانظروا ما رأيه .

فساروا حتى دخلوا عليه ، ثم قام بشير بن عمرو الأنصاريّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا معاوية ؛ إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ نحاسبك بمملك ، ومجازيك بما قدّمتُ يداك ، وإني أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعةَ هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقطع عليه معاوية الكلام وقال : هلا أوصيتَ بذلك صاحبك ! فقال بشير : إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقُّ البريّة كلّها بهذا الأمر ، في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقراية من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرُك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابةِ ابنِ عمك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ فإنه أسلمٌ لك في دنياك وخيرٌ لك في عاقبةِ أمرِك . قال معاوية : ونُطلّ دمَ عثمان ! لا والله ، لا أفعل ذلك أبداً .

فقام سميد بن قيس ليتكلم، فبادره شبت بن ربيع، فتكلم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية، إني قد فهمت ما ردّدت، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب؛ إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: قُتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطاب دمه، فاستجاب لك سفهاء طغام^(١)؛ وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، وربّ مُتمنى أمرٍ وطالبه يحول الله عزّ وجلّ دونه بقدرته، وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته، والله ساك في واحدة منهما خير؛ لأن أخطأ ما ترجو إنك لشرّ العرب حالا في ذلك، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحلّ من ربك صلا النار، فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

فقام معاوية، وحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: أمّا بعد، فإن أول ما عرفتُ فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولوّمت أيها الأعرابيّ الجلف الجاني في كل ما ذكرت ووصفت، انصرفوا من عندي، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف. فقال شبت: أفعلىنا تهول بالسيوف! أقسم بالله ليُمجّلن بها إليك! ثم أتوا عليّاً فأخبروه الخبر.

كان القوم جميعاً يهابون أن تلتقى جموع الشام بجموع العراق خوفاً من الاستئصال والهلاك، فكانت تخرج الفرقة من جيش أهل العراق، فتخرج لها مثلها من جيش أهل الشام فيقتتلون، وعلى هذه الحال كان شأنهم في ذى الحجة،

(١) الطغام: أوغاد الناس.

فلما أهلَّ المحرّم توادَعَ الفريقان على ترك الحرب فيه إلى انتقضائه طمعاً في الصلح ،
واختلف بينهما الرسل .

فبعث على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبيّ وشبث بن ربعيّ وزياد
ابن خَصَمَةَ . فلما دخلوا على معاوية حدّ الله عدى بن حاتم ، ثم قال : أمّا بعد ، فإننا
أتيناك ندعوك إلى أمرٍ يَجْمَعُ اللهُ به عزّ وجلّ كلتّنا وأمّتنا ، ويَحْقِنُ به الدماء ،
وتأمّن به السبل ، وتُصَلِّحُ ذات البين ؛ إن ابن عمّك سيّدَ المسلمين أفضلنا سابقه ،
وأحسننا في الإسلام أثرا ، وقد استَجْمَعُ له الناس ، وقد أرشدهم اللهُ بالذي رأوا ، فلم
يَبْقُ أحدٌ غيرك وغير من معك ، فانتَهَ يا معاوية ، لا يُصِيبُكَ اللهُ وأصحابك بيوم
مثل يوم الجمل .

فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدّداً ولم تأتِ مصلحاً ! هيهات يا عدى ! كلاً
والله إني لا أبنُ حرب ، ما يُقَمِّعُ^(١) لي بالشنان ؛ أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ،
وإنك لمن قتلته ، وإني لأرجو أن تكون بمن يقتلُ اللهُ عزّ وجلّ به ، هيهات
يا عدى ، قد حَلَبَتِ بالساعد الأشدّ .

فقال شبث بن ربعيّ وزياد بن خَصَمَةَ : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ؛ فأقْبَلْتَ
تَضْرِبُ لنا الأمثال ! دَعْ ما لا يُنْتَفَعُ به من القول وانفعل ، وأجبنا فيما يعمّنا
وإياك نفعه .

وقال زيد بن قيس الأرحبيّ : إنّا لم نأتك إلا لنُبَلِّغَكَ ما بُمّثنا به إليك ولنؤدّيَ
عنك ما سمعنا منك ، ونَحْنُ على ذلك لن ندّعك إلا بعد أن نَنْصَحَ لك ؛ ونذُكُرُ
ما ظننّا أنّ لنا به عليك حُجَّةٌ ، وإنّك راجع به إلى الألفة والجماعة ، إن صاحبنا

(١) مايقمع لي بالشنان ، أى ما أخدع وما أروع ، وهو مثل . والشنان : الجلد اليابس ،
والقمعة به : تحريكه للبعير ليفزع .

مَنْ قَدِ عَرَفْتَ وَعَرَفَ الْمَسْلَمُونَ فَضْلَهُ ، وَلَا أُظَنَّهُ يَخْفَى عَلَيْكَ ؛ إِنْ أَهَلَ الدِّينَ وَالْفَضْلَ لَنْ يَمْدُلُوا بَعْلَى ، وَلَنْ يُعَيَّلُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعَاوِيَةَ ، وَلَا تَخَالَفْ عَلِيًّا ؛ فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطَّ أَعْمَلَ بِالتَّقْوَى وَلَا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَجْمَعَ لِحَصَالِ الْخَيْرِ كَلَّمَا مِنْهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الَّتِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا فَمَعَنَا ، وَأَمَّا الطَّاعَةُ لِصَاحِبِكُمْ فَإِنَّا لَأَنزَاهَا ؛ إِنْ صَاحِبَكُم قَتَلَ خَلِيفَتَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَأَوَى ثَأْرَنَا وَقَتَلْتَنَا ، وَصَاحِبَكُم يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ، فَنَحْنُ لَأَنْزِدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ . فَلْيَدْفَعُوهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ نُنَجِّبِكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ .

فَقَالَ لَهُ شَبَثٌ : أَيَسْرُكَ يَا مَعَاوِيَةُ أَنَّكَ مُكِّنْتَ مِنْ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ : وَمَا يَعْزِمُنِي مِنْ ذَلِكَ ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَمَكَّنْتَ مِنْ ابْنِ سُمَيَّةٍ مَا قَتَلْتَهُ بَعَثَانَ ، وَلَكِنْ كُنْتُ قَاتِلَهُ بِنَائِلِ مَوْلَى عُمَانَ .

فَقَالَ شَبَثٌ : لَأَتَّصِلُ إِلَى عَمَّارٍ حَتَّى تَنْدُرَ^(١) الْهَامَ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفِضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبِهَا . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : إِنَّهُ لَوْ قَدَّكَ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ عَلَيْكَ أَضِيقَ .

وَرَأَى مَعَاوِيَةَ أَنْ يَرْسَلَ لِعَلِيٍّ أَيْضًا فَبَعَثَ إِلَيْهِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ وَشُرْحَبِيلَ بْنَ السَّمْنَطِ ، وَمَعْنَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ الْأَخْنَسِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَتَكَلَّمَ حَبِيبٌ ، فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ كَانَ خَلِيفَةً مَهْدِيًّا يَمْلِكُ بِكِتَابِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ، وَيُنِيبُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَاسْتَنْقَلْتُمْ حَيَاتَهُ ، وَاسْتَبْطَأْتُمْ وَفَاتَهُ ، فَمَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَتَقَتَلْتُمُوهُ ، فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَةَ عُمَانَ - إِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلْهُ - نَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ اعْتَزِلْ أَمْرًا

(١) تندر : تقطع .

الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤتَى الناسُ أمرهم من أجمع عليه رأيهم .
فقال له : ما أنت لا أمّ لك والعزل وهذا الأمر ، اسكُتْ فإنك لست هناك ، ولا
بأهلٍ له ! فقام وقال : والله لترينى بحيث تسكره ! فقال على : وما أنت وإن أجابته
بخيالك ورَجَلِك ؛ اذهب فصوب وصعد ما بدأ لك !

وقال سُرحبيل بن السَّمط : ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي ، فهل عندك
جوابٌ غيرُ الذى أجبتَ به من قَبْلِ ؟ فقال على : نعم . ثم حمد الله وأثنى عليه ،
وذكر بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدايته للناس ، ثم ذكر أن الله قبضه
إليه ، واستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عمر ، فأحسننا السيرة وعدلا في
الأمّة ، وقد وجدنا عليهما أن تولّيا عنا ، ونحن آل رسول الله ، ففقرنا ذلك لهما ،
وولى عثمانُ فعمل أشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناسُ وأنا
معتزلُ أمورهم ، فقالوا لي : بايع فأبيتُ عليهم ، فقالوا لي : بايع فإنّ الأمّة لا ترضى
إلا بك ، وإنا نخافُ إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعنى إلا شقاقُ
رجلين قد بايعاني ، وخلافُ معاوية الذى لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلف
صدق في الإسلام ، طليق ابن طليق ، حزب من هذه الأحزاب لم يزل لله ولرسوله
وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو إلا انقيادُكم له
وتدعون آل نبيكم الذى لا ينبغي لكم شقاقُهم ولا خلافهم ، ولا أن تمسّدوا بهم
من الناس أحدا ، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإمارة الباطل وإحياء
معالم الدين .

فقال له سُرحبيل : اشهد أن عثمان قتل مظلوما ، فقال لهما : لا أقول إنه قتل
مظلوما ، ولا إنه قتل ظلما . قالا : فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه
برّاء ، ثم انصرفا .

فقال عليّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ *
وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ولما انسلخ المحرم أمر عليّ من ينادى : ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد
استدتمتكم لتراجعوا الحقّ وتنبهوا إليه ، واحتججتُ عليكم بكتاب الله ، فدعوتكم
إليه فلم تنتهوا عن طغيان ، ولم تُجيبوا إلى حقّ ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ،
إن الله لا يحب الخائنين .

ففرغ أهلُ الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمر و يكتبان الكتاب
ويبعثان الجيوش ، وفعل عليّ فملهما ، وقال : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فأنتم على
حجة ، وترّكهم حتى يقاتلوكم حجة أخرى ، فإذا هزمتوهم فلا تقتلوا مُدبراً ولا تُجهزوا
على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمشوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم
فلا تهتكوا سترها ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ، ولا تُهيجوا
امراً ، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهنّ ضعاف القوى والأنفس . وكان
يقول هذا المعنى لأصحابه في كل موطن .

وحرّض أصحابه فقال : عباد الله ، اتقوا الله ، وغضُّوا الأبصار واخفضوا الأصوات
وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمناضلة والمعانقة
والمكادمة والملازمة ، فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، ولا تنازعوا
فتمشوا وتذهب رِيحُكُمْ واصبروا إن الله مع الصّابرين ، اللَّهُمَّ أَلْهِمَّهُم الصبر ،
وَأَنْزِلْ عَلَيْهِم النَّصْرَ ، وَأَعْظِمْ لَهُم الْأَجْرَ .

وأصبح عليّ فجعل على خيل الكوفة الأشتر ، وعلى جند البصرة سهل بن حنيف

وعلى رجالة الكوفة سمار بن ياسر ، وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد ، وهاشم بن عتبة معه الرابية ، وجعل مسمر بن فدككي على قراء أهل البصرة .

وبعث معاوية على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميري ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص .
وعلى رجالة دمشق مسلم بن عتبة المرثي ، وعلى رجالة الناس كلهم الضحّاك ابن قيس .

وباع رجال من أهل الشام على الموت ، فمقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكانوا خمسة صفوف ، وخرجوا أول يوم من صفر فاقتتلوا ، وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الأشر ، وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن سلمة ، فاقتتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض .

ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا .

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وفي اليوم الرابع خرج محمد بن علي بن أبي طالب ، وخرج إليه عبيد الله بن عمر ابن الخطاب وجمعة عظيمين ، فاقتتلوا أشد قتال ، وأرسل عبيد الله إلى ابن الحنفية يدعوه إلى المبارزة ، ففرج إليه ، ففرك علي دابته ، ورد ابنه ، وبرز علي إلى عبيد الله ، فرجع عبيد الله ، وقال محمد لأبيه : لو تركتني لرجوت قتله . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف تبرز إلى هذا الفاسق ؟ والله إنني لأرغب بك عن أبيه فقال علي : يا بني ، لا تقل في أبيه إلا خيراً . وتراجع الناس .

وخرج عبد الله بن عباس في اليوم الخامس ، وخرج إليه الوليد بن عُقبة ، فاقتلوا قتالا شديداً ؛ فسبَّ الوليد بن عبد المطلب ، فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شديداً .

وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري ، وخرج إليه ابن ذى السكلاع الحميري ، فاقتلوا قتالا شديداً ، وانصرفوا .

ثم إن علياً قال : حتّى متى لانا هاض هؤلاء القوم بأجمعنا ! ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يُبرّم ما نقض ، وما أبرّم لا ينقضه الناقضون ، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا اختلفت الأمة في شيء ، ولا جحد الفضولُ ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأفدار ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع ؛ فلو شاء مجّل النعمة ، وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم ، ويُعلم الحق أين مصيره ! ولكنّه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة دار القرار ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . ألا وإنكم لاقو القوم غداً ، فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر ، والقوم بالجد والعزم ، وكونوا صادقين .

فقام القوم يصلحون سلاحهم ، فترّ بهم كعب بن جُميل ، فقال :

أصبحت الأمة في أمرٍ عجبٍ والمُلكُ مجموعٌ غداً لمن غلبُ
فقلتُ قولاً صادقاً غير كذبٍ إن غداً تهلك أعلامُ العربِ

وعبّى على الناسَ ليلته حتى الصباح ، وزحف بالناس ، وخرج إليه معاوية في أهل الشام ، وعرف على القبائل ، فقال للأزد : اكفونا الأزد ، وقال لخثم : اكفونا خثم ، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، إلا أن تكون قبيلةٌ ليس منها بالشام أحد ، فيصرفها إلى قبيلة أخرى من الشام ليس منهم بالعراق

أحد ، مثل بجيلة ، إذ لم يكن بالشام منهم إلا القليل ، فصرفهم إلى الخُلم .
وتناهض الناسُ يومَ الأُرْبِمْاءِ ، واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انصرفوا عند المساء
وكلٌّ غير غالب . فلما كان يوم الخميس صلى على بَغْلَسَ ، وخرج بالناس إلى أهل الشام ،
فرحف إليهم وزحفوا معه ، ثم انتهى هذا اليوم ، وقد انكشفت ميمنة أهل العراق ،
وانتهت هزيمتهم إلى عليّ ؛ فشئ نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مُضَرَّ في الميسرة ،
وثبتت معه ربيعة ، ودنا منه أهل الشام ، فما زاده قُرْبُهُمْ إلا إسراعاً ، فقال له ابنه
الحسن : ما ضرّك لو سميتَ حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من أصحابك ! فقال : يا بني ،
إن لأبيك يوماً لا يعدوه ، ولا يبطلوه به عنه السمي ، ولا يعجل به إليه المشي ، إن
أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

فلما وصل إلى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكثرت لما فيه الناس : لمن هذه
الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة ، قال : بل رايات عصم الله أهلها ، فصبرهم وثبت
أقدامهم .

ومرّ بعليّ في ذلك الوقت الأَشْتَرُ النَّخَمِيُّ ، فقال له : ائتِ هؤلاء القوم . فقل
لهم : أين فراركم من الموت ؟ فذهب إليهم الأَشْتَرُ ، وهبج الناسَ لخوض الغمّرات ،
فتأبموا وكرّوا معه ، فأخذ لا يعمد لكتيبةٍ إلا كَشَفَهَا ، ولا لجمعٍ إلا حازَه ورَدَّه ،
ولم يزل حتى كشف هذه الجموع المهاجرة ، وألحقهم بصفوف معاوية بين العصر والمغرب ،
ولم يزل الأَشْتَرُ في هَجْمَتِهِ حتى وصل إلى حَرَسِ معاوية ، وكان معاوية يقول : أردتُ
في هذا الوقت أن أنهزم ، فذكرت قول ابن الإطنابة :

أبتُ لي عِفَّتِي وأبي بلائِي وإقداي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالي وأخذني الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت : مكانك تحمدي أو تستريحي

فدعنى هذا القول من الفرار .

ولما أمسى المساء على الفريقين لم يفترقا ، واستمر القتال حتى الصباح ؛ وسميت هذه الليلة ليلة الهرير ، يُشبهونها بليلة القادسية ، فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، وتراموا حتى نفذ النبيل ، وأخذوا السيوف ، وعلى يسير فيما بين اليمين والميسرة ، ويأمر كل كتيبة أن تقدم على التي تليها ، والأشتر يقول : من يشتري نفسه ، ويقاتل مع الأشتر يظهر أو يندحق بالله ! فاجتمع إليه ناسٌ كثير ، فقال لهم : شدوا شدة - فدى لكم خالي وعمي - ترضون بها الرب ، وتمزقون بها الدين ثم ضرب وجه دابته ، وقال لصاحب رايته : أقدم بها ، وحمل على القوم ، وحملوا معه ، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ، فقاتلوه قتالاً شديداً .

ولما رأى عليّ الظفر من ناحية الأشتر أمده بالرجال ، فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه : أتدري ما مثلى ومثلك ومثل الأشتر ؟ قال : لا ، قال : كالأشتر ، إن تقدم عقر ، وإن تأخر عقر ؛ لأن تأخرت لأضربن عنقك ، قال : أما والله يا أبا عبد الله ؛ لأوردنك حياض الموت ، ضع يدك على غايتي . ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول : لأوردنك حياض الموت . واشتد القتال .

فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية : هل لك في أمر أغرضه عليك ، لا يزيدنا إلا اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ قال : نعم ، قال : زرع المصاحف ، ثم نقول : هذا حكم فيما بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : يذنبى لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ، وإن قبلوا ما فيها رفقنا القتال عنا إلى أجل !

فوافق معاوية ، وأشار على أصحابه بهذا الرأي ، فرقموا المصاحف على الرماح ،

وقالوا : هذا حُكْمُ كتابِ الله عزَّ وجلَّ بيننا وبينكم ، مَنْ لثغور الشام بَمَدِّ أهله !
مَنْ لثغور العراق بَمَدِّ أهله .

فقال أهل الكوفة : نجيب إلى كتاب الله ، فقال لهم عليٌّ : عبادَ الله ! امضُوا
على حَقِّكم وصدقكم وقاتلِ عَدُوَّكم ؛ فَإِنَّ معاويةَ وَعَمْرًا وَالضَّحَّاكَ وَمَنْ معهم
ليسوا بأصحابِ دينٍ ولا قرآنٍ ، أنا أعرفُ بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالًا ،
ثم رجالًا ، فكانوا شرًّا أطفالًا وشرًّا رجالًا ، وَيَحْكُمُ ! والله ما رفعوها إلا خديعة
ووهنًا ومكيدة .

فقالوا له : لا يَسْمَعُنَا أَنْ نُدْعِيَ إلى كتابِ الله فنأبى أن نقبله . فقال لهم عليٌّ :
فإني إنما أقاتلهم لِيَدِينُوا لِحُكْمِ الكتابِ ، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا
عَهْدَهُ ، وَنَبَذُوا كتابَهُ . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائيّ
في عصابة من القرءاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا عليٌّ أجبْ إلى كتابِ الله
عز وجل إذ دُعيت إليه ، وإلا دفمناك برُمَّتِكَ إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا
بابن عفان ! قال : فاحفظوا عني تَهَيَّبِي إياكم ، واحفظوا مقاتلتكم ، فإن تطيموني
فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم .

قالوا : ابمَثْ إلى الأشترِ فليأتِكَ . فبمَثْ عليٌّ يزيد بن هانيء إلى الأشترِ
يستدعيه ، فقال الأشتر : ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغى لك أن تُزِيلَنِي
عن موقفي : إني قد رجوت أن يفتَحَ اللهُ لي .

فرجع يزيد فأخبره ، وارتفعت الأصوات ، وارتفع الرَّهَجُ (١) من ناحية
الأشتر ، فقالوا : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال عليٌّ : هل رأيتموني
ساررته ؟ أمّا كلته على رؤوسكم وأنتم تسمعون ! قالوا : فابمَثْ إليه فليأتِكَ

(١) الرَّهَجُ : الشغب .

وإلا والله اعترلناك ، فقال له : ويلك ! يا يزيد قل له أقبل إلى ، فإن الفِئنة قد وقعت ، فأبلغه ذلك ، فقال الأشر : أرفع المصاحف ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد ظننتُ أنها سترفع اختلافاً وفرقة ؛ إنها مشورة ابن العاص ، ألا ترى إلى الفتح ، ألا ترى ما يلقون ، ألا ترى ما صنع الله لنا ! لن ينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم . فقال له يزيد : أتُحِبُّ أن تظفر وأمير المؤمنين يُسلم إلى عدوه أو يقتل ! قال : لا والله ، سبحان الله ، فأعلمه بقولهم . فأقبل إليهم الأشر وقال : يا أهل العراق ، يا أهل النذل والوهن ، أحينَ علوتم القوم ، وظننوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه . فأهلوني فواقا^(١) ؛ فإني قد أحسست بالفتح . قالوا : لا ، قال : أمهلوني عدو الفرس فإني قد طيمت في النصر . قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك . قال : فخبروني عنكم ، متى كنتم مُحقين ! أحين تقاتلون وخياركم يُقتلون ! فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مُبطلون . أم أنتم الآن مُحقون ، فقتلكم الذين تنكرون فضلهم وهم خيرٌ منكم في النار .

قالوا : دعنا منك يا أشر ، قاتلناهم لله ، وندعُ قتالهم لله ؛ قال : خُديعتم وانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم ، يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى مرادكم إلا قبجاً ، يا أشباه النبيب الجلالة^(٢) ، ما أنتم برائين بمدّها عزاً أبداً ، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون .

فسبّوه وسبّهم وضربوا وجهه دابته بسياطهم ، وضرب وجوه دوابهم بسوطه ،

(١) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت . (٢) النبيب الجلالة : النياق المسنة .

فصاح به وبهم عليّ فكفّوا . وقال الناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً .

فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال : أرى الناس قد رضوا بما دعّوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية ، فسألته : ما يريد ؟ قال : ائنه ، فأتاه فقال لمعاوية : لأيّ شيء رفعتهم هذه المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون رجلاً ترضون به ونبعث نحن رجلاً نرضى به ، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يمدّوا به ، ثم نتبع ما اتفقا عليه . قال له الأشعث : هذا الحق .

ثم عاد الأشعث إلى عليّ ، وأخبره بما قال معاوية ، وتراضى الفريقان على هذا الرأي ، وقال أهل الشام : قد رضينا عمرو بن العاص . وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعريّ ! فقال عليّ : قد عصيتموني في أوّل الأمر ، فلا تعصوني الآن ، لأرى أن أوّل أبي موسى . فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسر بن فنكي : لا نرضى إلا به ؛ فإنه قد حدّرنا ما وقفنا فيه .

قال عليّ : فإنه ليس بثقة ، قد فارقتني وخذّل الناس عني ، ثم هرب مني حتى أمّنته بمد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس ، أوّليّه ذلك ، قالوا : والله ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس ، لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء . قال عليّ : فإنّي أجعل الأشتر ، قالوا : وهل سمر الأرض غير الأشتر ! فقال : قد أبيت إلا أبا موسى ؟ قالوا : نعم ، قال : فاصنعوا ما أردتم .

فبعثوا إليه ، وقد اعتزل القتال ، فدخل عليه مولى له ، فقال : إن الناس قد

اصطلحوا ، فقال : الحمد لله ، قال : قد جملوك حكماً ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .
ثم جاء أبو موسى حتى دخل العسكر .

ولما علم الأشر جاء إلى عليّ فقال : أُرِزْتَنِي^(١) بعمر بن الماص ، فوالله لئن
ملاّت عيني منه لأقتلته . وجاء الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك قد
رُميت بجَبر الأرض ، وإني قد عَجَمْتُ أبا موسى وحلبتُ أسطره ، فوجدته كليل
الشَّفْرَةِ ، قريب القمر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يَدْنُو منهم حتى يصير في
أَكْفُهُمْ ، ويبعدُ حتى يصيرَ بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيتَ أن تجعلني حكماً فاجعلني
ثانياً أو ثالثاً ، فإنه لن يَمُقِدَ عُقْدَةَ إِلَّا حَلَلْتَهَا ، ولا يحلّ عُقْدَةَ هَا كَ إِلَّا عَقَدْتُ
أخرى أحكم منها . فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب ، فقال الأحنف : إن
أبيتم إلا أبا موسى فأدْفِنُوا ظَهْرَهُ بِالرَّجَالِ .

وحضر عمرو بن الماص عند عليّ ليكتب العهد بحضوره ، فكتبوا : « بسم الله
الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين . . . » فقال عمرو للكاتب : اكتب
اسمه واسم أبيه ، هو أميركم ، وأما أميرنا فلا . فقال الأحنف : لا تمحُ اسمَ أمير
المؤمنين ، فإنني أخافُ إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً ، لا تمحُها وإن قتلَ الناسُ
بعضهم بعضاً ! فأبى ذلك عليّ ملياً من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال للكاتب :
امحُ هذا الاسم ، فحماه ، فقال عليّ : الله أكبر ! سُنَّةٌ بسُنَّةٍ ، وإني لكاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، فكتبت « محمد رسول الله » ،
فقال قريش : لست برسول الله ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ،

(١) لزه وألزه : ألصقه .

فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه ، فقلت : لا أستطيع ، فقال : أرنيه ، فأريته ، فحاه بيده ، وقال : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب ، فقال عمرو : سبحان الله ! أنشبهه بالكفار ونحن مؤمنون ! فقال عليّ : ومتى لم تسكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً ! فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بمد هذا اليوم أبداً ، فقال عليّ : أنى لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك ، ثم كتب الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان ، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين : إننا ننزل عند حكم الله وكتابه ، وألا يجمع بيننا غيره ، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتته ، نُحْيِي ما أحيأ ، ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان - وما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص - في كتاب الله عزّ وجلّ عملا به ، وما لم يجداه في كتاب الله عزّ وجلّ ، فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من اليهود والمواثق والثقة من الناس أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما ، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه . وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهدُ الله وميثاقه أنّا على ما في هذه الصحيفة ، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أيما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدتهم وغائبهم . وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ، ولا يردّاهما في حرب ولا فرقة حتى يمصيا الله . وأجلا القضاء إلى رمضان ، وإن أحبنا أن يؤخرا ذلك أخراء على تراضٍ مهما ، وإن توفى أحد الحكمان فإن

أمير الشيعة يختار مكانه - ولا يألوه - من أهل المدلة والقسط ، وإن كان القضية الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل الكوفة والشام ، وإن رضيا وأحببا ، فلا يحضرهما فيه إلا من أرادا . ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصارٌ على من ترك هذه الصحيفة ، وأراد إلحاداً أو ظلاماً ؛ اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة .

وشهد الأشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمى البجلي ، وغيرهم من أصحاب علي ، وأبو الأعور السلميّ وحبيب بن مسلمة وزمّل بن عمرو المذري من أصحاب معاوية . وقيل للأشعث ليكتب فيها ، فقال : لا صحبتني يميني ولا نعمتني بعدها شمالي ، إن خطّ لي في هذه الصحيفة اسم . وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، واتفقوا على أن يوافق أمير المؤمنين عليّ موضع الحكّمين بدومة الجندل في شهر رمضان ، وكذلك معاوية ؛ مع كلٍّ منهما أربعمئة من أصحابه وأتباعه .

وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مرّ على طائفة من بني تميم ، فيهم عروة بن أدية ، فقرأ عليهم فقال عروة : تحكّمون في أمر الله الرجال ! لا حكم إلا لله . ثم شدّ بسيفه ، فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفةً ، واندفعت الدابة ، وصاح به أصحاب الأشعث ، فرجع وغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن ، فشى إليه الأحنف بن قيس وميسع بن فدّكيّ وناس من تميم ، فاعتذروا ، فقبل وشكر .

وقيل لعليّ : إن الأشعث لا يُقرّ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم . فقال عليّ : وأنا والله مارضيت ، ولا أحببت أن ترضوا ؛ فإذا أبيتم إلا أن ترضوا

فقد رَضِيتُ ؛ وإذ رَضِيتُ فلا يَصْلُحُ الرجوعُ بعد الرضا ، ولا التَّبدِيلُ بعد الإقرار ،
إِلَّا أن يُعَصَى اللهَ ويتعدَّى كتابه ، فقاتلوا مَنْ تَرَكَ أمرَ الله . وأمَّا الذي ذَكَرْتُم
من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولستُ أخافُ على ذلك ، ياليتُ
فيكم مثله اثنين ، ياليتُ فيكم مثله واحداً ، يرى في عدوى ما أرى ؛ إذَنْ خَلَفْتُ
على مَثُونَتِكُمْ ، ورجوتُ أن يستقيم لى بعضُ أودِكُمْ ، وقد نهيتكم فمصيتمونى ،
فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

وهلُّ أنا إلا من غَزِيَّةٍ إن غوتُ غَوَيْتُ وإن تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرشُدِ (١)

والله ، لقد فعلتمُ فعلةً ضمضتُ قوَّةً ، وأسقطتُ مُنةً ، وأورثتُ وهناً وذِلَّةً ، ولما
كنتمُ الأعلين ، وخافَ عدوكم الاجتياح ، واستحرقَّ بهم القتل ، ووجدوا ألم الجراح
رفعوا المصاحف ، فدعواكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا
بكم المنون خديمةً ومكرًا ، فأعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتمُ إلا أن تُدهنوا (٢) ،
وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون إلى الرشد .

ثم رجع الناس عن صِفِّين ، وقد فشا فيهم النزاعُ ودبَّ الشقاق ، وأخذوا
يقطعون الطريقَ بالتشائم والتضارب بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله ، أذهنتم
في أمر الله ! ويقول الآخرون : فارقم إمامنا ، وفرقم جماعتنا !

وساروا حتى جازوا النُّخَيْلَةَ (٣) ، ورأوا بيوتَ الكوفة ، فإذا بشيخٍ فى ظلِّ
بيتٍ عليه أثر المرض ، فسلمَّ عليه علىٌّ ، فردَّ ردًّا حسنًا ، فقال له علىٌّ : أرى
وجهك متغيرًا ، أمِنُ مرض ؟ قال : نعم ، قال : لعلك كرهته . قال : ما أحبُّ أنه

(١) لدريد بن الصمة ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزى ٢ : ٣٠٦ .

(٢) الإدمان : المصانعة والنفاق .

(٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام .

بغيري ، فقال : أليس احتساباً للخير فيما أصابك ؟ قال : بلى ! قال : فأبشِرْ برحمة الله وغفران ذنبك ، مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال : صالح بن سُلَيْمٍ ، قال : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قال : أُمَّا الْأَصْلُ فَمِنْ سَلَامَانَ طَيْبٍ ، وَأُمَّا الدَّعْوَةُ وَالْجَوَارُ فَمِنْ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَحْسَنَ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ ، وَاسْمَ مَنْ اعْتَرَيْتَ إِلَيْهِ ، وَاسْمَ أَدْعِيائِكَ ! هل شهدت معنا غزاتنا هذه ؟ قال : لا والله ، ولقد أردتها ، ولكن ما ترى من أثر الحمى منى عنها ، فقال عليٌّ : ﴿ لَيْسَ عَلَيَّ الضُّعْفَاءُ وَلَا عَلَيَّ الْمَرْضَى وَلَا عَلَيَّ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ مَا عَلَيَّ الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

خبرني ، ما يقول الناسُ فيما كان بيننا وبين أهل الشام ؟ قال : فيهم السرور وهم ينشون الناس ، وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم ، وأولئك نُصَحَاءُ الناس لك . قال : صدقت ، جملَ الله ما كان من شكواك خطأً لسببائك ، فإنَّ المرض لا أُجْرَ فيه ، ولكن لا يدع على العبد ذنباً إلا حطَّه ، وإنما الأجرُ في القولِ باللسان والعمل باليد والرَّجْل ، وإن الله عزَّ وجلَّ ليدخل بصِدْقِ النية والسريرة الصالحة عالماً من عباده الجنة .

ثم مضى غير بميد ، فلقيه عبد الله بن وديمة الأنصاري ، فدنا منه ، وسلم عليه ، وسأله وسأله فقال له : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا ؟ قال : منهم المعجب ، ومنهم الكاره له ، قال : فما قول ذوى الرأي ؟ قال : يقولون : إنَّ علياً كان له جَمْعٌ عظيم ففرَّقه ؛ وكان له حصن حصين فهدَّمه ، فمضى يَدِينِي ما هدم ، ويجمع ما فرق ! ولو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من نصاه ، فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال عليٌّ : أنا هدمت أم هم هدموا ؟ أنا فرقت أم هم فرقوا ؟ أمَّا قولهم : لو كان مضى بمن أطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك ، فوالله ما خفى هذا عني ، وإن

كنت لسخياً بنفسى عن الدنيا، طيب النفس بالموت ! ولقد هممتُ بالإقدام على القوم، فنظرتُ إلى هذين قد ابتدراني - يعنى الحسن والحسين - ونظرتُ إلى هذين قد استقدماى - يعنى عبد الله بن جعفر ومحمد بن على - فعلمتُ أنَّ هذين إنَّ هلكا انقطع نسلُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هذه الأمة ، وكريهت ذلك ، وأشفتت على هذين أن يهلكا ، وايمُّ الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا لألقيتهم وليسوا معى فى عسكر ولا دار .

ثم مضى ، وإذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية ، فقال علىّ : ما هذه ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين ، إنَّ خبّاب بن الأرت توفى بعد نحر جك ، وأوصى بأن يُدفن فى الظَّهر - وكان الناس إنما يُدفنون فى دورهم وأفئتهم ، وكان أول من دُفن بظاهر الكوفة ، ودفن الناس إلى جنبه ، فقال علىّ : رحم الله خبّاباً ، فلقد أسلم راعباً ، وهاجر طائماً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالا ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ، ثم وقف على القبور فقال : السّلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والحال المقرة ، من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ، ونحن لكم تبع ، وبكم - عما قليل - لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بِمَفْئِدِك عَنَّا وَعَنْهُمْ ، طوبى لمن ذكر اليماد ، وعمل للحساب ، وفتح بالكفاف ، ورضى عن الله عزّ وجلّ .

ثم سار فسمع بكاء ، فقال : ما هذه الأصوات ؟ فقيل : البكاء على قتلى صفيين ، فقال : أما أنى أشهد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة .

ثم مرّ بالشّبابيين ، فسمع رجّة شديدة ، فوقف ، فخرج إليه حرب بن شرجبيل الشّبابى ، فقال له علىّ : أَيْقَلِبِكُمْ نساؤكم ؟ ألا تنهَوْنَهُنَّ من هذا الرّنين ! قال : يا أمير المؤمنين ، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثا قدرنا على ذلك ؛ ولكن قُتل

من هذا الحى ثمانون ومائة ؛ فليس داراً إلا وفيها البكاء ، فأما نحن معشر الرجال فإننا لا نبكى ؛ ولكن نفرحُ بالشهادة . قال عليٌّ : رَحِمَ اللهُ قَتْلَكُمْ وموتاكم . ثم سار فأقبل حَرْبَ يمشى معه وعليٌّ راكبٌ ، فقال له عليٌّ : ارجع ووقف ، ثم قال : ارجع ؛ فإنَّ مَشَىَ مِثْلَكَ معِ مِثْلِي فتنةٌ للوالى ، ومَدْلَةٌ للمؤمن .

ثم مضى حتى مرَّ بالناعطين - وكان جُلُهم عثمانيَّة - فسمعَ بعضهم يقول : والله ما صنع عليٌّ شيئاً ، ذهب ثم انصرف في غير شيء . فلما رأوه أبلَسُوا (١) ، فقال عليٌّ لأصحابه : وجوه قومٍ ما رأوا الشام ، ثم قال لأصحابه : مَنْ فارقناهم آنفاً خيراً مِنْ هؤُلاءِ ، ثم قال :

أخوك الذى إن أجرضتكَ مُلِمَّةٌ من الدَّهْرِ لم يبرح لبثك واجبا
وليس أخوك بالذى إن تشمبتُ عليك الأمورُ ظلَّ يلحاك لا تماً
ثم مضى ، حتى دخل الكوفة .

وقَبِلَ أن يدخل الكوفة فارقه الخوارج ، وذهبوا إلى حروراء (٢) ، ونزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديتهم : إنَّ أمير القتالِ شَيْثُ بن رِبْعَى التميمى ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوَّاء الشكْرِى ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عزَّ وجلَّ ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فلما سمع عليٌّ بأمرهم بعث إليهم عبد الله بن العباس ، وقال له : لا تمجِّلْ إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيتك .

نخرج إليهم ، فأقبلوا يُكَلِّمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم وقال : ما نقمتم من

(١) أبلَسوا : تحيروا .

(٢) حروراء : موضع بظاهر الكوفة .

الحكمين؟ وقد قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (١)، فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم! فقالوا له: أما ما جعل الله حكمه إلى الناس، وأمرَ بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمرَ به، وما حكمَ فأمضاه، للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عباس: فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (٢) فقالوا له: أو تجمل الحكم في الصيد، والحدوث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين! ثم قالوا: إن هذه الآية بيننا، أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يُقاتلنا ويسفك دماءنا؟ فإن كان عدلاً فلنسناً بمدول ونحن أهل حرب. وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه: أن يُقتلوا أو يرجعوا. وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً، وجملتم بينكم الموادعة، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة، إلا من أقر بالجزية.

ثم جاء علي فوجد ابن عباس يُخاصمهم، فقال له: ألم أنهك عن كلامهم! ثم تكلم فقال: اللهم هذا مقام، من يُفليح فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة، ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء، قال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك يوم صفين، قال: أنشدكم الله، أتعملون أنهم حيث رفعوا المصاحف، وقتلتم: بُجيبهم قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين! ثم قال لهم: قد اشترطت على الحكمين أن يُحياً أحياناً القرآن، وميمتا ما أمات القرآن، فإن حكماً بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف، وإن أبيتا فنحن من حكمهما برآء.

قالوا: نجبرنا، أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مسطور بين دفتين،

لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال . قالوا : نخبرنا عن الأجل ، لم جملمته فيما بينك وبينهم؟ قال : لِيَعْلَمَ الجاهل ، وَيَتَنَبَّهَ العالم ، ولعلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يصلح في هذه الهدنة الأمة . ادخلوا مِصرَكمُ رحمكم الله !

ولما جاء وقتُ اجتماعِ الحكّمين أرسل عليٌّ أربعاً رجل ؛ عليهم شريح بن هاني ، وأرسل معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم ، ويبيّ أمورهم ومهم أبو موسى الأشعري ، وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعاً من أهل الشام حتى توافوا دومة الجندل^(١) . وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يُدرى ما جاء فيه ، ولا يسأله أهل الشام عن شيء ، وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن أيّ كتاب يصله من عليّ ، فإنّ كتبه ظنّوا به الظنون وقالوا : أترأه كتب بكذا وكذا؟ فقال لهم ابن عباس : أما تمقلون ! أما ترون رسول معاوية يجيء ولا يعلم أحد بما جاء به ، ولا يُسمع لهم صياح ، وأنتم عندي كل يوم تظنون في الظنون !

وقال المنيرة بن شعبة لرجال من قريش : أترون أحداً يستطيع أن يأتي برأي يعلم به : أيجتمع الحكان أم لا ؟ فقالوا : لا ، فقال : إني أعلمه منهما . فدخل على عمرو بن العاص فقال : كيف ترانا - معشر من انتزل الحرب ؛ فإننا قد شككنا في الأمر الذي استبان لكم فيها ؟ فقال له عمرو : أراكم خلف الأبرار ، وأمام الفجار . فانصرف المنيرة إلى أبي موسى فقال له مثل قوله لعمرو ، فقال له أبو موسى : أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقيّة الناس . فماد المنيرة إلى أصحابه ، وقال لهم : لا يجمع هذان على أمرٍ واحد .

(١) دومة الجندل : حصن وقرى بين المدينة والشام .

فلما اجتمع الحكماء قال عمرو : يا أبا موسى ، ألسنت تعلم أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ؟ قال : أشهد ، قال : ألسنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنحك منه وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فإن خفت أن يقول الناس : ليست له سابقة ، فقل : وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم ، والطالب بدمه ، الحسن السياسة والتدبير ، وهو أخو حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتبه ، وقد صحبه . وعرض له بسلطان .

فقال أبو موسى : يا عمرو ، اتق الله ، فأما ما ذكرته من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف تولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت ممطبه أفضل قريش شرفاً أعطيته عليّ ابن أبي طالب ، وأما قولك : إن معاوية وليّ دم عثمان ، فوله هذا الأمر ، فلم أكن لأوليّه وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما وليته ، وما كنت لأرثشئ في حكم الله ، ولكنك إن شئت أخييناً اسم عمر^(١) بن الخطاب رحمه الله .

قال له عمرو : فما يمنحك من ابني ، وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ فقال : إن ابنك رجلٌ صدق ، ولكنك قد غمستته في هذه الفتنة .

وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام ، يقول له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسن مني ، فتكلم وأتسكلم . وتمود ذلك أبو موسى . وأراد عمرو بذلك أن يقدمه في خلع عليّ ، فلما أراد عمرو على ابنه أو على معاوية أبي ، وأراد أبو موسى ابن عمر فأبي عمرو .

(١) يريد تولية عبد الله بن عمر .

ثم قال عمرو : ما رأيك ؟ قال : أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . فقال عمرو : الرأي ما رأيت .
فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو : يا أبا موسى ، أعلمهم أن رأينا قد اتفق ، فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة .

فقال عمرو : صدق وبر ، تقدم يا أبا موسى فتكلم .

فتقدم أبو موسى ليتكلم ، فقال له ابن عباس : ويحك ! والله إنني لأظنه قد خدعك ، إن كنا اتفقنا على أمر فقدّمه فليتكلم به قبلك ، ثم تكلم به بعده ، فإنه رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما ، فإذا قت في الناس خالفك .

وكان أبو موسى مغفلا ، فقال : إنا قد اتفقنا ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ، ولا ألبم لشمئها من أمر قد أجمع رأي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، ويولي الناس أمرهم من أحبوا ، وإني قد خلعت عليا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه أهلا . ثم تنحى .

وأقبل عمرو فقام وقال : إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان بن عفان والطلب بدمه وأحق الناس بمقامه .

فقال سعد : ما أضغفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده ؟ فقال أبو موسى : فما أصنع ؟ واقفى على أمر تم نزع عنه . فقال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسى ، الذنب لمن قدّمك في هذا المقام . قال : قدّر ، فما أصنع ؟ فقال ابن عمر : انظروا

إلى ما صار إليه أمر هذه الأمة ، صار إلى رجل لا يبالي ما صنع ، وإلى آخر ضعيف .
وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لو مات الأشعريّ قبل هذا اليوم لكان خيراً له .
وقال أبو موسى الأشعريّ لعمره : لا وقيّك الله ، غَدَرْتِ وفجرتِ ! إنما مثلك
كمثل الكبّ إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، قال عمرو : إنك مثل الحمار
يحمل أسفارا .

ثم حمل شُريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسّوط ، وحمل ابنُ عمرو على شريح
فضربه بالسّوط أيضاً ، وحجّز الناس بينهما ، فكان شريح يقول بمد ذلك :
ما ندمت على شيء نَدَامَتِي على ضرب عمرو بالسّوط ، ولم أضربه بالسيف .
والتمس أهل الكوفة أبا موسى ، فإذا هو قد هرب إلى مكة ، ثم انصرف عمرو
وأهل الشام إلى معاوية ، فسلموا عليه بالخلافة . ورجع ابن عباس وشريح إلى عليّ ؛
وأبلغاه خبر الحكمين !

٥٣ - يوم النهروان*

لما أراد عليٌّ أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج : زُرعة بن
البرج الطائي ، وحرث قوص بن زهير السعدي ، فقالا له : لا حُكْمَ إِلَّا لله ! وقال
حرث قوص بن زهير : تَبُّ من خطيئتك ، وارجع عن قضيتك ، واخرج بنا إلى عدونا
فقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال عليٌّ : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا
بيننا وبين القوم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهداً ، وقد قال الله تعالى :
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾^(١) فقال حرث قوص : ذلك ذنبٌ ينبغي أن تتوب عنه .
فقال عليٌّ : ما هو ذنب ، ولكنه عَجَزٌ عن الرأي ، وقد نهيتكم ؛ فقال زُرعة :
يا علي ، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلتك ؛ أطلب وجه الله تعالى .

فقال عليٌّ : بؤساً لك ، ما أشقاك ! كأنني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح !
قال : وددت لو كان ذلك - وخرجا من عنده يحكمان^(٢) .

وخطب عليٌّ ذات يوم فحكمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال عليٌّ :
الله أكبر ! كلمة حق أريد بها باطل ؛ إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلموا
حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم .

فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال : الحمد لله غير مودع ربنا ، ولا مستغنى
عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيا في ديننا ، فإن إعطاء الدنيا في الله إذهان

* الطبري ٦ : ٤٠ ، كان في سنة ٣٧ . والنهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط ،

من الجانب الشرقي ، وهو لعل على الخوارج .

(١) النحل ٩١ . (٢) التحكيم : قولهم « لا حكم إلا لله » .

في أمر الله ، وذلك راجع بأهله إلى سخط الله ، يا عليّ ، أباقتل تخوّفنا ! أما والله
إني لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل غير مُصَفَّحَاتٍ (١) ، ثم لتعلمنّ أينأ أولى بها
صلياً (٢) .

ثم خطب عليّ يوماً آخر فقام رجل فقال : لا حُكْمَ إلا لله . ثم توالى عدّة
رجال يحكّمون ، فقال عليّ : الله أكبر ! كلمة حقّ أريد بها باطل ، أما إن لكم
عندي ثلاثاً ما صحبتتمونا : لا تمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا تمنعكم
النبي ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا تقاتلكم حتى تبدءونا ، وإِنَّمَا نتبع فيكم
أمر الله . ثم رجع إلى مكانه من الخطبة .

واجتمع الخوارج بمسد ذلك في منزل عبد الله بن وهب الراسبيّ ، فخطبهم
وزهدهم في الدنيا ، وأمرهم بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ثم قال :
اخرُجوا بنا من هذه القرية الظالمِ أهلها إلى بعض كور الجبال (٣) ، أو إلى بعض
هذه المدائن ؛ منكرين لهذه البدع المضلّة ، فقال له حُرْقُوص بن زهير : إن المتاع
بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى
المقام بها ، ولا تلتفتنكم عن طلب الحقّ وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون .

وقال حمزة بن سنان الأسديّ : يا قوم ؛ إن الرأي مارأيتم ، فولّوا رجلاً منكم ،
فإنكم لا بدّ لكم من عماد وسناد ورأية تحفون بها وترجمون إليها ، فعرضوها
على زيد بن حصين الطائيّ فأبى ، وعرضوها على حُرْقُوص بن زهير فأبى ، وعلى

(١) يقال : أصفحه ؛ إذا ضربه بعرضه .

(٢) قال ابن الأثير : خرج هو وإخوة له ثلاثة فأصيبوا مع الخوارج بالنهر .

(٣) الجبال : اسم علم للبلاد المعروفة بالعراق في اصطلاح المعجم .

حَمْزَةُ بْنُ سَنَانٍ وَشُرَيْحُ بْنُ أَوْفَى الْعَبْسِيُّ فَأَيُّهَا . وَعَرَضُوهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبٍ فَقَالَ : هَاتُوهَا ، أَمَا وَاللَّهِ ، لَا آخِذَهَا رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَدَعَاهَا فَرَقًا مِنَ الْمَوْتِ ، فَبَايَعُوهُ لِمَشْرِئِ خَلْوَنَ مِنْ شَوَّالٍ .

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ شُرَيْحِ بْنِ أَوْفَى الْعَبْسِيِّ ، فَقَالَ ابْنُ وَهَبٍ : اشْخَصُوا بِنَا إِلَى بَلَدِهِ نَجْتَمِعُ فِيهَا لِإِنْفَازِ حُكْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَقِّ . قَالَ شُرَيْحٌ : نَخْرُجُ إِلَى الْمَدَائِنِ فَنَنْزِلُهَا وَنَأْخِذُهَا بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَيُقَدِّمُونَ عَلَيْنَا .

فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ : إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ بِجَمْعٍ أَتَيْتُمْ ، وَلَكِنْ أَخْرَجُوا وَحِدَانَا مُسْتَخْفِينَ . قَالُوا : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ . وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ إِلَى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنْهُمْ يُعَلِّمُهُمْ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، يَحْتَمُّهُمْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِ ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ إِلَيْهِمْ ؛ فَأَجَابُوهُ أَنَّهُمْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِ .

وَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْمَسِيرِ تَعَبَّدُوا لَيْلَتَهُمْ - وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ - وَسَارُوا يَوْمَ السَّبْتِ . وَخَرَجَ شُرَيْحُ بْنُ أَوْفَى وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) .

وَلَمَّا خَرَجَتْ الْخَوَارِجُ مِنَ الْكُوفَةِ أَتَى عَلَيْهَا أَصْحَابُهُ وَشِيعَتُهُ فَبَايَعُوهُ وَقَالُوا : نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ ، فَشَرَطَ لَهُمْ فِيهِ سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رِبِيعَةُ بْنُ أَبِي شَدَادٍ الْخَثَمِيُّ - وَكَانَ شَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلُ وَصِيقَيْنِ وَمَعَهُ رَايَةُ خَيْمَمٍ - فَقَالَ لَهُ : بَايِعْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فقال ربيعة : وعلى سنة أبي بكر وعمر . فقال له علي : ويلك ! لو أن أبا بكر وعمر عملا
بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق ؛
فبايمه ، فنظر إليه عليٌّ وقال : أما والله لكأني بك ؛ وقد نقرت مع هذه الخوارج
فقتلت ، وكأني بك وقد وطئت الخيل بجوافرها^(١)

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في تسعمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر
ابن فدك التيمي ، فلم بهم ابن عباس ، فأبتمهم أبا الأسود الدؤلي ، فلحقهم
بالجسر الأكبر ، فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدّج مسعر بأصحابه ، وأقبل
يمترض الناس ، وعلى مقدمتهم الأشرس بن عوف الشيباني ، وسار حتى لحق
بمبد الله بن وهب .

ولما ترامت إلى عليّ أنباء خوارج الكوفة والبصرة وهربُ أبي موسى إلى مكة
قام في الكوفة فخطب القوم وقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدّان
الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ أما بعد فإن المصيبة تورثُ
الحسرة وتُعقبُ الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة
أمرى ، ونخلتكم رأيي ، ولو يُطاع لفضير أمر ؛ ولكن أبيت إلا ما أردتم ، فكنت
أنا وأتم كما قال أخو هوازن :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلاضحى الغدى

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكّمين قد نبذا حكم القرآن وراء
ظهورها ؛ وأخيّيا ما أمت القرآن ، وأتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ؛
فكنا بغير حجة بينة ، ولا سنة ماضية ، واختلفنا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ،

(١) قتل مع الخوارج يوم النهروان .

فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ،
وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين .

ثم كتب إلى الخوارج بالنهر : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على
أمر المؤمنين إلى زيد بن حُصين وعبد الله بن وهب ومنّ معهما من الناس ؛ أما بعد ؛
فإن هذين الرجلين اللذين ارتضىناهما حكمين قد خالفا كتاب الله ، واتبعا هواهما
بغير هدى من الله ، فلم يعملا بالسنة ، ولم ينفذا للقرآن حُكْمًا ، فبرئ الله ورسوله
منهما والمؤمنون ؛ فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإننا سائرون إلى عدونا
وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه ، والسلام . »

فكتبوا إليه : « أما بعد ؛ فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ،
فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ،
وإلا فقد نابذناك^(١) على سواء إن الله لا يحب الخائنين . »

فلما قرأ على كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويعضى بالناس إلى أهل
الشام ، حتى يلتاقهم ، فيناجزهم ، فقام في أهل الكوفة ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله ، وأذهن في أمره كان على شفا هلكة^(٢) إلا أن
يتداركه الله بنمته ، فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله ، وحاول أن يُطفيء
نور الله ؛ فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين الذين ليسوا بقراء القرآن ،
ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ؛
والله لو وُلوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل . تيسروا للمسير إلى عدوكم

(١) المنابذة : أن يكون بين فريقين مختلفين عهد وهدنة بعد القتال ، ثم أرادوا نقض ذلك العهد
فينبذ كل فريق منهما لصاحبه العهد الذي تهادنا عليه .
(٢) الهلكة : الهلاك .

من أهل المغرب^(١) ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا اجتمعتم شخضنا إن شاء الله ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكتب إلى ابن عباس : « أما بعد فإننا خرجنا إلى معسكرنا بالبخيلة ، وقد أجمعنا على السير على عدونا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولى ، وأقم حتى يأتيك رأى ، والسلام » .

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس ، وندبهم مع الأحنف بن قيس ، فشخص ألف وخمسمائة ، وخطبهم ابن عباس فقال : يا أهل البصرة ؛ أتانى كتاب أمير المؤمنين ، فأمرتكم بالنفير إليه ، فلم يشخص منكم إليه إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون ألف مقاتل ، سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ؛ ألا انفروا مع جارية بن قدامة السفدي ، ولا يجمكن رجل على نفسه سبيلا ، فإنى موقع بكل من وجدته متخلفا عن دعوته ، عاصيا لإمامه ، ولا يلومن رجل إلا نفسه » .

نخرج جارية فاجتمع إليه ألف وسبعمائة ، فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ورءوس القبائل ووجوه الناس ، ثم خطبهم ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، أنتم إخوانى وأنصارى وأعوانى على الحق ، وأصحابى إلى جهاد عدوى المحلّين ، بكم أضرب الذبر ، وأرجو تمام طاعة القبيل ، وقد استنفرت أهل البصرة ، فأتانى منهم ثلاثة آلاف ومائتان ؛ فليكتب لى رئيس كل قبيلة ما فى عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال ، وعبدان عشيرته ومواليهم ، ويرفع ذلك إلينا .

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سما وطاعة ؛ أنا أول الناس جاء بما سألت . وقام مقل بن قيس وعدى بن حاتم ، وزباد بن خصفة

(١) يريد بأهل المغرب هنا أهل الشام ..

وحُجْر بن عدى وأشرافُ الناس والقبايل ، فقالوا مثلَ ذلك ، وكتبوا إليه ماطلب ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا ، وألا يتخلف منهم متخلف ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم .

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمداين يأمره بإرسال مَنْ عنده من المقاتلة ، وبلغ عليّاً أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى قتال هذه الجَرُورِية ، فإذا فرغنا منهم توجهنا إلى قتال أهل الشام ! فقال لهم : بدغني أنكم قلمت كيت وكيت ، وإن غير هؤلاء الخارجين أهمُّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم ، كما يكونوا جبّارين ملوكاً ، ويتخذوا عباد الله خوّاً^(١) ، فناداه الناس : أن سير بنا يأمير المؤمنين حيث أحببت .

وقام إليه صَيْقُ بن قيس الشيباني ، فقال : يأمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي مَنْ عاداك ، ونشايح مَنْ أناب إلى طاعتك ، فسير بنا إلى عدوك مَنْ كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤتني من قلة عدد ، وضعف نية أتباع .

هذا ما كان من أمر عليّ ، وأما الخوارج ، فقد روى أن طائفة منهم كانت في طريقها من البصرة إلى النهروان ، فرأت عصابةً منهم رجلاً يسوق بامرأة على حمار ، فأنهروه وأفزعوه وقالوا له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم ، قالوا : لاروع

(١) الخول : العبيد .

عليك ! حدثنا عن أبيك حديثاً سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنفعنا به . فقال : حدثني أبي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « تكونُ فتنة يموتُ فيها قلبُ الرجل ، كما يموت به بدنه ، يُمسي فيها مؤمناً ، ويُصبح كافرًا ، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا » . قالوا : لهذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرًا . قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال : إنه كان مُحِقًّا في أولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في عليِّ قبل التَّحْكِيمِ وبمسده؟ قال : إنه أعلمُ بالله منكم وأشدُّ تَوَقُّيًّا على دينه ، وأنفذُ بصيرةً ، فقالوا : إنك تَتَّبِعُ الهوى وتُوَالِي الرِّجَالَ على أسمائِها لا على أفعالِها ، والله لَنَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً ماقتلناها أحدًا . ثم أخذوه وكتفوه ، ثم أقبلوا به وبامراته وهي حُبْلَى مُتَمِّمٌ (١) ، حتى نزلوا تحت نخْل فسقطت منه رُطْبَةٌ ، فأخذها أحدُهم فقذفَ بها في فَمِهِ ، فقال أحدُهم : بغيرِ حِلِّها وبغيرِ ثَمَنِ ! فلَقَطَها وألقاها من فَمِهِ ، ثم أخذ سيفه بيمينه ، فرَّ به خنزير لأهل الدِّمَّةِ ، فضربه بسيفه ، فقالوا : هذا فساد في الأرض ، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلما رأى ذلك منهم ابن خبَّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم بأس ، إني لمُسلِمٌ ، ما أحدثُ في الإسلام حَدَثًا ، وقد آمنتموني وقتلتم : لا رَوْعَ عليك . فجاءوا به فأضجوه وذبحوه وسال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : إنما أنا امرأة ، ألا تنتقون الله ! فبقرُوا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طَيِّبٍ ؛ وقتلوا أمَّ سنان الصَّيْدَاوِيَّةَ .

فبلغ ذلك عليَّ بن أبي طالب ومن معه من المسلمين . فبعث إليهم الحارث بن

(١) التَّم : التي دنا ولادها .

مرّة العبدى ليأتيهم ، وينظر ما بلغه عنهم ، ويكتب إليه ولا يكتبه ، فلما دنا منهم يسألهم قتلوه .

وأتى عليّاً الخبرُ والناسُ معه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، علامَ ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ؟ سرُّ بنا إلى القوم ، فإذا فرغنا منهم سرُّنا إلى عدوِّنا من أهل الشام . وقام إليه الأشعث بن قيس فكلمه بمنزلة ذلك ، وكان الناس يظنون الأشعث يرى رأى الخوارج ؛ لأنه كان يقول يوم صفين : أنصفنا قومٌ يدعون إلى كتاب الله ، فلما قال هذه المقالة علم الناس أنه لم يكن معهم .

ثم أجمع رأى عليّ على الخروج إليهم ، فمير الجسر وسار إليهم ، ولما صار قريباً منهم أرسل إليهم : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا أقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافٍ عنكم ، حتى أتى أهل الشام ، فلملَّ الله يقلب قلوبكم ، ويردُّكم إلى خيرٍ مما أنتم عليه من أمركم .

فقالوا : كلنا قتلهم ، وكلنا مستجبلٌ لدمائكم ودمائهم . فخرج إليهم قيس بن سعد ابن عبادة فقال لهم : عباد الله ، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذى خرجتم منه ، وعودوا بنا إلى قتال عدوِّنا وعدوِّكم ، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، وتسفكون دماء المسلمين . فقال له عبد الله بن شجرة السلمى : إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتوننا بمنزل عمر . فقال : ما نعلمه غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ قالوا : لا ، قال : نشدُّكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها ، فإنى لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم .

وخطبهم أبو أيوب الأنصارى ، فقال : عباد الله ، إنا وإياكم على الحال

الأولى التي كنا عليها ، ليست بيننا وبينكم فرقة ، فعلام تقاتلوننا ؟ فقالوا : إنَّالو تابعناكم اليوم حكمتم غداً . قال : فإنى أنشدكم الله أن تمجّلوا فتنة العام مخافة ما يأتى فى القابل .

وأناهم على فقال : أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدّها عن الحقّ الهوى ، وطمع بها النّزق ، وأصبحت فى الخطب العظيم ، إني نذير لكم أن تُصيحوا تليفكم الأمة صرعى بأثناء هذا الوادى ، بغير بيّنة من ربّكم ولا برهان مبين ، ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومة ، ونبأتكم أنها مكيدة ، وأن القوم ليسوا بأصحاب دينٍ فمصيتمونى ! فلما فعلتُ شرطت ، واستوثقت على الحكّامين أن يُحْيِيَا ما أحيا القرآن ، ويؤميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبتنا أمرها ، ونحن على الأمر الأول ، فمن أين أتيتم ؟ فقالوا : إننا حكّمنا ، فلما حكّمنا أئمتنا ، وكنا بذلك كافرين ، فإن تبتّ فنحن معك ، وإن أبيتّ فإننا مُنابذوك على سواء .

فقال على : أصابكم حاصب^(١) ، ولا بقى منكم وابر^(٢) ، أبعّد إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وهجرّتى معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ! لقد ضللتُ إذا وما أنا من المهتدين . ثم انصرف ، عنهم .

ثم إن الخوارج قصدوا جسر النهر ، فعبأ على أصحابه ، وجعل على ميمينته حُجر ابن عدى ، وعلى ميسرته شبت بن ربيع ، وعلى الخليل أبا أيوب الأنصارى ، وعلى الرّجالة أبا قتادة الأنصارى ، وعلى أهل المدينة قيس بن سعد بن عبادة .

(١) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء . (٢) وابر : أحد .

وعبأت الخوارج ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حُصين الطائي ، وعلى اليسرة شريح بن أوفى العبسي ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي ، وعلى رجالهم حرقوص بن زهير السعدي .

وأعطى عليُّ أبا أيوب الأنصاري راية الأمان ، فناداهم أبو أيوب ، فقال : مَنْ جاء تحت هذه الراية منكم ، مِمَّنْ لم يَقْتُلْ ولم يستعريض فهو آمن ، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم .

فقال فروة بن نوفل الأشجعي : والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليًّا ! أرى أن أنصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله أو أتابعه ، وانصرف في خمسمائة فارس . وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة . وخرج إلى عليِّ نحو مائة - وكان أربعة آلاف - وبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، وزحفوا إلى عليِّ ، وكان عليٌّ قد قال لأصحابه : كُفُّوا عنهم حتى يبدؤكم . فتنادوا : الرَّواح إلى الجنة ، وحملوا على الناس ، فلم تثبت خيلُ المسلمين لشدتهم ، وافترقت خيل عليِّ فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وفرقة نحو اليسرة ، فاستقبلت رماة عليِّ وجوههم بالنبل ، وعظفت عليهم الخيلُ من الميمنة واليسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف . فلما رأى حمزة بن سنان صاحبُ خيلهم الهلاك نادى أصحابه : أن انزلوا ، فذهبوا لينزلوا ، فلم يلبثوا أن حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي وجاءتهم الخيل من نحو عليِّ ، فأهلكوا في ساعة ، فكأنما قيل لهم : موتوا فماتوا .

٥٤ - يوم كربلاء*

كان معاوية بن أبي سفيان قد عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة ، بعد أن استشار في ذلك وفود الأمصار ، فبايعه الناس ، ولم يتخلف عن البيعة إلا نفر قليل من أهل المدينة ، وهم الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر .

ولما توفّي معاوية لم يكن ليزيد هم إلا مبايعة هؤلاء الثلاثة ، وأرسل إلى الوليد ابن عُتْبَةَ بن أبي سفيان أمير المدينة ، يقول له : أمّا بعد ، فخذ حُسَيْنًا وعبد الله بن عمر وابن الزبير أخذاً ليس فيه رُخْصَةٌ ، حتى يُبايعوا ، والسلام .

فلما أتى الوليدَ نَمِيّ معاوية فَظَمَ^(١) وكبر عليه ، وأرسل إلى هؤلاء النَّفَرِ ، فأما الحسينُ فجاءه ، فلما عَرَضَ عليه البيعة وأخبره بموت معاوية استرجع وترحم عليه ، وقال : أمّا البيعة ، فإن مثلي لا يُبايع سِرًّا ، ولا يُجتزئُ بها مني سِرًّا ، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة ، ودعوتنا معهم كان الأمر واحدًا ، فقال له الوليد وكان يحب العافية : انصرف ، فانصرف .

وأما ابن الزبير فترك المدينة ، وذهب إلى مكة ، وقال : إني عائذٌ بالبيت ، ولم يكن يُصَلِّيُ بصلاتهم ، ولا يُفِيضُ^(٢) في الحج بإفاضتهم ، وكان يقف هو وأصحابه ناحية . وخرج الحسين من بعده ، وأخذ معه بنيه وإخوته وبنو أخيه ؛ إلا محمد ابن الحنفية فإنه أبي الخروج معه ، ونصحه فلم يقبل نصحه .

* تاريخ الطبري : ٦ - ٢١٥ . كان في سنة ٦١ ، وكربلاء : موضع طرف البرية ، قرب الكوفة . (١) فظم بالأمر : ضاق به ذرعاً .

(٢) يقال : أفاض الناس من عرفات ؛ إذا أسرعوا منها إلى مكان آخر .

وأما ابنُ عمر فإنه قال : إذا بايع الناسُ بايعة . فتركوه ، وكانوا لا يتخوفونه .

وبينا كان الحسينُ في طريقه من المدينة إلى مكة لقيه عبدُ الله بن مطيع ، فقال له : جِئْتُ فداءك ! أين تريد؟ قال : أما الآن فمكة ؛ وأما بعد ، فإني أستخيرُ الله . قال : خار الله لك ، وجعلنا فداءك ! فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة ؛ فإنها بلد مشثومة ، بها قُتِلَ أبوك ، وحُذِلَ أخوك . الزم الحرم ، فإنك سيّدُ العرب ، لا يعدل بك أهلُ الحجاز أحداً ، ويتدأقن إليك الناسُ من كلِّ جانب ، لا تفارق الحرم ، فإياك عمى وخالى ! فوالله لئن هلكت لُدَسَّرَقَنَ من بعدك .

وأقبل الحسين حتى نزل مكة ، وأهلها يختلفون إليه ؛ ويأتونه . وكان ابنُ الزبير بها ، قد لزم جانب الكعبة ، فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ، ويَطُوف ، ويأتى الحسين فيمن يأتيه ، ولا يزال يشيرُ عليه بالرأى ، وهو أنقلُ خلق الله على ابن الزبير ؛ لأن أهل الحجاز لا يبايعونه ، ما دام الحسينُ باقياً بالبلد . ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أُرْجِفُوا^(١) بنزير ، واجتمعت الشيعة في منزل كبيرهم سليمان بن صرد ، واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يستقدمونه ليبايعوه ، فكتبوا إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . سلامٌ عليك ، فإننا نحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فالحمد لله الذي قصمَ عدوك الجبار المنيد ، الذي انزى على هذه الأمة ، فابتزها أمرها ،

(١) أُرْجِفُوا به : خاضوا فيه .

وَفَصَّبَهَا فَيَسَّهَا ، وَتَأَمَّرَ عَلَيْهَا بِمَيْرِ رِضَا مِنْهَا ، ثُمَّ قَتَلَ خِيَارَهَا ، وَاسْتَبْقَى شِرَارَهَا ،
وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ ، فَأَقْبِلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْحَقِّ . وَالنَّهْزَانُ بْنُ بَشِيرٍ
فِي قَاصِرِ الْإِمَارَةِ ؛ لَسْنَا نَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي جُمُعَةٍ وَلَا عِيدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَا إِقْبَالَكَ إِلَيْنَا
أَخْرَجْنَاهُ حَتَّى نُنَجِّحَهُ بِالشَّامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ .

وَسَيَّرُوا الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبْعِ الْهَمْدَانِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ وَالٍ ، ثُمَّ كَتَبُوا
إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ ، وَسَيَّرُوهُ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ ، وَكَتَبَ النَّاسُ مَعَهُ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ وَخَمْسِينَ
صَحِيفَةً ، ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ رَسُولًا ثَالِثًا يُخْبِتُونَهُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ شَبِثُ
ابْنِ رَبِيعٍ وَحِجَارُ بْنُ أَبِي جَرٍّ وَغَيْرُهُمَا بِنَحْوِ ذَلِكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْكُتُبِ عِنْدَهُ : « أَمَا بَعْدُ ؛ فَقَدْ فَهِمْتُ
كُلَّ الَّذِي اقْتَصَصْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ بِأَخِي وَابْنِ عَمِّي وَتَقِيَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ
ابْنِ عَقِيلٍ ، وَأَمْرَتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَرَأْيِكُمْ ، فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ
أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكِكُمْ وَذَوِي الْحِجَابِ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمْتَ بِهِ رُسُلِكُمْ
أَقْدَمَ وَشَيْكَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ،
وَالدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ ، وَالسَّلَامُ » .

ثُمَّ دَعَا الْحُسَيْنُ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ ، فَسَيَّرَهُ إِلَى السُّكُوفَةِ ، وَأَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَكِتَابِ
أَمْرِهِ وَالتَّلَطُّفِ ؛ فَإِنْ رَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَجَّلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ .

فَسَارَ مُسْلِمٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا دَخَلَهَا صَلَّى فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَدَّعَ أَهْلَهُ ، وَاسْتَأْجَرَ دَلِيلَيْنِ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَقْبَلَا بِهِ ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَعَطِشُوا ،
فَمَاتَ الدَّلِيلَانِ . فَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ : إِنِّي أَقْبَلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَأْجَرْتُ دَلِيلَيْنِ

فضلاً الطريق ، واشتد عليهما العطش ، فاتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، وقد تطيرت ، فإن رأيت أعفيتني وبمئتَ غيرى .

فكتب إليه الحسين : أما بعد ؛ فقد خشيتُ ألا يكون حملك على الكتاب إلا الجبن ، فامض لوجهك ، والسلام .

فسار مسلم حتى أتى الكوفة ، وأميرها يومئذ النعمان بن بشير ، فأقبلت إليه الشيعة تختلف إليه ، فكأما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين ، فيكون ، ويعدونه القتال والنصرة .

ولما بلغ ذلك النعمان بن بشير صعد المنبر وقال : أما بعد ، فلا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيهما تهلك الرجال ، وتُسفك الدماء ، وتُنصب الأموال - وكان النعمان حليماً ناسكاً يحب العافية - ثم قال : إني لا أقاتل إلا من يُقاتلني ، ولا أئبُ على من لا يئبُ على ، ولا أنبهُ نائمكم ، ولا أحرشُ بكم ، ولا آخذ بالقرن^(١) والظنة والتهمة ، ولكنكم إن أبديتم صفتكم ، ونكثتم بيمتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله إلا هو ؛ لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن لى منكم ناصرٌ ولا مُعين . أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يُرديه الباطل .

فقام إليه عبد الله بن مسلم الحضرمي ، من شيعة بني أمية ، وقال له : إنه لا يصلح ماترى إلا النشم ، إن هذا الذي أنت عليه رأى المستضعفين . فقال : أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبُّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله .

(١) القرى : الإيقاع .

فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يُخبره بقدم مُسلم بن عَقِيل الكوفة ومُبايعة الناس له ، ويقول له : إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً يُنفذ أمرك ، ويممَلُ مثل عمليكَ في عدوك ، فإن النعمان رجل ضَميف ، أو هو يتضمَّن . وكان هو أول مَنْ كتب إليه . ثم كتب إليه عمارة بن الوليد ابن عُقبة وعمرو بن سمد بن أبي وقَّاص بنحو ذلك .

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون ، مولى معاوية ، فأقرأه الكتاب واستشاره فيمن يُؤتاه الكوفة - وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد - فقال له سرجون : رأيت لو نُشِر لك معاوية كنت تأخذُ برأيه ؟ قال : نعم ، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة ، وقال : هذا رأى معاوية ، ومات ، وقد أمر بهذا الكتاب .

فأخذ برأيه ، وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله ، وكتب إليه بمهده ، وأمره بطلب مُسلم بن عقيل وقتله أو نفيه .

فلما وصل كتابه إلى عبيد الله أمر بالتَّجَهُّز ليبرز من الفد - وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة نسخةً واحدةً إلى الأشراف ، فكتب إلى مالك بن مسمع البكرى ، والأحنف بن قيس ، والمنذر بن الجارود ، ومسمود بن عمرو ، وفيس ابن الهيثم ، وعمر بن عبد الله بن معمر ، يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ؛ فكلهم كتموا كتابه إلا المنذر بن الجارود ؛ فإنه خاف أن يكون دسيساً من ابن زياد ، فأتاه بالرسول والكتاب ، فضرب عنق الرسول ، وخطب في الناس وقال : أما بعد ، فوالله ما بي تُقرن الصَّعبَة ، وما يُقَمِّع لي بالشَّنَّان ، وإني لِنِكَلٍ لِمَن عاداني ، وسَمِّ لِمَن حاربنى ، وأنصف القارةَ مَنْ رامها . يا أهل البصرة ، إنَّ أمير المؤمنين قد ولَّاني

الكوفة وأنا إليها غادٍ بالعداء ، وقد استخلفتُ عليكم أخى عثمان بن زياد ، فإياكم والخلاف والإرجاف ؛ فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف ، لأقتلنه وعريفه وولّيته ، ولأخذنّ الأذنى بالأقصى حتى تستقيموا ، ولا يكون فيكم يخالف ولا مُشاقّ ، وإني ابن زياد ؛ أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى ، فلم ينترعنى شبهه خال ولا عمّ .

ثم خرج من البصرة حتى دخل الكوفة وحده ، فجمّل يمرّ بالمجالس ؛ فلا يشكّون أنّه الحسين ، فيقولون : مرحبا بك يا بن رسول الله ! وهو لا يكلمهم . وخرج إليه الناس من دُورهم ؛ فساءه ما رأى منهم . وسمع النعمان ، فأغلق عليه الباب ؛ وهو لا يشك أنّ الحسين . وانتهى إليه عبيد الله ، ومعه الخلق يصيحون ، فقال له النعمان : أنشدك الله ؛ إلا تنحيت عني ؛ فوالله ما أنا بمسلم إليك أمانتي ؛ ومالي في قتالك من حاجة . فدنا منه عبيد الله ، وقال له : افتح لا فتحت ! فسميها إنسان خلفه ، فرجع إلى الناس وقال لهم : إنّه ابن زياد ! وفتح له النعمان ، وأغلقتوا الباب ، وتفرّق الناس .

وأصبح فجلس على المنبر ، وقال : أمّا بعد ، فإنّ أمير المؤمنين ولّاني مصركم وثمركم وفيثكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ، ومطيعكم ، وبالشدّة على مُريبكم وعاصيكم ، وأنا متّبع فيكم أمره ، ومنفّذ فيكم عهدّه ؛ فأنا لمحسنكم كالوالد البرّ ، ولّمطيعكم كالأخ الشقيق ، وسيفي وسوطي على مَنْ ترك أمرى وخالف عهدي ؛ فليُبقِ امرؤ على نفسه .

ثم نزل ، وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، وقال : اكتبوا إلى الغرباء ومنّ فيكم من طلبية أمير المؤمنين ، ومنّ فيكم من الحرورية وأهل الرّيب الذين رأيهم الخلف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبري ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا مَنْ في

عِرافته ؛ ألا يخالفنا فيهم مخالف ، ولا يُبغى علينا منهم باغ ؛ فمن لم يفعل برئت منه الذمّة ، وحلالٌ لنا دمه وماله ، وأيّما عريفٌ وُجد في عِرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره ، وألغيت تلك العِرافة من العطاء .

وسمع مسلم بن عَقِيل بحِقاله عبید الله ، فخرج من دار المختار ، وأتى دار هاني بن عُرْوَة المرادي ، فلما رآه هاني كره مكانه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجیرني ونُضيفني ، فقال هاني : لقد كلفتنني شططا ، ولولا دخولك داري لأحبت أن تنصرف عني ؛ غير أنه يأخذني من ذلك ذمام ، ادخل .

ثم آواه ، واختلفت الشيمة إليه في دار هاني ، فدعا ابن زياد مولى له ، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وقال له : اطلب مسلم بن عَقِيل وأصحابه ، وألفهم ، وأعطهم هذا المال ، وأعلمهم أنك منهم ، واعلم أخبارهم .

ففعل ذلك ، وأتى مسلم بن عوسجة الأسدي بالمسجد ، فسمع الناس يقولون : هذا يُبايع للحسين - وهو يصلّي ، فلما فرغ من صلاته قال له : يا عبد الله ، إني امرؤ من أهل الشام ، أنعم الله عليه بحب أهل هذا البيت ، وهذه ثلاثة آلاف درهم ، أردت بها لقاء رجل منهم ؛ بلغني أنه قدم الكوفة يُبايع لابن بنت رسول الله ، وقد سمعت نفرا يقولون : إنك تعلم بأهل هذا البيت ، وإني أتيتك لتقبض المال ، وتُدخِلني على صاحبك أبايمه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائي إياه ، فقال : لقد سررتي لقاءك إياي لتنال الذي تحب ، وينصر الله بك أهل نبيه ، وقد ساءني معرفة الناس هذا الأمر مني قبل أن يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته .

ثم أخذ بيعته والمواثيق المعظمة لينا نحن وليكتمن . ثم أدخله على مسلم بن عَقِيل ، فأخذ بيعته ، وقبض ماله ، وجمل يختلف إليهم ، ويعلم أسرارهم ، وينقلها إلى ابن زياد .

وكان هانيءٌ قد انقطع عن عبيد الله بمذر المرض ، فدعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج ، وسألهم عن هانيءٍ وانقطاعه ، فقالوا : إنه مريض ؛ فقال : بلغني أنه يجلس على باب داره ، وقد شفي ؛ فمروا ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق . فأتوه فقالوا له : إن الأمير قد سأل عنك ، وقال : لو أعلم أنه شاكٍ لشدته ، وقد بلغه أنك تجلس على باب دارك ، وقد استبطأك ، والجفاه لا يهتمله السلطان ؛ أقسمنا عليك لو ركبت معنا !

فلبس ثيابه ، وركب معهم ، فلما دنا من القصر أحست نفسه بالشر ، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة : يا ابن أخي ؛ إني لهذا الرجل لخائف ؛ فما ترى ؟ فقال : ما أتخوف عليك شيئاً ، فلا تجعل على نفسك سبيلاً ؛ ولم يعلم أسماء مما كان شيئاً ، وأما محمد بن الأشعث فإنه علم به .

ولما دخل القوم على ابن زياد وهانيءٍ معهم قال ابن زياد : أتت بجائنٍ رجلاه ، ثم أنشد :

أريدُ حياته ويريد قَتلي عذيرك من خليلك من مُراد^(١)

وكان ابن زياد مكرماً له ، فقال هانيءٌ : وما ذاك ؟ فقال : يا هانيءٌ ؛ ما هذه الأمور التي تُدبرُ في دارك لأمر المؤمنين والمسلمين ؟ جئت بمسلم بن عقيل ، فأدخلته في دارك ، وجمعت له السلاح والرجال ، وظننت أن ذلك يخفي على . قال : ما فعلت . قال : بلى . وطال بينهما النزاع ، فدعا ابن زياد مولاه ، ولما وقف بين يديه قال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! وعلم هانيءٌ عند ذلك أنه كان عينا عليهم ، فسقط في يده ساعة ، ثم راجعته نفسه ، فقال : اسمع مني وصدقني ؛ فوالله لا أكذبك ؛ والله مادعوتهُ ، ولا علمت بشيء من أمره ؛ حتى رأيتهُ جالساً على بابي يسألني النزولَ على ، فاستحييت من رده ، ولزمني من ذلك ذمام ، فأدخلته داري ، ووضفته ،

(١) البيت لعمر بن معد يكرب ، اللآلي ٦٤ .

وقد كان من أمره الذي بلغك ؛ فإن شئت أعطيتك الآن موثقا مطمئن به ، ورهينة تكون في يدك ؛ حتى أنطلق وأخرجه من داري ، وأعود إليك . فقال : لا والله ، لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به ، قال : لا آتيك بصيفي تقتله أبداً .

فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلي فقال : خلّني وإياه ؛ حتى أكله ؛ لما رأى من لجّاجه . وأخذ هائثا ، وخلا به ناحية من ابن زياد بحيث يراها ، فقال له : يا هاني ، أشدك الله أن تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على نفسك ، إن هذا الرجل ابن عم القوم ؛ وليسوا بقاتليه ولا ضائريه ؛ فادفعه إليه ، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة ؛ إنما تدفعه إلى السلطان ، قال : بلى والله ؛ إن عليّ في ذلك للخزى والمار . أنا أرفع جاري وضيبي وأنا حتى صحيح أسمع وأرى شديد الساعد ، كثير الأعوان ! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه ، فأخذ يناشده ، وهو يقول : والله لا أدفعه إليه أبداً .

فسمع ابن زياد ذلك فقال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ؛ فقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك ! قال : إذن والله تكثر البارقة حول دارك ؛ وهو يرى أن عشيرته ستمنعه ، فقال ابن زياد : أبا البارقة تخوفني ! ثم قال : أدنوه مني ، فأذني ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، ولم يزل يضرب أنفه وجبينه وخذّه حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ؛ حتى كسر القضيب . وضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطى وجبذه ، فمنع منه ، فقال له عبيد الله : أحروري سائر اليوم ، أحللت بنفسك ، قد حلل لنا قتلك ؟ ثم أمر به فألق في بيت ، وأغلق عليه ، فقام إليه أسماء بن خارجة وقال : أرسله يا غادر ! أمرتنا أن نجيئك بالرجل ؛ فلما أتيناك به هسمت وجهه ، وسيلت دمه ! فأمر به ابن زياد فحبس . وأما ابن الأشعث فقال : رضينا بما رأى الأمير ؛ لنا كان أو علينا .

وأتى الخبرُ مسلم بن عَقِيل ؛ فنَادَى في أصحابه : يا منصور ! وكان هذا شعارهم ، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً ، وحوله في الدور أربعة آلاف ، فاجتمع إليه ناس كثير ، فمبأهم ، وأقبل إلى القصر فأحاط به ، وامتلاً المسجد والسوق من الناس ، ولم يكن مع ابن زياد إلا ثلاثون رجلاً من الشرَط ، وعشرون رجلاً من الأشراف ، وأهل بيته ومواليه .

فرأى ابن زياد أن يُعْمِل الحيلة ، فدعا كثير بن شهاب الحارثي ، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مَذْحِج ، فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخونهم ، وأمر محمد ابن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كِنْدَةَ وحضرموت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ، وقال مثل ذلك للقمقاع بن سُور ، وشبث بن ربعي ، وترك وجوه الناس عنده استثناساً بهم لقلة عدد من معه .

وخرج أوائك النفر يخذلون الناس ، وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر ، فيمَنُّوا أهل الطاعة ، ويخونوا أهل المعصية ، ففعلوا .

فلما سمع الناسُ مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون ؛ حتى بقي ابن عَقِيل في المسجد في ثلاثين رجلاً . فلما رأى ذلك خرج متوجِّهاً نحو أبواب كِنْدَةَ ، فلما خرج إلى الباب لم يبق معه أحد ، فضى في أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب . ثم انتهى إلى باب امرأة من كِنْدَةَ فسأَم عليها ، وطلب الماء فسقته ، ثم جلس ، فقالت له : يا عبد الله ، ألم تشرب ؟ قال : بلى ! قالت : فاذهب إلى أهلِكَ ، فسكت ، فقالت له ثلاثاً فلم يبرح ، فقالت : سبحان الله ! إني لا أحِلُّ لك الجلوس على بابي ، فقال لها : ليس لي في هذا المصِر منزل ولا عشيرة ، فهل لك إلى أجر ومعرفة ؟ ولعلي أكاثلك به بعد اليوم . قالت : وما ذاك ؟ قال : أنا مُسَلِم بن عَقِيل ، كذبتني هؤلاء القوم

وغرثوني . قالت : ادخل ، فأدخلته بيتاً في دارها ، وعرضت عليه العشاء فلم يتمش .
وجاء ابنها بلال ، فرآها تسكّر الدخول في ذلك البيت ، فقال لها : إنَّ لك لشأناً في
ذلك البيت ! وسألها ، فلم تخبره ، فألحَّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان
بذلك . فسكت .

أما ابن زياد فإنه لما سمع الأصوات قال لأصحابه : انظروا هل ترون منهم أحداً !
فنظروا فلم يروا أحداً ، فنزل إلى المسجد قبل العتمة ، وأجلس أصحابه حول المنبر ،
وأمر فنودي : برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء والمقاتلة صلى العتمة إلا
في المسجد .

فامتلاً المسجد ثم صلى بالناس وقام ، فحمد الله ثم قال : أما بعد ، فإن ابن عَقِيل
السنهيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت الذمة من رجل وجدناه
في داره ، ومن أتانا به فله دِيَّتُهُ . ثم أمرهم بالطاعة ولزومها .

ولما أصبح بلال ابن تلك المعجوز التي آوت مسلم بن عَقِيل أتى عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث ، وأخبره بمكان مسلم بن عَقِيل ، فأتى عبد الرحمن أباه وهو عند
ابن زياد فأسرَّ إليه بذلك ، فأخبر به ابن زياد ، فقال له ابن زياد : قُمْ فائتني به الساعة ،
ويث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس ، حتى أتوا
الدار التي فيها ابن عَقِيل ، فلما سمع الأصوات عرف أنه قد أتى ، فخرج إليهم بسيفه
حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه فأخرجهم مراراً . وضرب بُكَيْر بن حمران
فم مسلم فقطع شفتاه العليا ، وسقطت نثيَّتاه ، وضربه مسلم على رأسه ونثني بأخرى ،
فلما رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت ، وجعلوا يرمونه بالحجارة

ويُدبِّهون النار في القَصَب ويلقونها عليه . فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه ، فقال له محمد بن الأشعث : لك الأمان فلا تقتل نفسك ، فأقبل يقاتلهم فقال له محمد : إنك لا تُكذِّب ولا تُخدع . إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاريك . وكان قد أُثخِنَ بالجراحة وعَجَزَ عن القتال ، فأسند ظهره إلى حائط تلك الدار فأمنه ابن الأشعث والناسُ غيرَ عمرو بن عبيد الله السلمي فإنه قال : لاناقة لي في هذا ولا جمل . وأتى بيغلة فحُمل عليها ، وانزعوا سيفه فكأنه أيس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال : هذا أول العذر . قال محمد : أرجو ألا يكون عليك بأس ، قال : أين أمانكم ؟ ثم بكى ، فقال له عمرو بن عبيد الله السلمي : مَنْ يطلب مثلَ الذي تطلب إذا نزل به مثلُ الذي نزل بك لم يبكِ ، فقال : ما أبكى لنفسى ، والسكى أبكى لأهلى المنقلبين إليكم ؛ أبكى للحسين وآل الحسين !!

ثم أدخل إلى القصر ، وتقدّم محمد بن الأشعث فأخبر عبيد الله بن زياد الخبر وبأمانه له ، فقال له عبيد الله : ما أنت والأمان ! ما أرسلناك لتؤمنه ، إنما أرسلناك لتأتينا به ، فسكت محمد .

ثم إن مسلم بن عقيل رأى جرّة فيها ماء بارد ، فقال : اسقوني من هذا الماء . فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أترأها ؟ ما أبردها ! والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوقَ الحميم في نار جهنم . فقال له ابن عقيل : مَنْ أنت ؟ قال : أنا مسلم بن عمرو الباهلي ، فقال له ابن عقيل : لِأُمَّك الشُّكْل ! ما أجفأك وأفضلك وأقسى قلبك وأغلظك ! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم . ثم أدخل على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالإمارة ، فقال له الحرّسي : ألا تسلّم على الأمير ؟ فقال : إن كان يُريد قتلى فما سلامي عليه ! وإن كان لا يريد قتلى فليكثرن تسليمي عليه . فقال له

ابن زياد : لعمرى لَتُقْتَلَنَّ ! فقال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوص إلى بعض قومي ! قال : افعل .

فقال لعمر بن سعد : إن بيني وبينك قرابة ولى إليك حاجة - وهى سر - فلم يمكثه من ذكرها . فقال ابن زياد : لا تمتنع من حاجة ابن عمك ، فقام معه فقال : إن على بالكوفة ديناً استندتته منذ قدمت الكوفة ، قدره سبعمائة درهم ، فاقضه عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها ، وابتعث إلى الحسين من يردده .

فقال عمر لابن زياد : إنه قال كذا كذا ، فقال ابن زياد : إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن ؛ أمّا مالك فهو لك ، تصنع به ما شئت ، وأمّا الحسين فإن لم يردنا لم نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأمّا جثته فإننا إذا قتلناه لأنبألى ما صنع بها .

ثم قال ابن زياد لمسلم : يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع ، وكلّتهم واحدة ، لتشتت بينهم ، وتمرق كلتهم ! فقال : كلاً ، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب والسنة ، قال : وما أنت وذاك يافاسق ! ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة ؟ قال : أنا أشرب الخمر ! والله ، إن الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق ، وأناى لست كما ذكرت ، وأن أحق الناس بشرب الخمر من يبلغ في دماء المسلمين ، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والمداوة ، وهو يلهو ويلعب ؛ كأنه لم يصنع شيئاً ! فقال له ابن زياد : قتلى الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام ، قال : أما إنك أحق من أحدث في الإسلام حدثاً ؛ إنك لاتدع سوءاً لقتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم

الغلبة ، ولا أحد من الناس أحق بها منك . فشتمه ابن زياد وشم الحسين وعائياً وعقيلاً ، ثم أمر بـابن عقيل فأصعد فوق القصر ، وضربت عنقه .

أما الحسين فإنه لما عزم على المسير إلى الكوفة وتبهاً أناه عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث المخزومي فدخل عليه وقال له : أتيتك يا ابن عمّ لحاجةٍ ؛ أريد ذكرها لك نصيحة ؛ فإن كنت ترى أنك تستنصحنى ، وإلا كفت عما أريد أن أقول . فقال : قل ؛ فوالله ما أظنك بسبيّ الرأى ، فقال : بدغنى أنك تريد المسير إلى العراق ؛ وإنى مُشفق عليك من مسيرك ؛ إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأؤه ، ومعهم ثبوت الأموال ، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه .

فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عمّ ، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يقض من أمرٍ يكن ، أخذت برأيك أو تركته ، فأنت عندي أحمد مشير ، والنصح ناصح .

ثم جاءه ابن عباس ، فقال : يا ابن عمّ ، قد أزعج الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع ، قال : إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى . فقال له ابن عباس : فإني أعيذك بالله من ذلك ، أخبرني - رحمتك الله - أتسير إلى قومٍ قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم ، وأميرهم عليهم قاهرهم ، وعماله تجي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ، ولا آمن عليك أن يفزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ، وأن يستنفروا إليك ، فيكونوا أشد الناس عليك .

فقال له الحسين : إني أستخير الله ، وأنظرُ ما يكون .

ولما خرج ابنُ عباسٍ مِنْ عنده أتاه ابنُ الزبير ، فحدثه ساعة ، ثم قال : ما أدري ما ترَ كُنَّا هؤلاء القوم ، وكفنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين وولاء هذا الأمر دُونهم ؟ خَبَّرَني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حَدَّثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشرف أهلها ، وأستخير الله . فقال له ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها . ثم إنه خَشِيَ أن يَتَّهمه فقال له : أما إنك لو أقتَ بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله ، ثم قام فخرج من عنده ، فقال الحسين : إن هذا ليس شيء ؟ يؤتاه من الدنيا أحبَّ إليه من أن أُخرج من الحجاز إلى العراق ، وقد علم أنه ليس له من الأمر معنى شيء ، وإن الناس لم يَعدِلوه بي فودَّ أني خرجت منها لتخلوا له .

ولما كان الغد أتاه ابنُ عباسٍ ثانياً ، فقال له : يا بن عمِّ ، أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربنهم ، أقيم بهذا البلد ، فإنك سيِّدُ أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا ، فاكتب إليهم ، فلينفوا غَدوهم ، ثم أقدم عليهم ، فإن آيت إلا أن تخرج ، فسر إلى اليمن ، فإن بها حصوناً وشعاباً . وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شِيعَة ، وأنت عن الناس في عزلة ، فتكتب إلى الناس ، وترسل وتبث دعواتك ، فإن أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية .

فقال له الحسين : يا بن عمِّ ، إني لأعلم والله أنك ناصح مشفق ، ولكني قد

أزمت وأجمعت على المسير .

فقال له ابن عباس : فإن كنت سائراً ، فلا تَسِرْ بنساءك وصبيّتك ، فوالله
إني لخائفٌ أن تقتل ، كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . فلم يفد
كلامه شيئاً .

ثم سار بأهله وأولاده ، فقابله بالطريق الفرزدق ، فسأله الحسين عن خبر الناس
بالكوفة ، فقال له : قلوبُ الناس معك ، وسيوفُهم مع بني أمية ؛ والقضاء ينزل
من السماء ، والله يفعل ما يشاء .

وبينا هوفي الطريق جاءه كتابٌ من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أمّا بعد ؛
فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي ؛ فإني مُشْفِقٌ عليك من الوجّه الذي
تنوجّه له ، أن يكون فيه هلاكك ، واستئصالُ أهل بيتك ؛ إن هلك اليوم
أطفى نور الأرض ، فإنك عمّامُ المهتدين ورجاءُ المؤمنين ؛ فلا تعجل بالسّير ، فإني في
أثر الكتاب ، والسلام .

ثم ذهب عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سميد بن العاص ، فكلمه وقال : أكتب
إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنّيه فيه البرّ والصّلة ، وتوثق له في كتابك ،
وتسأله الرجوع ؛ لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع ، فقال له عمرو بن سميد - وكان عامل
يزيد على مكّة - : أكتب ما شئت ، واثنتي به ؛ حتى أختمه .

فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عمرو بن سميد إلى الحسين بن عليّ ،
أما بعد ، فإني أسأل الله أن يصرفك عمّا يُورثُك ، وأن يهديك لما يُرشدك ؛ بلغني
أنك توحّمت إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشقاق ؛ فإني أخاف عليك فيه الهلاك ،
وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سميد ، فأقبل إليّ معهما ؛ فإنّ لك عندي
الأمان والصّلة والبرّ وحسن الجوار لك ، والله على بذلك شهيد وكفيل ومُراعٍ
ووكيل . والسلام عليك .

فكتب إليه الحسين : أما بعد ؛ فإنه لم يُشاققِ الله ورسوله مَنْ دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً ، وقال : إنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلّة ؛ فخبر الأمان أمانُ الله ، ولن يؤمّن الله يومَ القيامة مَنْ لم يخفّه في الدنيا ، فنسأل الله مخافةً في الدنيا ، توجب لنا أمانةً يومَ القيامة ؛ فإن كُنت نويتَ بالكتابِ مِيتي وبرّي ، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، والسلام .

ثم تمّ على طريقه ، فقابله عبد الله بن مطيع ، ولما علم بوجهه قال له : أذكرك الله يا بن رسول الله ، وحرمة الإسلام أن تُنتهك ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون بمدك أحداً ، والله إنها لحرمة الإسلام ، وحرمة قريش ، وحرمة العرب ؛ فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرّض نفسك لبني أمية .

ثم إن الحسين كَمَا بلغه مقتلُ مسلم بن عقيل ، وتخاذلُ الناس أعلم أصحابه بذلك وقال : مَنْ أحبّ أن ينصرف فلينصرف ؛ فتفرّق الناس عنه بيميناً وشمالاً . فقال له بعضُ أصحابه : نشدك الله إلا ما رجعت من مكانك ؛ فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة ، بل نتخوّف أن يكرنوا عليك . فوثب بنو عقيل ، وقالوا : والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا ، أو ندوق كما ذاق مُسلم !

وسار حتى نزل بطن العقبة ؛ وهناك لقيه رجل من العرب ، فقال : أنشدك الله إلا ما انصرفت . فوالله ما تقدم إلا على الأسنّة وحدّ السيوف ؛ إن هؤلاء الذين همثوا إليك لو كانوا كفّوك مئونة القتال ، ومهدوا لك الأشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً . فأما على هذه الحال التي تدّكر ؛ فلا أرى أن تفعل . فأبى أن يرجع .

ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له شَراف^(١) وصل إليه الحرّ بن يزيد التيمي صاحب شرطة عبّيد الله بن زياد في ألقى فارس ، حتى وقفوا مُقابل الحسين في حرّ الظّهيرة ، فقال لهم الحسين : ما أتيتُ إلا بكتبكم ، فإن رجعتُم رجعتُ من هنا . فقال له الحرّ : إننا أمرنا ألا نفارقتك حتى نوصلك إلى الكوفة ، بين يدي عبّيد الله ابن زياد . فقال الحسين : الموت أهون عليّ من ذلك .

ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا ، فندمهم الحرّ من ذلك ، فقال الحسين : شكنتك أمك ! ما تريد ؟ فقال له : أما والله لو غيرك من العرب يقولها ما تركتُ ذكرَ أمه بالثكلِ كائنا من كان ، ولكني والله ما لي إلى ذِكرِ أمك من سبيل ، إلا بأحسن ما يُقدّر عليه .

ثم سار الحسين والحرّ يُراقبه ، حتى لا يتمكّن من الانصراف إلى المدينة ، وبينما هما في الطريق ورد كتاب من ابن زياد إلى الحرّ يأمره أن ينزل الحسين ومن معه على غير ماء ، فأنزلهم في الموضع المعروف بكرَبلاء في يوم الخميس ، ثاني المحرم من سنة إحدى وستين ، فلما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد ابن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس ، أرسله ابن زياد لحرب الحسين .

فقال له الحسين : اختر واحدةً من ثلاث ، إما أن تدعني فأنصرف من حيث جئتُ ، وإما أن تدعني فأذهبَ إلى يزيد ، وإما أن تدعني فألحقَ بالثغور .

فقبلَ ذلكُ عمرُ بن سعد ، وأرسل بالخبر إلى عبّيد الله بن زياد ، فكتب إليه : لا ، ولا كرامة ، حتى يضعَ يده في يده ، فقال له الحسين : لا يكونُ ذلكُ أبداً ، ثم دار القتال ، فقتل أصحابُ الحسين كلهم ، وهم لا يزيدون على ثمانين ، وفيهم

(١) شراف : ١٠٠ بنجد .

بضعة عشر شاباً من أهل بيته . وجاءه سهم فأصاب ابنه معه في حجره ،
فجمل يمسح الدم عنه ويقول : اللهم احكّم بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا ،
فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشقّها ، ثم لبسها ، وخرج بسيفه وقاتل ، حتى قُتل - صلوات
الله عليه - قتلته رجل من مذحج ، وحزّ رأسه ، وانطلق به إلى عبّيد الله وقال :
أوقرُ ركابي فضّةً وذهباً فقد قتلْتُ الملكَ المحجّباً^(١)
قتلتُ خيرَ الناسِ أمّا وأبا وخيرَهم إذ يُنسَبون نسباً

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ، ومعه الرأس ، فوضع رأسه بين يديه ، وعنده
أبو برزة الأسلمي . فجمل ينكت بالقضيب على فيه ، ويقول :

يُفلّقن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً^(٢)

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فوالله لرُبّما رأيت فأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فيه يَلثمه !

(١) انظر العقد ٤ : ٣٨١ .

(٢) للحصين بن سالم المري ، وانظر العقد ٤ : ٣٨٢ .

٥٥ - يوم الحرّة*

كان عمرو بن سميد أميراً على الحجاز في عهد يزيد^(١) بن معاوية ، وعلى إثر مقتل الحسين - رضى الله عنه - أخذ عبد الله بن الزبير يدعو لنفسه بمكة . واشراقت إليه الناس ، فأظهر عمرو معه تهاونا ظفأ منه أن الأمور قد تثول إليه . فذهب ناس من بنى أمية ومعهم الوليد بن عتبة إلى يزيد ٨ وحدثوه في أمر عمرو بن سميد ، وقالوا : لو شاء لأخذ ابن الزبير وبمّث به إليك .

فسرح يزيدُ عمراً وصرفه عن الحجاز ، وولى الوليد بن عتبة أميراً ، وقدم عمرو على يزيد ، فلما دخل عليه رحّب به وأذنتى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تفصيله في أشياء . كان يأمره بها في ابن الزبير ، فلا ينفذ منها إلا ما أراد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإنّ جُلَّ أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه ، وهووه ، وأعطوه الرضا ، ودعا بمضهم بعضاً سراً وعلانيةً ، ولم يكن معى جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويتحرّز منى ، وكنت أرفق به وأداريه لأستمكن منه ، فأثب عليه ، مع أنى قد ضيّقتُ

* ليريد بن معاوية على أهل المدينة سنة ٦٣ هـ . والحرّة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، والحرار كثيرة في بلاد العرب ، أكثرها حوالى المدينة إلى الشام . والحرّة التى وقعت فيها هذه الواقعة تقع شرق المدينة ، اسمها حرّة واقم .

تاريخ الضربى ٧ : ١ ، معجم البلدان ٣ : ٢٦٢ ، الفخرى : ١٠٦ ، الأغانى : ١ : ٢٣ ، مروج الذهب ٣ : ٩٥ ، أبو الفدا ٢ : ١٩٢ ، العقد ٣ : ١٤١ .

(١) ولى يزيد الخلافة سنة ٦٠ بعد وفاة معاوية ، وتوفى سنة ٦٣ ، وكان موفور الرغبة في اللهو والقمس والنساء ، وكان أيضاً فصيحاً كريماً شاعراً ، ولى ثلاث سنين ، في السنة الأولى قتل الحسين ، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ، وفي السنة الثالثة غزا الكعبة .

عليه ، ومنعته أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونةً ، وجملت على مسكة وطرقها وشعابها رجالا لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلى باسمه واسم أبيه ، ومن أي بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريد رده صاغراً ، وإن كان ممن لا أتهم خلت سبيله ، وقد بعث الوليد وسياتيك من عمله وأثره ما لملك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك ، ومناصحتي لك . إن شاء الله . والله يصنع لك ، وبكيت عدوك يا أمير المؤمنين .

فقال له يزيد: أنت أصدق ممن رقي هذه الأشياء عنك، وحلني بها عليك . وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدخره لرأب الصدع ، وكفاية المهم ، وكشف نوازل الأمور العظام .

فقال له عمرو : وما أرى يا أمير المؤمنين أن أحداً أولى بالقيام بتشديد سلطانك ، وتوهين عدوك ، والشدة على من نابذك مني .

وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذراً متمماً .

ثم إن ابن الزبير عمل بالمكرب في أمر الوليد بن عتبة ، فكتب إلى يزيد بن معاوية: إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج ، لا يتجه لأمر نافع ، ولا يرعوى لعظة حكيم . ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ، لين الكنف رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها ، وأن يجمع ما تفرق . فانظر في ذلك ، فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله .

بعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فمزله ، وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان خدام المدينة وهو فتى غرّ حدث عمر ؛ لم يجرب الأمور ، ولم تحتكبه السن ؛

ولم تضرّسه التجارب ؛ وكان لا يكاد ينظر في شيء من سُلطانه ولا عمله .

وبعث إلى يزيد وفدًا من أهل المدينة ؛ فيهم عبدُ الله بن حنظلة الغسيل^(١) الأنصاري ، وعبدُ الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ؛ والمنذر بن الزبير ، ومعهم كثيرٌ من أشرافِ أهل المدينة .

فقدموا على يزيد فأكرمهم ، وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم ؛ ثم انصرفوا كلهم وقدموا إلى المدينة إلا المنذر بن الزبير ، فإنه قدِم على عبيد الله بن زياد بالبصرة .

فلما دخلوا المدينة قالوا : إننا قدمنا من عند رجل ليس له دين ؛ يشربُ الخمر ، ويمزِفُ بالطنابِير ، وتضربُ عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامرُ الخراب^(٢) والفتيان . وإنا نشهدكم أننا قد خَلَمناه . فتابعهم الناس ، وأتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل ، فبايعوه ، وولّوه عليهم .

ولما بلغ يزيد أمرهم بعث إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، فقال له : إيتِ الناس وقومك ، فافتأهم^(٣) عمّا يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئُ الناسُ على خلافي . وبها من عشيرتي من أحبُّ أن ينهض في هذه الفتنة فيملك .

فأقبل النعمانُ بن بشير ؛ فأتى قومه ، ودعا الناس إليه عامة ، وأمرهم بالطاعة ، ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنَةَ ؛ وقال لهم : إنه لا طاقة لكم بأهلِ الشام . فقال عبد الله بن مطيع المدوي : ما يحملك يا نَمَانُ على تفريقِ جماعتنا ، وفسادِ ما أصلح اللهُ من أمرنا ؟

(١) الغسيل : لقب حنظلة والد عبد الله ؛ وكان يسمى غسيل الملائكة ، استشهد يوم أحد وغسلته الملائكة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الملائكة يغسلونه . وآخرين يسترونه .
(٢) الخراب : اللصوص .
(٣) افتأهم : سكنهم واصرفهم عما يريدون .

فقال النعمان : أَمَا وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بَكَ لَوْ قَدْ نَزَلَتْ تِلْكَ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا^(١) ؛
وقامت الرجال على الرُّكْبِ تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رَحَى
الموت بين الفريقين - قد هربت على بَعْلَتِكَ تضرب جَنْبَيْهَا إلى مكة ؛ وقد خَلَفَتْ
هؤلاء المساكين - يعنى الأنصار - يُقْتَلُونَ فِي سِكَكِهِمْ ومساجدهم وعلى أبواب
دورهم !

ولكن الناس عصوا النعمان ، ووثبوا على عثمان بن محمد ومَنْ بالمدينة من
بنى أمية ومواليهم ، ومَنْ رَأَى رَأَى رَأْيَهُمْ من قريش ؛ فكانوا نَحَوْا من ألف رجل ؛
وخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دارَ مَرْوَانَ بن محمد ؛ وحاصروا الأمويين فيها .
ودَعَتْ بنو أمية حبيبَ بن كُرَّةَ ؛ وكان الذى بعث إليه منهم مَرْوَانَ بن محمد
وعَمْرُو بن عثمان بن عفان ؛ وكان مَرْوَانَ هو الذى يدبّر أمرهم ؛ وأما عمرو بن عثمان
فإنما كان غلاماً حَدَثًا لم يكن له رَأَى .

قال حبيب بن كُرَّةَ : كنتُ مع مروان فكُتِبَ معى هو وجماعة من بنى أمية
كتاباً إلى يزيد بن معاوية ؛ فأخذ الكتاب عبدُ الملك بن مروان حتى خرج معى
إلى ثَبِيَّةِ الْوَدَاعِ ؛ فدفَع إلى الكتاب وقال : قد أَجَلْتُكَ اثنتى عشرة ليلة ذاهب ؛
واثنتى عشرة ليلة مُقْبِلاً ؛ فوافئى لِأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ ليلة فى هذا المكان تجدنى
إن شاء الله فى هذه الساعة جالساً أنتظرك .

وكان الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد فإننا قد حُصِرْنَا فى دار
مَرْوَانَ بن الحكم فياغوثناه ياغوثناه !

قال : فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قَدِمْتُ على يزيد ؛ وهو جالس على

(١) يريد الفتنة .

كرسيّ ؛ واضع قدميه في ماء في طست من وجع كان يجده فيهما . فقرأه ثم قال
متمثلاً :

لقد بدّلوا الحلم الذي من سجّيتي فبدلت قومي غلظةً . بليان
ثم قال : أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة ! قال حبيب :
قلت : بلى . والله وأكثر ! قال : فما استطاعوا أن يُقاتلوا ساعة من نهار !
فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أجمع الناس كلهم عليهم . فلم يكن لهم بجمع الناس
طاقة .

قال حبيب : فبعث يزيد إلى عمرو بن سميد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر ؛
وأمره أن يسير إليهم في الناس . فقال له : قد كنت ضبطت لك البلاد ، وأحكمت
لك الأمور ؛ فأما الآن إذ صارت دماء قريش تُهراق ، فلا أحبّ أن أكون أنا
أنتوي ذلك ؛ يتوّلاها منهم من هو أبعث منهم مني .

قال حبيب : فبعثني بذلك الكتاب^(١) إلى مسلم^(٢) بن عقبة المرّي - وهو
شيخ كبير ضميم مريض - فدفعته إليه الكتاب ؛ فقرأه وسألني عن الخبر
فأخبرته ؛ فقال لي مثل مقالة يزيد : أما يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة
ألف رجل ! قلت : بلى يكونون ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار !
ليس هؤلاء بأهل أن يُنصروا حتى يُجهدوا أنفسهم في جهادِ عدوهم وعزّ سلطانهم .
ثم جاء حتى دخل على يزيد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا تنصُر هؤلاء ؛
فإنهم الأذلاء ؛ أما استطاعوا أن يُقاتلوا يوماً واحداً أو شطره أو ساعة منه !

(١) ذكر في الفخرى أن يزيد بعد أن عرض الأمر على عمرو بن سميد ولم يقبله ندب عبدة الله
ابن زياد لذلك فاعتذر وقال : والله لا جمعتهما للفاسق ، أقتل ابن رسول الله (يريد الحسين) وأغزو
مدينته والكعبة !!

(٢) كان مسلم بن عقبة المرّي من جبابرة العرب وشياطينهم ، وقيل : إن أباه قال له : إن
خالقك أهل المدينة فارمهم بمسلم بن عقبة .

دَعَمُهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يُجَاهِدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَعِزُّ سُلْطَانِهِمْ ؛
وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَنْ يُقَاتِلُ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَسْتَسْلِمُ .

قال يزيد : وَيَحْكُ ! إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بِهِمْ ، فَأَخْرَجَ وَأَنْبَيْتُنِي نَبَأَكَ
وَسِرَّ بِالنَّاسِ .

فَخَرَجَ مُنَادِيَهُ ، فَنَادَى : أَنْ سِيرُوا إِلَى الْحِجَازِ عَلَى أَخْذِ أَعْطِيَاتِكُمْ كَامِلَةً ،
وَبِعَوْنَةِ مِائَةِ دِينَارٍ تُوَضَعُ فِي يَدِ الرَّجُلِ مِنْ سَاعَتِهِ . فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ
رَجُلٍ (١) :

قال حبيب بن كرتة : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَوْفَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ بُمَيْدَهَا شَيْئًا ، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مُتَقَمِّمًا تَحْتَ شَجَرَةٍ ؛ فَأَخْبَرْتُهُ
بِالَّذِي كَانَ ؛ فَسَرَّ بِهِ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا دَارَ مَرْوَانَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ ،
فَتَبَّأَتْهُمْ بِالَّذِي قَدِمْتَ بِهِ ، فَحَمَدُوا اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا .

وفصل الجيش من عند يزيد ؛ وعليهم مسلم بن عقبة ، وقال له يزيد :
إِنْ حَدَّثَ بِكَ حَدَّثٌ فَاسْتَخْلَفْ عَلَى الْجَيْشِ حُصَيْنَ بْنَ نَعْمَانَ السَّكُونِيَّ ، وَادْعُ الْقَوْمَ
ثَلَاثًا فَإِنَّهُمْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَاتِلِهِمْ ؛ فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ ، فَأَبْحِمْهَا ثَلَاثًا ، فَمَا فِيهَا
مِنْ مَالٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ ، فَهُوَ لِلْجَنْدِ ؛ فَإِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ فَأَكْفُفْ عَنِ النَّاسِ .
وانظر على بن الحسين فأكف عنه ، واستوص به خيراً ، وأذن مجلسه ؛ فإنه لم يدخل

(١) ذكر ابن عبد ربه في العقد أن يزيد أرسل إلى أهل المدينة كتاباً قال فيه : بسم الله
الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً
فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال . وإن قد لبستكم فأخافتكم ورفعتكم على رأسي ، ثم على عيني ،
ثم على فمي ، ثم على بطني ، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأوطننكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها
أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود .

في شيء مما دخلوا فيه ، وقد أتاني كتابه . وعلى لا يعرف شيئاً مما أوصى به يزيد مسلم بن عُبَيْة^(١) .

وأقبل مسلم بن عُبَيْة بِالْجَيْشِ ، حتى إذا بلغ أهلَ المدينة إقباله وثبوا على مَنْ معهم من بني أمية ، فحصرهم في دار مروان ، وقالوا : والله لا نكفّ عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم ، أو تعطونا عهدَ الله وميثاقه ، ألا تبغونا غائلة ، ولا تدلّوا لنا على عورة ، ولا تظاهروا علينا عدوّاً ، فنكفّ عنكم ونخرجكم عنا . فأعطوهم عهدَ الله وميثاقه : لا نبغينكم غائلة ، ولا ندلّ لكم على عورة .

فأخرجوهم من المدينة^(٢) ؛ فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عُبَيْة بوادي القرى ، فدعا عمرو بن عثمان أول الناس ، فقال له : أخبرني خبراً ما وراءك وأشير عليّ . قال : لا أستطيع أن أخبرك ، أخذت علينا العهد والمواثيق ألا ندلّ على عورة ، ولا نظاهر عدوّاً . فانتهره . ثم قال : والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك . وإني^(٣) والله لا أقيدها قريشاً بعدك .

وخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه ، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك : ادخل قبلي ، لعلّه يجزئ بك عني . فدخل عاياه عبدُ الملك ، فقال : هات ما عندك ، أخبرني خبرَ الناس وكيف ترى ؟ فقال له : نعم ، أرى أن تسيرَ بنين معك فتتنكب

(١) قال أبو الفرج : لما أخرج أهل المدينة بني أمية أتى مروان عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما نرى ، فضم عيالنا ، فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبيح الله هذا أمراً وهذه دنيا ثم أتى علي بن الحسين فسأله أن يضم أهله وثقله ففعل ، ووجهه وامرأته أم أبان بنت عثمان إلى الضائف ومعهما ابناه : عبد الله وعبد . قال ابن جرير الطبري : وكان مروان شاكر العلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما .

(٢) قال في الأغاني : حينما أراد أهل المدينة لإخراج أميرها عثمان بن محمد بن أبي سفيان قال لهم : أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم ، فإن الجنود تأتيكم وتطوؤكم ، وأعدركم ألا تخرجوا أميركم لأنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فإيسر شأنى وأقدركم على إخراجي ! وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد .

(٣) أصله : وأمين ، وهو جمع يمين . والخبر محذوف والتقدير : وإيمن الله قسى .

هذا الطريق إلى المدينة ، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت ، فاستظل
الناس بظله ، وأكَلُوا مِنْ صَقْرِهِ^(١) ، حتى إذا كان الليل أذَكَيْتَ الحرسَ الليل
كله بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة ، ثم مضيت بهم
وتركت المدينة ذات اليسار ، ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرّة
مُشْرِقًا ، ثم تستقبل القوم ، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت
بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم ، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها ، ويصيبهم
أذاها ، ويرَوْنَ - مادمت مُشْرِقِينَ اثتلاقَ بَيْنِكُمْ وَجِرَابِكُمْ وَأَسْنَةَ رِمَاحِكُمْ
وسيوفكم ودُرُوعِكُمْ ، مما لا تَرَوْنَهُ أَنْتُمْ لشيء من سلاحهم ماداموا مُعَرَّبِينَ .
ثم قابِلْهُمْ ، واسْتَمِنْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فإن الله ناصرُك إذ خالفوا الإمام وخرجوا
من الجماعة .

فقال له مسلم : لله أبوك ! أي امرئ وُلِدَ إذ ولدك ! لقد رأى بك خلفًا .

ثم إن مروان دخل عليه ، فقال له : إيه ! قال : أليس قد دخل عليك
عبدُ الملك ؟ قال : بلى ! وأي رجل عبد الملك ! قلما كَلَّمْتُ من رجالِ قريش
رجلاً شبيهاً به ! فقال له مروان : إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني . قال : أَجَلُ !
ثم ارتحل مسلم من مكانه ذلك ، وارتحل الناسُ معه حتى نزل المنزل الذي
أمره به عبد الملك ، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى في الحرّة حتى نزلها ، فأناهم
من قبل المشرق ، ثم دعاهم مسلم بن عقبة ، فقال : يا أهل المدينة ، إن أمير المؤمنين
يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل ، وإني أكره هراقة دِمَائِكُمْ ، وإني أؤجلكم
ثلاثاً ، فن اِرْعَوْى وَرَاجِعِ الحَقَّ قَبْلُنَا مِنْهُ ، وانصرفت عنكم وسرت إلى هذا

(١) الصقر : عسل الرطب .

المَلْحِدِ^(١) الذي بِمَكَّةَ، وإنْ أَيْبَيْتُمْ كُنَّا قَدْ أَعْدَرْنَا إِلَيْكُمْ .

ولما مضت الأيام الثلاثة قال : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، قد مضت الأيام الثلاثة ؛ فما تصنعون ؟ أَسْأَلِمُونَ أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نُحَارِبُ .

فقال لهم : لا تفعلوا ، بل ادخلوا في الطاعة ، ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي قد جمع إليه المُرَّاق والفُسَّاق من كل أَوْب .

فقالوا : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ؛ وَاللَّهِ لو أردتُمْ أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم ، أنحنُ نَدَعُكُمْ لِتَأْتُوا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَتُخِيفُوا أَهْلَهُ ، وَتُلْجِدُوا فِيهِ ؛ وَتَسْتَحِلُّوا حَرَمَتَهُ ! لا والله لا نفعل .

وقد كان أهلُ المدينة اتَّخَذُوا خندقاً في جانبِ المدينة ، ونزله جمع عظيم ، وكان عندهم عبدُ الرحمن بن زهير بن عبد بن عوف وعبد الله بن مُطِيع ومَعْقِل بن سنان ، وأمير جماعتهم عبد الله بن حَنْظَلَةَ النَّسِيلِ .

وصمدُ مُسْلِمٍ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ ، وَأَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ الْحَرَّةِ ، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ عَلَى طَرِيقِ السَّكُوفَةِ ، ثُمَّ وَجَّهَ الْخَيْلَ نَحْوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ النَّسِيلِ ، وَحَمَلَ ابْنُ النَّسِيلِ عَلَى الْخَيْلِ فِي الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ ؛ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقَبَةَ ؛ فَهَضَّ فِي وُجُوهِهِم بِالرِّجَالِ ، وَصَاحَ بِهِمْ فَانصرفوا ، فقاتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة النسيل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً ، ثم قال لعبد الله : مُرْ مَنْ مَعَكَ فَارِساً فليأتني وليقف معي ، فإذا حملت فليحملوا ، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ، فإما أن أقتله ، وإما أن أقتل دونه .

(١) يريد عبد الله بن الزبير ، وكان قد اعتمه بمكة .

فقال عبدُ الله بن حَنْظَلَةَ لعبدالله بن الضَّحَّاك : نادِ في الخيلِ ، فَلَتَقِفْ مع الفضلِ ابنِ العباسِ ، فنادى فيهم الضحَّاك ، فجمعهم إلى الفضلِ ؛ فلما اجتمعت الخيلُ إليه حمل على أهل الشام فانكشفوا ، فقال لأصحابه : حملوا أُخْرَى جُعِلَتْ فِداكم ! فوالله لئن عاينت أميرهم لأقتلنَّه أو لأقتلنَّ دونه . إنَّ صبر ساعةٍ مُعِيبٌ سروراً ، إنه ليس بعد صَبْرٍنا إلا النصر .

ثم حمل وحمل أصحابه معه ، فانقرجت خيلُ أهلِ الشام عن مسلم في نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب ، مُشرعى الأسننة نحو القوم .

ومضى الفضلُ كما هو نحو رايته حتى يضرب رأسَ صاحبِ الراية ، وإنَّ عاينه لمُغْفِراً ، فقطعَ المغفرَ وقلقَ هامته ، فخرَّ ميتاً . فقال : خُذْها مني وأنا ابن عبد المطلب ! وظنَّ أنه قتل مسلماً ، فقال : قتلتُ طاغيةَ القوم وربَّ الكعبة . فقال مسلم : أخطأتُ ضربتكَ - وإنما كان ذلك غلاماً له شجاعاً . وأخذ مسلم رايته ونادى : يا أهلَ الشام ، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وإن يُمزَّوا به نصرَ إمامهم ، قبح الله قتالكم منذ اليوم ، ما أوجعه لقلبي ، وأغيبه لنفسى ! أما والله ماجزأؤكم عليه إلا أن تُحْرَموا البطاء ، وأن تجمَّروا^(١) في أقاصي الثغور . شدوا مع هذه الراية ، ومشى برايته ، وشدت الرجال أمام الراية ، وصُرع الفضل بن عباس وما بينه وبين أطناب مسلم إلا عشر أذرع ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وإبراهيم بن نعيم المدوي في رجال من أهل المدينة كثير .

ثم إن خيلَ مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله حتى

(١) جمروا في أرض العدو : أى حبسوا

دَنَوًا مِنْهُ ، وَرَكِبَ مُسْلِمُ بْنُ عُقَيْبَةَ فَرَسًا لَهُ ، فَأَخَذَ يَسِيرُ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَيُحَرِّضُهُمْ وَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ بِأَفْضَلَ الْعَرَبِ فِي أَحْسَابِهَا وَأَنْسَابِهَا ، وَلَا أَكْثَرَهَا عِدْدًا ، وَلَا أَوْسَمَهَا بِلَدًا ، وَلَمْ يُخَصِّصْكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ وَحَسَنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أُمَّتِكُمْ إِلَّا بِطَاعَتِكُمْ وَاسْتِقَامَتِكُمْ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُوا فَغَيَّرُوا اللَّهُ بِهِمْ ، فَتَمَوُّا عَلَى أَحْسَنَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ يَتَمُّ اللَّهُ لَكُمْ أَحْسَنَ مَا يَنْفِي لَكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ .

ثُمَّ جَاءَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَأَمَرَ الْخَيْلَ أَنْ تَقْدُمَ عَلَى ابْنِ الْفَسِيلِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَتِ الْخَيْلُ إِذَا أَقْدَمَتْ عَلَى الرِّجَالِ فَتَارُوا فِي وُجُوهِهَا بِالرِّمَاحِ وَالسِّبْوَاقِ ، فَتَرَّتْ وَأَحْجَمَتْ ، فَنَادَى فِيهِمْ مُسْلِمٌ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، مَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَوْلَى بِالْأَرْضِ مِنْكُمْ . يَا حَصِينَ بْنَ نُمَيْرٍ ، انزِلْ فِي جَنْدِكَ ، فَتَزَلْ فِي أَهْلِ حِمصَ ، فَشَى إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنَ الْفَسِيلِ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ عَدُوِّكُمْ قَدْ أَصَابُوا وَجْهَ الْقِتَالِ ، الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ بِهِ ، وَإِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ أَلَّا تَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً ، حَتَّى يَفْصَلَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إِمَّا لَكُمْ وَإِمَّا عَلَيْكُمْ ، أَمَا إِنَّكُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ ، وَدَارِ الْمُهْجَرَةِ ، وَاللَّهُ مَا أَظُنُّ رَبَّكُمْ أَصْبَحَ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بِلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضِي مِنْهُ عَنْكُمْ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بِلْدَانِ الْعَرَبِ بِأَسْخَطَ مِنْهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ ، إِنْ لَكُلِّ أَمْرٍ مَيِّتَةٌ هِيَ مَيِّتَةٌ بِهَا ، وَاللَّهُ مَا مِنْ مَيِّتَةٍ بِأَفْضَلَ مِنْ مَيِّتَةِ الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ فَاعْتَنِمُوهَا ، فَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَا أَرْدَتْمُوهَا وَجِدْتُمُوهَا .

ثُمَّ مَشَى بِرَأْيَتِهِ غَيْرَ بِمَيِّدٍ وَوَقَفَ ، وَجَاءَ ابْنُ نُمَيْرٍ بِرَأْيَتِهِ حَتَّى أَدْنَاهَا ، وَأَمَرَ مُسْلِمُ ابْنَ عَقِيلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِيَةَ الْأَشْعَرِيَّ ، فَشَى فِي خَمْسَائَةٍ ، حَتَّى دَنَوْا مِنْ ابْنِ الْفَسِيلِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَخَذُوا يَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَالَ ابْنُ غَسِيلٍ : عَلَامَ تَسْتَهْدِفُونَ لَهُمْ ؟

من أراد التمجّل إلى الجنة فليزِم هذه الرّاية . فقام إليه كل مستميت ، فقال : اتّعدوا إلى ربكم ، فوالله إنى لأرجو أن تكونوا بمد ساعة قريرى عين .
فنهض القومُ بعضهم إلى بعض فافتتلوا أشدَّ قتال رُئى فى ذلك الزمان ساعة من نهار . وأخذ يقدم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه . وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول :

بُمدأ لِمَن رامَ الفسادَ وطَمَى وجانبَ الحقِّ وآياتِ الهدى

* لا يُبمدُ الرحمنُ إلا من عصى *

فقتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت ، وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، فرَّ عليه مروان بن الحكم ، فقال : رحمك الله ! فربّ سارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة إلى جنبها .
وغلبت الهزيمة على أهل المدينة ، وأباحها مسلم ثلاثاً ، يقتلون الناس ، ويأخذون الأموال ، فأفرغ ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سميد الخدرى حتى دخل فى كهف فى الجبل ، فبصر به رجلٌ من أهل الشام فجاء حتى اقتحم عليه الفأر .

قال أبو سميد : دخل إلى الشامى يعشى بسيفه ، فانتصتُ سيفى ، ومشيتُ إليه لأرعبه لعله ينصرف عني ، فأبى إلا الإقدام علىّ ، فلما رأيتُ أن قد جدَّ شئتُ سيفى ، ثم قلت له : لئن بسطتَ إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بيبسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . فقال لى : من أنت ؟ لله أبوك ! فقلت : أنا أبو سميد الخدرى . قال : صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ! فانصرف عني .

ثم دعا الناسَ مُسلم بقبأ إلى البيعة وطلب الأمان لرجلين من قريش : ليزيد ابن عبد الله بن زمة ومحمد بن أبى الجهم ، ولمفل بن سنان الأشجعى ، فأتى بهم

بعد الوقعة بيوم ، فقال القرشيّان : نُبأيمك على كتاب الله وسنتِ نبيّه ، فقال : لا والله لأُقيلكم ، وقدّمهما فضربت أعناقهما . فقال مروان : سبحان الله ! أتقتل رجلين من قريش أتيساً ليؤمننا فضربت أعناقهما ؟ فنخسه بالقضيب في خاصرته ثم قال : وأنت والله لو قلتَ بمقاتلتهما فعلتُ بك ما فعلته معهما .

وجاء مَعْقِل بن سنان فجلس مع القوم ، ودعا بشراب ليُسقى . فقال له مسلم : أى الشراب أحبّ إليك ؟ قال : المسسل . قال : اسقوه ، فشرب حتى ارتوى فقال له : أفضيتَ ربيك من شرابك ؟ قال : نعم . قال : لا والله ، لا تشرب بمسده شراباً أبداً إلا الحميم في نار جهنم ، أتذكر مقاتلتك لأُمير المؤمنين : سرتُ شهراً ، ورجعت شهراً ، وأصبحت صفرأ ، اللهم غيّر ! تعنى يزيد ، فقدّمه فضرِب عنقه .

وأبى يزيد بن وهب بن زمنة ، فقال : بايع ، قال : أبأيمك على سنةِ عمر . قال : اقتلوه . قال : أنا أبأيع ! قال : لا ، والله لا أُقيلك عَثْرَتك ، فكلمه مروان ابن الحكم لصهر كان بينهما ، فأمر بمرّوان فوُجِئتَ عنقه ، ثم قال : بايعوا على أنكم خولٌ ليزيد ، ثم أمر به فقتل .

ولما أتى لعلي بن الحسين إلى مسلم قال : من هذا ؟ قالوا : هذا عليّ بن الحسين . قال : مرحباً وأهلاً ، ثم أجلسه معه على السرير والطننفسه ، ثم قال : إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً ، وهؤلاء الخبيثاء شغلوني عنك وعن صلتك ، ثم قال لعليّ : لعل أهلك فزعوا ! فقال : إي والله ، فأمر بدابته فأسرجت ، ثم حمّله فرده عليها .

وأبى بعمرو بن عثمان بن عفان ، فقال مسلم : يا أهل الشام ؛ تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا الخبيث ابن الطيّب ؛ هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين ، هيه يا عمرو ! إذا ظهر أهل المدينة قلت : أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت : أنا ابنُ أمير المؤمنين عثمان بن عفان . ثم أمر به ففتفت لحيتُهُ .

٥٦ - يوم مَرَجِ رَاهِط*

مات يزيدُ بن معاوية فكانت بيعتان : إحداهما بالشام لمعاوية بن يزيد ،
والثانية بمكة والحجاز لعبد الله بن الزبير .

فأما معاوية فقد اختاره أهل الشام للخلافة ، وبمد قليل من خلافته نادى :
الصلاة جامعة . فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني قد
ضعفت عن أمركم ، فابتغيت لكم مثلَ عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم
أجدُه ؛ فابتغيت سنةً مثل سنةِ الشورى فلم أجدهم ، فأنتم أولى بأمركم فاخياروا
له من أحببتم .

ثم دخل منزله وبقي فيه حتى مات بعد ثلاثة أشهر من خلافته .

هكذا فعل ذلك الشاب حين رأى المسلمين تصدّعت وحدثهم وتشمشت أمورهم
وتفرقت أهواؤهم ، ولم يرَ في نفسه القدرة على جبر صدعهم ، ولم شمشهم ، وإصلاح
أمرهم . وبذلك صار الشام لاختلافه فيه .

أما ابن الزبير فقد كان الحُصَيْن بن نُمير^(١) محاصراً له حين مات يزيد ، وعرف
ابنُ الزبير الخبر قبل أن يعرفه الحُصَيْن ، فناداه وقال له : علام تقاتلون وقد هلك
طاغيتكم ؟ فلم يصدّقوه .

ولما عرف الحُصَيْن وفاة يزيد بعث إلى ابن الزبير يريد محادثته ، فجاءه ،
فكان فيما قال له : أنت أحقُّ بهذا الأمر ، هلمَّ فلنبايمك ، ثم اخرج معنا إلى

* مَرَجِ رَاهِط : بالشام . وكان ذلك اليوم بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم ، في
الحرم سنة ٦٥ : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ٢ - ٢٤٣ ، الطبري : ٧ - ٣٧
(١) الحُصَيْن بن نُمير : شجاع من المقدمين في العصر الأموي . توفي سنة ٦٧ هـ .

الشام ؛ فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه الشام وفرسانه ؛ فوالله لا يخْتَابُ عليك اثنان ، على أن تؤمن الناس وتهدير هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك .

فقال ابنُ الزبير : أنا أهدِرُ الدماء ! والله لا أرضى أن أقتل بكلِّ رجلٍ منهم عشرةً منكم . وأخذ الحَصَيْنُ يكلمهُ سرا ويكلمهُ ابنُ الزبير جَهراً ، وهو يقول : والله لا أُوَفِّلُ .

فقال له الحَصَيْنُ : قد كنتُ أُظنُّ لك رأياً ! أكلّمك سرا وتكلمني جهراً ! وأدعوك إلى الخلافة وأنت لا تريدُ إلا القتل والهكسكة ! ثم فارقه ، ورحل إلى الشام غوصلاً ، وقد بُويِعَ لِمَاوِيَةَ .

هذا في الحجاز ، أما في العراق فإن عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد لما بلغه نَمِيُّ يزيد نادى : الصلاة جامعة ! فلما اجتمع الناس قال : يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ؛ إن مُهَاجِرَنَا إليكم ، ودارنا فيكم ، ومولدي بينكم ، وقد وليتُ أموركم ، وما يُحصي ديوانُ مقاتلتكم إلا سبعمين ألفاً ، ولقد أحصى اليوم مائة ألف ، وما كان يُحصي ديوانُ عمّالكم إلا تسعين ألفاً ، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعمين ألفاً ؛ وما تركتُ لكم قاطبةً مَنْ أخافهُ عليكم إلا وهو في سجنكم ؛ وإن يزيد قد توفّي ، وقد اختلف الناس بالشام ، وأنتم اليوم أكثرُ الناس عدداً ، وأعرضهم فناءً ، وأغناهم عن الناس ، وأوسعهم بلاداً ؛ فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أولُ راضٍ مَنْ رَضِيْتُمُوهُ ؛ فإن اجتمع أهلُ الشام على رجلٍ ترضونه لدينكم ، وجماعتكم دخلتم فيها دخل فيه المسلمون ، وإن كرهتم ذلك كنتم نبيُّ أحدٍ يليكم حتى تقضوا ما ربكم ؛ فإياكم إلى أحد من أهل البُلْدَانِ حاجة ، ولا يستغنى عنكم الناس .

فقالوا : قد سمعنا مقالَتَكَ ، وما نعلمُ أحداً أقوى على هذا الأمرِ منك ؛ فهلهمْ خلبنا يَمَكُ ! فلبّي عليهم ذلك ثلاثاً ، ثم بسط يده فبايعوه . ثم انصرفوا عنه يسبحون

أيديهم بالحيطان ويقولون : أَظَنَّ أَنَّنَا نَنْقَادُ لَهُ ! ودعا بمضهم إلى بيعة ابن الزبير ؛ ثم ضمف أمر ابن زياد ، نخاف وفرّا إلى الشام ؛ فدخل أهل الكوفة والبصرة في بيعة ابن الزبير .

أما في الشام فكان أمير دمشق الضحّاك بن قيس ، وأمير حمص^(١) النعمان بن بشير ، وأمير قنسرين^(٢) زفر بن الحارث ؛ وهؤلاء جميعاً مع ابن الزبير .

أما أمير فلسطين فكان حسان بن مالك الكلبي ، وهؤلاء في بني أمية ؛ وقد بايعة على الدعوة لهم أهل الأردن .

فكتب حسان هذا إلى الضحّاك بن قيس كتاباً يمظّم فيه حقّ بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة ، وحسنّ بلاء بني أمية عنده ، وصنيمهم إليه ، ويدعوهم إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر أنه منافق قد خلسع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس .

ودعا رجلاً^(٣) فسأمه الكتاب ، وأعطاه صورة منه ، وقال له : إن قرأ الضحّاك كتابي على الناس ، وإلا فقم فاقرا هذا الكتاب على الناس .

وقدم الرسول بالكتاب على الضحّاك ، ودفعه إليه ، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحّاك المنبر ، وخطب الناس ؛ ولما رآه الرسول قد أغفل كتاب حسان ، ولم يقرأه على الناس قام فقال : أصلح الله الأمير ! ادع بكتاب حسان فاقراه على الناس ؛ فقال له الضحّاك : اجلس . فجلس . ثم قام إليه الثانية فقال له : اجلس . ثم قام إليه

(١) مدينة بالشام على نهر العاصي .

(٢) مدينة ببلاد الشام بين حلب ومرة النعمان .

(٣) يسمى ناغضة .

الثالثة ، فقال له : اجلس . فلما رآه الرسول لن يفعل أخرج الكتاب الذي معه ، فقرأه على الناس .

فقام الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان فصدَّقَ حَسَّانَ ، وكذَّبَ ابن الزبير وشتمه . وقام غيره فقال مثل مقالته ، واضطرب الناس تبعاً لهم ؛ فأمر الضحَّاك بهؤلاء الذين صدَّقوا مقالة حَسَّان وكذَّبوا ابن الزبير فخبسوا . ولكن القوم ثاروا فأخرجوهم من السجن^(١) .

ودخل الضحَّاك دار الإمارة وأصبح الناس ، فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناسٌ يهوون هَوَى بنى أمية ، وناس يهوون هوى ابن الزبير ، فبعث الضحَّاك إلى أنصار بنى أمية فدخلوا عليه ، فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم ، وأنه لا يريد شيئاً يكرهونه . وأشار عليهم أن يكتبوا إلى حَسَّان ، ووعدهم أن يكتب إليه ، وقال لهم : نوافيه جميعاً بالجابية^(٢) ، فنبايع لرجل منكم ، فرضيت بنو أمية ، وتوجهوا يريدون الجابية .

وجاء ثور بن مَعْن إلى الضحَّاك ، فقال : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايمناك على ذلك ، ثم تنكث ! فقال الضحَّاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نُظْهِر ما كنا نُسِرُّ ، وندعو إلى طاعة ابن الزبير ، ونقاتل عليها ، قال الضحَّاك بمن معه من الناس فمطفهم ، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير .

واجتمع حَسَّان وبنو أمية بالجابية فتشاوروا فيمن يلى أمور المسلمين ، واتفقت كلمتهم على تولية مروان بن الحكم فبايعوه .

ولما تمت البيعة لمروان سار بالناس إلى مَرَجِ راهط ، وبه الضحَّاك بن قيس ومن على رأيه ، وكانت بين الفريقين مواقع هائلة ، كتبت فيها النكبة لمروان ،

(١) كان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيرون الأول . (٢) الجابية : موضع بدمشق -

وَقَتِلَ الضَّحَّاكُ ، وَفَنِيَ مِنْ قَيْسٍ عَدَدٌ لَمْ يُقْتَلْ مِثْلَهُ فِي مَوْقِعَةٍ قَطُّ .

ولما وصلت أخبار الهزيمة إلى الزهمان بن بشير أمير حمص خرج هارباً ومعه أهله وأصبح أهل حمص يطلبوه وقتلوه . وخرج زُفر بن الحارث من قنشرين هارباً فلحق بقرقيسيا^(١) وتحصن بها ، واجتمعت إليه قيس فرأسوه عليهم ، وقال زُفر في ذلك :

أرى الحربَ لا تزدادُ إلا تَمَادِيَا	أرىني سلاحى لا أبأ لكِ إننى
مُقيدٌ دى أو قاطعٌ من لسانيَا	أنايَ عن مروانَ بالغيبِ أنه
إذا نحنُ رَفَمْنَا لهنَّ الثَّانِيَا	فى العيسِ مَنْجاةٌ، وفى الأرضِ مَهْرَبٌ
ولا تفرحُوا إن جئكم بِلِقَائِيَا	فلا تحسبُونى إن تَمَيَّبْتُ غافِلَا
وتبقى حَزَازَاتُ النفوسِ كما هيَا	فقد يَبُتُّ المرعى على دِمَنِ الثَّرى
وتُتركُ قتلى رَاهِطٍ هى ماهِيَا	أتذهبُ كَلْبٌ لَمْ تَنَلْهَا رِمَاخًا ^(٢)
لِحَسَانِ سَدْعَا بَيْنَنَا مَتْنَائِيَا	تَمَعَّرِي لقد أَبَقْتُ وقيمةُ رَاهِطٍ
يفرارى وتركى صاحبيَّ وراثيَا ^(٣)	ظلمَ تَرُ مِنى نَبْوَةٌ قبلَ هذهِ
من النَّاسِ إِلا مَنْ عَلَى ولا لِيَا	عَشِيَّةَ أَعدُو بِالقِرَانِ فلا أرى
بصالحِ آيَا وحسنِ بلائيَا !	أيزهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتهُ
وتشَارَ من نسوانِ كلبٍ نسايَا	فلا صُلِحَ حتى تَنَحِيطُ ^(٤) الخيلُ بالقنَا
تنوخًا وحيي طيبيُّ من شفائِيَا !	ألا ليتَ شِعْرى هل تصيبنَّ غارَتِي

(١) قرقيسيا : مدينة بالجزيرة على مصب نهر الخابور بالفرات .

(٢) كانت كلب مع بنى أمية .

(٣) لما فر زفر كان معه شابان من بنى سليم ، فجاءت خيل مروان تطلبهم ، فلما خاف السليمان أن تلحقهما خيل مروان قال لزفر : يا هذا ، أنج بنفسك ، فأما نحن فقتولان ، فضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا .

(٤) النحيط : صوت الخيل من الثقل والإعياء .

٥٧ - يوم عين الوردة*

أراد سليمان بن صرد^(١) الشُّخوص إلى عبيد الله بن زياد للطلب بدم الحسين ، فبعث إلى وجوه أصحابه ، فأتوه ، وخرج فدارَ في الناس ، فلم تعجبه عُدتهم ، فبعث حكيم بن مُنقذ الكندي ، والوليد بن غُضين الكِناني ، وقال لهما : اذهبا حتى تَدْخُلَا الكوفةَ فنادياً : يَا لثَارَاتِ الحِسينِ ! وابلغَا المسجدَ الأعظمَ فناديا بذلك .

فأقبلا حتى مرَّا ببني كثير ، فسمع صوتهما عبدُ الله بن خازم - وكان جالساً مع امرأته سهلة ، وكانت من أجل الناس وأحبهم إليه - فدعَا بسلاحه ، وأمر بيسراج فرسه . فقالت له امرأته : وَيَحْكُ ! أَجِنْتِ ؟ قال : لا ، والله ، ولكني سمعتُ دارعِي الله ، فأنا مجيبه ، أنا طالبُ دَمِ هذا الرجل حتى أموتَ أو يقضى اللهُ في أمري ما هو أحبُّ إليه . فتالت له : إلى من تدعُ بنيتك هذا ؟ قال : إلى الله وَحْدَهُ لا شريكَ له ، اللهم إني أَسْتَوِدُّكَ أَهْلِي وولدي . وخرج حتى لحق بهم ، فقدمت امرأته تبكيه ، واجتمع إليها نساؤها ، ومضى مع القوم .

وطافت تلك الليلة الخيلُ بالكوفة حتى جاءوا المسجد بعد العتمة وفيه ناسٌ كثيرون يصلُّون ، فنادوا : يَا لثَارَاتِ الحِسينِ ! فلم يصبح سليمان حتى أناه نحو ممن

* بلد في وسط الجزيرة . الضربى : ٧ - ٦٦ ، مروج الذهب : ٢ - ١١٠ ، لعبيد الله بن زياد على سليمان بن صرد وأصحابه التوايين سنة ٦٥ .

(١) سليمان بن صرد صحابي من الزعماء القادة ، شهد صفين مع علي وسكن الكوفة ، ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه ، ثم خرج بعد ذلك مطالبا بدمه فترأس التوايين ، وكانوا يطالبون بقتل عبيد الله بن زياد ، وعرفوا بالتوايين لعودهم عن نصرته الحسين حين دعاهم ، وقيامهم بطلب رأسه بعد مقتله .

كان في عسكره ، وأقام ثلاثاً يبعثُ ثقاته من أصحابه إلى مَنْ تخلف ، يُذَكِّرُهُم اللهَ
وما أعطَوْه من أنفسهم ، فخرج إليه نحوُ ألفِ رجلٍ .

فقام المسيَّب بن نجبة^(١) إلى سليمان بن صرد فقال : رحِمَكَ اللهُ ! إنه لا ينفعك
السكره ، ولا يقاتلُ معك إلا من أخرجتهُ النيةُ ، فلا تنظرنَّ أحداً ، واكْمِشْ^(٢)
في أمرِك .

قال سليمان : نِعَمَ ما رأيتَ ! وقام في الناس مُتَوَكِّفاً على قَوْسٍ له عربية ،
فقال : أيُّها الناس ، من كان إنما أخرجتهُ إرادةُ وجهِ اللهِ وثوابِ الآخرةِ فذلك منا
ونحنُ منه ، فرحمةُ اللهِ عليه حياً وميتاً ! ومن كان إنما يريدُ الدنيا وحرثها فوالله
ما نأتى شيئاً نستفيثه ، ولا غنيمَةً نغنمها ، ما خلا رضوانَ اللهِ ربِّ العالمين ،
وما منا من ذهب ولا فضة ولا خزٍ ولا حرير ، وما هو إلا سيوفنا في عَوَاتِقِنَا
ورماحنا في أَكْفُنَا ، وزادَ قدرَ البلغةِ^(٣) إلى لقاءِ عدوِّنا ، فمن كان ينوي غيرَ هذا
فلا يصحِّبنا .

فقام صُخَيْر بن حذيفة ، فقال : أتاك اللهُ رُشْدَكَ ، وأتاك حجبتك ، والله الذي
لا إلهَ غيره ما لنا خير في صحبةِ مَنْ الدنيا همتهُ ونيتُهُ ، أيُّها الناس ، إنما أخرجتُم
التوبةُ من ذنبنا والطلبُ بدمِ ابنِ بنتِ نبيِّنا ، ليس معنا دينارٌ ولا درهم ، إنما نقدُمُ
على حدِّ السيوفِ وأطرافِ الرماحِ .

فتنادى الناسُ من كلِّ جانبٍ : إنا لا نطلبُ الدنيا وليس لها خَرَجْنَا . .

وقام عبيدُ اللهِ بنُ سعدٍ فقال - وحوله رُءوسُ أصحابه : إني قد رأيتُ رأياً

(١) المسيَّب بن نجبة : شهد القادسية وفتوح العراق ، وكان مع علي في مشاهدته . وسكن

ونار مع التوابين من أهلها في طلب دم الحسين وقتل مع سليمان بن صرد سنة ٦٥ هـ .

(٢) اكْمِشْ : أسرع . (٣) البلغة : ما يبلغ به .

إن يكن صواباً فالله وفق ، وإن يكن غير صواب فمن قبلي ، فإني لا آلوكم وتقتسى نصيحاً ؟ إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة ، فأنتي نذهب وندع الأوتار !

فقال سليمان بن صرد : فاذا ترون ؟ قالوا : والله لقد جاء برأى ! والله ما نلتقى من قتلة الحسين - إن نحن مضينا نحو الشام - غير ابن زياد ، وما طلبتنا إلا ها هنا بالمصر .

فقال سليمان : لكنني لا أرى ذلك لكم ، إن الذي قتل صاحبكم ، وعمي الجنود إليه ، وقال : لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضى فيه حكى ، هو عبيد الله ابن زياد ، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله ، فإن يُظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بدمه أهون شوكة منه ، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية ، فتنظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تفشموا^(١) . وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلن ، وما عند الله خير للأبرار والصدّيقين . إني لا أحب أن تجملوا حدّكم وشوكتكم بأول المحلن القاسطين ، والله لو قاتلتم غداً أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قتل أخاه وأباه وحميمه ، أو رجلاً لم يكن يُريد قتله ، فاستخبروا الله وسيروا .

وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد خروج ابن صرد وأصحابه ، فبعثا إليه أنهما قادمان إليه . ثم جاء^(٢) ودخلا عليه فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ، ثم قال : إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يفشيه ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب

(١) لا تفشموا : لا تقاتلوا .

(٢) جاء عبد الله في أشرف أهل الكوفة والشرطة وكثير من المقاتلة ، وإبراهيم بن محمد في جماعة من أصحابه .

خلق الله إلينا ، فلا تَفْجَمُونَا بأنفسكم ، ولا تستبدُّوا علينا برأيكم ، ولا تنقضوا
عدونا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتيسّر ونهيباً ، فإذا علمنا أنّ عدونا
قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم . وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من
هذا الكلام .

فقام سليمان بن صُرَد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها : إني قد علمت أنّكم
مَحَضُّتُمَا^(١) في النصيحة واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ،
ونحن نسأل الله العزيمَةَ على الرُّشدِ والتسديد لأصوبه ، ولا ترانا إلا شاخصين
إن شاء الله ذلك .

فقال عبدُ الله بن يزيد ، فأقيموا حتى نُعَبِّيَ معكم جيشاً كثيفاً فنلقوا عدوكم
بَكَنَفٍ^(٢) وجمعٍ وحَدٍّ . فقال له سليمان : تنصرفون ونرى فيما بيننا ، وسيأتاكم إن
شاء الله رأى . فانصرفا إلى الكوفة .

وأجمع القومُ على الشخوص واستقبال ابن زيادٍ ، ونظروا فإذا شيمتهم من أهل
البصرة لم يوافقهم ليعادهم ، وكذلك أهل المدائن ، وأقبل ناسٌ يلومونهم ، فقال سليمان :
لا تلوموم فإني لا أرام إلا سيُسرعون إليكم لو قد انتهى إليهم خبركم وجينٌ مسيركم ،
ولا أرام خلفهم ولا أقدمهم إلا قلةُ النفقة وسوء المدّة ، فأقيموا ليتيسرُوا ويتجهزُوا
ويلحقوا بكم ، وبهم قوة ، وما أسرع القوم في آثاركم !

ثم قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ! أيها الناس ،
فإن الله قد علم ما تنوون ، وما خرجتم تطلبون ، وإنّ للدنيا تجاراً وللآخرة تجاراً ،

(١) محضتاً : أخلصتاً .

(٢) كنف : جماعة .

فأما تاجر الآخرة فساعِر إليها مُتَنَصِّبٌ^(١) بتطلّابها ، لا يشتري بها ثمنًا ، لا يُرَى إلا قائمًا وقاعدًا ؛ وراكعًا وساجدًا ، لا يطلبُ ذهبًا ولا فضة ، ولا دُنْيَا ولا لذة .

وأما تاجر الدنيا فسكَبٌ عليها راتعٌ فيها ، لا يبتغي بها بدَلًا ، فعليكم - يرحمكم الله في وجهكم هذا - بطول الصلاة في جَوْف الليل ، وبذِكْرِ الله كثيرًا على كلِّ حال ، وتقرُّبوا إلى الله جلَّ ذكره بكلِّ خير قدَرْتُمْ عليه ، حتى تلقوا هذا المدوّ ، والمجِلَّ القاسِطَ ، فتُجاهدوه ، فإنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثوابًا من الجهاد والصلاة ، فإن الجهاد سنامُ العمل ، جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على اللأواء^(٢) ! وإنا مُدْلِجُونَ الليلةَ من منزلنا هذا إن شاء الله ، فأدْلِجوا^(٣) .

وخرج سليمان وأصحابه حتى انتهوا إلى قبر الحسين ، فنادوا صيحةً واحدة : ياربّ ، إنا قد خذلنا ابنَ بنتِ نبيّنا فاعفُفْ لنا ماضى منّا ، وتُبْ علينا إنك أنت التّوابُ الرّحيمُ ، وارحَمْ حسينًا وأصحابه الشّهداء الصّديقين ، وإنا نُشهدك ياربّ أنّا على مثل ماقتلوا عليه ، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

وأقاموا يومًا وليلة يصلّون عنده ويكفون ويتضرّعون ، فاتفكّ الناسُ من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلّوا الفدأة عند قبره ، وزادهم ذلك حنقًا .

ثم ركبوا فأمر سليمانُ الناسَ بالسير ، فجعل الرجلُ لا يعصى حتى يأتي قبر الحسين فيقومَ عليه ويستغفرَ له ، وازدهجوا على قبره أكثر من ازدحام الناس على

(١) متنصب : أى قد نصب نفسه طالبًا لها . (٢) اللأواء : الشدة .

(٣) أدلج : سار من أول الليل ، فإن سار في آخره فهو مدلج بتشديد الدال .

الحجر الأسود ، ووقف سليمان عند القبر ، فكلما دعا قوم وترحوا قال لهم :
الحقوا ياخوانكم رحمكم الله ! فإزال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من
أصحابه فقام فيهم وقال :

الحمد لله لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتها معه
فلا تحرمناها فيه بدمه . وقال عبد الله بن الوليد : أما والله إنى لأظن حسيناً وأباه
وأخاه أفضل أمة محمد عند الله يوم القيامة ، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم !
إنهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل .

وسار سليمان من موضع القبر ومعه أصحابه ، وبيننا هو في الطريق جاءه
كتاب من عبد الله بن يزيد فوقف وأشار إلى الناس فوقوا ثم أقرأهم
الكتاب فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه
من المسلمين . سلام عليكم ، أما بعد فإن كتابي هذا إليكم كتاب ناصح ذي إرعاء ،
وكم من ناصح مستفشي ، وكم من غاش مستنصح محب ، إنه بلغني أنكم تريدون
السير بالعدد اليسير إلى الجمع الكثير ، وإنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها
تكل ماوله ، وينزع وهو مذموم العقل والفعل . يا قومنا ، لا تطمئعوا عدوكم في أهل
بلادكم ، فإنكم خياركم ، ومتى ما يصبكم عدوكم يعلوا أنكم أعلام مصركم
فيطمئعهم ذلك فيمن وراءكم . يا قومنا ، إن يظهر عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في
ميتهم ولن تفلحوا إذا أبدا . يا قوم ، إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة ، وإن
عدونا وعدوكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا ، ومتى نختلف تنه
شوقتنا على من خالفنا . يا قومنا ، لا تستغشوا نصحى ، ولا تخالفوا أمرى ، وأقبلوا

حين 'يقرأ عليكم كتابي أقبل الله بكم إلى طاعته ، وأذبر بكم عن معصيته . والسلام .

فلما قرى الكتاب على ابن ضرَد وأصحابه قال للناس : ما ترون ؟ قالوا : ماذا نرى ؟ قد أبینا ونحن في مِصرِنا وأهلنا ، فالآن حين خرجنا ووطنًا أنقُسنا على الجهاد ، ودنونا من أرض عدونا ! ما هذا برأى . ثم نادوه : أن أخبرنا برأيك . قال : رأيت والله أنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسنين منكم يومكم هذا ؛ الشهادة أو الفتح ، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل ، إن وهؤلاء مختلفون . إن هؤلاء لو ظهروا دَعَوْنَا إلى الجهاد مع ابن الزبير . ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضللا ، وإننا إن ظهرنا ردَدْنَا هذا الأمر إلى أهله ، وإن أصبنا فملى نياتنا تائبين من ذنوبنا ، وإن لنا شكلا ، وإن لابن الزبير شكلا ، وإننا وإياهم كما قال أخو بني كنانة :

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري
عن اللوم إذ بدلت واختلف الشكلُ
فانصرف الناسُ معه حتى نزل هيت ، فكتب إلى عبد الله بن يزيد :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن مسه من المؤمنين . سلام عليك ، أما بعدُ فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما زريت ، فنعم والله الوالى ونعم الأمير ، ونعم أخو العشيرة أنت والله من آمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ، ونحمده على كل حال ، إننا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ إِنِ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُكْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون

الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ . إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ اسْتَبَشَرُوا بِبَيْعَتِهِمُ الَّتِي بَايَعُوا ، إِنَّهُمْ قَدْ تَابُوا مِنْ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ ، وَقَدْ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَرَضُوا بِمَا قَضَى اللَّهُ ، رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .
والسلام عليك .

فلما أتاه هذا الكتاب قال: استمات القوم! أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم . وإيم الله لِيُقْتَلَنَّ كَرَامًا مُسْلِمِينَ ، وَلَا وَالَّذِي هُوَ رَبُّهُمْ لَا يَقْتُلُهُمْ عَدُوُّهُمْ حَتَّى تَشْتَدَّ شَوْكَتُهُمْ وَتَكْبُرَ الْقَتْلَى فِيمَا بَيْنَهُمْ .

وساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا، ونزلوا قريبا منها، وبها زُفر بن الحارث السكلابي وقد تحصن بها القوم ، ولم يخرج إليهم ، فبعث سليمان المسيب بن نجبة وقال له : أنت ابن عمك فقل له : ليخرج إلينا سوفاً فإننا لسنا نريده ، إنما صمنا لهؤلاء المحامين . فخرج المسيب حتى انتهى إلى قرقيسيا فقال : افتحوا ، ممن تتحصنون ؟ فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا المسيب بن نجبة . فأنى الهذيل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك ، وسألناه من هو؟ فقال : المسيب بن نجبة . فقال أبوه : أما تدري يا بني من هذا؟ هذا فارس مضر الحراء كلها؛ وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم ، وهو بمد رجل ناسك له دين ، ائذن له .

فلما دخل المسيب أجلسه زفر إلى جانبه وساء له وألطفه في المسألة ، فقال له المسيب : ممن تتحصن ؟ إنا والله ما إياكم نريد ، وما نريد إلا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحليين . فأخرج لنا سوفاً ، فإننا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم .

فقال له زُفر بن الحارث : إنا لم نُغلق أبواب هذه المدينة ، إلا لنعلم إيماننا
اعتريتم^(١) أم غيرنا ، إنا والله ما بنا عجزٌ عن الناس ما لم تدهمنا حيلة ، وما
نحبُّ أنَّا بلينا بقتالكم ، وقد بلغنا عنكم صلاحٌ وسيرةٌ حسنةٌ جميلة ، ثم دعا ابنه
فأمره أن يضع لهم سوقاً ، وأمر للمسيب بألف درهم وفرس ، فقال له المسيب : أمّا المالُ
فلا حاجة لي فيه ، والله ما له خرجنا ولا إياه طابنا ، وأما الفرسُ فإني أقبله لعل
أحتاج إليه إن ظلم فرسي أو غمز تحتي ، فخرج به حتى أتى أصحابه .

وأخرجت لهم السوق فذسوقوا ، وبعث زفر بن الحارث إلى المسيب بن نجبة - بعد
إخراج الأسواق والأغلاف والطعام الكثير - بمشرين جزُورا ، وبعث إلى سليمان
ابن سرد بمثل ذلك ، وأخرج للمسكر عيرا عظيمة وشميرا كثيراً ، وقال غلامانه لهم :
هذه عير فاجتروا منها ما أحببتم ، وهذا شميرٌ فاحتملوا منه ما أردتم ، وهذا دقيق
فتزودوا منه ما أطقتم .

فظلَّ القوم يومهم ذلك مُخضبين ، لم يحتاجوا إلى شراء شيء من هذه
الأسواق التي وضعت ، وقد كفوا اللحم والدقيق والشمير إلا أن يشتري الرجل
ثوباً أو سوطاً .

ثم ارتحلوا من النقد ، وبعث إليهم زُفر : إني خارج إليكم فمشيئكم . فأتاهم
وقد خرجوا على تعبئة حسنة فسايرهم ، وقال لسليمان : وإيمُ الله لقلَّما رأيت رجلاً
هم أحسنُ هيئةً وعدةً ، ولا أخلق بكل خير من رجالِ أراهم معك ، ولكنَّه قد بلغني
أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تُحصى .

فقال سليمان : على الله توكلنا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون .

(١) اعتريتم : طلبتم .

فقال زفر : هل لكم في أمر أعرضه عليكم ، لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيرا ! إن شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحداً وأيدينا واحدة ، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فمسكرنا إلى جانبكم ، فإذا جاء هذا العدو قاتلناهم جميعاً . فقال سليمان لزفر : أرادنا أهل مصر على مثل ما أردتنا عليه ، وذكروا مثل الذي ذكرت ، وكتبوا إلينا به بعد ما فصلنا ، فلم يوافقنا ذلك ، فلسنا بفاعلين .

فقال زفر : فانظروا ما أشيرُ به عليكم فاقبلوه وخذوا به ، فإنى للقوم عدوٌّ ، وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة ، وأنا لكم وادٌّ ، أحب أن يحوطكم الله بالعافية . إن القوم قد فصلوا من الرقة^(١) فبادروهم إلى عين الوردة فاجملوا المدينة في ظهوركم ، ويكون الرستاق^(٢) والماء والمادة في أيديكم ، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم آمنون له ، والله لو أن خيولى كرجالى لأمددتكم ، اطووا المنازل الساعة إلى عين الوردة ؛ فإن القوم يسرون سير المساكر ، وأنتم على خيول والله لقلما رأيت جماعة خيل قط أكرم منها ، تأهبوا لها من يومكم هذا ، فإنى أرجو أن تسبقوهم إليها، وإن بدرتموهم إلى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونيهم، فإنه ليس لكم مثلُ عددهم ، فإن استهدفتم لهم لم يلبثوا أن يعرعوكم ، ولا تصبفوا لهم حين تلقونهم ، فإنى لا أرى معكم رجالة ، ولا أراكم كلكم إلا فرسانا ، والقوم لا قوكم بالرجال والفرسان ، فالقوهم في الكتائب والمقائب^(٣) ثم بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كل كتبية كتبية إلى جانبها، فإن حُمل على إحدى

(١) فصلوا : خرجوا . والرقة : من مدن العراق .

(٢) الرستاق : السواد والقرى .

(٣) المقب ، كنبير من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة .

الكتيبتين ترَجَلت الأخرى فنَفَسَتْ عنها الخيل والرجال . ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ، ومتى ما شاءت كتيبة انحطت ، ولو كنتم في صف واحد ، فزحفت إليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة .

ثم وقف فودعهم وسأل الله أن يصحبهم ويُنصِرهم .

فأثنى الناس عليه ودَعَوْا له ، وقال له سليمان : نعم المنزول به أنت ! أكرمت النزول ، وأحسن الضيافة ، ونصحت في المشورة .

ثم إن القوم جدّوا في السير ، وعبى سليمان الكتائب كما أمره زُفر ، ثم أقبل حتى انتهى إلى عَيْنِ الوَرْدَةِ فنزل في غربها ، وسبق القوم إليها فمسكروا بها خمسا لا يبرح . واستراحوا واطمأنوا وأراحوا خيْلهم .

وأقبل أهلُ الشام في عساكرهم حتى كانوا من عَيْنِ الوَرْدَةِ نلى مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في جنده فحمد الله فأطال وأثنى عليه فأطرب ، ثم ذكر السماء والأرض والجبال والبحار وما فيهن من الآيات ، وذكر آلاء الله ونعمه ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم يُحصِه ولم يقدر على حفظه أحد ، ثم قال : أما بعد فقد أتاكم الله بمدوكم الذي دأبتم في السير إليه آناء^(١) الليل والنهار ، تريدون - فيما تظهرون - التوبة النصوح ، ولقاء الله مُعذرين ؛ فقد جاءوكم ، بل جثتموهم أنتم في دارهم وحيزهم ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولينهم امرؤ دُبره إلا متحرجا^(٢) لقتال أو متحيزا^(٣) إلى فئة . لا تقتلوا مدبرا ولا تُجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيرا

(١) آناء الليل : ساعاته .

(٢) متحرفا : أى منعطفأ يريد الكفر بعد الفر والتفرير بالعدو ، فإنه من مكاييد الحرب .

(٣) متحيزا : منحازا إلى جماعة ليستجد بهم .

من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بمسد أن تأسروه أو يكون من قَتلة إخواننا بالطف^(١) رحمة الله عليهم ، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة .

ثم قال : إن أنا قُتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة ، فإن أُصيب فأمير الناس عبد الله بن سعد ، فإن قُتل فأمير الناس عبد الله بن والي ، فإن قُتل فأمير الناس رفاعة بن شداد ، رحم الله امراً صدق ما عاهد الله عليه .

ثم بمث المسيب في أربعمائة فارس ، وقال له : سر حتى تلتقي أول عسكر من عساكرهم ، فشنّ فيهم الفارة ، فإذا رأيت ما تحببه وإلا انصرفت إلى في أصحابك .

فسار المسيب بجنده حتى أشرف على أدنى عسكر من القوم وهم غارون^(٢) ، فحمل عليهم ، فما قاتل كثير قتال حتى انهزموا ، وأصاب منهم رجلاً ، جرح منهم فأكثر الجراح ، فخرجوا عن عسكرهم وخلوه له ، فأخذ منه ما خفّ ، وصاح المسيب في جنده : الرجمة ، إنكم قد نصرتم وغنمتم وساهتم ، فانصرفوا .

وانصرفوا حتى أتوا سليمان ، وأتى الخبر عبيد الله بن زياد ، فسرح إليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً ، وتقابل الجيشان ، فانهزم جيش عبيد الله بن زياد وما زال الظفر لجيش سليمان حتى حَجَزَ الليل بينهم .

فلما كان من الغد أمده عبيد الله جيشه بالمدد والعمون ، وتقاتل الجيشان قتالاً لم ير الشيبُ والمردُ مثله قط ، حتى جاء المساء ، فتجاجزوا وقد أكثروا في جيش سليمان الجراح .

(١) موضع قرب الكوفة . (٢) غارون : غير مستعدين للقائهم .

وأصبحوا وقد كثرتهم أهل الشام ، وتمطفؤا عليهم من كلّ جانب ، ورأى سليمان ما لقي أصحابه فنزل فنادى : عباد الله ! من أراد البكورَ إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بمهده فإلى ، ثم كسر جفن سيفه ، ونزل معه ناس كثير ، فكسروا جفونَ سيوفهم ومشوا معه ، ونزلت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلهم حتى نزلت الرجالُ تشتدّ^(١) مُصَلِّتةً بالسيوف ، وقد كسروا الجفون ، فحمل الفرسان على الخيل فقاتلهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ، وجرحوا فيهم فأكثرُوا الجراح .

فما رأى الحصين بن نُمير صَبْرَ القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيلُ والرجال ، فقتل سليمان بن صرد ، فأخذ الراية المسيب بن نجبة ، وقال : رحمك الله يا أخى فقد صدقت ووفيت بما عليك ، وبقي ما علينا ، ثم أخذ الراية فشدَّ بها فقاتل ساعة ، وفعل ذلك مراراً يشد ويرجع ثم قتل .

فأخذ الراية عبد الله بن سعد وقال : رحم الله إخواني ! منهم من قضى فجبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً . وأقبل بمن كان معه خفّوا برايته ، وإنهم لكذلك إذ جاءهم البشير يقول : قد جاء إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة . فقال عبد الله بن سعد : لو جاءونا ونحن أحياء !

واشتدّ القتال وطعن عبد الله بن سعد في ثغرة نحره^(٢) فقتل ، وبقيت الراية ليس عندها أحد ، فنادوا عبد الله بن والٍ فإذا هو قد استلحم في عصابة معه وهو يقول : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصب ، والسرور

(١) تشتد : تسرع . (٢) ثغرة نحره : أى وسط .

الذى ليس بصدده حَزَنٌ فليتقرب إلى ربه بجهاد هؤلاء المُجَلِّين والرَّواح إلى الجنة -
وقاتل حتى قُتِل .

ثم أخذ أهل الشام يتنادون : إنَّ الله قد أهلكهم فأقدموا عليهم لتفرغوا منهم ؛
وأخذوا يقدمون عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرسانا شجعاناً ليس
فيهم سقط رجل ، ولبسوا لهم بعضجرين فيتمكنوا منهم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً
فهمزوا وفروا .

وساروا حتى مروا بقرقيسيا ، فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل
ما كان بعث إليهم في المرة الأولى ، وأرسل إليهم : أن أقيموا عندنا ما أحببتم ، فإنَّ
لكم الكرامة والمواساة . فأقاموا ثلاثاً ، ثم زود كلَّ امرئٍ منهم ما أحبَّ من
الطعام والعلف .

ثم انصرف أهلُ المدائن إلى المدائن وأهل البصرة إلى البصرة ، وأقبل أهلُ
الكوفة إلى الكوفة .

ولما أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال : أما بعد فإنَّ الله قد أهلك من رؤس أهل العراق مُلقِحَ فتنه^(١) ورأس
ضلالة سليمان بن سرد ، ألا وإنَّ السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريق^(٢) ،
ألا وقد قتل الله من رؤسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سمد أخا الأزدي ،
وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفع
ولا امتناع .

(١) أى مشعل الفتنه والحرب ضده .

(٢) أى قطعاً : جمع خذروف - كعصفور : شئٌ يدوره الصبي بخيط في يديه فيسمع له دوى .-

٥٨ - يوم بنات تَلَى *

كان مروان بن الحَكَم قد أرسل عُبيد الله بن زياد في جيش إلى العراق ، وجعل له ما غاب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها . فمرّ بأرض الجزيرة وبها قيس عَمِيلان^(١) ، فلم يزل مشتغلاً بهم نحواً من سنة .

ثم أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد - عامل المختار على الموصل - إلى المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل ، وقد وجه قبلي خيله ورجاله ، وإني انحزتُ إلى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أما بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ كل ما ذكرت فيه ، وقد أصبتُ بأحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك الذي أنتَ به حتى يأتيتك أمرى إن شاء الله ، والسلامُ عليك .

ثم بعث المختارُ إلى يزيد بن أنس فدعاه وقال له : يا يزيدُ ، إن العالمَ ليس كالجاهل ، وإن الحقَّ ليس كالباطل ، وإني أخبرُك خبراً من لم يكذب ولم يكذب ، ولم يخالف ولم يرتب ، وإنا المؤمنون ليامين ، وأنتَ صاحبُ الخيل التي تجرُّ جمابها وتضفر أذناها ، حتى تُوردها منابت الزيت غائرة عيونها ، لاحقة بطونها ، اخرج إلى الموصل حتى تنزل أذانيها ، فإني مُمدِّك بالرجال بعد الرجال .

* تاريخ الطبري : ٧ - ١١٢ ، لعبد الله بن زياد على المختار الثقفى .

(١) كانت قيس عَمِيلان على طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروان قيساً يوم مرج راهض

وهم مع الضحاك بن قيس مخالفيين عليه .

فقال له يزيد : سَرِّحْ معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم ، وخائني والجهة التي
تُوجَّهنا إليها ، فإن احتجتُ إلى الرجال فسأكتب إليك .
قال له المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت .
فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، وأمر عليهم الأمراء .

ثم إنه فصل من الكوفة ، وخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما بلغ دبر
أبي موسى ودَّعه المختار وقال له : إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم ، وإذا أمكنتك
الفرصة فلا تؤخرها ، وليسكن خبرك في كل يوم عندي ، وإن احتجت إلى مددٍ
فاكتب إلي ، مع أني مُدِّدٌ ولو لم تستمدد ، فإنه أشدُّ لمضدك ، وأعزُّ لجندك ،
وأرعبُ لعدوك .

فقال له يزيد : لا تمدني إلا بدعائك فكفي به مددا ! وقال له الناس : صحبك الله
وأيدك ؟ وودَّعوه ، فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيم الله لن لقيتهم
ففاتني النصر لن تموتني الشهادة إن شاء الله .

وكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد^(١) : أمّا بعد فخلّ بين يزيد وبين البلاد
إن شاء الله . والسلام عليك .

وسار يزيد حتى قطع أرض الموصل ، ونزل بينات تَلَّى .
وبلغ عبید الله بن زياد مكان يزيد ومنزله الذي نزل به ، فسأل عدّة جيوشه ،
فأخبرته عيونُه أنه خرج من الكوفة في ثلاثة آلاف فارس . فقال : سأبعثُ إلى كلِّ
ألف ألفين ، ودعا ربيعة بن المخارق القنوي ، وعبد الله بن حملة الخنمي ،
فبعث كلاهما في ثلاثة آلاف . ثم كتب إليهما : أيهما سبق فهو أميراً على صاحبه

(١) عامل المختار على الموصل - كما تقدم .

وإن انتهيتما جميعاً فأكبرُ كما سنأُ أميرُ على صاحبه وعلى الجماعة .

وسبق ربيعة وعبي جيشه أحسن تعبئة ، وخرج في الخيل والرّجال ، وقال :
يا أهل الشام ، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأتاق^(١) ، وقوماً تركوا الإسلام وخرجوا
منه ، ليست لهم تقية ، ولا ينطقون بالعربية .

وخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمسكونه عن يمينه وعن شماله
بفخذه وعضديه وجنبه ، فجعل يقف بين الجنود ويقول : يا شرطه الله ، اصبروا
تؤجروا ، وصابروا عدوكم تظفروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان
كان ضميماً ؛ إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب ، فإن هلك فأميركم ...

ونزل فوضع على سرير بين الرجال ، ثم قال لهم : ابرزوا لهم بالعراء ، وقدّموني
في الرجال ، ثم إن شئتم فقاتلوا عن أميركم ، وإن شئتم ففروا عنه .

واقنتل الناس عند شفق الصبح ، فلم يرتفع الضحاً حتى غلبت جنود يزيد بن
أنس على جيش عبيد الله بن زياد وهزموهم هزيمةً قبيحة ، وقتلوا قتلًا ذريعاً ،
وفروا حتى انتهوا إلى عبيد الله فحدثوه بما لقوا .

ولكنَّ عبد الله بن حملة^(٢) أخذ ينادى : الكرّة بمد الفرّة ! يا أهل السمع
والطاعة . فكروا عليهم ، واقنتل القوم فغلبت جنود عبيد الله ، ولم يأت المساء حتى
مات يزيد .

ولما رأى أصحابه ما حلّ بهم وبأميرهم أسقط في أيديهم ، وانخلعت قلوبهم ،
فقال لهم ورقاء بن عازب : ماذا ترون يا قوم ؟ إنه قد بلغني أن عبيد الله بن زياد
قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ! ثم دعا فرسان أصحابه وقال لهم :

(١) الأتاق : جمع أتق .

(٢) هو ثاني الرجلين اللذين بعثهما عبيد الله إلى يزيد كما تقدم .

يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتكم به . إنما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيراو عليّ ، فإن ابن زيادٍ قد جاءكم في جند أهل الشام الأعظم وبجلبتهم وفُرساتهم وأشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال ، وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا ، وتفرقت عنا طائفةٌ منا ، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا - قبل أن نلقاهم وقبل أن نبلغهم - علموا أن الذي ردنا عنهم هلاكٌ صاحبنا فلا يزالون لنا هائبين . وإنا إن لقيناكم اليومَ كنا مخاطرين ، وإن هُزِمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم من قبل اليوم .

قالوا : نعم ما رأيتَ ؟ انصرف رحمك الله !

فانصرف ، وبلغ منصورُهم ذلك المختار وأهل الكوفة ، فدعا المختار إبراهيم ابن الأشتر ، وعقد له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال : سرّ حتى إذا لقيتَ جيش ابن أنس فاردُدْهم معك ثم سرّ حتى تلقى عدوك فتناجزم .

فخرج إبراهيم فوضع عسكره في حمام أعين ، ولكنه لم يلبث أن ثار أهل الكوفة بالمختار فأرسل رسولا إليه يقول له : لا تَضَعْ كتابي من يدِكَ حتى تُقْبِلَ بجميع من معك إليّ . فرجع ومن معه من أصحابه أهل القوة والجلد .

٥٩ - يوم جَبَانَةِ السَّبِيْعِ*

لمات يزيد بن أنس التقى أشرافُ الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا :
قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا أنه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمر علينا هذا
الرجلُ بغير رضا منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدوابِّ وأعطاهم وأطعمهم فبيئنا
ولقد عصتنا عبيدنا ... واتمّدوا عند شيبث بن رُبَيِّ ، فاجتمعوا وأتوا منزله ، فصلى
بهم ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث (١) .

فقال لهم شيبث : دعوني حتى ألقاه . وذهب فلقية فلم يدع شيئاً مما أنكره
أصحابه إلا وقد ذاكروه إياه ، فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أَرْضِيهِمْ فِي
هَذِهِ الْخِصْلَةِ وَآتَى كُلَّ شَيْءٍ أَحْبَبُوا ، وذكر المالك . فقال له : أنا أَرْضُ عَلَيْهِمْ
عبيدهم . وذكر الموالى ، وقال : عمدت إلى موالينا وهم في أفاء الله علينا فأعتقنا
رقابهم نأملُ الأجرَ في ذلك والثوابَ والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم
شركاء في فيئنا .

فقال المختار : إن أنا تركتُ لكم مواليتكم وجعلتُ فيئكم فيكم ، أتقاتلون
ممي بنى أمية وابنَ الزبير ، وتمطون على الوفاء بذلك عهدَ الله وميثاقه ، وما أطمئنُ
إليه من الأيمان ؟ فقال شيبث : ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فإذا كرم ذلك .

* الطبري : ٧ - ١١٦ ، للمختار على أهل الكوفة ، وكان هذا اليوم لست ليال بقين من
ذي الحجة سنة ٦٦ هـ . وجبانة السبيع : من مواضع الكوفة .

(١) لم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من أنه جعل لدولى من النوى نصيباً .

وخرج ولكنه لم يُمدد ، إذ أجمع أهل الكوفة على قتال المختار .

وذهب بعضُ أشرفِ الكوفة إلى عبد الرحمن بن مخنف ، فدعوه أن يجيبهم إلى قتال المختار، فقال لهم: يا هؤلاء ، إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذكم وإن أنتم أطمعتموني لم تخرجوا . فقالوا : ولِمَ ؟ قال : لأنى أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ، ومع الرجل شجمانكم وفرسانكم ، ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلة هؤلاء واحدة ، وعبيدكم ومواليكم أشدُّ حنفاً عليكم من عدوكم ، فهو مقاتلاتكم بشجاعة العرب وعداوة المعجم . وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ، أو بجىء أهل البصرة فتكونوا قد لقيتموه بغيركم .

قالوا : نندك الله أن نخالفنا ، وأن تفسد علينا رأينا ، وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجل منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا .

وذهبوا إلى كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبت عنده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبره بإجتمع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يعتب به على المختار : إنه تأمر علينا بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بمثبه إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطمع موالينا فيئنا ، وأخذ عبيدنا ، وأظهر البراءة من أسلافنا الصالحين . فرحب بهم كعب وأجابهم إلى ما دَعَوْهُ ..

وسار بمضهم إلى بعض . وقالوا : ننتظر حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر وما أن بلغ إبراهيم بن الأشتر سابطاً^(١) حتى وثبوا بالمختار ، فخرج عبد الرحمن

(١) حين خرج لقتال عبيد الله بن زياد .

ابن سميد^(١) مع أهل اليمن في جَبَانَةِ السَّبِيْع ، ونزل شَبَث بن رَبِيعٍ في مُضَرَ بالكُنَاسَةِ ، وخرج غيرهم . . .

وبلغ الذين نزلوا بجَبَانَةِ السَّبِيْع أن المختار قد عَبَّى لهم خيلاً لتسير إليهم ، فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزدي وبجيلة وخثعم ، يسألونهم الله والرحم لما عَجَّلُوا إليهم فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً بجَبَانَةِ السَّبِيْع .

ولما بلغ المختار اجتماعهم سرَّه ذلك . وبعث رسولاً من يومه إلى إبراهيم بن الأشتر : لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى .

وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم : أخبروني ما تريدون ، فإنني صانع كلِّ ما أحببتكم . قالوا : نريد أن نتمزلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ! ولم يبعثك ؟ فأرسل إليهم المختار : أن ابعثوا إليه من قبلكم وفداً ، وأبعث إليه من قبلي وفداً ثم انظروا في ذلك حتى تدبئوه . وإنما أراد بذلك أن يُريَّتهم حتى يقدم عليه إبراهيم ابن الأشتر .

ولما قدم إبراهيم بن الأشتر نزل المختار فعبَّى أصحابه ، وقال لإبراهيم : أي الفريقين^(٢) أحب إليك أن تسير ؟ قال : إلى أيِّ الفريقين أحببت . فكره المختار أن يسير ابن الأشتر إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم ، فقال : سرَّ إلى مُضَرَ بالكُنَاسَةِ^(٣) وأنا أسيرُ إلى اليمن .

وسار المختار إلى جَبَانَةِ السَّبِيْع ، وعلم أهل اليمن بمسيره فاستعدوا لملاقاته ، وتقاتل الجيشان كأشد قتال اقتتلته قوم ، ودارت الدائرة على أصحاب المختار ، فلم يرع

(١) كان عبد الرحمن بن سميد عاملاً للمختار على الموصل . (٢) يريد أهل اليمن أو مضر -

(٣) الكناسة : موضع بالكوفة .

إلا وقد جاءه الفلّ فقال : ما وراءكم؟ قالوا : هزمنّا . فصاح بهم أن انصرفوا ، ورجعوا
فأقتل القوم كأشد قتال .

أما ابنُ الأَشرِ فقد لقي شِيثَ بنِ رُبَيعٍ ومَن معه من مَضر ، فقال لهم : ويحكم !
انصرفوا ، فوالله ما أحبُّ أن يصاب أحدٌ من مَضر على يديّ ، فلا تُتهلكوا أنفُسكم ،
فأبوا وقاتلوه فهزَمهم .

وبعث المختار البشرى من قبله إلى المقاتلة في جَبَانَةِ السَّبِيح ، فحمل الجندُ حتى
دخلوا الجبانة وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجيبوا : يا لثارات الحسين ، فسمعها
يزيد بن عمير ، فقال : يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعة بن شداد : ما لنا ولعثمان !
لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان . فقال له أناسٌ من قومه : جئت بنا وأطعناك
حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعُوهم ، فمطف عليهم
وهو يقول :

أنا ابنُ شَدَادٍ على دينِ عَلِيٍّ استُ لعثمانَ بنِ أَرَوَى بِوَالِي
لأَصْلَيْنِ اليومَ فيمن يَصْطَلِي بجرِّ نَارِ الحربِ غيرَ مُؤْتَلِي

وقاتل حتى قُتل ، ثم قتل غيره من شجيمان الكوفة وقوادهم .

واستخرج من دور الوادعيّين خمسمائة أسير فأتى بهم إلى المختار مكثفين ، فأخذ
عبد الله بن شريك^(١) لا يخلو بمرئى إلا خلى سبيله ، فرُفِع ذلك إلى المختار ، فقال :
اعرضوهم عليّ ، وانظروا كلٌّ من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به ، فأخذوا لا يمرّ
عليه رجلٌ لقد شهد مقتل الحسين إلا قيل له : هذا ممن شهد قتله ، فيقدمه فيضرب
عنقه حتى قتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا .

(١) رجل من بني نهد من رؤساء أصحاب المختار .

وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرُّ بهم خلَّوا به فقتلوه،
حتى قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار .

ولما أُخبر بذلك بعدُ دعا بمن يبق من الأسارى فأعتقهم^(١) ، وأخذ عليهم المواثيق
ألا يساعدوا عليه عدوًّا ، ولا ينفوه ولا أصحابه غائلة . ونادى منادى المختار :
إنه من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلا شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم .

وسار المختار إلى القصر ، فأخذ سراقةُ بن مرداس يناديه بأعلى صوته :

امْنُنْ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعْدُئٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَجَرِ وَالْحَفْدِ

* وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَبَّى وَسَجَدُ *

فبعث به المختارُ إلى السجن ، فحبسه ليلة ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه ،
ودعا به فأقبل وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا	نزونا نزوةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً	وكان خروجنا بطراً وحيناً
زاهم في مصافهم قليلاً	وهم مثل الدبِّا حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما	رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضرباً طليحاً ^(٢)	وطعناً صائباً حتى اثنينا
نصرت على عدوك كل يوم	بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصرت محمد في يوم بدرٍ	ويوم الشعب إذ لاقى حنيفاً

(١) أعتقهم إلا سراقة بن مرداس فإنه أمر أن يساق معه إلى المسجد .

(٢) طليحاً : شديداً .

فَأَسْجِحْ إِذْ مَلَكَتَ فَلَوْ مَلَكَتُنَا لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَاعْتَدِينَا
تَقْبَلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النَّقْدَ دِينَنَا

ولما انتهى إلى المختار قال له : أصاحك الله أيها الأمير ! سراقه بن مرداس يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ، لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض . فقال له المختار : فاصعد المنبر فأعلم المسلمين . فصعد فأخبرهم ، ثم نزل فخلا به المختار . فقال له : إني قد علمت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت ألا أقتلك ، فاذهب عني حيث أحببت ، ولا تفسد عليّ أختي !

وخرج أشراف الكوفة فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سراقه ابن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنني رأيت البندق ذهما مصممتا
كفرت بوحكم وجمعت نذرا على قتالكم حتى المات
أرى عيني ما لم تبصيراه كلانا عالم بالترهان
إذا قالوا أقول لهم كذبتهم وإن خرجوا ليست لهم أداني

٦٠ - يوم خازر*

كان مروان بن الحكم قد جهّز جيشاً يقوده عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحارث بقرقيسيا ، فإذا فرغ منها توجه إلى العراق وأخذه من ابن الزبير .

ولما وصل عبيد الله إلى الجزيرة بلغه موت مروان ، وأتاه كتابُ عبد الملك يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير إلى العراق .

فسار حتى إذا كان بعين الوردة قابلته جنودٌ مقبلةٌ من العراق ، لم يبعثهم أمير ؛ ولكنهم خرجوا للمطالبة بدم عثمان ، وسمّوا أنفسهم التوابين ، وهم جماعة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين بن عليّ ، ولم يروا أنهم يخرجون من هذا الذنب إلا إذا قاموا للمطالبة بثأره ، وقتلوا قتلتَهُ ، وكان رئيسهم كبير الشيعة بالكوفة سليمان ابن صرد الخزاعي .

وكانت بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها سليمان بن صرد ، ومعظم من معه ولم ينجُ منهم إلا قليل .

ولما بلغ عبد الملك قتل سليمان قام خطيباً في أهل الشام ، فقال : إن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ، ألا وإني السيوف قد تركت رأس المسيب خذاريف ، وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين

(*) تاريخ الطبري : ٧-١٤٢ ، وخازر : إلى جنب قرية بينها وبين الموصل خمسة فراسخ ، وكان هذا اليوم لابن الأشتر على ابن زياد سنة ٦٧ هـ .

ضائبن مضلّين : عبد الله بن سعد الأزديّ ، وعبد الله بن والٍ البكريّ ، ولم يبقَ
بمدّهم من عنده امتناع .

وبعد مقتل هؤلاء ثار بالكوفة المختار بن عبيد الله الثقفي^(١) ، زاعماً أنّ محمد
ابن الحنفية أرسله للأخذ بثأر الحسين ، وأنه لقبه بالإمام المهديّ ، واتفق مع إبراهيم
ابن الأشتر^(٢) على الخروج للثأر لمقتل الحسين .
ولما حان الموعد وثبوا جميعاً وغلبوا على الكوفة .

ثم بعث المختار العمال إلى أمصار الكوفة ، وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتلاً ذريعاً ،
وتخيّر الجند لمقاتلة ابن زياد ، وجعل قائدهم إبراهيم بن الأشتر ، فأخذ يسير بهم حتى
نزل بخازر^(٣) ، وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم .

وأرسل عمير بن الحباب إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريدُ الليلةَ
لقائك .

فأرسل إليه ابنُ الأشتر : أن القيني إذا شئت . فأتاه عمير ليلاً فبايعه ، وأخبره
أنه على ميّسة صاحبه ، ووعده أن ينهزم .

فقال له ابنُ الأشتر : ما رأيك ؟ أخذتِ عليّ وأتوّم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير :
لا تفعل ؛ هل يريدُ القوم إلا هذه ! إن طاولوك وماطلوك فهو خيرٌ لهم ، هم كثيرٌ
أضعافكم ، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ، ولكنّ ناجز القوم ،

(١) كان خروجه في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦ هـ ، وأخرج منها عامل ابن الزبير

وهو عبد الله بن مطيع .

(٢) أرسل إليه المختار من يمرض عليه انضمامه إليه فقبل أولاً على شرط أن يكون هو وولي

الأمر ثم استطاع المختار أن يضمه إليه بخدعة تجد تفصيلها بمحاضرات الحضري بك صفحة ٢٤٩ .

(٣) خازر ، بجوار قرية بينها وبين الموصل خمسة فراسخ كما تقدم .

فإنهم قد مُلئوا منكم رُعباً فأَتَهم ، فإنهم إن قاتلوا أصحابك يوماً بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترأوا عليهم .

قال ابنُ الأَشر: الآن علمتُ أنك لى مناصح . صدقت ! الرأى ما رأيت ، أما إن صاحبى بهذا أوصانى ، وبهذا الرأى أمرنى .

قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإنَّ الشَّيخَ قد ضَرَّسْتَه الحروب وقاسى منها ما لم تقاس ، وأصيح فناهض الرجل .

ثم انصرف عمير ، وأذكى ابنُ الأَشر حرسه تلك الليلة اللَّيْلَ كُلَّهُ ، ولم يَدْخُلَ عينيه غَمَضٌ ، حتَّى إذا كان فى السَّحَرِ الأول عَسَى أصحابه وكتب كتابه وأمر أمراءه .

فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بملس ، ونزل يقول للناس : ازحفوا ، فزحف الناس معه حتى أشرف على تلِّ عظيمٍ مُشْرِفٍ على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أصحاب عبيد الله لم يتحرك منهم أحد .

وكان ابنُ الأَشر قد سرَّح عبد الله بن زهير السَّلولى ، وقال له : قرَّب (١) على فرسك حتى تأتبنى بخبر هؤلاء .

فانطلق فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء فقال : قد خرج القوم على دهش وفشل ، لقينى رجلٌ منهم ، فما كان له هِجِيرَى إلا : يا شِيعَةَ أبى تراب! يا شِيعَةَ المختار الكذاب! فقلت له : ما بيننا وبينكم أجلٌّ من الشِّم . فقال لى : يا عدوَّ الله ، إلامَ تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ! قلت له : يا لثارات الحسين ! ابن رسول الله ! ادفموا إلينا عُبيد الله بن زياد فإنه قتل ابن رسول الله ، سيد شباب أهل الجنة ، حتى نقتله

(١) التقريب : ضرب من العدو .

بعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين ، فإننا لا نراه نذاً فنرضى أن يكون منه قوداً ، وإذا دُفتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جملنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أى شىء صالح من المسلمين شتم حكماً . فقال : قد جرّبناكم فى مثل هذا فنقدرتم . فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان شأننا على أئمتنا (١) إذا اجتمعنا على رجل تيمنا حكمهما ، ورضينا به ، وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرقا فكلاهما لم يوفقه الله للخير ، ولم يسدّده .

فقال : من أنت ؟ فأخبرته ، وقلت له : من أنت ؟ فقال : عدسٌ - لبغلة - يزجرها فقلت له : ما أنصفتنى ! هذا أول غدرك .

ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبها ، ثم مرّ بأصحاب الرّيات كلها ؛ فكلما مرّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبيدُ الله بن مرّجانة قاتل الحسين بن علىّ وابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيمته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه أن يأتى ابن عمه فيصالحه ، ومنعه أن ينصرف إلى رَحله وأهله ، ومنعه الذهاب فى الأرض المريضة حتى قتله ، وقتل أهل بيته ، فوالله ما عمل فرعون ببنى إسرائيل ما عمل ابن مرّجانة بأهل بيت رسول الله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم فى هذا الوطن وبينه إلا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم .

(١) يريد الحكيم .

وسار بين اليمنة والميسرة ، وسار في الناس كلهم فرغَّبهم في الجهاد ، وجرَّتهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته ، وزحف القوم ، واحتدم القتال ، فكان بين الفريقين موقعة هائلة انتصر فيها ابنُ الأشتر ، وقتل عبيد الله بن زياد بعد أن ذهب من جند الشام عدد وافر قتلا وغرقا في نهر الخازر^(١) .

وتمَّ الأمرُ للمختار ، واسكنَ ابنَ الزبيرَ وولَّى أخاه مصعباً على البصرة ، فجاءها ملثماً حتى أتاه على باب المسجد ، ثم دخل فصعد المنبر وقال للناس ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : ﴿ طسّم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْفِرُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيبُ أُنْثَاهُمْ وَيَسْتَخْفِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الشام - ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْمَعَهُمْ أَتَمَّةً وَنَجْمَعَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، وأشار بيده نحو الحجاز - ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾^(٢) وأشار بيده إلى الشام .
وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فلحقوا بمصعب^(٣) بن الزبير بالبصرة ؛ وكان فيمن قدم شبت بن ريمى ، قدم عليه وتحتة بغلة قد قطع ذنبها

(١) فقال سراقبة بن مرداس البارق يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله بن

زياد :

أناكم غلام من عمانيين مذبح	جرىء على الأعداء غير نكول
فيا بن زياد بؤ بأعظم مالك	وذق حد ماضى الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحدة	إذا ما أبأنا قتلا بقشيل
جزى الله خيراً شرطه الله لهم	شفوا من عبيد الله أمس غليل

(٢) سورة القصص ١ - ٦ .

(٣) وروى أن مصعباً لما قدم البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة ؛ بلغنى أنكم تلقبون

أمراءكم وقد سميت نفسى الجزار .

وقطع طَرَفَ أذنها وشقَّ قباءه ، وهو ينادى : يا غوثاه ! يا غوثاه ! فأَتَى مصعب فقيل له : إن بالباب رجلاً ينادى : يا غوثاه ! يا غوثاه ! مشقوق القباء ؛ من صفته كذا وكذا . فقال لهم : هذا شبت بن رُبَيْعٍ ، لم يكن يفعل هذا غيره ، فأَدْخَلُوهُ . فأَدْخَلَ عليه ، وجاءه أَشْرَافُ الكوفة ، فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ، وسألوه النصرَ لهم والمسيرَ إلى المختار معهم (١) .

وجنّد مصعب جنداً عظيماً قادهم بنفسه وسار نحو الكوفة . وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدّين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضميف ، وشيعة الرّسول وآل الرّسول ، إن فرّاركم الذين بَغَوْا عَلَيْكُمْ أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغفروهم عليكم ليمسحَ (٢) الحق ، وينتمش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلّكون ما عبّد الله في الأرض إلا بالفِرَسي على الله واللعن لأهل بيت نبيه ، انتسبوا مع أحرر بن شميظ ، فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتلَ عادٍ وإرم .

وبعث المختار مع ابن شميظ جيشاً كثيفاً ، وسار حتى ورد المذار (٣) ، وجاء مصعب حتى عسكر قريباً منه . وتزاحف الجيشان ، فقتل ابن شميظ ، وهزم جند المختار ، وسار جند الكوفة الذين كان المختار طردهم وراءهم ليأخذوا بثأرهم ،

(١) كان فيمن قدم على مصعب محمد بن الأشعث، وم يكن شهيداً وبيعة الكوفة ، كان في قصر له بما يلي القادسية ، فلما بلغه هزيمة الناس تهباً لاشخوس وسأل عنه المختار فأخبر بمكانه فسرح إليه عبد الله بن قراد ، فلما علم بمسيره خرج نحو مصعب حتى حُق به واستحشبه على الخروج وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه ، وطاب منه أن يضم إليه المهاب بن أبي صفرة عامله على فارس فاستماله وانضم إليه في جموع كبيرة .

(٢) ليمسح ، أى يذهب .

(٣) هذا هو يوم المذار لمصعب على أحرر بن شميظ . والمذار : قصبية ميسان بينها وبين البصرة

مقدار أربعة أيام .

فكانوا عليهم أشدّ من أهل البصرة ، لا يدركون منهزماً إلا قتلوه ، ولا يأخذون أسيراً فيعفوا عنه ، ولم ينبجُ من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل ؛ وأما رجالتهم فأبيدوا إلا قليلاً^(١) .

وسار مصعب يحمل الرجال وضعفاء الناس في السفن نحو الكوفة .

ولما بلغ المختار أنهم قد أقبلوا عليه في البحر وعلى الظهر ، وسار إليهم حتى نزل حروراء ، ليحول بينهم وبين الكوفة ، وجاء مصعب يسير إليه وهو بحروراء ، وتزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، وتحطم أصحاب المختار حطمة منكراً ، وانقصموا انقصافة شديدة ، كأنهم أجمّة فيها حريق ، وقاتل المختار حتى انصرف عنه القوم ، فقال له أصحابه : أيها الأمير ، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر^(٢) فقال المختار : والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر ، فأما إذا انصرفوا فاركبوها بنا على اسم الله ، فجاء حتى دخل القصر .

ولما أصبح المصعب أقبل يسيرُ بمن معه من أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة ، فرر بالمهلب ، فقال له المهلب : ياله فتحاً ما أهناه ؛ لو لم يكن محمد بن الأشعث قتل ! قال : صدقت ، فرحم الله محمداً ! وسار غير بميد ، ثم قال : يا مهلب ، قال : لبيك أيها الأمير ! قال : هل علمت

(١) في ذلك يقول الأعشى :

ألا هل أتاك والأنباء تنمى	بما لاقت بجيلة بالمدار
أنتج لهم بها ضرب طلحف	وطعن صائب وجه النهار
كأن سحابة صعقت عليهم	فعمتهم هنالك بالدمار
فبشر شيعة المختار إما	صرت على الكوفة بالصغار
أقر العين صرعام وفل	لهم جم يقتل بالصحارى
وما إن سرتي إهلاك قوى	وإن كانوا وجدك في خيار
ولكني سررت بما يلاق	أبو إسحاق من خزي وعار

(٢) كان قد حصن قصره والمسجد ، وأدخل في قصره عدة الحصار .

أن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! ومضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة، وبمث عبد الرحمن بن الأشعث فنزل الكناسة، وبمث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة السبيع. وضيّقوا الحصار على المختار وأصحابه حتى إنهم كانوا يعطون الدينار والدينارين في الراوية لما أصابهم من الجهد، وكانت معاشهم أفضلها من نساءهم، فكانت المرأة تخرج من منزلها، معها الطعام واللطف والماء قد اتخذت عليه، فتخرج كأنها تريد المسجد الأعظم للصلاة، وكأنها تأتي وترور ذات قرابة لها، فإذا دنت من القصر فتتح لها، فدخلت على زوجها بطامه وشرابه ولطفه.

وبلغ ذلك مصعباً وأصحابه فقال له المهلب: اجعل عليهم دروبا حتى تمنع من يأتيهم من أهلهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه، ففعل.

وكان القوم إذا اشتد بهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر، ثم أمر لهم المختار بمسل فصب فيه ليفير طممه فيشربوا منه.

ثم أمر مصعب أصحابه فاقتربوا من القصر، واشتد الحصار، فقال لهم المختار: ويحكم! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً، انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قُبلنا، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضمفوا وعجزوا. فقال لهم المختار: أما أنا فوالله لا أعطى بيدي ولا أحكمهم في نفسي.

وأزمع الخروج حين رأى من أصحابه الضعف. وأرسل إلى امرأته؛ فأرسلت إليه بطيب كثير، فاعتسل وتحنط، ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته وخرج.

ولما خرج من القصر قال للسائب^(١): ماذا ترى؟ قال: الرأي لك. فسادا

(١) كان السائب بن مالك الأشعري خليفته على الكوفة إذا خرج إلى المدائن.

ترى؟ قال: أنا أرى أم الله يرى؟ قال: بل الله يرى. قال: وَيَحْكُ! أحق أنت، إنما أنا رجل من العرب، رأيتُ ابن الزبير انتزى على الحجاز، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحدٍ من رجال العرب، فأخذتُ هذه البلاد فكنت كأخدم، إلا أنى قد طلبتُ بثأرِ أهلِ بيتِ النبي صلى الله عليه وسلم إذ نامت عنه العرب، فقتلتُ من شرك في دمائهم، وبالفتى في ذلك إلى يومى هذا، فقاتل على حسبك إن لم تكن لك نية. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وما كنتُ أصنع أن أقاتل على حسبي؟ فقال المختار يتمثل بقول غييلان بن سلمة:

ولو يرانى أبوغييلان إذ حسرتُ عنى الهمومُ بأمرٍ ماله طبقُ
لقال رُهباً ورُعباً يجمعان ممأً غم الحياة وهول النفس والشفق
إما تُسِفَّ على مجد ومكرمةٍ أو أسوةٌ لك فيمن تهلك الورق

وخرج في تسعة عشر رجلاً، وضارب بسيفه حتى قُتل^(١). وبذلك صار أمر

العراق إلى ابن الزبير.

وبعث مُصعب عماله إلى الجبال والسواد، وكتب إلى ابن الأشتر كتاباً فيه:
أما بعدُ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيخته الذين دانوا بالكفر، وكادوا
بالسحر، وإنا ندعوك إلى كتابِ الله وسنة نبيه، وإلى بيعة أمير المؤمنين، فإن
أجبتَ إلى ذلك فأقبلُ إلىّ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت
وبقى سلطان آل الزبير، لك بذلك عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذ على النبيين من
عهدٍ أو عقدٍ، والسلام.

(١) قتل المختار، وهو ابن سبع وستين سنة لأربعة عشر خلت من رمضان سنة ٦٧.

وكتب إليه عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام ، والله ممكين منهم وجعل دائرة السوء عليهم ، وإنى أدعوك إلى الله وسنة نبيه ، فإن قبالت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت لك ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

فدعا ابن الأستر أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقائل يقول : عبد الملك . وقائل يقول : ابن الزبير . فقال لهم . كيف أتبع أهل الشام ، وليست هناك قبيلة إلا وقد وترتها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصرى .

وأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعباً إقباله وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

وأراد عبد الملك بن مروان أن يجمع كلمة الناس عليه^(١) ، فلما أجمع المسير إلى مصعب خطب الناس ، وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب ، فاختاف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلافٍ لما يريد ، ولكنهم أحبوا أن يقيم ويقدم الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيوش خشية على الناس ألا يكون وراءه ملك ، إن أصيب . وقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو أقت مكانك ، وبمشت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم سرحته إلى مصعب ! فقال عبد الملك : إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأى ، ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له . وإنى أجد في نفسي أنى بصير بالهرب ، شجاع بالسيف ، إن ألجئت إلى ذلك . ومصعب قى بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ، ولا علم له بالهرب ، يحب الخفض ، ومعه من يخالفه ومعنى من ينصح لى .

(١) كان ذلك سنة ٧٠ أو ٧١ أو ٧٢ هـ على خلاف في ذلك .

وسار نحو العراق ، ولما أراد الخروج ودّع زوجته عاتكة ، فبكت وبكى معها جواريتها ، فقال : قاتل الله كثيراً ! والله لكأنه يرانى ويراك يا عاتكة حيث يقول :

إذا ما أرادَ الغزوَ لم تَننِ هَمَّهُ حَصَانٌ عليها عقد درّ يزِينُها
نَهْتَهُ فلما لم تَرَ الدهى عاقه بَكَتْ فبكى مما شجّها قطِينُها

ثم نهض وسار حتى نزل مسكن^(١) . وسار مصعب إلى باجميرا . وكتب عبد الملك إلى شيمته من أهل العراق .

وأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك إلى مصعب مختوماً ، فدفعه إليه . فقال : مافيه ؟ قال : اقرأه . فقرأه ، فإذا عبد الملك يدعو إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق . فقال لمصعب : إنه والله ما كان أحد آيس منه منى . ولقد كتب إلى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب إلى فاطمى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذن لا تُناصحننا عشائركم . قال : فأوقرهم حديداً ، وابث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم هناك ، ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم ، وإن غلبت منيت بهم على عشائركم . فقال : يا أبا النعمان ، إنى لنى شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا بحر ! إنه كان ليحذرني غدراً أهل العراق ، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه .

وهم أهل العراق بالندري بمصعب . فقال قيس بن الهيثم : ويحكم ! لا تدخلوا أهل الشام عليكم ، فوالله لئن تطعموا بيمشكم ليصفين عليكم منازلكم . والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة ! ولقد

(١) هذا هو يوم مسكن لعبد الملك على مصعب ، ومسكن : موضع على نهر دجيل .

رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجل من وجوههم لينزرو على فرسه وزاده خلفه .

وتداني العسكران والتقى القوم ، وبدأت الدائرة تدور على مصعب ، فقال لابنه عيسى : يا بني ، اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة ، فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ؛ ولكن إن أردت ذلك فألحق بالبصرة فهم على الجماعة ، أو ألحق بأمر المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدث قريش أني فررت حتى دخلت الحرم منهزماً ، ولكن أقاتل ، فإن قتلت فلممري ما السيف بمار ، وما الفرار بمادة وخلق ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل ، فرجع فقاتل حتى قُتل .

واشتد القتال بين الفريقين حتى قُتل مصعب ، ودخل عبد الملك الكوفة ، وفرق أعمال العراق والكوفة والبصرة على عماله . . .

ولما قُتل مصعب ، ودخل عبد الملك الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به إلى الخورنق وأذن إذناً عاماً ، فدخل الناس ، فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث الخزومي ، فقال له : إلى وعلى سريري ، وأجلسه معه ، ثم قال : أي الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال : عناق^(١) حمراء قد أجيد تمليحها وأحكي نضجها ! قال : ما صنعت شيئاً . فأين أنت من عمروس^(٢) راضع قد أجيد سمطه ، وأحكي نضجه ؛ اختلجت إليك رجله فأبتمتها يده ، غذى بشريجين من لبن وسمن ، ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألدّ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ؛ ولكننا كما قال الأول :

(١) العناق : الأنثى من ولد المعز . (٢) العمروس : الخروف .

وكلُّ جديدٍ يا أميمَ إلى بِلَى وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كان

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمر بن حريث : لمن

هذا البيت ؟ ومن بنى هذا البيت ؟ وعمر بن حريث يجبره فقال عبد الملك :

وكلُّ جديدٍ يا أميمَ إلى بِلَى وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كان

ثم أتى مجلسه فاستنق ، وقال :

اعمل على مهل فإنك ميتٌ واكدح لنفسك أيها الإنسان

فكان ما قد كان لميك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان

ثم دعى الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة فرأى قبة فقال : يامعشر قضاة ،

كيف سلمتم من مضر مع قلتكم ؟ فقال عبد الله بن يعلى : نحن أعز منهم وأمنع ،

قال : بمن ؟ قال : بمن معك منا يا أمير المؤمنين .

ثم جاءت مذحج وهمدان ، فقال : ما أرى لأحدٍ مع هؤلاء بالكوفة شيئاً .

ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك : قال : يامعشر جعفي اشتملتم على ابن

أختكم^(١) وواربتموه ! قالوا : نعم . قال : فهاتوه . قالوا : وهو آمن ؟ قال :

وتشترطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك ، ولكننا

نتسحب عليك تسحب الولد على والده . فقال : أمّا والله لنعم الحى أنتم ! إن

كنتم لفرسانا في الجاهلية والإسلام ! هو آمن . فجاءوا به ، فلما نظر إليه

عبد الملك ، قال : أبا قبيح ! بأى وجه تنظر إلى ربك وقد خلعتني ! قال : بالوجه

الذى خلقه . وبأيع ثم ولى ، فنظر عبد الملك في قفاه فقال : لله درّه أى ابن

زوملة^(٢) هو !

(١) يعنى يحيى بن سعيد بن العاص . (٢) كان يكنى أبا أيوب . (٣) ابن زوملة هو ابن الأمة .

وتقدمت إليه عدنان ، وقدّموا رجلا وسيما جميلا ، وتأخّر معبد بن خالد ، وكان
دَمِيماً ، فقال عبد الملك : مَنْ ؟ فقال السكّاتب : عدوان . فقال عبد الملك :

عذير الحيّ من عدواً نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بَقِيَ بعضهمُ بمضاً فلم يرعوا على بعضِ
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرضِ

ثم أقبل على الرجل الوَسِيمِ فقال : إيه ! فقال : لا أدري ، فقال معبد بن خالد
من خلفه :

ومنهم حكمٌ يقضى فلا يُنْقَضُ ما يقضى
ومنهم من يُجيزُ الحُجَّجَ بالسَّنَةِ والفرضِ
وهم مُذْ وُلِدوا شَبَّوا بِسِرِّ النسبِ المَحْضِ

فتركة عبد الملك ، وأقبل على الجميل ، فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ، فقال
معبد من خلفه : ذو الإصبع . فأقبل على الجميل فقال : ولم سمى ذا الإصبع ؟ فقال :
لا أدري ، فقال معبد من خلفه : لأنّ حَيَّةَ عَضَّتْ إصبعه فقطعتها . فأقبل على الجميل
فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري . فقال معبد من خلفه : خرّثان بن الحارث .
فأقبل على الجميل فقال : من أيكم كان ؟ قال : لا أدري . فقال معبد : من بني ناج ،
فقال :

أبَعَدَ بنى ناجٍ وسعِيكَ بينهمُ فلا تُتَبِعَنَّ عَيْنَيْكَ ما كان هالكا
إذا قلتُ معروفًا لِأَصْلِحَ بينهمُ يقولُ وَهَيْبُ : لا أصالحُ ذَلِكا
فأضحى كظَهْرِ العَيْنِ جُبَّ سنامهُ تُطِيفُ به الولدانُ أَحْدَبَ بارِكا

ثم أقبل على الجميل فقال : كمّ سطاؤك ؟ قال : سبعمائة . فقال لمعبد : فى كم

أنت؟ قال: في ثلاثمائة، فأقبل على الكاتبين، فقال: حُطّا من عطاء هذا أربعمائة، وزيدّاها في عطاء هذا.

ثم صعد منبر الكوفة، وخطب الناس، فقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه، ولم يفرز ذنبه في الحرم. ثم قال: إني قد استعملت حاكمكم بشر بن مروان، وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا. ثم رجع إلى الشام.

أما عبد الله بن الزبير فإنه لما انتهى إليه قتل مصعب قام في الناس، فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يؤتّى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّز من يشاء ويذل من يشاء. ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً، ولم يعزّز من كان وليه الشيطان وحزبه، وإن كان معه الأنام طرّاً. ألا وإنه قد أتانا من العراق خبرٌ حَزَنْنَا وأفرحنا؛ أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه، فأما الذي أفرحنا فعلنا أن قتلته له شهادة، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يعوى من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله؛ وما أنا من عثمان بخازن من مصيبة؛ وما مُصْعَبُ إلا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى. إلا أن أهل العراق أهل الندر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فإن يُقتل فإننا والله مانعوت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص. والله ماقتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام. وما نموت إلا قعصاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف. ألا إننا الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه، فإن تُقبِل لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تُدبر لا أبك عليها بكاء الخرق المهين. . .
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وسلم .

٦١ - يوم دِيرِ الْجَمَاجِمِ *

رأى عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث^(١) مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ بِالْبَصْرَةِ ،
وَقَدْ نَازَلَهُ الْحِجَّاجُ بِهَا ؛ فَخَرَجَ يَرِيدُ الْكُوفَةَ ، لِأَنَّ أَهْلَهَا أُطَوِّعُ لَهُ مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ لِبُغْضِهِمُ الْحِجَّاجَ ، وَلِأَنَّهُ يَجِدُ بِهَا مِنْ عَشَائِرِهِ وَمَوَالِيهِ أَنْصَارًا .

فَسَارَ إِلَيْهَا ، وَسَايَرَهُ الْحِجَّاجُ ، فَذَلَّ ابْنُ الْأَشْعَثِ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ وَنَزَلَ الْحِجَّاجُ
بِإِزَارَتِهِ بِدَيْرِ قُرَّةٍ^(٢) ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا .

وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رِءُوسَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلَ الشَّامِ قَبِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ
قَوْلَهُ : إِنْ كَانَ يُرْضِي أَهْلَ الْعِرَاقِ أَنْ تَنْزِعَ عَنْهُمْ الْحِجَّاجَ فَإِنَّ نَزْعَ الْحِجَّاجِ
أَيْسَرُ مِنْ حَرْبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَانزَعَهُ عَنْهُمْ تَخْلُصًا لَكَ طَاعَتِهِمْ ، وَتَخَفِينًا بِهِ
دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ .

فَبَعَثَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ ، وَأَمْرَهُمَا أَنْ يَعْرِضَا

(*) لِلْحِجَّاجِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، كَانَ فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٨٢ ، وَفِي قَوْلِ
بَعْضِهِمْ : كَانَ فِي سَنَةِ ٨٣ ، وَدَيْرِ الْجَمَاجِمِ : دَيْرٌ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ ، عَلَى طَرِيقِ الْبَرِّ الَّذِي يَسْلُكُ
إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَسُمِّيَ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ بِوَقْعَةِ إِيَادٍ عَلَى أَطَاغِمِ كَسْرِ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ الْغَرْبِيِّ حَيْثُ قَتَلَتْ
جَيْشَهُ فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ وَجَمَعُوا جَمَاعَهُمْ لِمَجْلُوعِهَا كَالْكُومِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَكَانَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ .
مَعْجَمُ مَا اسْتَمْعَمَ ٢ : ٥٧٣ ، تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ : ٨ - ١٤ .

(١) أَمِيرٌ مِنَ الْقَادَةِ الشَّجْعَانَ الدَّهَاءِ ، سِيرَةُ الْحِجَّاجِ بِجَيْشٍ لِنَزْوِ بِلَادِ رَتْبِيلَ بِسَجِسْتَانَ فَدَخَلَهَا ،
وَإِنْفَقَ مَعَ قَادَةِ جَيْشِهِ عَلَى إِخْرَاجِ الْحِجَّاجِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَاتَّقَضَ عَلَيْهِ وَنَشِبَتْ بَيْنَهُمَا مَارَكَ ظَفَرٍ
فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَتَمَّ لَهُ بِذَلِكَ مَلِكُ سَجِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَالْبَصْرَةَ وَفَارِسَ لِأَخْرَاسَانَ ، وَكَانَ عَلَيْهَا الْمُهَلَّبُ
وَالْيَأْ أَعْبَدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ . ثُمَّ خَرَجَتْ الْبَصْرَةُ مِنْ يَدِهِ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْكُوفَةِ ، وَقَصَدَهُ الْحِجَّاجُ ،
فَخَدَّتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ .

(٢) هُوَ بِإِزَارَةِ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ .

على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يُجْرَى عليهم أعطياتهم كما تُجْرَى على أهل الشام ، فإن هم قَبِلُوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وإن أَبَوْا أن يَقْبَلُوا فالحجاج أميرُ جماعة أهل الشام ووليُّ القتالِ ؛ ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته .

فلم يأت الحجاج أمره قطّ كان أشدَّ عايه ولا أغْيَظَ له ، ولا أَوْجَعَ لقلبه من ذلك ، مخافةً أن يقبلوا فيُعزّل عنهم .

فكتب إلى عبد الملك يقول : يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعِي لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك . ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق على ابن عفان ؛ فلما سأهم ما يريدون قالوا : نزع سعيّد بن العاص ! فلما نزعه عنهم لم تتم لهم السنّة حتى ساروا إليه فقتلوه . إن الحديد بالحديد يُفْلَح . خَارَ اللهُ لك فيما ارتأيت ! والسلام عليك .

فأبى عبدُ الملك إلا عَرَضَ هذه الخصالِ على أهلِ العراقِ إرادةً العافيةِ من الحرب .

وسار إلى الحجاج محمدُ بن مروان وعبدُ الله بن عبد الملك ، فلما اجتمعا عنده خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهلَ العراق ، أنا عبدُ الله ابنُ أميرِ المؤمنين ، وهو يُعطيكُم كذا وكذا ...

وقال محمدُ بن مروان : أنا رسولُ أميرِ المؤمنين ، وهو يَعْرِضُ عليكم كذا وكذا ...

قالوا : نزعُ المشيّة ؛ فرجموا فاجتمعوا عند ابن الأشعث فلم يَبْقَ قائداً

ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فقد أعطيتُم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصةً ، ولا آمنُ أن يكونَ على ذى الرأى غداً حسرةً ، وإنكم اليوم على النصف ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاه أقوياء ، والقومُ لكم هائبون ، وأنتم لهم منتقمون . فلا والله لا زلتُم عليهم أجرياء ولا زلتُم عندهم أعزاه ، إن أنتم قبلتُم .

فوثب الناسُ من كلِّ جانب فقالوا : إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل^(١) والضنكِ والمجاعةِ والقلةِ والدَّلةِ ، ونحن ذوو العددِ الكثيرِ والسمرِ الرفيعِ والمادةِ القويةِ ؛ والله لا نقبل .

فرجع محمدُ بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنك بمسكرك وجُنُودك فاعملْ برأيك ؛ فإننا قد أمرنا أن نسمعَ لك وأطيعَ ، فقال : قد قلتُ لكما إنه لا يُراد بهذا الأمرِ غيرُكما ، ثم قال : إنما أقاتلُ لكما ، وسُلطانى سلطانكما . وخليّاه والحرب فتولاها .

وأخذ الفريقان يتزاحمان ويقتتلان ، وأهلُ العراق تأتيهم موادهم من الكوفةِ ومن سوادها فهم فيما شاءوا من خيبتهم وإخوانهم من أهل البصرةِ ؛ وأهلُ الشامِ في ضيقٍ شديدٍ قد غلَّت عليهم الأسعارُ وقلَّ عندهم الطعامُ وفقدوا اللّحمَ ؛ وكانوا كأنهم في حصار . وهم على ذلك يُغادون أهلَ العراق ويرأوحوّتهم فيقتتلون أشدَّ قتال .

وحمل أهلُ الشامِ على خيلِ جبيلةِ بن زحر^(٢) مرةً بعد مرةٍ ، فناداهم

(١) الأزل : الشدة وسوء الحال .

(٢) كان على كتيبة القراء ، وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش فيهم عامر الشعبي ، وسعيد

ابن جبير ، وأبو البختري الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليل .

عبد الرحمن ابن أبي ليلى الفقيه ، فقال : يا معشر القراء ؛ إن الفرار ليس بأحدٍ من الناس بأقبح منه بكم ، إني سمعت عليّاً رفع اللهُ درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهلَ الشام : أيها المؤمنون ، إنّه من رأى عدوّنا يَمَلُّ به ، ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلّم وبرئ ، ومن أنكره بدانه فقد أجز ، وهو أفضلُ من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمةُ الله العليما وكلمةُ الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيلَ الهدى ، ونور في قلبه باليقين ، فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالمـدوان فلا يُنكرونه .

وقال أبو البختريّ : أيّها الناس ، قاتلوهم على دينكم ودنياكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم لئفسدُنّ عليكم دينكم ، وليغلبنّ على دنياكم .

وقال الشعبيّ : يا أهلَ الإسلام ؛ قاتلوهم ، ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلمُ قوماً على بسيط الأرض أعملَ بظلم ولا أجورَ منهم في الحكم . فليكنّ بهم البدار .

وقال سميدُ بن جُبَيْر : قاتلوهم ولا تأتموا من قتالهم ، بنيةٍ ويقين على آثامهم قاتلوهم ، وعلى جورهم في الحكم وتجبّروهم في الدين واستذلّوهم الضمفاء وإماتهم الصلاة .

وتبيهاً أصحابُ جبلةٍ للحمّلة فقال جبلة : إذا حماتم فاحملوا حمّلةً صادقة ، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تواففوا صفّهم .

وحملوا عليهم بجديّة وقوّة . وضربوهم حتى أزالوهم عن صفوفهم ، ثم انصرفوا ؛ فرأوا وهم مآرثون جبلة صريماً لا يدرون كيف قُتل ! فهدهم ذلك ، وكانوا فقدّ

كلٌّ منهم أياه أو أخاه ، بل هو في ذلك الوطن كان أشدَّ عليهم فقتلوا .

فقال لهم أبو البختري الطائي : لا يستبيننَّ فيكم قتلُ جبلة ؛ فإنما كان كرجلٍ منكم أتته مدينته ليومها ، فلم يكن ليتمتدَّ يومه ولا ليتأخَّرَ عنه ، وكلَّكم ذائق ما ذاق ، ومدَّعَوْه فنجيب .

وسمع القراء ذلك ، فإذا الكآبة على وجوههم بيَّنة ، وإذا السننهم متقطعة ، وإذا الفشلُ فيهم قد ظهر ، وإذا أهلُ الشام قد سُروا وجَدلوا ونادوا : يا أعداء الله قد هلكتم ؛ وقد قتل الله طاغوتكم .

ورأى بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني يأسَ الناس بمد قتل جبلة فشجَّعهم فقالوا : هذا يقوم مقام جبلة (١) .

فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختري ، فقال : قبَّحتم ! إن قتل منكم رجلٌ واحداً ظننتم أن قد أحيط بكم ، فإن قتل الآن ابن مصقلة القيمم بأيديكم إلى التهلكة ، وقتلتم : لم يبقَ أحدٌ يقاتل ، ما أخلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم !

وجيء برأس جبلة إلى الحجاج ، فحمله على رُمحين ثم قال : يا أهل الشام ؛ أبشروا فهذا أولُ الفتح ؛ لا والله ما كانت فتنة قط فخبَّت حتى يُقتل فيها عظيمٌ من عظماء أهل اليمن ، وهذا من عظماهم .

ثم اقتتلوا ذات يوم ، فخرج رجلٌ من أهل الشام يدعو للمبارزة ، فخرج إليه الحجاج بن جارية فحمل عليه فطمنه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ؛ فإذا هو رجلٌ من خشم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما إنني لم أعرفه حتى

(١) كان بسطام قد قدم من الري فالتقى هو وقتيبة في الطريق فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ، ولكنه قال : لأن أموت مع أهل العراق أحب إلي من أن أعيش مع أهل الشام .

وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يُصاب من قومي مثله .

وخرج عبد الرحمن بن عوف الرُّؤاسي ، فدعا إلى المبارزة فخرج إليه ابن عمِّ له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كلُّ واحد منهما : أنا الغلامُ الكلابي . فقال كلُّ منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما تساءلا تحاجزا .

وخرج عبدُ الله بن رِزَام الحارثي إلى كتيبة الحجاج فقال : أخرجوا إليَّ رجلا رجلا ، فأخرج إليه رجل فقتله ، ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ؛ يقتل كلَّ يوم رجلا ، حتى إذا كان اليوم الرابع أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء اللهُ به ! فدعا إلى المبارزة فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه ، فخرج إليه فقال له عبدُ الله بن رِزَام - وكان صديقا له - وَيْحَكَ يَا جِرَّاحُ ! مَا أَخْرَجَكَ إِلَيَّ ؟ قَالَ : قَدْ ابْتَلَيْتُ بِكَ . قَالَ : فَمَهْلُكَ فِي خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : أَنْهَرِمُ لَكَ فَتَرْجِعَ إِلَى الْحِجَاكِ وَقَدْ أَحْسَنْتَ عِنْدَهُ وَحَمَدَكَ ! وَأَمَّا أَنَا فَأَحْتَمِلُ مَقَالََةَ النَّاسِ فِي انْهَزَامِي عِنْدَكَ حُبًّا لِسَلَامَتِكَ ؛ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ أُقْتَلَ مِنْ قَوْمِي مِثْلَكَ .

قال : فافعل . فحمل عليه فأخذ يستطرد له ، فأطرد له عبدُ الله ، وحمل عليه الجراحُ حملةً بجدي لا يريد إلا قتله ، فمطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه وقال : يَا جِرَّاحُ ؛ بئس ما جزيتني ! أَرَدْتُ بِكَ الْعَافِيَةَ وَأَرَدْتَ أَنْ تَزِيرَنِي الْمَنِيَةَ ! فقال : لم أُرِدْ ذَلِكَ . فقال : انطلق فقد تركتكَ للقراة والعشيرة .

وخرج رجلٌ من أهل العراق يُقال له قدامة بن الحريرش التميمي ، فوقف بين الصَّفين فقال : يا معشر جرامة الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أَيْتَمَ فليخرج إلى رجل .

فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، وكرَّرَ ذلك حتى قتل أربعة ، فلم

رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحدٌ .
فكفّ الناس .

ورأى ذلك سميد الحرشيّ ، فدنا من الحجاج وقال له : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجلهم ؛ ولهذا الرجل أجل وأرجو أن يكون قد حضر فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج اليه رجل منهم .

فقال الحجاج إن هذا الكلب لم يزل هذا عادة له ، وقد أرب الناس ، وقد أذنت لأصحابك ؛ فمن أحب أن يقوم فليقم .

فرجع سميد الحرشيّ إلى أصحابه فأعلمهم ؛ فلما نادى ذلك الرجل بالمبارزة برز إليه رجل من أصحاب الحرشيّ ، فقتله قدامه ، فسق ذلك على سميد ، وثقل عليه كلامه الحجاج .

ثم نادى قدامه : من يبارز ؟ فدنا سميد من الحجاج ، فقال أصلح الله الأمير ! ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب . فقال : أو عندك ذلك ! قال سميد : نعم ، أنا كما تحب . فقال الحجاج : أرني سيفك ، فأعطاه إياه فقال الحجاج : معي سيف أثقل من هذا . وأمر بالسيف ، وأعطاه إياه .

ثم قال الحجاج - وقد نظر إلى سميد - ما أجود درعك ، وأقوى فرسك ! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب ؟ قال سميد : أرجو أن يُظفرني الله به : قال الحجاج : اخرج على بركة الله . قال سميد : فخرجت إليه ، فلما دنوت منه قال : قف يا عدو الله ، فوقفت فسرّني ذلك منه . فقال : اختر ، إما أن تمكيني فأضربك ثلاثا . وإما أن أمكنك فتضربني ثلاثا . ثم تمكيني . قلت :

أَمْكِنِّي ، فوضع صدره على قَرَبُوسِهِ^(١) . ثم قال : اضْرِبْ ، فَجَمَعْتُ يَدِي عَلَى سِيفِي ، ثم ضربت على المَغْفَرِ مَتَمَكَّنَا ، فلم يصنع شيئاً ، فسأني ذلك من سيفي ومن ضَرْبِي ، ثم أَجَمَعَ رَأْيِي أَنْ أَضْرِبَهُ عَلَى أَصْلِ الْعَاتِقِ ، فَإِنَّمَا أَنْ أَقْطَعَ وَإِنَّمَا أَنْ أُوهِنَ يَدَهُ عَنْ ضَرْبَتِهِ . فضرَبْتُهُ فلم أصنع شيئاً ، فسأني ذلك . وكانت الثالثة مثل الثانية .

ثم قال : أَمْكِنِّي . فَأَمْكَنْتُهُ ، فضرَبْتِي ضَرْبَةً صَرَخْتِي مِنْهَا ، ثم نزل عن فَرَسِهِ ، وجلس على صدرى وانزع من خُفَّيهِ خِنْجَرًا أَوْ سَكِينًا فوضعها على حَلْقِي يريد ذَبْحِي . فقلت له : أَنشُدْكَ اللَّهَ ! فَإِنَّكَ لَسْتَ مَعْصِيًا مِنْ قَتْلِ الشَّرَفِ وَالذِّكْرِ . مثل ما أنتَ مَعْصِيٌّ مِنْ تَرَكِي .

قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قلتُ : سَمِيدُ الْحُرَشِيِّ ، قال : أُولَى لَكَ بِاعْدُوِّ اللَّهِ ! فَأَنْطَلِقُ بِاعْدُوِّ اللَّهِ وَأَعْلِمُ صَاحِبِكَ مَا لَقِيتَ ، قال سميد : فَأَنْطَلَقْتُ أَسْمَى حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْحِجَّاجِ ، فقال : كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قلتُ : الْأَمِيرُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ .

ثم خرج أهلُ العراق يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ، وخرج إليهم أهلُ الشام واقتتلوا عامَّةَ النهار .

وخرج سفيان بن الأبرد الكلبى فى الخيل من قبل مَيْمَنَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، ودنا من الأبرد بن قرة التيمى وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ ولم يقاتله هذا كبيرَ قتال حتى انهزم ، فأنكرها الناسُ منه - وكان شجاعا ، ولم يكن الفرار له بمادة .

فلما فعلها تقوّضت الصفوف ، وركب الناس وجوههم ، وأخذوا فى كل وجه ،

(١) القربوس : حنو السرج .

وصعد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث المنبر فأخذ ينادى الناس : عباد الله إلى ، أنا ابن محمد ، فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي ، فوقف تحت منبره ، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له ، فوقف منه قريباً ، وثبت حتى دنا منه أهل الشام ، فأخذت نبلهم تحوزة ، فقال : يا بن رزام ، احمِلْ على هذه الرجال والخيل ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام المسكر فكبروا فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت مائة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل فإنى أخاف عليك إن لم تنزل أن تُرأسر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهاكهم الله به بعد اليوم .

فنزّل وخطى أهل العراق المسكر وانهبوا لا يأوون على شيء .

ومضى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى انتهى إلى بيته وعايه السلاح ، وهو على فرسه لم ينزل عنه ، نخرجت إليه ابنته فالتزمها ، وخرج إليه أهله ليكون ، فأوصاهم بوصيته وقال : لا تبكوا ، أرايتم أترككم ، كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت ؟ وإن أنا مت فإن الذي يرزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ، ثم ودّع أهله وخرج إلى البصرة .

ولما رأى الحجاج انهزام أهل العراق قال : اتركوهم فإيتبّدؤوا ولا تتبّهوهم ، ونادى المنادى : من رجع فهو آمن .

ورجع محمد بن مروان إلى الموصل وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة وخطياً الحجاج والعراق .

وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة وأجلس مصقلة البمدى إلى جنبه - وكان خطيباً - فقال : اشتهم كل امرئ بما فيه ، فإن كنا أحسنًا إليه فاشتّمه بقلّة

شكره ولؤم عهد . ومن عامت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إلبه نفسه . وكان لا يُبأ يمه أحدٌ إلا قال له : أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال : نعم ، بآيمه ، وإلا قتله .

فجاء رجل من خشمم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : ما زلت معتزلاً وراء هذا النهر ، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأيتئك لأبأيمك مع الناس . قال : أتشهد أنك كافر ؟ قال : بئس الرجل أنا إن كنت عبنتُ الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر . قال : إذن أقتلك . قال : وإن قتلتني ، فوالله ما بقي من عمري إلا ظم حمار^(١) ، وإنى لأنتظر الموت صباح مساء . قال : اضر بوا عنقه ، ففصرت عنقه .

فزعوا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحدٌ إلا رحمه ورثي له من القتل .

ثم دعا بكميل بن زياد النخعي ، فقال له : أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ! قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً . فقال : والله ما أدري على أيننا أنت أشد غضباً ! ثم قال : أيتها الرجل من ثقيف ، لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكذيب ، ولا تكشر كشران الذئب ، والله ما بقي من عمري إلا ظم حمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشيّة ، ويشرب عشيّة ويموت غدوة . اقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب .

قال الحجاج : فإن الحجّة عليك ، قال : ذلك إن كان القضاء إليك ، قال : بلى ، كنت فيمن قتل عثمان وحلّمت أمير المؤمنين . اقتلوه .

(١) العلم : ما بين السهيتين ، أي لم يبق من عمره إلا اليسير ، لأنه ليس شيء أقصر ظمًا

فَقُدِّمَ فُقْتُيل .

وَأَتَى بآخِرَ مِنْ بَدَدِهِ ، فَقَالَ الْحِجَاؤُ : إِنِّي أَرَى رَجُلًا مَا أَظَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ
بِالْكَفْرِ ! فَقَالَ : أَخَادِعِي عَنْ نَفْسِي ؟ أَنَا أَكْفَرُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَأَكْفَرُ مِنْ
فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ .

فَضْحَكَ الْحِجَاؤُ وَخَلَّ سَبِيلَهُ .

٦٢ - يوم الهاشمية*

كان مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ^(١) مَخْتَفِيًّا مِنْ أَبِي جَمْفَرِ النَّصُورِ ، لِأَنَّ كَانِ مِنْهُ مِنْ قِتَالِهِ الْمَسْوُودَةَ مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

وكان اختفاؤه عند مرزوق أبي الحصيب ، ليطلب له الأمان .

فلما خرج الرَّائِدِيُّ^(٢) أتى مَعْنَ الْبَابَ فقام عليه^(٣) ، فسأل النَّصُورُ أبا الحصيب - وكان يلي حِجَابَةَ النَّصُورِ يَوْمَئِذٍ - : مَنْ بِالْبَابِ ؟ فقال : مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فقال النَّصُورُ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، شَدِيدُ النَّفْسِ ، عَالِمٌ بِالْحَرْبِ ، كَرِيمٌ الْحَسَبِ ؛ أَدْخِلْهُ . فلما دخل ، قال : إِيهَ يَا مَعْنَ ! مَا الرَّأْيُ ؟ قال : الرَّأْيُ أَنْ تُنَادِيَ فِي النَّاسِ وَتَأْمَرَ لَهُمُ بِالْأَمْوَالِ . قال : وَأَيْنَ النَّاسُ وَالْأَمْوَالُ ؟ وَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَيَّ أَنْ يَمْرُضَ نَفْسَهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ ! لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا يَا مَعْنَ ! الرَّأْيُ أَنْ أُخْرِجَ فَأَقْفَ ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْنِي قَاتَلُوا وَأَبْلَوْا وَثَابُوا إِلَيَّ ، وَإِنْ أَقْتُ تَخَاذَلُوا وَتَهَاوَنُوا .

* الهاشمية موضع بالكوفة أسسها السفاح ، وكان هذا اليوم سنة ١٣٦ أو ١٣٧ الهجرية

٩ - ١٨٣ .

(١) كان مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنْ مَشْهُورِي قَوَادِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا لِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيِّ . فَلَمَّا جَاءَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَحَوَّصَ زَيْدٌ أَبْلًا مَعَهُ بِلَاءَ حَسَنًا ، وَلَمَّا قَتَلَ زَيْدٌ خَافَ مَعْنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النَّصُورِ فَاسْتَرَمَدَ طَوِيلَةَ لِي أَنْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ .

(٢) هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ مَنْسُوبُونَ إِلَى بَلَدَةِ قَرَبِ فَاشَانَ ، وَكَانُوا عَلَى رَأْيِ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ دَعْوَةِ بَنِي هَاشِمٍ يَقُولُونَ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ ، وَيُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْخُذُوا بِثَارِ أَبِي مُسْلِمٍ وَيَقْتُلُوا أَبَا جَمْفَرٍ .

(٣) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ النَّصُورَ خَرَجَ وَهُوَ يُرِيدُ مَجَاءَ مَعْنَ فَاتَّهَى إِلَيْهِ وَرَمَى بِنَفْسِهِ وَتَرَجَّلَ وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّةِ النَّصُورِ .

فأخذ مَعْنٌ بيده وقال : يا أمير المؤمنين إذا والله تَمَّتْ الساعة ، فأشرك الله في نفسك !

وأناه أبو الخصيب ، فقال مثل قَوْلَيْهِ مَعْنٌ ، فاجتذب ثوبه منهما ؛ ثم دعا بدابته ووثب عليها من غير ركاب ؛ ثم سوّى ثيابه ، وخرج وممن أخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه ، فوقف .

وتوجّه إليه رجل ، فقال : يا مَعْنٌ ، دونك الملاج ؛ فشدّ عاياه مَعْنٌ فقتله . ثم وآلى بين أربعة .

وثاب الناس إلى المنصور ، فلم تسكن إلا ساعة حتى أفنؤهم .

وتغيّب مَعْنٌ بعد ذلك ، فقال أبو جعفر لأبي الخصيب : ويلك ! أين مَعْنٌ ! فقال : والله ما أدري أين هو من الأرض ! فقال : أيقظن أن أمير المؤمنين لا يغفرُ ذنبه بعد ما كان من بلائه ! أعطه الأمان وأدخِله عليّ .

فلما دخل لقبه أسد الرجال ، فقال مَعْنٌ : والله يا أمير المؤمنين ، لقد أتيتُك وأنا وجل القلب ، فلما رأيتُ ما عندك من الاستهانة بهم ، وشدّة الإقدام عليهم رأيتُ أمراً لم أره من خلق في حربٍ ، فشدّ ذلك من قلبي ، وحماني على ما رأيت مني . فأمر له بعشرة آلاف درهم وولاه اليمن .

فهرس الموضوعات

٣٠- ٧	١ - يوم بدر
٤٧- ٣١	٢ - يوم أُحد
٥٢- ٤٨	٣ - يوم الرجيع
٥٥- ٥٣	٤ - يوم بئر معونة
٥٨- ٥٦	٥ - يوم بني النضير
٦٧- ٥٩	٦ - يوم الخندق
٧١- ٦٨	٧ - يوم بني قريظة
٧٤- ٧٢	٨ - يوم ذي قرد
٧٧- ٧٥	٩ - يوم بني المصطلق
٨٧- ٧٨	١٠ - يوم الحديبية
٩١- ٨٨	١١ - يوم مؤتة
١٠٣- ٩٢	١٢ - يوم الفتح
١٢٢-١٠٤	١٣ - يوم حنين
١٣٤-١٢٣	١٤ - يوم تبوك
١٤٠-١٣٥	١٥ - يوم السقيفة
١٤٣-١٤١	١٦ - يوم ذي القصة
١٥٢-١٤٤	١٧ - يوم بزاخة
١٥٨-١٥٣	١٨ - يوم البطاح
١٦٧-١٥٩	١٩ - يوم اليمامة
١٧٢-١٦٨	٢٠ - يوم جؤانا
١٧٦-١٧٣	٢١ - يوم صنعاء

الصفحة	
١٨٠-١٧٧	٢٢ - يوم ذات السلاسل
١٨٢-١٨١	٢٣ - يوم الثنى
١٨٤-١٨٣	٢٤ - يوم الوجبة
١٨٧-١٨٥	٢٥ - يوم أليس
١٩٢-١٨٨	٢٦ - يوم الحيرة
١٩٤-١٩٣	٢٧ - يوم ذات العيون
١٩٦-١٩٥	٢٨ - يوم عين التمر
١٩٨-١٩٧	٢٩ - يوم دومة الجندل
٢١٤-١٩٩	٣٠ - يوم اليرموك
٢١٩-٢١٥	٣١ - يوم النمارق
٢٢١-٢٢٠	٣٢ - يوم السقاية
٢٢٥-٢٢٢	٣٣ - يوم قس الناطف
٢٣٠-٢٢٦	٣٤ - يوم البويب
٢٦١-٢٣١	٣٥ - يوم القادسية
٢٦٨-٢٦٢	٣٦ - يوم أرمات
٢٧٢-٢٦٩	٣٧ - يوم أغواث
٢٧٨-٢٧٣	٣٨ - يوم عماس
٢٨٢-٢٧٩	٣٩ - يوم بآبل
٢٨٥-٢٨٣	٤٠ - يوم بهر سير
٢٨٩-٢٨٦	٤١ - يوم المدائن
٢٩١-٢٩٠	٤٢ - يوم جلولاء
٢٩٣-٢٩٢	٤٣ - يوم تكريت

٢٩٤	٤٤ - يوم ماسبندان
٢٩٥	٤٥ - يوم قرقيسياء
٢٩٧-٢٩٦	٤٦ - يوم الأهواز
٣٠٠-٢٩٨	٤٧ - يوم طاؤس
٣٠٥-٣٠١	٤٨ - يوم تستر
٣٠٧-٣٠٦	٤٩ - يوم السوس
٣٢٠-٣٠٨	٥٠ - يوم نهاوند
٣٥٠-٣٢١	٥١ - يوم الجمل
٣٧٨-٣٥١	٥٢ - يوم صفين
٣٨٩-٣٧٩	٥٣ - يوم النهروان
٤٠٨-٣٩٠	٥٤ - يوم كربلاء
٤٢١-٤٠٩	٥٥ - يوم الحرة
٤٢٦-٤٢٢	٥٦ - يوم مرج راهط
٤٤٠-٤٢٧	٥٧ - يوم عين الوردة
٤٤٤-٤٤١	٥٨ - يوم بنات تلي
٤٥٠-٤٤٥	٥٩ - يوم جبانة السبيع
٤٥٦-٤٥١	٦٠ - يوم خازر
٤٦١-٤٥٦	٦١ - يوم المذار
٤٦٥-٤٦١	٦٢ - يوم مسكن
٤٧٦-٤٦٦	٦٣ - يوم دير الجماجم
٤٧٨-٤٧٧	٦٤ - يوم الهاشمية

١ - فهرس الأعلام

- (١)
- ١٨٩ ، ١٨٥
- الأزاذبه (مرزبان الحيرة) ١٨٨ ، ١٨٩
- أسامة بن زيد : ٣٣٨
- أسلم (غلام بنى الحجاج) ١٤
- أسماء بن خارجة : ٣٩٧ ، ٣٩٨
- أبو الأسود الدؤلى : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢
- الأسود بن سريع السعدى : ٣٣٤
- الأسود بن عبد الأسد المخزومى : ١٩
- الأسود العنسى : ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ - ١٧٦
- الأسود بن قطبة أبو مفرز : ٢٨٤ ، ٢٨٥
- الأسود بن قيس المرادى : ٣٨٩
- ابن الأسود بن مسعود ١١٢
- الأسود بن المطلب : ٢٧
- أسيد بن حضير ، ٤٣ ، ٧٦ ، ١٤٠
- الأشتر الذخعى ٣٢٢ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
- ٣٦٩ ، ٣٦٧ - ٣٦٢ ، ٣٥٩
- الأشرس بن عوف الشيبانى ٣٨٢
- ابن الأشعث = عبد الرحمن بن الأشعث
- الأشعث بن قيس : ٢٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ،
- ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨٧
- آذين بن الهرمزان : ٢٩٤
- آزار (امرأة الأسود العنسى) : ١٧٤
- آزر ميدخت (ابنة كسرى) ٢١٦ ، ٢١٩
- أبان بن سميد : ٨٢
- إبراهيم (عليه السلام) : ٢٦
- إبراهيم بن الأشتر : ٤٤٤ ، ٤٤٦ - ٤٤٨ ،
- ٤٥٢ - ٤٥٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠
- إبراهيم بن محمد : ٤٢٩ ، ٤٣٠
- إبراهيم بن نعيم العدوى : ٤١٨
- الأبرد بن قررة التميمى : ٤٧٣
- أبي بن خلف الجحى : ٣٨
- أبي بن كعب : ٨٦
- أحمر بن شبيب : ٤٥٦
- الأحنف بن قيس : ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٢ ،
- ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤
- الأخرم الأسدى : ٧٣
- ابن أخطب = حبي بن أخطب ٥٧
- الأخنس بن شريق : ١٦ ، ٨٦
- أردمشير بن شيرى : ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،

- ابن الإطناية : ٣٦٢
أبو الأعور السلمي : ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩
الأعور الشستى : ٢٣٠
الأقرع بن حابس : ١١٣ ، ١٩٣ ، ١٩٨
أكيدر (صاحب دومة الجندل) : ١٢٧
أكيدر بن عبد الملك : ١٩٧
أمية بن خلف : ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٩
أنس بن الحليس : ٢٨٤
أنس بن هلال النمرى : ٢٢٨
أنس بن مالك : ٣٠٣ ، ٣٠٥
الأندرزغر (من قواد الفرس يوم الوجلة) :
١٨٣ ، ١٨٤
أنوشجان (من قواد الفرس) : ١٧٩ ،
١٨١
أنوشروان : ١٨١
أوس بن مفرأ : ٢٦٤
إياس بن قبيصة : ١٨٩ ، ١٩١
أبو أيوب الأنصارى : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
(ب)
باذان (عامل الفرس على اليمن) : ١٧٣
باهان (البطريق) : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢٠٩
بجير (أحد بني عبيد) : ١٩٥
بجير بن زهير : ١١٦
أبو البخترى الطائى : ٤٦٩ ، ٤٧٠
أبو البخترى بن هشام : ١٥ ، ٢٢
بديل بن ورقاء الخزاعى : ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٧
البراء بن عازب : ١٦٠
أبو براء = عامر بن مالك
البراء بن مالك : ١٦٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
أبو برزة الأسلمى : ٤٠٨
بسيس بن عمرو : ١٣ ، ١٥
بسطم بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى : ٤٧٠
بشر بن أبي رهم : ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥
بشر بن سفيان : ٧٨
بشر بن مروان : ٤٦٥
بشير بن الخصاصية : ٢١٦
بشير بن سعد : ١٣٩ ، ١٤٠
بشير بن عمرو الأنصارى : ٣٥٤
بصمهرى (من قواد الفرس) : ٢٨٠
أبو بصير = عتبة بن أسيد
ابن بقليلة : ١٧٩ ، ٢٤٩
أبو بكر الصديق : ١٣ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،
٤٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٣٥ - ١٣٧ ،
١٣٩ - ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ - ١٥٨ ، ١٦٠ ،

ثابت بن قيس : ٧٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

ثمامة بن أثال الحنفي : ١٧٠ ، ١٧٢ ،

(ج)

جابان (من قواد الفرس) : ١٨٩ ، ٢١٩ ،

جابر الأسدي : ٢٥٠ ،

جابر بن بجير : ١٨٥ ،

جابر بن عبد الله : ٤٣ ،

الجارود بن المعلى : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ،

. ٢٩٩

جارية بن قدامة السعدي : ٣٣٦ ،

الجالينوس (من قواد الفرس) : ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

جيلة بن زحر : ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ،

جبير بن مطعم : ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٩ ،

جرجة (مقدم عسكر الروم يوم اليرموك)

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

الجد بن قيس : ١٢٣ ،

جدي بن أخطب : ٥٧ ،

الجراح (من جنود الحجاج) : ٤٧١ ،

أبو الجرباء التميمي : ٣٣٧ ،

جرير بن عبد الله البجلي : ٢٢٦ ، ٣٠١ ،

جرير بن عبد الله الحميري : ٣٠١ ،

١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ - ٢٠١ ، ٢٠٣ -

٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ،

٤٢٢

بلال بن رباح : ٢٣ ، ٧٤ ،

بندار (من أعلاج الفرس) : ٣١٣ ،

البندوان (من قواد الفرس) : ٢٧٠ ،

بهمن جاذويه (من قواد الفرس) : ١٨٣ ،

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٧٠ ،

بوران (ابنة كسرى) : ٢٣١ ،

البيزان (من قواد الفرس) : ٢٤٨ ، ٢٦٢ ،

٢٧٠

(ت)

تذراق (تيودوريك ، من قواد هرقل) .

٢٠٣ ، ٢٠٤ ،

أبو تراب = علي بن أبي طالب

أم تميم (ابنة النهال) : ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ،

(ث)

ثابت بن أرقم : ٩١ ،

ثابت بن أرقم : ١٥٠ ،

- جرير بن عبد الله العجلي : ٣٥٢ ، ٣٥١
جعفر بن أبي طالب : ٨٨ ، ٩٠
أبو جعفر المنصور = المنصور
جندل العجلي : ١٨٧
جهجاه بن مسمود : ٧٥
أبو جهل بن هشام : ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤
الجودي بن ربيعة : ١٩٧ ، ١٩٨
جويرة بنت الحارث : ٧٧
(ح)
طارث بن الأسود بن المطاب : ٢٧
الحارث بن حسان : ٢٤٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
الحارث بن أبي شمر الغساني : ٨٨ ، ١١٣
الحارث بن أبي ضرار : ٧٥ ، ٧٧
الحارث بن ظبيان : ٢٧٠
الحارث بن العبدى : ٣٨٦
الحارث بن عمير الأزدي : ٨٨
الحارث بن عوف : ٥٩ ، ٦٢
الحارث بن هشام : ٣٢ ، ٢١٣
الحارث بن يزيد العامري : ٢٩٥
حاطب بن بلتعة : ٩٦
الحباب بن المنذر : ١٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠
حبال بن سلمة بن خويلد : ١٤١ ، ١٤٣
- حبال (أخو طليعة) : ١٥٠
حبیب بن ذؤیب : ٣٢٢
حبیب بن كزّة : ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤
حبیب بن مسلمة الفهري : ٣٥٧ ، ٣٦٠
٣٦٩
أم حبيبة (زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ٩٤
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٤٦٦ - ٤٦٨ ، ٤٧٠ - ٤٧٦
حجار بن أبجر : ٣٩٢
حجر بن عدى : ٣٨٥ ، ٣٨٨
حذيفة بن عتبة : ٢٢ ، ٢٤
حذيفة بن محصن الغلفاني : ١٤٥ ، ١٦٠
٢٥٢ ، ٢٥٥
حذيفة بن اليمان : ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٦٤ ، ٣١٢
٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩
حرام بن ملحان : ٥٣
حرب بن شرحبيل الشبامي : ٣٧٢ ، ٣٧٣
حرثان بن الحارث = ذو الأصبع
الحرب بن يزيد التميمي : ٤٠٧
حرقوص بن زهير السعدي : ٢٩٧ ، ٣٠١
٣٠٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
٣٨٩

- أم حكيم بنت الحارث : ٣٢ ،
حكيم بن حزام ١٨ ، ٩٧ ،
حكيم بن منقذ الكندي : ٤٢٧
أبو حلينة بن الأسود بن المطلب : ٢٧
الحليس بن ملقمة : ٨٠ ، ٨١
حماس بن قيس : ١٠١
جمال بن مالك الأسدي : ٢٣٨ ، ٢٧٤
حمزة بن سنان الأسدي : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩
حمزة بن عبد المطلب : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ،
٣٢ ، ٣٦ ، ٣٩ - ٤٣ ، ٧٠ ، ١٠٣
حملة بن جوية الكنانى : ٢٤٢
حملة بنت جحش : ٤٢
ابن الحنيفة = عمر بن الخطاب
حنظلة بن الربيع التميمي : ٢٤٢
ابن الحنفية = محمد بن الحنفية
حيرى بن أكل ١٨٩ ، ١٩١
الحيسمان الخزاعي : ٢٦
حي بن أخطب : ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧١
(خ)
خالد بن سميد بن العاص : ١٤٥ ، ١٩٩
٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
خالد بن عرفطة : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٧٩
خالد بن هلال : ٢٣٠
حرملة بن مريطة : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣١٣
حسان (أخو أكيدر صاحب دومة
الجنديل) : ١٢٧
حسان بن أسماء بن خارجة : ٣٩٧
حسان بن ثابت الأنصاري : ٤٦ ،
٥٥ ، ٦٤
حسان بن مالك الكلابي : ٤٢٤ ،
٤٢٥ ، ٤٢٦
الحسن بن علي بن أبي طالب : ٩٤ ، ٣٢٧ ،
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٢
الحسين بن علي بن أبي طالب : ٣٧٢ ،
٣٩٠ - ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،
٤٠٧ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
٤٤٨ ، ٤٥١ - ٤٥٤
حصين بن نمير السكوني ٤١٤ ، ٤١٩ ،
٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩
الحطيم بن ضبيعة ١٦٩ ، ١٧١
الخطيئة ٢٦٤
حفصة بنت عمر : ٣٣٠
حكيم بن سعد (ورد في الشعر) ٥٥
حكيم بن جبلة : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٠ ، ٣٤٤

ذو الحمار : ١٠٩
 ذو الكلاع ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ابن ذى الكلاع الحيرى : ٣٦١
 (ر)
 رافع (دليل خالد بن الوليد) : ١٧٩
 رافع بن عميرة الطائى : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
 رباح (غلام رسول الله) : ٧٢
 ربيعى بن الأفكل العنزى : ٢٩٢
 ربيعى بن عامر التميمى (أبو شيث) : ٢٢٩ ،
 ٢٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥
 ربيع السعدى ٢٦٦
 ربيعة بن رفيع : ١١٠
 ربيعة بن أبى شداد الخثعمى : ٣٨١ ، ٣٨٢
 ربيعة بن المخارق الغنوى : ٤٤٢ ، ٤٤٣
 الربيل الأسدى : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
 رستم : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١
 ٢٤٢ ، ٢٤٦ - ٢٥٥ ، ٢٥٧ - ٢٥٩ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ - ٢٧٨
 رفاعه بن شداد : ٤٣٨ ، ٤٤٨
 أبو رهم = كاثوم بن حصين
 (ز)
 الزبرقان بن بدر : ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٩٥

خالد بن الوليد : ٣٥ ، ٧٨ ، ٩١ ، ١٠١ ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٠ - ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 ١٧٧ - ١٩٨ ، ٢٠٥ - ٢١٧ ، ٢٧٠
 خباب بن الأرت ٣٧٢
 خبيب بن عدى ٤٩ ، ٥١
 أبو الخصيب : ٤٧٨
 خليل بن المنذر بن ساوى : ٢٩٩ ، ٣٠٠
 خديجة بنت خويلد (زوج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم) : ٢٨
 خوات بن جبير ٦١
 خويلة ابنة حكيم : ١١٢
 أبو خيثمة ٣٤
 (د)
 داذويه : ١٧٥
 داود (عليه السلام) ١٢٢
 أبو دجانة : ٣٦ ، ٣٨
 الدراقص (من قواد هرقل) : ٢٠٣ ، ٢٠٤
 أبو الدرداء ٤٧٠
 دريد بن الصمة : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠
 (ذ)
 أبو ذر الفارى ١٢٦ ، ١٢٧
 ذو الإصبع المدوانى ٤٦٤

زيد بن الخطاب : ١٦٠ ، ١٦٣
زيد بن الدثينة : ٤٩
زيد بن صُوَاحِن : ٣٤٦
زيد بن عبد الرحمن بن عوف : ٤١٨
زيب (بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم) : ٢٨
(س)
سابور بن شهريران : ٢١٦
سالم (مولى أبي حذيفة) : ١٦٢
سالم بن نصر : ١٧٩
ابن أم السائب : ٣٢٠
السائب بن الأقرع : ٣١٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
السائب بن مالك الأشعري : ٤٥٨
سباع بن عرفطة : ١٢٥
سبرة الجهني : ٣٢٦
أبوسبرة بن أبي رهم : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
سبرة بن عمرو : ١٥٣
سجاح بنت الحارث : ١٥٣ ، ١٥٤
سراقة بن مالك : ١٢
سراقة بن مرداس : ٤٤٩ ، ٤٥٠
سرجون (مولى معاوية) : ٣٩٤
سغد بن الربيع : ٤١
سمد بن عبادة : ٦١ ، ٦٢ ، ١٠١ ، ١١٥ ،
١٣٥ - ١٣٧ ، ١٤٠

أبو زيد الطائي : ٢٢٥
الزبير بن العوام : ١٤ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٩٦ ،
١٠١ ، ١١١ ، ١٤٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ - ٣٤٠ ، ٣٤٢ - ٣٤٤ ،
٣٤٧ - ٣٥١
زرعة بن البرج الطائي : ٣٧٩
زفر بن الحارث : ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ -
٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٥١
زمل بن عمرو العذري : ٣٦٩
زهرة بن الحوية : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ ،
٢٧٩ - ٢٨٣
زهرة بن عبد الله : ٢٣٨
ابن زياد = عبید الله بن زياد
أبو زياد (مولى ثقيف) : ١٩٦
زياد بن حفصة : ٣٥٦ ، ٣٨٤
زياد بن حنظلة التيمي : ٣٢٧ ، ٣٤١
زياد بن أبي سفيان : ٢٣٨
زياد بن السكن : ٣٧
زيد بن حارثة : ٨٨ ، ٩٠
زيد بن حصين الطائي : ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩

- سعد بن عبید : ٢١٨
سعد بن مالك بن أبي وقاص = سعد بن
أبي وقاص
سعد بن مسعود : ٣٨٥
سعد بن معاذ : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٤٣ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٢٨
أم سعد بن معاذ : ٦٣
سعد بن أبي وقاص : ٨ ، ١٤ ، ٣٨ ، ٢٣٤ ،
٢٣٦ - ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،
٢٧٧ ، ٢٧٩ - ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ،
٣٧٧
سعد بن وهيب = سعد بن أبي وقاص
سعید بن جبیر : ٤٦٩
سعید الحرشي : ٤١٣
سعید بن خالد : ٢٠٢
أبو سعید الخدری : ٤٢٠
سعید بن العاص : ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
٤٦٧
سعید بن قیس الهمدانی : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٨٤ ، ٣٦٩
سعید بن النعمان : ١٨٢
- سفيان بن الأبرد الكلابي : ٤٧٣
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : ٢٧ ،
١٠٨
أبو سفيان بن حرب : ٩ ، ١١ ، ١٤ - ١٦ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٥٩ ، ٦٥ - ٦٧ ، ٨٢ ، ٩٣ -
٩٧ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٢ ،
٢١٠
أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) :
٣٤٢ ، ٨٥
سلمة بن الأكوع : ٧٢
سلمة بن دريد : ١١٠
سلمة بن سلامة : ٢٥
سلمى (زوج المثني بن حارثة) : ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
٢٧٢
سلمى بنت خصفة التيمية : ٢٣٨
سلمى بن القين : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٣١٣
سلمان الفارسي : ٢٣٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
سليط بن قيس : ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
أم سليم : ١٠٩
سليمان بن سرد الخزاعي : ٣٩١ ، ٤٢٧ -
٤٤٠ ، ٤٥١

شرح حبيل بن حسنة : ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦١
٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
شرح حبيل بن السمط الكندي : ٢٣٨ ، ٢٧٧ ،
٢٧٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨
شرح حبيل بن عمرو النساني : ٨٨
شرح بن أوفى السعدي : ٣٨٩
شرح بن هاني : ٣٧٥ ، ٣٧٨
الشعبي : ٤٦٩
الشاخ : ٢٦٤
شهر بن باذان : ١٧٣
شهر بزار (صاحب الخيل) : ٢٢٩
شهريار بن كسرى : ٢٣١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
شهريار بن أردشير : ٢١٥
شيبه بن ربيعة : ١٥ ، ١٩ ، ٢٠
شيبه بن عثمان : ١٠٧
شيرازاد : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
شيرويه : ٣٠٦
شيري بن كسرى : ١٧٩
(ص)
صالح بن سليم : ٣٧١
صخير بن حذيفة : ٤٢٨
صفوان بن أمية : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٣

سليمان الفارسي = سلمان الفارسي
ابن سمية = عمار بن ياسر
أم سفان الصيداوية : ٣٨٦
سنان بن وبرة الجهني : ٧٥
سهل بن حنيف : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨ ، ٣٥٩
سهل بن عدى : ٣٠١
سهلة (زوج عبد الله بن خازم) : ٤٢٧
سهيل بن عمرو ، أبو جندل : ٢٨ ، ٨٣ - ٨٥ ،
١٠١ ، ٢٠٢
سواد بن غزية : ٢٠
سواد بن مالك : ٢٣٨
السوار بن هام : ٢٩٩
ابن السوداء : ٢٤٨
سويد بن بشر : ٣٠٣
سويد بن عمر بن مقرن : ٢٨٩
سويد بن مقرن : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٣٠١
سويلم اليهودي : ١٢٤
سيار العجلي : ٣٤١
سيرين (أبو محمد بن سيرين) : ١٩٦
(ش)
شبت بن ريمي التميمي : ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،
٣٧٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦

طليحة النمرى : ١٦١
(ظ)
ابن ظبيان : ٢٧٠
ظفر (رجل من جهينة) : ٣٣٠
(ع)
عاتكة بنت عبد المطلب : ١٠ ، ١١ ، ٤٦١
أبو العاص بن الربيع : ٢٨
العاص بن هشام بن الميرة : ١١
عاصم بن عمرو : ١٧٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢
٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
٢٧٤ ، ٢٨٧
أبو عاصم الأشعري : ١١٠
عاصم بن الحضرمي : ١٩
عاصم بن الطميل : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦
عاصم بن مالك أبو براء (ملاعب الأسنة) :
٥٣ ، ٥٥
عاصم بن لؤي : ٧٩
عائشة بنت أبي بكر الصديق : ٦٣ ، ٩٥
١٢٥ ، ٣٢٧ - ٣٢٢ ، ٣٣٤ - ٣٣٩
٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
العباس بن عبد المطلب : ١٠ ، ١١ ، ٢٢
٢٥ ، ٩٧ - ٩٩ ، ١٠٨ ، ٢٣٣

صفوان بن صفوان : ١٥٣
صفية بنت عبد المطلب : ٤١ ، ٤٢ ، ٦٤
صمصمة بن صوحان : ٣٥٤ ، ٣٦٠
صلوبا بن نسطونا : ١٩١
صهيب بن سنان : ٣٣٩
صيفي بن قيس الشيباني : ٣٨٥
(ض)
الضحاك بن قيس : ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤٢٤ - ٤٢٦
ضرار بن الأزور : ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ٢١٣
ضرار بن الخطاب : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤
ضرار بن مقرن : ١٨٩
ضمضم بن عمرو الغفاري : ٩ ، ١٠ ، ١١
(ط)
طريفة بن حاجز : ١٤٥
أبو طلحة : ١٠٩
طليحة بن خويلد الأسدي : ١٤١ ، ١٤٤ ،
١٤٨ - ١٥١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٥
طلحة بن عبید الله : ٣٨ ، ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ،
١٤٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥ ، ٣١٠ ،
٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ -
٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ - ٣٤٠ ، ٣٤١ - ٣٤٤ ،
٣٤٧ - ٣٥١

- عباس بن مرداس : ١١٤
عباية بن مالك : ٩٠
عبد الأسود العجلى : ١٨٥ ، ١٨٦
عبد الرحمن بن أبي بكر : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٧٨
عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي : ٢٣٨
عبد الرحمن بن زهير بن عبد بن عوف : ٤١٧
عبد الرحمن بن سعيد : ٤٤١ ، ٤٤٧
عبد الرحمن بن عتاب : ٣٣٩ ، ٣٥٠
عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي : ٤٧١
عبد الرحمن بن عوف الزهري : ٢٢ ، ٢٣
٢٣٢ ، ٢٣٤
عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٤٦٩
عبد بن عوف الحميري : ١٧٧
ابن عبد عوف : ٨٦
عبد الرحمن بن عينية : ٧٢ ، ٧٣
عبد بن أم كلاب : ٣٢٨
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : ٤٠٠ ، ٤٥٨
٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤
عبد الرحمن بن محنف : ٤٤٦ ، ٤٥٨
عبد الله بن أبي بن سلول : ٣٣ ، ٤٦ ، ٥٧
١٢٥ ، ٧٦ ، ٧٥
عبد الله بن بشر : ٣٠٣
عبد الله بن جبير : ٣٤
عبد الله بن جحش : ٧ ، ٨ ، ٤٢
عبد الله بن جدعان : ٢٣
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٩١ ،
٣٧٢ ، ٤٠٥
عبد الله بن أبي حدرد : ١٠٦
عبد الله بن حذف : ١٧١
عبد الله بن حملة الخثعمي : ٤٤٢ ، ٤٤٣
عبد الله بن حنظلة الفسيل الأنصاري : ٤١١
٤١٧ ، ٤١٨
عبد الله بن خازم : ٤٢٧
عبد الله بن خالد بن أسيد : ٣٣٢
عبد الله بن خباب : ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤
عبد الله بن دؤاب السلمي : ٤٧٤
عبد الله بن ذى السهمين الخثعمي : ٢٣٨ ،
٣٠١
عبد الله بن أبي ربيعة : ٣١
عبد الله بن رزام الحارثي : ٤٧١ ، ٤٧٤
عبد الله بن رواحة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٦١ ، ٦٢
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠
عبد الله بن الزبير : ٣٤٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩١
٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٢٢ - ٤٢٥
٤٣٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ،
٤٦٠ ، ٤٦٥

عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة

الخزوي : ٤١١

عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري

عبد الله بن الكواء اليشكري : ٣٧٣ ، ٣٧٤

عبد الله بن مرشد الثقفي : ٢٢٤

عبد الله بن مسمود : ٢٣ ، ١٤٢

عبد الله بن مسمود الحضرمي : ١٩٣ ، ٣٩٤

عبد الله بن مطيع : ٣٩١ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤١٧

عبد الله بن معاوية : ٣٥٢

عبد الله بن المعتم : ٢٣٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣

عبد الله بن مقرن : ١٤٣

عبد الله بن وأل البكري : ٣٩٢ ، ٤٣٢

٤٣٨ - ٤٤٠ ، ٤٥٢

عبد الله بن وديمة الأنصاري : ٣٧١

عبد الله بن وهب الراسبي : ٣٨٠ ، ٣٨١

٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩

عبد الله بن يزيد بن المغفل : ٤٢٩ ، ٤٣٠

٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٧٤

عبد الله بن يعلى : ٤٦٣

عبد الملك بن مروان : ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥

٤٤٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ - ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧

عبدية بن الطبيب : ٢٦٤

عبد الله بن زهير السلولي : ٤٥٣

عبد الله بن زيد : ٢٢٥

عبد الله بن سبع الهمداني : ٣٩٢

عبد الله بن أبي سرح : ٣٥٣

عبد الله بن سعد الأزدي : ٣٢٨ ، ٣٣٨ -

٤٤٠ ، ٤٥٢

عبد الله بن سلام : ٣٤٢

عبد الله بن شجرة السلمي : ٣٨٧

عبد الله بن شريك : ٤٤٨

عبد الله بن الضحاك : ٤١٨

عبد الله بن طارق : ٤٩

عبد الله بن عامر : ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١

عبد الله بن عباس : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦

٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ،

٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ،

٤٠٣ - ٤٠٥

عبد الله بن عبد الله بن أبي : ٧٦

عبد الله بن عبد الملك : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،

٤٧٤

عبد الله بن عضاه الأشعري : ٤١٩

عبد الله بن عمر : ١٦٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ،

٣٩٠ ، ٣٩١

عبد الله بن عمرو : ٣٤ ، ٤٢

٣٥٣ ، ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥
٣٨٦ ، ٣٧٧ ، ٣٥٨ — ٣٥٦ ، ٣٥٤
٤٦٧ ، ٤٦٥ ، ٤٥١ ، ٤٤٨

عثمان بن مالك : ٥١

عثمان بن محمد بن أبي سفيان : ٤١٠ ، ٤١٣
عدى بن حاتم الطائي : ١٤٣ ، ١٤٩ — ١٥١ ،
٣٨٤ ، ٣٥٦ ، ١٧٨

عدى بن أبي الزغباء : ١٣ ، ١٥

عدى بن سهيل : ٢٤٢

عدى بن عدى : ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١

عرفجة بن هرثمة : ١٤٥ ، ١٦٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٢ ،
٢٩٢

عروة بن أديّة : ٣٦٩

عروة بن زيد الخليل : ٢٢٥

عروة بن مسعود الثقفي : ٨١ ، ٨٢

عريض أبو يسار (علام بن العاص بن سميد) : ١٤

أبو عزة الجحفي : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢

عصمة بن الحارث : ٢٢٦

عطارد بن حاجب : ٢٤٢

عفيف بن المنذر : ١٧١

عقبة بن عامر : ٩١

عقة بن أبي عقة : ١٩٥ ، ١٩٦

عقيل بن الأسود بن المطلب : ٢٧ ، ٤٠٣

عبيد الله بن زياد : ٣٩٤ — ٣٩٧ ، ٤٠١ ،
٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ،
٤٣٨ ، ٤٤١ — ٤٤٤ ، ٤٥١ — ٤٥٣ ،

٤٥٥

عبيد الله بن عباس : ٣٢٥ ، ٣٢٦

عبيد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٦٠

عبيد الله بن مرجانة = عبيد الله بن زياد

أبو عبيد بن مسعود : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

أبو عبيدة بن الجراح : ٣٨ ، ١٠١ ، ١٣٧ ،

١٣٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٤ ، ٢٧٠

عبيدة بن الحارث : ١٩ ، ٢٠

عتاب بن أسيد : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٧

عتبة بن ربيعة : ١٠ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ،

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،

٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ،

٣٤٥

عثمان بن طلحة : ١٠٢ ، ١٠٣

عثمان بن عبد الله : ١٠٩

عثمان بن عفان : ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٤ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٣١٠ ، ٣٢١ — ٣٢٩ ، ٣٣١ ،

٣٣٣ — ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،

٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ،

٢٩٠ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٢٩٧ - ٣٠٥ ، ٣٠٧ -

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٦ ،

٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ،

عمر بن سعد : ٤٠٢ ، ٤٠٧ ،

عمر بن عبدالرحمن بن الحارث المخزومي : ٤٠٣ ،

عمر بن عبد الله بن معمر : ٣٩٤ ،

عمر بن عثمان بن عفان : ٤٢١ ،

عمر بن مالك : ٢٩٥ ،

عمران بن حصين : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،

عمرو بن أمية الضمري : ٤٩ ، ٥٠ - ٥٢ ،

٥٤ ، ٥٦ ،

عمرو بن ثبي : ٣١٥ ،

عمرو بن جحاش : ٥٦ ،

عمرو بن جرموز : ٣٥٠ ،

عمرو بن الجوح : ٤٢ ،

عمرو بن الحجاج : ٣٩٧ ،

عمرو بن حرith المخزومي : ٣٢٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ،

عمرو بن الحضرمي : ٨ ، ١١ ، ١٨ ،

عمرو بن سالم الخزاعي : ٩٣ ،

عمرو بن سعد بن أبي وقاص : ٣٩٤ ،

عكاشة بن محسن : ١٥٠ ،

عكرمة بن أبي جهل : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٦٦ ،

١٠١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، ٢٠٠ -

٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،

العلاء بن الحضرمي : ١٤٥ ، ١٧٠ - ١٧٢ ،

٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

علي بن الحسين : ٤١٤ ، ٤٢١ ،

علي بن أبي طالب : ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٦ ،

٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٤ ،

٩٤ - ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ،

٢٠٣ ، ٢٣٣ ، ٣١١ ، ٣٢١ - ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،

٣٣٣ ، ٣٣٧ - ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٤ - ٣٦٦ ،

٣٨٨ ، ٤٠٣ ، ٤٣٨ ، ٤٦٩ ،

عمار بن ياسر : ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،

عمارة بن شهاب : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،

أم عمارة = نسيبة بنت كعب

عمارة بن الوليد بن عقبة : ٣٩٤ ،

ابن عمر : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،

عمر بن الخطاب : ١٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ،

٣٨ - ٤٠ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٤ - ٩٨ ، ١٠٣ ،

١٠٦ ، ١١٢ ، ١٣٥ - ١٣٩ ، ١٥٦ - ١٥٨ ،

١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ،

- عيسى بن مصعب : ٤٦٢ ،
عيينة بن حصن : ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ١١٤ ،
١٥١ ، ١٤٩
(غ)
غالب بن عبد الله الأسدي : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
ابن الغسيل : ٤١٩ ، ٤٢٠ ،
ابنة غيلان ١١٢
غيلان بن سلمة : ٤٥٩
(ف)
الفارعة بنت عقيل : ١١٢
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :
٩٤ ، ٩٥ ، ٤٥٤
فاطمة بنت الوليد : ٣٢ ، ٤٥٤
فرات بن حيان العجلي : ٢٤٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
الفرخزاد : ٢١٦
الفرزدق : ٤٠٥
فرغون : ٤٥٤
فروة بن نوفل الأشجعي : ٣٨٩
أم الفضل بنت الحارث : ٣٣٠
الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن
المطلب : ٤١٧ ، ٤١٨ ،
فيرزان : ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٠٩ ، ٣١٨
- عمرو بن سعيد بن العاص : ٤٠٥ ، ٤٠٩ ،
٤١٠ ، ٤١٣
عمرو بن أبي سلمى الغزوي : ٣١٣
عمر بن العاص : ١٤٥ ، ١٦١ ، ٢٠٠-٢٠٤ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣٥١-٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
٣٦٣ - ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ - ٣٧٨
عمرو بن عامر : ١٠٥
عمرو بن عبد ود : ٦٣
عمرو بن عبد المسيح : ١٨٩ ، ١٩١
عمرو بن عبید الله بن عباس السلمي : ٤٠٠ ، ٤٠١ ،
عمرو بن عثمان بن عفان : ٤١٢ ، ٤١٥ ،
عمرو بن عكرمة : ٢١٣
عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ١٧٦ ، ٢٤٢ ،
٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣١٣ ، ٣١٥
عمير بن الحباب : ٤٥٢ ، ٤٥٣
عمير بن الحمام : ٢١
عمير بن عبد الله التيمي : ٣٣٢
عمير بن وهب : ١٧ ، ٢٨-٣٠ ،
المنسي = الأسود
عوف بن عامر : ١٠٥ ، ١٥٣
عويم بن الكاهل الأسدي : ١٩٧
عياض بن غنم : ١٧٧ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
عيسى (عليه السلام) : ٢٦

قيس بن عاصم : ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧٢
قيس بن عبد يفيوث : ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦
قيس بن العقديّة : ٣٣٤
قيس بن هبيرة الأسدي : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠
قيس بن الهيثم : ٣٩٤ ، ٤٦١
قيصر : ٨٢ ، ٤٠٢
(ك)
كثير بن شهاب الحارثي : ٣٩٩
كثير بن عبد الرحمن (صاحب عزة) : ٤٦١
كرز بن جابر الفهري : ٧
كسري : ٨٢ ، ٢٣١ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
٢٨٨ ، ٣٨٣ ، ٤٠٢
كسري شهريران : ٢١٥
كعب بن أسد : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ،
٧٠ ، ٧١
كعب بن جميل : ٣٦١
كعب بن زهير : ١١٦ ، ١١٧
كعب بن زيد : ٥٤
كعب بن سور : ٣٣٨ ، ٣٣٩
كعب بن أبي كعب الخثعمي : ٤٤٦
كعب بن لؤي : ٧٩
كعب بن مالك : ٣٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٣٣
(٣٢ - أيام العرب في الإسلام)

خيروز : ١٧٥
الفيقار بن نسطوس : ٢٠٣ ، ٢٠٤
(ق)
قارب بن الأسود : ١٠٩
قارن بن قريانس : ١٨١
قباد : ١٧٩ ، ١٨١
أبو قتادة الأنصاري : ٧٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٥٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٨
قثم بن العباس : ٣٢٧
أبو قحافة : ١٠٠
ابن أبي قحافة = أبو بكر الصديق
قدامة بن الحريش التيمي : ٤٧١
قدامة بن مظعون : ٢٩٨
قرط بن جراح : ٢٢٩
قرفة بن زاهر التيمي : ٢٥٢
قطبة بن قتادة (من بني عذرة) : ٩٠
القمقاع بن شور : ٣٩٩
القمقاع بن عمرو التيمي : ١٧٧ ، ١٧٩ ،
١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٧٠ - ٢٧٧ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٤٦ - ٣٤٨
قيس بن يساعدة : ٣٦١
قيس بن سعد : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

٢٤٤ - ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٦٩
مراجعة بن مرارة : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧
مجزأة بن ثور : ٣٠٣
أبو محجن الثقفي : ٢٢٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
محكم بن الطفيل : ١٦٥ ، ١٦٦
محمد صلى الله عليه وسلم : ٧ - ٩ ، ١٢ - ٧١
٧٤ - ٧٩ ، ٨٩ ، ٩١ - ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٦ - ١١٧ ،
١٢١ - ١٤١ ، ١٤٣ - ١٤٨ ، ١٥٣ ،
١٥٩ - ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ -
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ - ٢٣٥ ،
٢٣٨ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،
٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ - ٣٤٥ ،
٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ - ٣٨٣ ،
٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٤٠٦ ،
٤٠٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٩ ،
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ،
محمد بن الأشعث : ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ،
٤٠١ ، ٤٥٧
محمد بن أبي بكر : ٣٤٣ ، ٣٤٩
محمد بن ثابت : ٤٢٠

كلثوم بن حصين أبو رهم : ٩٧
كلدة بن الحنبل : ١٠٧
كميل بن زياد النخعي : ٤٧٥

(ل)

أبو لبابة بن عبد المنذر : ٦٩
أبو لهب : ١١ ، ٢٧

(م)

ابن مالك : ٢٩٦
مالك بن حبيب : ٢٩٥
مالك بن الدخشم : ١٢٨
مالك بن سنان : ٣٨
مالك بن عباد : ٩٢ ، ١٧٨
مالك بن عوف النصرى : ١٠٤ ، ١٠٥ ،
١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤
مالك بن قيس : ١٨٥ ، ١٨٦
مالك بن مسمع البكرى : ٣٩٤
مالك بن نويرة : ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨
متعمم بن نويرة : ١٥٧ ، ١٥٨
المثنى بن حارثة الشيباني : ١٧٨ ، ١٨١ ،
١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

- محمد بن أبي الجهم ٤٢٠
محمد بن الحنفية : ٣٩٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢
محمد بن سمة ٥٦ ، ٥٧
محمد بن طلحة : ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٥٠
محمد بن علي بن أبي طالب : ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢
محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ٤٢٠
محمد بن عوف : ٣٤٣
محمد بن مروان ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤
حمية بن زعيم : ٢١١
المختار بن عبيد : ٣٩٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ،
٤٤٤ - ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،
٤٥٥ - ٤٥٩
مخرمة بن نوفل : ١٦
مذعور بن عدى العجلي : ٢٥٢
مربع بن قيظي : ٣٤
مراة بن الربيع ١٢٩ ، ١٣١
مرثد بن أبي مرثد الغنوي ٤٨
ابن مرجانة = عبيد الله بن زياد
مردان شاه : ٢١٩
مروان بن الحكم : ٣٣١ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ ،
٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤١ ، ٤٥١ ، ٤٥٩
مروان بن محمد ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥
مسافع بن عبد مناف : ٣٢
مسروق بن الأجدع : ٣٤٥
مسعود بن حارثة ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
مسعود بن عمرو : ٣٩٤
مسعود بن رخيلا : ٥٩
مسعر بن فدكي التيمي : ٣٦٠ ، ٣٦٤ ،
٣٦٦ ، ٣٦٩
مسلم بن عقبة المري : ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ،
٤١٧ ، ٤١٩
مسلم بن عقيل : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ،
٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠
مسلم بن عمرو الباهلي : ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،
مسلم بن عقبة المري : ٣٦٠
مسلم بن عقيل : ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ،
٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
مسلم بن عوسجة الأسدي : ٣٩٦
المسيب بن نجبة : ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ،
٤٣٩ ، ٤٤٠
مسيهة الكذاب : ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ،
١٦٠ - ١٦٢ ، ١٦٤ - ١٦٦ - ١٧٠
مصعب بن الزبير : ٤٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
٤٦٢ ، ٤٦٥
مصعب بن عمير : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢

ابن أم مكتوم : ٣٣
مكرز بن حفص : ٢٨ ، ٨٠
منجباب بن راشد : ١٧٠
مناذر : ٢٩٦ ، ٣٠١
المنذر بن الجارود : ٣٩٤
المنذر بن ساوى : ١٦٨
المنذر بن عمرو : ٥٣ ، ٥٤
المنذر بن النعمان بن المنذر : ١٦٩
المنصور (الخليفة) : ٢٧٧ ، ٢٧٨
المنهال (زوج مالك) : ١٥٦
المهاجر بن أبي أمية : ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٧٦
مهران بن بهرام : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
٢٤٨ ، ٣٣٠
مهران الرازى : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٠
مهران الهمداني : ٢٢٦
المهلب : ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠
الموبذ : ٣٠٦
موسى (عليه السلام) : ١٣ ، ٢٦ ، ١٢٥
أبو موسى الأشعري : ١١٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ —
٣٨٢ ، ٣٧٩
(ن)
نائل (مولى عثمان) : ٢٨٢ ، ٣٥٧

ابن مصقلة : ٤٧٠
مصقلة العبدي : ٤٧٤
الضارب بن يزيد العجلي : ٢٥٢
معاذ بن جبل : ١٣٠ ، ٢٢٥
معاوية بن أبي سفيان : ٣٢٣ — ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ،
٣٧٦ — ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٢٣
معبد بن خالد : ٤٦٤
معبد الخزاعي : ٤٤
معبد بن مرة العجلي : ٢٥٢
معقل بن سنان الأشجعي : ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
معقل بن قيس ، ٣٨٤
معن بن زائدة : ٤٧٧ ، ٤٧٨
المثنى بن حارثة الشيباني : ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ،
٣٤٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
معن بن عدى : ١٢٨
معن بن يزيد بن الأخنس : ٣٥٧
المغيرة بن زرارة : ٢٤٢ ، ٢٤٤
المغيرة بن شمبة : ٨١ ، ١١٢ ، ٨٢ ، ٢٣٧ ،
٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٣١٣
٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢
المقداد بن الأسود الكندي : ٧٣
المقداد بن عمرو : ١٣

- هبيرة بن أبي وهب : ٤٦
الهذيل الأسدي : ٢٦٥
الهذيل بن زفر : ٤٣٤
الهذيل بن عمران : ١٩٥
الهربذ : ٢٩٩
هرقل : ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٣٨٣
هرمض : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
٢١٥ ، ٢٦٧
هرمض جاذويه : ٢١٥
الهرمضان : ٢٤٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩
الهرهاز بن عمرو المجلي : ٢٧٠
هشام بن عامر : ٣٣٤
هلال بن أمية : ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣
هلال التيمي : ٢٧٦ ، ٢٧٧
هلال الهجري : ٢٣٨
هند بنت أثاثة بن عباد : ٤٠
هند بنت عتبة : ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣
(و)
وحشى (غلام جبير بن مطعم) : ٣٦ ، ٣٩
وديعة السكبي : ١٩٨
ورقاء بن سمي البجلي : ٣٦٩
ورقاء بن عازب : ٤٤٣
- نائل بن جعشم الأعرجي أبو نباته : ٢٨١
النجاشي : ٨٢
النخيرجان : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١
نرسي : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١
نصير (أبو البطل الفاتح موسى بن نصير) : ١٩٦
النعمان بن بشير الأنصاري : ٣٥١ ، ٣٩٢ -
٣٩٥ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦
النعمان بن عمر بن مقرن الخراج : ٢٨٩
النعمان بن مقرن : ٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٣٠١ -
٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣١٩
النعمان بن المنذر : ١١٣
نعيم بن مسعود : ٦٤ ، ٦٦ ، ٢٩٦
نعيم بن مقرن : ٦٩٦ ، ٣١٣ ، ٣١٨
نوح (عليه السلام) : ٢٦
نوفل بن معاوية : ٩٢
(ه)
هارون (عليه السلام) : ١٢٥
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص : ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ،
٢٩٥ ، ٣٦٠
هاني بن عروة المرادي : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
هاني بن قيس : ٢٩٢
ابن هبيرة : ٤٧٧

يزيد بن أنس : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥	وكيع بن مالك : ١٥٤ ، ١٥٣ الوليد بن عبد المطلب : ٣٦١
يعلى بن أمية : ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ يزيد بن عاصم المحاربي : ٣٧٩ يزيد بن عبد الله بن زمعة : ٤٢٠ يزيد بن عمير : ٤٤٨ يزيد بن قيس الأرحبي : ٣٥٦ يزيد مسلم بن عقبة : ٤١٥ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٣٦٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ يزيد بن وهب بن زمعة : ٤٢١	الوليد بن عقبة : ١٠ ، ١٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ الوليد بن عقبة : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٣٢٩ ، ٣٥٣ الوليد بن غضين السكناني : ٤٢٧ (ي) يحنه بن رؤبة : ١٢٧ يحيى بن سميد : ٤٠٥ يزدجرد : ٢٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ يزيد بن أرقم : ٧٥

٢ - فهرس القبائل

بكي : ٨٩	(١)
بهراء : ٢٠٨ ، ٢٠٠ ، ٨٩	آل أبرهة بن الصياح : ٣٧٦
(ت)	الأبناء : ١٥٣
تغلب : ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٢٨ ، ١٦٨ ، ١٥٣	إرم : ٤٥٦
بنو تميم : ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢	الأزد : ٤٤٧ ، ٣٦١
٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٦٨ ، ٣٦٩	أسد : ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ٢٣٧
تنوخ : ٢٠٠ ، ٤٢٦	٢٦٨ ، ٢٦٩
(ث)	بنو إسرائيل : ١٣ ، ٧١ ، ٤٥٤
ثعلبة بن سمدة : ١٤١	بنو الأسود بن رزق : ٩٢
ثقيف : ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤	أشجع : ٥٩
١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢	بنو الأصفر = الروم
(ج)	الأكاسرة : ٢٩٨
جديلة : ١٥٠	الأكراد : ٢٩٧
حذام : ٨٩ ، ٢٠٠	بنو أمية : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦
جفني : ٤٦٣	٤٠٩ ، ٤١٢ - ٤١٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٥
جهينة : ١١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧	الأوس : ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١١١ ، ١٤٠
(ح)	إياد : ١٥٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
بنو حارثة : ٣٤ ، ٦٣	(ب)
بنو الحجاج : ١٤	بجيلة : ٢٢٦ ، ٣٦٢ ، ٤٤٧
الحرورية : ٣٨٥ ، ٣٩٥	بنو بكر بن عبد مناة : ١٢ ، ٥٢ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣
آل الحسين : ٤٠١	بكر بن وائل : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ، ١٨٥

٢٠٢ - ٢٠٦ ، ٢٠٨ - ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣	بنو حصن : ٣٣٧
٢١٣	حمير : ١٧٥
(ز)	بنو حنظلة : ١٥٣
آل الزبير : ٤٥٩ ، ٤٦٠	بنو حنيفة : ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ - ١٦٣
بنو زهرة : ٦١	١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠
(س)	(خ)
السبئيون : ٣٤٩	خثعم : ٣٦١ ، ٣٨١ ، ٤٤٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥
بنو سعد : ١١٣ ، ٢٠٠ ، ٣٣٦	خزاعة : ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧
سعد بن تميم : ١٧٠	الخزرج : ١١١ ، ١٤٠
سلامان طي : ٣٧١	الخوارج : ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
بنو سلمة : ١٣٠ ، ١٣١	٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ - ٣٨٩
سليح : ٢٠٠	خولان : ١٧٥
بنو سليم : ٥٤ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٣٠	(د)
١٣١ ، ١٤٥	بنو الدليل بن بكر : ٥١
سليم بن منصور ٣٧١	بنو دينار : ٤٣
(ش)	(ذ)
الشباميون : ٣٧٢	ذبيان : ١٤٣ ، ١٤٤
بنو شيبان : ١٧٢ ، ٢٣٠	(ر)
الشيعة : ٣٦٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦	الراوندية : ٤٧٧
(ض)	الرباب : ١٥٣ ، ١٧٠ ، ٢٣٧
ضبة : ٢٢٦	ربيعة : ٥٥ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٦٩
(ط)	١٧٨ ، ٣٤٠ ، ٣٦٢
طي : ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ٣٨٦	الروم : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٠ ،

(غ)

غسان : ١٣٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨

غطفان : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥١ ، ٢٣٦

الغوث : ١٥٠

(ف)

الفرس : ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٥

٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ،

٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥٢ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ،

٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ -

٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ - ٢٩٢ ،

٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤

بنو فزارة : ١١٤ ، ١٥١

(ق)

القارة : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦١

قريش : ٧ - ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١

- ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٩

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ - ٦٧ ،

٧٨ - ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ - ٩٧ ، ١٠٠ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ٣٢٣ ،

٣٥٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ،

٤٢٦

(ع)

عاد : ٤٥٦

بنو العاص بن سعيد : ١٤

بنو أبي العاص : ٤٦٥

بنو عامر : ٥٤ ، ٥٦ ، ١٦٢

بنو عبد البار : ٣٥

بنو عذرة : ٩٠ ، ٢٠٠

عبد القيس : ٤٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ،

٢٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩

بنو عبد المطلب : ١١ ، ١١٣

بنو عبد مناة : ٣٢

عبد مناف : ٩٨ ، ٣٣٢

عبس : ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٣٢٦

بنو عبيد : ١٩٥

عدنان : ٤٦٤

بنو عدى : ٨٢ ، ٩٨

عضل : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦١ ، ١٧٥ ، ٤٠٦

عمرو بن حنظلة : ١٧٠

عَمَّك : ١٧٥

بنو العم بن مالك : ٢٩٦ ، ٢٩٧

بنو عمرو : ١٥٣

عنس : ١٧٢

بنو مرة : ١٤١ ، ٥٩	٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
مزينة : ٩٩	٤٦٢ ، ٤٦٠
المسودة : ٤٧٧	بنو قريظة : ٧١ - ٦٦ ، ٦٤ ، ٥٧
بنو المصطلق : ٧٧ ، ٧٥	قضاة : ٤٦٣ ، ٢٠١ ، ١٦١ ، ١٤٥
مضر : ٤٣٤ ، ٣٦٢ ، ١٧٨ ، ١٦١ ، ٥٤	بنو قيس بن ثعلبة : ٤٤١ ، ٤٠٠ ، ٢٣٦ ، ١٧١
٤٨٨ ، ٤٦٣ ، ٤٤٧	(ك)
آل معاوية : ٣٧٦	بنو كثير : ٤٢٧
معد : ٢٦٥	آل كسرى : ٣١٩
مقاعس : ١٥٣	كعب : ١٠٥
(ن)	كلاب : ١٠٥
بنو ناج : ٤٦٤	بنو كلب : ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٥٢
الناعطيون : ٣٧٣	كنانة : ٦٢ ، ٦٠ ، ٤٧ ، ٣٢ ، ٣١ ، ١٢
بنو النضير : ٥٦	١٥٦ ، ١٤١ ، ١١٢ ، ٩٥
التمر : ٢٩٣ ، ٢٩٢	كندة : ٣٩٩ ، ١٤٥ ، ١٢٧
(هـ)	(ل)
بنو هاشم : ٢٢	لحم : ٣٦٢ ، ٢٠٠
هذيل : ٤٨	(م)
بنو هصيص : ٢٧	بنو مازن : ٣٣٧ ، ١٨٩
همدان : ٤٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٣٠	بنو مالك : ١٠٩
هوازن : ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤	بنو مالك بن حنظلة : ١٥٤
٢٣٤ ، ١٤٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٠٩ ، ١٠٨	بنو مالك بن كنانة : ٣٢
بنو يربوع : ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣	مخزوم : ٢٧
اليهود : ٦٨ ، ٦٤ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦	مذحج : ٤٦٣ ، ٤٠٨ ، ٣٩٩ ، ١٧٣
	مراد : ٢٧٩

٣ - فهرس الأماكن

	(١)
أوطاس : ١٠٤ ، ١١٠	الأبرق : ١٤١
أليس : ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨	الأبطح (مسيل وادي مكة) : ١٠
(ب)	الأبلة : ١٢٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠
بابل : ٢١٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١	أحد (جبل) : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٦
بادوريا : ٢٣١	٤٨ ، ٦٠
باروسما : ١٩١	أذربيجان : ٣٥١ ، ٤٦٠
بانقيا : ١٩١	أذرح : ١٢٧
البحرين : ١٤٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،	أربك : ٣٠٢
٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠	الأردن : ٢٠١
بدر : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٣٠ ،	أرباث : ٢٧٤
٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٩٧ ،	أرمينية : ٤٦٩
١٠٣ ، ١٢٩	أصبهان : ٣٠٦
برس : ٢٤٩ ، ٢٨٠	إصطخبر : ٢٢٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦
برك الغماد : ١٣	الأعوص : ٢٣٦
البرازخة : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤	أمثيشيا : ١٨٨
البرصرة : ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٩٦ - ٣٠٣ ،	الأنبار : ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨
٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ -	الأنسر : ١٥٠
٣٣٥ ، ٣٣٨ - ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ،	الأهواز : ٢٨١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،	٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ١٣
٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤١١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،	

(ج)

جبان : ١٨٥ ، ١٨٦
الجابية : ٤٢٥
جبانة السبيع : ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨
الجحفة : ١٦
جرباء : ١٢٧
الجزيرة : ٤٥١ ، ٤٦٠
الجمرانة : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤
جلولاء : ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦
جؤائا : ١٦٩

(ح)

الحبشة : ٣٢ ، ٣١١
الحجاز : ٨ ، ٩ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ، ٣٩١
٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
٤٥٥ ، ٤٥٩
الحديبية : ٧٩ ، ٩٢ ، ٣٦٧
الحرّة : ٤١٦ ، ٤١٧
حرة بني حارثة : ٣٤
حروراء : ٣٧٣ ، ٤٥٧
حسا : ١٤٢
حضر موت : ١٤٥ ، ١٦٠ ، ٢٩٩
الحضوض : ٢٤٠

٤٣٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،

٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ،

بصرى : ٨٨ ، ٢١٨

البيقع : ٥٢

البلقاء : ٩٠ ، ١٢٣

بنات تلى : ٤٤٢

بهر مسير : ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ٢٨٦

البويب : ٢٢٦ ، ٢٣٠

بئر معونة : ٥٣

(ت)

تبوك : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٤٢٥

تستر : ٣٠٢ ، ٣٠٧

تسكرت : ٢٩٢ ، ٤٤١

التنميم : ٤٩ ، ٥١

تهامة : ١١٤ ، ٢٠٠

تهامة اليمن : ١٤٥

تيرى (نهر) : ٢٩٦ ، ٢٧٩ ، ٣٠١

تباء : ١٩٩ ، ٢٠٠

(ث)

الثنى : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

ثنية المرار : ٧٩

ثنية الوداع : ٤١٢

دجلة (نهر) : ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٣٠١

دجيل : ٢٩٦

دستميسان : ٢٩٦

دلك : ٢٩٦

دمشق : ٢٠٢ ، ٢٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٤٢٤

الدهناء : ١٧٠

دومة الجندل : ١٢٧ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٦٩ ،

٣٧٥

دير أبي موسى : ٤٤٢

(ذ)

ذات عرق : ٣٣١

الذَّفْران (وادي) : ١٣ ، ١٤

ذو الحليفة : ٨٦

ذو طوى : ٧٨ ، ١٠٠

ذو قار : ٢٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦

ذو القصة : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤

ذو المروة : ٢٠٣

(ر)

رامهرمز : ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦

الربذة : ١٤١ ، ١٤٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

الحضير : ١٧٩

حلوان : ٣٠٦

حمام أعين : ٤٤٤

حراء الأسد : ٤٤ ، ٤٥

حصص : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ،

٤٢٦

حنين : ١١١ ، ١١٤

وادي حنين : ١٠٧

الحيرة : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،

٢٤٧ ، ٢٤٩

(خ)

الخازر (نهر) : ٤٥٥

خفان : ٢١٩ ، ٢٥٠

الخليفة : ٩٦

الخنديق : ٥٤

الخدملة (جبل) : ١٠١

الخورنق : ١٨٩ ، ٢٤٠ ، ٤٦٢

خيبر : ٥٨ ، ١٣٤

(د)

دارين : ١٧٢

دبا : ١٤٥

(ش)

الشم: ٩، ٥٨، ٨٧ - ٩٠، ١٢٧، ١٣٢،

١٤٥، ١٥٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٥،

٢١٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣١٠، ٣١١،

٣٢٢، ٣٢٤ - ٣٢٧، ٣٤١، ٣٤٢،

٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩ -

٣٦٤، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣،

٣٧٨، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٢،

٣٩٦، ٤١١، ٤١٨ - ٤٢٢، ٤٢٤،

٤٢٩، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٤،

٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٥٩

٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤

شرف: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٤٠، ٤٠٧

الشوط (حائط عند جبل احد): ٣٣

(ص)

صرار: ٢٣٢، ٢٣٦

الصفاء: ١٠٣

الصفراء: ١٣

صنماء: ١٧٣، ١٧٥

صفين: ٣٥٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨١

٣٨٧

الرجيع: ٤٨

الروحاء: ٢٥، ٤٤

(ز)

زباله: ٣٢٥

زرود: ٢٣٦

(س)

ساباط: ١٩٣، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٨٣، ٤٤٦

السنجة: ٢٢، ٦٣، ٤٥٧

سرف: ٣٢٨

سفوان: ٧

السقاطبة: ٢٢٠، ٢٢٢

سقيفة بني ساعدة: ١٣٥، ١٣٧

سلع: ٥٩، ٦٣

سميراء: ١٤١، ١٤٨

السنح: ١٤٩

السند: ١٧٨

السهل: ٢٩٤

السواد: ٢١٧، ٢١٩، ٢٣١، ٢٤١،

٢٥٠، ٢٩٨

السوس: ٣٠٦

سوى: ٢٠٦، ٢٠٨

السيروان: ٢٩٤

عماس : ٢٧٤
عمان : ١٤٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٠
عين التمر : ١٩٥ ، ١٩٧
عين الوردية : ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥١
(غ)
الغريتان : ١٨٩
(ف)
فارس : ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢١٥ ،
٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ - ٢٢٩ ،
٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،
٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ - ٣٩٢ ، ٣٠٧ - ٣٩٩ ،
٣١٨ ، ٣١٣
فارغ (حصن) : ٦٤
الفرات (نهر) : ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ،
١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ ،
٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،
٤٢٤ ، ٤٥٤
(ق)
القصر الأبيض : ١٨٩

(ض)
ضجنان (جبل) : ٥١
(ط)
طاوس : ٢٩٩ ، ٣٠٠
الطائف : ٧ ، ١٠٩ ، ١١١ - ١١٤ ، ١١٦
الطف : ٤٣٨
طيبة : ١٤١
(ظ)
الظهر : ٣٧٢
(ع)
العتيق : ٢٠٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٣٠٤
العتيق (نهر) : ٢٥٠
العراق : ١٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ ،
٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ -
٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٤٠٣ - ٤٠٥ ، ٤٢٣ ، ٤٤٠ ،
٤٥١ ، ٤٥٩ - ٤٦٢ ، ٤٦٥ - ٤٦٨ ، ٤٧١ ،
٤٧٣ ، ٤٧٤
عسفان : ٧٨ ، ٩٤
العشيرة (بطن ينبع) : ٧
المقبة : ١٢٩
عقرباء : ١٦١
عكاظ : ٤٥

الكناسة : ٤٤٧ ، ٤٥٨
كوثي : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥
الكوفة : ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،
٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ،
٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ،
٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ،
٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢
الكوفة : ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ،
٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤

(م)

مآب : ٨٩
ماسبذان : ٢٩٤
المدائن : ١٨١ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ،
٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٩ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٥ ،
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠

قصر ابن بقليلة : ١٨٩
قصر المدسين : ١٨٩
قصر بني مازن : ١٨٩
القادسية : ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،
٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩
أبو قبيس (جبل) : ١٠ ، ١٠٠
قراقر : ٢٠٦ ، ٢٠٨
قرقيسياء : ٢٩٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٥١
قس الناطف : ١٩١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦
القسطل : ٢٠٠
القطيف : ١٦٩
القليب : ١٧ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٧
قنسرين : ٤٢٤ ، ٤٢٦

(ك)

كاظمة : ١٧٩
كربلاء : ٤٠٧
كداء (جبل) : ١٠٠
كدى (جبل) : ١٠١
كراع النميم : ٧٨
كسكر : ١٨٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٣١٢
الكمبة : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٧٦

الدينية: ٧، ٨، ١٥، ١٨، ٢٥، ٢٩	المشارف: ٩٠
٣٢، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥	مصر: ٣٢٥، ٣٤٢
٤٦، ٥٠، ٥٢ - ٥٤، ٥٦، ٦٢	المصيخ: ١٧٧
٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٤	ممان: ٨٩
٧٨، ٨٥، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٤	المناث: ١٨١
٩٧، ١٠٢ - ١٠٤، ١١٧، ١٢٥	المنيث: ١٨١
١٢٨ - ١٣٠، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢	مكة: ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ٢٦، ٣١
١٤٤، ١٥٢ - ١٥٦، ١٥٨، ١٦٨	٣٩، ٤١، ٤٨ - ٥١، ٥٩، ٧٨، ٧٩
١٦٩، ١٧٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣	٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٦
٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٣٠	٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١١٦
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٧٨، ٢٨٥	١١٢، ١١٣، ٢٠٥، ٢٠٢، ٢٢٣، ٣٢٦
٣٠٣ - ٣٠٥، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٣	٣٢٩ - ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٨٢
٣٢٥ - ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٧ - ٣٤٣	٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢
٣٤٥، ٣٥٠، ٣٨٨، ٣٩٠ - ٣٩٢	٤١٧، ٤٢٢، ٤٦٢
٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٩ - ٤١٣، ٤١٥	مهرة: ١٣٥، ١٦٠، ١٧٦
٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٠	الموصل: ٢٩٣، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٧٤
المذار: ١٨١، ١٨٢، ٤٥٦	مؤتة: ٨٨، ٩٠
المربد: ٣٢٥	ميسان: ٢٤٢، ٢٩٦، ٣٠١
مرج راهط: ٤٢٢، ٤٢٥	(ن)
مرج الصفر: ٢٠٢، ٢٠٨	النباج: ١٧٧، ١٧٨
مرّ الظهران: ٩٧	نجد: ٥٣، ٥٥، ٦٠
مرو: ٣٠١، ٣٠٨	نجران: ١٧٣
المروحة: ٢٢٥	النجف: ١٨٩

الواقصة : ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٣	نحلة (بين مكة والطائف) : ٧ ، ٨ ، ١١٠
وردان : ٣٥٢	النخيلة : ٢٣٠ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤
الولجة : ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٤٠	نهاوند : ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٩
(ي)	النهران : ٣٨٥
يأجج (موضع بمكة) : ٥٠	(هـ)
اليرموك : ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،	الماشية : ٤٧٧
٢٠٩ ، ٢٧٩	هجر : ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٣٨
اليامة : ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٩ - ١٦٣ ، ١٦٦ ،	همدان : ٣١٨ ، ٣٥١
١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٣٤١	الهند : ١٧٨
ينبع : ٣٢٤	هيت : ٢٩٥
الين : ١٢٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٠٠ ،	(و)
٢٣٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،	وادي السباع : ٣٥٠
٣٢٩ ، ٣٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٤٧ ، ٤٧٨	واردات : ١٤٨

٤ - فهرس الشعر

الصفحة	عدد الأبيات	(ب) القائل	البحر	القافية
٤٠٨	٢	...	كامل	المحجبا
		(ت)		
٤٥٠	٤	سراقة	وافر	مصمات
		(ح)		
٣٦٢	٣	ابن الإطنابة	وافر	المُشيج
		(د)		
٨٩	٣	عبد الله بن رواحة	بسيط	الزبدا
٢٧	٦	الأسود بن المطلب	وافر	السهود
٣٧٠	١	أخو هوازن	طويل	أرشد
٣٨٢	١	»	طويل	غد
٢٥	٤	حسان	وافر	نجد
٣٩٧	١	عمرو بن معد يكرب	وافر	من مراد
		(ر)		
٣٢٨	٦	ابن أم كلاب	متقارب	المطر
١١٣	٢	...	بسيط	وننتظر
١٤٣	٤		طويل	لأبي بكر
٢٠٨	٥		طويل	وما ندري
٤		متعم بن نوبرة	كامل	يابن الأزور

الصفحة	عدد الأبيات	القائل	البحر	القافية
٣٣٧		...	وافر	لم يُقْبَر
		(ض)		
٤٦٤	٦	أبو الإصبع المدواني	هزج	الأرضِ
		(ع)		
١٥٨	٤	متمم بن نويرة	طويل	فأوجما
		(ف)		
٢٧٢	٣	أبو محجن	وافر	سيوفاً
٣٣٧، ٣٣٦	٤	...	كامل	الإنصافِ
		(ق)		
٤٥٩	٣	غيلان بن سلمة	بسيط	طبقُ
٢٧٢	٢	أبو محجن	طويل	عروقها
		(ك)		
٤٦٤	٣	...	طويل	هاتكا
		(ل)		
٤٣٣	١	أخو كنانة	طويل	الشكلُ
١٢٢-١١٧	٥٩	كعب بن زهير	طويل	مكبولُ
٤٥، ٤٤	٦	معبد الخزاعي	بسيط	الأباييلِ
		(م)		
٣٧٣	٢	علي بن أبي طالب	طويل	واجمًا
٣٠٨	١	...	طويل	وأظلمًا
٣٢٧	١		طويل	المظالمُ

الصفحة	عدد الأبيات	القائل (ن)	البحر	القافية
٤٦٣	٣	...	طويل	كان
٢٣٠	٦	الأعور الشنّي	بسيط	همدانا
٥٢	١	...	وافر	المسلمينا
١٦٩	٤	...	وافر	أجمعينا
٤٥٠،٤٤٩	٩	سراقة	وافر	علينا
٤٦١	٢	كثير	طويل	يزينها
(ى)				
٢٧١	٤	أبو محجن الثقفي	طويل	وثاقيا
٤٢٦	١٢	زفر بن الحارث	طويل	تماديا
٤٧	٤	حسان	بسيط	مخزيبها

٥ - فهرس الـ جز

الصفحة	عدد الأبيات	القائل	الغافية
		(ب)	
٣٦١	٢	كعب بن جميل	غلب
١٩٧	٣	...	الحلائب
٩٠	٥	جعفر بن أبي طالب	واقترأ بها
		(ت)	
٩١،٩٠	٤	عبد الله بن رواحة	تموت
		(د)	
٩٣	١٧	عمرو بن سالم الخزاعي	محمدًا
٤٤٩	٣	سراقة بن مرداس	معد
		(ر)	
٣٥	٣	هند بنت عتبة	عبد الدار
٣٩	٨	هند بنت عتبة	بدر
٤٠	٩	هند بنت أئمة	بدر
		(س)	
٣٤٠	٢	حكيم بن جبلة	باليابس
		(ع)	
٣٢٥،١٠٥	٢	دريد بن الصمة	جذع
		(ق)	
٣٥	٤	هند بنت عتبة	نمانق

الصفحة	عدد الآيات	القائل	القافية
٣٦	٢ (ل)	بنات طارق
٦٣	٢	سمعد بن معاذ	حمل
٣٤٩	٥	الجلل
٣٦	٤	أبو دجاجة	خليلى
٤٤٨	٤	رفاعة بن شداد (م)	بولى
٣٢	٤	أبو عزة الجمحى	الرزام
١٨٧	٢	النابغة الذبياني (ن)	عصاما
٩٠	٦	عبد الله بن رواحة (ي)	لتنزله
٢٨	٣	مكرز بن حفص (الألف المقصورة)	المواليا
٢١٨	٤	اهتدى
٤٢٠	٣	ابن الفسيل	وطنى

٦ - المراجع

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر المسقلاني ، نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٣٩ م
الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني : مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣ هـ ، مطبعة دار الكتب .
تاريخ ابن الأثير ، نشرة إدارة الطباعة النيرية سنة ١٣٤٨ هـ .
تاريخ ابن خلدون ، مطبعة بولاق سنة ١٢٤٨ هـ .
تاريخ الطبري ، المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ
تاريخ أبي الفدا ، المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٥ هـ
تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ، مطبعة السعادة سنة ١٩٣٢ م
السيرة الحلبية (إنسان الميون) ، المطبعة الأزهرية سنة ١٩٣٢ م
سيرة دحلان (على هامش السيرة الحلبية) ، المطبعة الأزهرية سنة ١٩٣٢ م
سيرة ابن هشام ، مطبعة حجازي سنة ١٩٣٧ م
المقدمة لابن عبد ربه ، مطبعة لجنة التأليف سنة ١٣٧٠ هـ
الفائق للزمخشري ، مطبعة عيسى الحلبي سنة ٩١٤٥ م
فتوح البلدان للبلاذري ، نشرة المكتبة التجارية .
لسان العرب لابن منظور ، مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ هـ
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٢٦ م
مروج الذهب للمسعودي ، بولاق سنة ١٢٨٣
معجم البلدان لياقوت ، مطبعة السعادة سنة ١٩٠٦
معجم ما استمعهم للبكري ، مطبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥٤ م